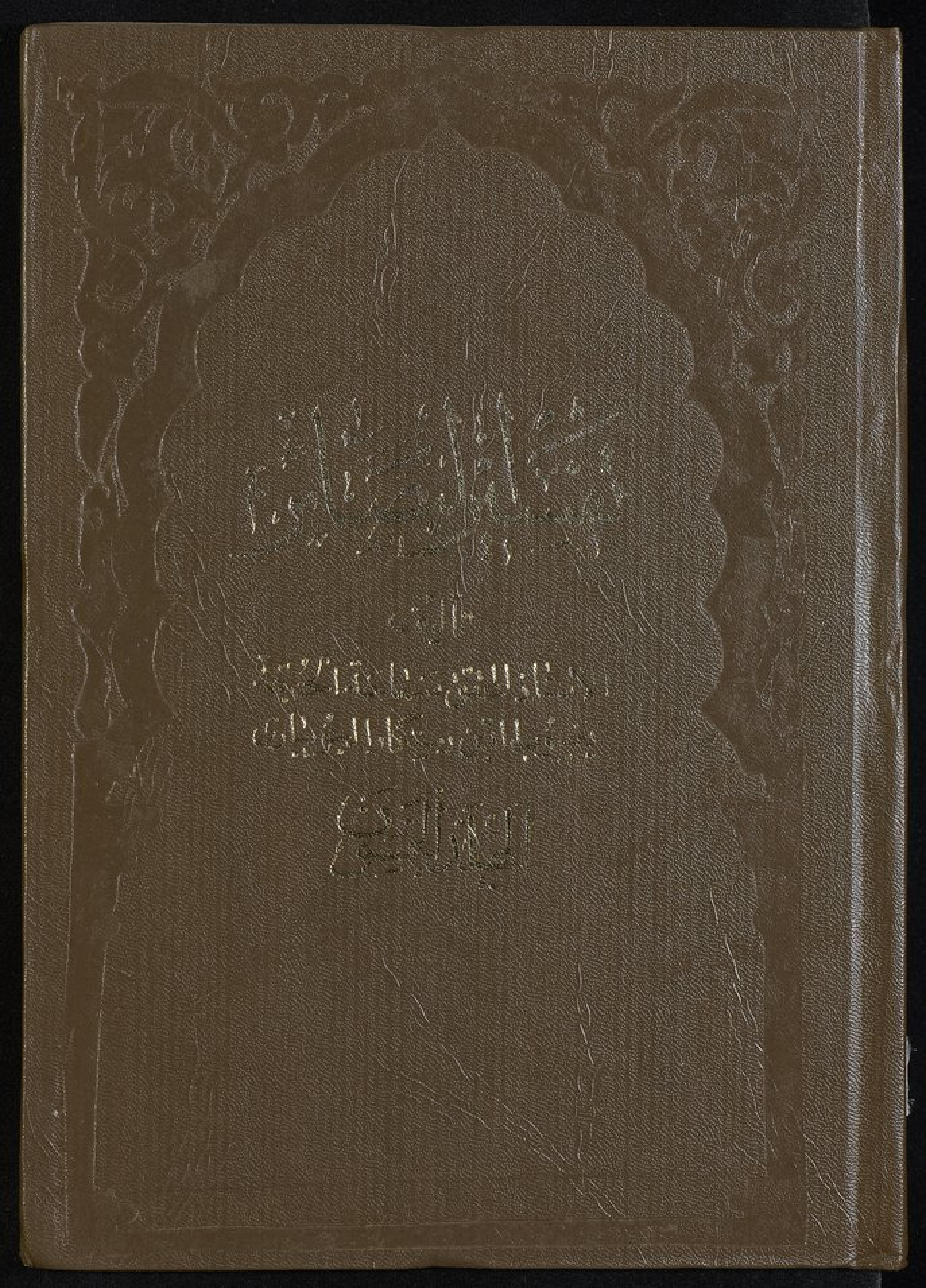
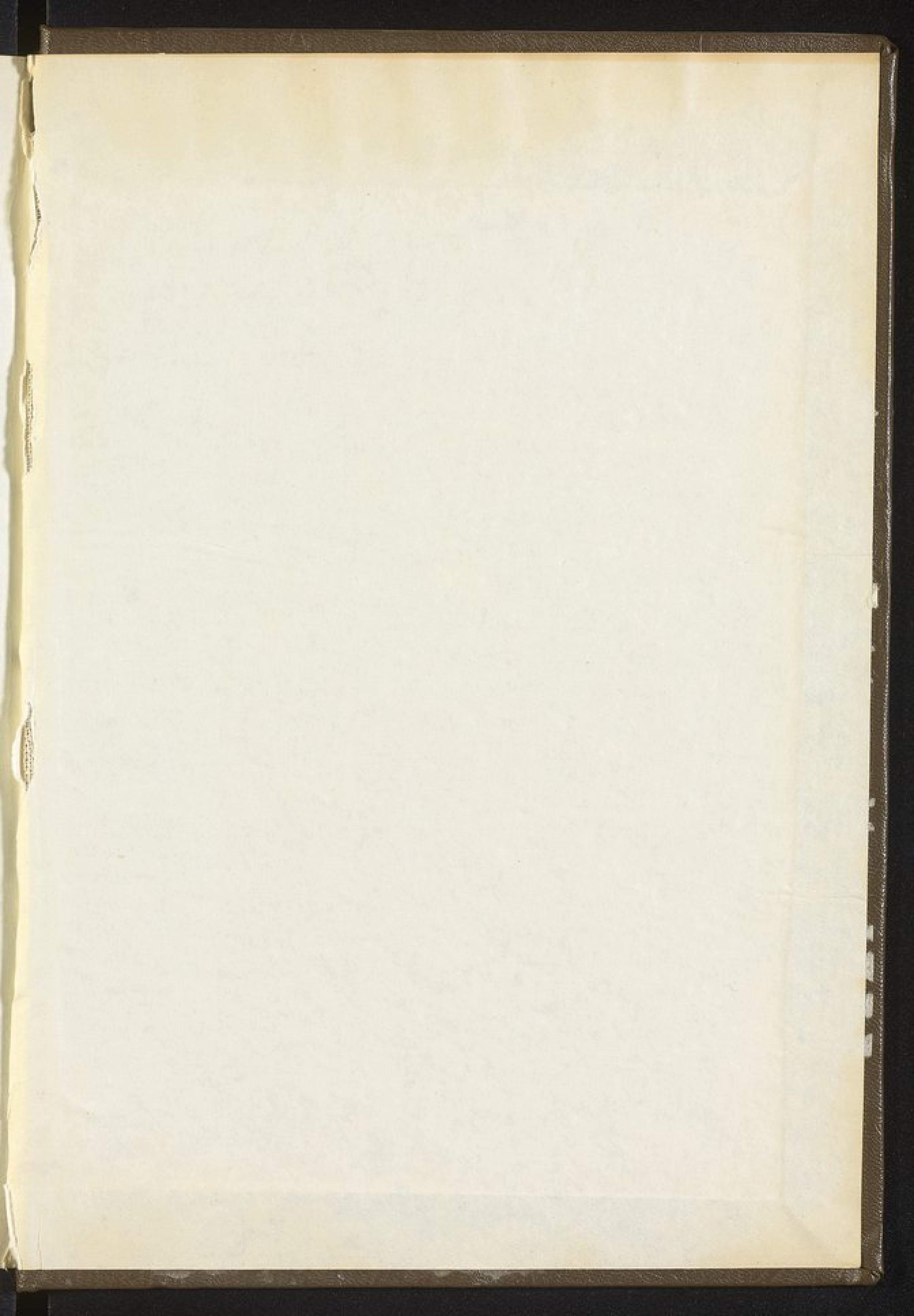
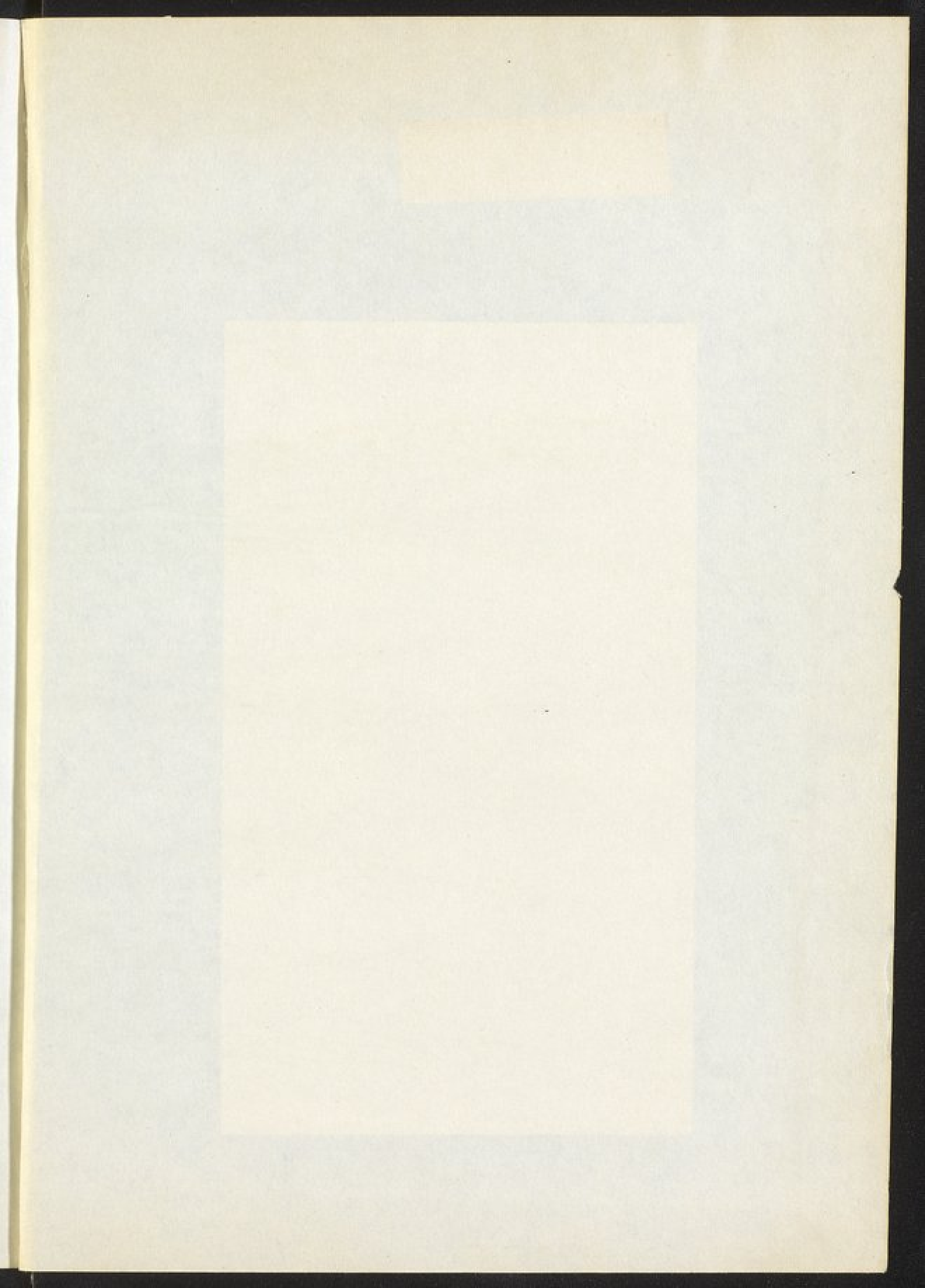








Juybari

المجلد الخمسون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباری

ایران - قم ١٤٠٢ هـ ق = ١٣٦١ هـ ش

سورة المزمل آياتها عشرون وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المزمل ﴿١﴾ قم الليل إلا قليلا ﴿٢﴾ نصفه أو انقص منه قليلا ﴿٣﴾ أو زد عليه ورتل
القرآن ترتيلا ﴿٤﴾ إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا ﴿٥﴾ إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا
﴿٦﴾ إن لك في النهار سبحا طويلا ﴿٧﴾ واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا ﴿٨﴾ رب المشرق والمغرب
لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا ﴿٩﴾ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ﴿١٠﴾ وذرني و
المكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ﴿١١﴾ إن لدينا أنكالا وجحيما ﴿١٢﴾ وطعاما ذا غصة
وعذابا أليما ﴿١٣﴾ يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا ﴿١٤﴾ إنا أرسلنا إليكم
رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا ﴿١٥﴾ فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا ﴿١٦﴾



فكيف تتقون ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا ﴿١٧﴾ السماء منفطر به كان وعده مفعولا ﴿١٨﴾ ان هذه
تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا ﴿١٩﴾ ان ربك يعلم انك تقوم ادنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه
وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ان لن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر
من القرآن علم ان سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله وآخرون
يقاتلون في سبيل الله فاقرءوا ما تيسر منه واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة واقرضوا الله قرضا حسنا وما
تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا واستغفروا الله ان الله غفور رحيم ﴿٢٠﴾

«فضلها وخواصها»

روى الصدوق: رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن منصور بن حازم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من قرأ سورة المزمل في العشاء الاخرة أو في آخر الليل كان له الليل والنهار شاهدين مع سورة المزمل، و أحياه الله حياة طيبة، و أماته ميتة طيبة.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع، و شيخ المحدثين الحر العاملي في وسائل الشيعة، و العلامة المجلسي في البحار، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين.

وذلك لان من قرأ السورة متدبراً فيها، وآمن بالله تعالى و برسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به من عندالله جل وعلا وعمل عملاً صالحاً فله حياة طيبة، و ميتة طيبة، وقد صرح بذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: «الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ـ من عمل صالحاً من ذكر أو انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون» النحل: ٣٢ـ٩٧)

وقال الله تعالى: «ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد» ق: ٣٧)

وفي البرهان: روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: من قرأ هذه السورة كان له من الاجر كمن اعتق رقاباً في سبيل الله بعدد الجن والشياطين ورفع الله عنه العسر في الدنيا والاخرة ومن أدمن قرائتها ورأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المنام فليطلب

منه ما يشتهى فؤاده .

أقول: ان الرواية وإن كانت مخدوشة سنداً، ولكن التدبر فى متنها و فى السورة يلهمنا بعدم خلو مساس بينهما، فتدبر جيداً .

وفيه: وقال الصادق عليه السلام : من أدمن فى قرائتها رأى النبى صلى الله عليه وآله وسلم وسئله ما يريده أعطاه الله كلما يريده من الخير ومن قرأها فى ليلة الجمعة مأة مرة غفر الله له مأة ذنب و كتب له مأة حسنة بعشر أمثالها ...

﴿ الغرض ﴾

غرض السورة بيان لمهمة الرسول الخاتم ﷺ ومداها في الطاعة والتهجد والخشوع والعبادة ـ بعد بيان مهمته في الرسالة سابقاً ـ على طريق النداء والخطاب للنبي الكريم ﷺ للقيام بالليل والصلاة فيه وتلاوة القرآن والاستعداد لما يوحى إليه، وإستمرار ذكر اسم الرب جل وعلا، واتخاذه معتمداً لنفسه ﷺ إذ قوبل بموقف العدو التكذيب من طبقة الاشراف و المترفين منذ خطواته الاولى فانهم رأوا في دعوته وحركته خطراً على مراكزهم و مصالحهم، فأدى ذلك إلى نشوب المعركة بينهم وبينه ﷺ منذ عهد مبكر، ثم استمرت إلى أن اظفره الله تعالى بهم في بدر وما بعدها .

وفيها: تثبيت لرسول الله الاعظم ﷺ ازاء مواقف زعماء المشركين، و تكذيب أغنياء المترفين الذين لايخجلون من ذلك، وهم كانوا يتمتعون بنعم الله تعالى، وحملة على شركهم وتسفيه لعقولهم ومخالفة لتقاليدهم وعقائدهم ...وما فيه من المبادى الاجتماعية والانسانية والاقتصادية والاخلاقية والسياسية ...

وفيها: تقرير لهم بارسال رسول اليهم كما أرسل إلى فرعون رسولاً مع الاشارة إلى موقف فرعون من رسالة موسى ﷺ ومهمته، و نكال الله تعالى به على سبيل الانذار والتذكر، وعلى طريق الوعيد والتهديد، مضافاً إلى ماسيلقونه يوم القيامة من تبدل مشاهد الكون ونواميسه من رجفان الارض وصيرورة الجبال كثيباً مهيلاً، وصيرورة الولدان شيباً، وإنفطار السماء.. كل ذلك لاثارة الرهبة في نفوس المكذبين، لاالرغبة في قلوب السامعين، وحمل المترفين على الارعواء

والشعور بسوء العاقبة إن هم ظلوا فى موقفهم الجحودى العنيد.

و فى ختامها: حث المذنب على الندم، وتحريض الطاغى على التوبة، و ترغيب العاصى فى الطاعة، و تأميل العباد بالغفران والرحمة.

﴿النزول﴾

سورة المزمل مكية نزلت بعد سورة القلم و قبل سورة المدثر، و هي السورة الرابعة نزولاً على التحقيق والثالثة والسبعون مصحفاً.

وتشتمل على عشرين آية، سبقت عليها ٧٨/ آية نزولاً، و ٥٤٧٥/ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على ٢٨٥/ كلمة، وعلى ٨٣٨/ حرفاً وقيل: ٨٣٦/ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في تفسير القمي: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يتزمّل بثوبه وينام، فقال الله: «يا ايها المزمل قم الليل الا قليلاً».

وفي أسباب النزول: للسيوطي عن جابر قال: إجتمعت قريش في دار الندوة، فقالت: سمّوا هذا الرجل إسماً يصدر عنه الناس، قالوا: كاهن، قالوا: ليس بكاهن، قالوا: مجنون، قالوا: ليس بمجنون، قالوا: ساحر قالوا: ليس بساحر، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتزمّل في ثيابه فتدثر فيها، فأتاه جبرئيل فقال: «ياأيها المزمل» «يا ايها المدثر». رواه السيوطي في الدر المنثور و زادفيه بعد «ليس بساحر» «قالوا: يفرّق بين الحبيب وحبيبه فتفرّق المشركون على ذلك الحديث.

أقول: ولايخلو آخر الرواية من شي فان ظاهرها نزول السورتين معاً. مع أن القرآن حتى في سورة المدثر يحكي تسميتهم له صلى الله عليه وآله وسلم بالقاب السوء كالكاهن والساحر والمجنون والشاعر، لم يذكر فيها قولهم: يفرّق بين الحبيب

وحبيبه.

وفيه: عن إبراهيم النخعي في قوله: «يا أيها المزمل» قال: نزلت وهو في قطيفة.

وفيه: عن عائشة قالت: لما انزلت «يا أيها المزمل قم الليل إلّا قليلاً» قاموا سنة حتى ورمت أقدامهم، فأنزلت: «فاقرؤا ما تيسر من القرآن».

أقول: وما ورد عن عائشة في السورة فمن موضوعات العامة لا اساس لها، فان السورة من أوائل السور النازلة في بدء الرسالة، وما ولدت عائشة بعد، فضلاً عن كونها زوجة النبي ﷺ.

وقد زعم بعض المفسرين: ان الايات الثلاث: ١٠و١١و٢٠) مدنية، مستدلين على ذلك بوجوب الزكاة بعد الهجرة وكذلك الجهاد.

أقول: وهذا ليس بشيء لتكرر الزكاة في كثير من السور المكية من أوائل العهد المكي وأواسطه وأواخره؛ وحملها على الصدقات التطوعية مما لا يرضى صاحبه، مع أن الحاجة كانت ماسّة إلى هذه الفريضة منذ بدء الدعوة سواء أكانت من أجل أغراض هذه الدعوة ونشرها، أم من أجل مساعدة الذين آمنوا من الفقراء والمساكين... وقد كان الاسلام من بدء ظهوره محتاجاً إلى مبدأ المعونة المالية للمحتاجين إليها وللمصالح العامة، وكانت فريضة الزكاة في الاسلام من أعظم التشريعات الاسلامية في صلاح المجتمع الاسلامي وأمنه وتضامنه وأما الجهاد في السور المكية فسواء قلنا بان وروده لتمهيد المسلمين للقتال أم كان بمعناه الاعم وهو الطريق والدعوة إلى الله تعالى ودينه وتعاليمه الايمانية والاخلاقية والاجتماعية والانسانية والسياسة والتهذيبية التي إحتواها القرآن وهدى إليها الرسول ﷺ.

وبعبارة اخرى: ان الجهاد في العهد المكي بمعنى الدعوة الاسلامية نفسها، وفي العهد المدني بمعنى ضمان حرية الدعوة وحمايتها، ومنع تعطيلها والصد عنها، ودفع الأذى عن المسلمين وحمايتهم مما احتواه القرآن الكريم

كثيراً .

وفي الدر المنثور: عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت «يا أيها المزمل قم الليل الّا قليلا» مكث النبي صلى الله عليه وآله على هذه الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله بعد عشر سنين: «ربك يعلم انك تقوم - إلى قوله - فاقيموا الصلاة» فخفّف الله عنهم بعد عشر سنين .

أقول: وهذا مردود بما جاء في كثير من السور النازلة في اوائل البعثة كقوله تعالى: «قالوا لم نك من المصلين» المدثر: ٤٣) وقوله: «وذكر اسم ربه فصلى» الاعلى: ١٥) وقوله : «فويل للمصلين الذين هم في صلاتهم ساهون» الماعون: ٤ و٥ وغيرها ...

﴿ القراءة ﴾

قرأ عاصم وحمزة «أوانقص» بكسر الواو لالتقاء الساكنين، والباقون بضمها للاتباع مع اتفاقهم على ضم همزة الوصل في الابتداء. وقرأ حمزة «ناشية» بالياء والباقون «ناشئة» بالهمزة. وقرأ إبن عامر و أبوعمرو «وطاء» بكسر الواو وفتح الطاء وبعدها ألف ممدودة للهمزة المنصوبة المنونة بعدها، والباقون بفتح الواو و إسكان الطاء، بعدها همزة منصوبة منونة مقصوراً مصدر و اطأت مواطأة و وطأ. قرأ حمزة و ابن عامرو عاصم «رب المشرق» بخفض الباء على البدل من «ربك» والباقون برفعها على المدح أي هو رب المشرق، أو مبتداء وخبره: لااله الّاهو. قرأ عاصم وحمزة و ابن كثير «نصفه وثلثه» بالنصب فيهما، حملاً على «أدنى» فانه في موضع نصب، والباقون بالجر، عطفاً على «من ثلثى» أي و من نصفه وثلثه.

﴿ الوقف والوصل ﴾

«المزملا» و «قليلالا» لاتصال الايات الاربع بالنداء والنعت والعطف و «ترتيلاط» لتمام الكلام ، و «ثقيلاًط» و «قيلاط» و «طويلاط» كالمتقدم ، و «تبتيلاًط» لمن قرأ «رب المشرق» برفع الباء و على قراءة الجر لايوقف لاتصال الآيتين بالنعت ، و «جميلاى» علامة توضع عندإنتهاء عشر آيات .

«جحيمالا» للعطف و «أليماًق» علامة الوقف الذى قال به بعض العلماء لتمام الكلام لان ثبوت الانكال لايختص بيوم القيامه بل المراد اذكر يوم كذا أويوم كذا ترون ما ترون . والقول الاخر هو الوصل بناء على أن «يوم» ظرف «لدينا» .

«رسولاًط» لتمام الكلام ، و «شيباز» علامة الوقف المجوز ، و هومايجوز فيه الوقف و الوصل و لكن الوصل أولى . لاحتمال أن يكون ما بعده صفة من «يوماً» و «منفطر بهط» و «تذكرة ج» لتمام الكلام و مكان الفاء و الشرط و «سبيلاع» علامةلانتهاء الركوع و هو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن في عامين تقريباً . و «معك ط» للاستيناف الآتي و «النهارط» لتمام الكلام و «من القرآن ط» كالمتقدم ، و « مرضى لا » للعطف ، و «من فضل اللهلا» لماتقدم.

«في سبيل الله ز» و الوصل أولى لمكان الفاء التالية ، والمجوز للوقف هو طول الكلام ، و «منهلا» للعطف ، و «حسناًط» لتمام الكلام ، و «أجراًط»لاختلاف الجملتين ، و «استغفروا اللهط» لابتداء الكلام الآتي.

﴿ اللغة ﴾

٢٦ - المزمل - ٦٤٣

زمل الاعرج يزمل زملاً و زمالاً ـ من بابي ضرب و نصر ـ: عدا و أسرع معتمداً في أحد شقيه، دافعاً جنبه الاخر، فكأنه يعتمد على رجل واحدة. و يقال: تزمل الدابة في مشيها و عدوها زمالاً: إذا رأيتها تتحامل على يديها بغياً و نشاطاً. زمّله: أخفاه بثوبه و فيه، و إزمّل يزمل إزمّلاً و إزمالاً ـ من باب التفعيل ـ: تلفّف بثيابه و التفّ في ثيابه. و أصل إزمل: تزمّل، فادغمت التاء في الزاء لقربها منها، ثم اضيفت همزة مكسورة في أوّلها لامتناع الابتداء بالسكون.

و إسم الفاعل: مزمّل، و أصله: متزمّل قال الله تعالى: «يا أيها المزمل» أي المتلفف في ثيابه.

و في حديث شهداء احد: «زمّلوهم بثيابهم و دمائهم» أي لفّوهم بثيابهم متلطخين بدمائهم.

الزميل: الرفيق في السفر الذي يعينك على امورك، و الزميل: الرديف و العديل الذي يزا ملك أي يعادلك في المحمل، و منه: «الرجل و المرأة يتزاملان» و منه: «زاملت أبا جعفر عليه السلام في شق محمل، و كنت زميل أبي جعفر عليه السلام». الزملة: الرفقة و الجماعة و العيال. و المزملة: المعادلة على البعير، و الزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام و المتاع كأنها فاعلة

من الزمل : الحمل . أخذ الشيء بأزمله :باجمعه ، و الازمل : الاثاث ، و الجبان الضعيف . و الازمل : كل صوت مختلط جمعه الأزامل و الأزاميل أو صوت يخرج من قنب دابة .

١٢ - الرتل - ٥٤٠

رتل الثغر يرتل رتلاً ـ من باب علم ـ : حسن تناسق أسنانه .

الرتل ـ بالتحريك ـ : بياض الاسنان و كثرة مائها ، و الحسن من الكلام ، و ماء رتل : بارد . و يستعمل الرتل فى حسن تناسق الشيء و اتساقه و إنتظامه على استقامة ، و رتل : حسن التنضيد ، مستوى النبات ، و الطيب من كل شيء . و رتّل الكلام ترتيلا : أحسن تأليفه أوأبانه ، وتمهّل فى قرائته .

قال الله تعالى : « و رتل القرآن ترتيلاً » المزمل : ٤) أى بيّنه تبييناً ، و تمهّل فى قرائته .

و قال : « و رتّلناه ترتيلا » الفرقان: ٣٢) أى أنزلناه على الترتيل ، و هو ضدّ العجلة ، و بيّناه و مكّنّاه .

و الترتيل : إرسال الكلمة من الفم بسهولة و إستقامة ، و الترتيل فى الأذان و غيره من هذا الباب و هو أن يتأنى و لا يعجّل فى ارسال الحروف بل يتثبت فيها ، و يبيّنها تبييناً ، و يوفيها حقها من الاتباع من غير إسراع.

التّرتيل فى القرآن : التأني و تبيين الحروف بحيث يتمكن السامع من عدّها ، مأخوذ من قولهم : ثغر مرتل ، و هو مشبه بنور الاقحوان .

و فى صفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم : «كان يرتل آية آية».

و قال الامام على عليه السلام : «ترتيل القرآن : حفظ الوقوف و بيان الحروف»

و قال عليه السلام : تبيّنه تبياناً ولا تهذّه هذة الشعر و لا تنثره نثر الرمل» .

و قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : « الترتيل هو أن تتمكث به و تحسن به صوتك و اذامررت بآية فيها ذكر النارفتعوذبالله من النارواذامررت بآية فيها ذكر الجنة فاسئل‌الله الجنة» .

٦- البتل و التبتل -٩٠

بتل الشي يبتل بتلاً - من بابى نصر و ضرب - : قطعه ، و أبانه عن غيره ، و ميّزه من غيره .

و تبتّل تبتّلاً : إنقطع إلى الله تعالى عما سواه بالعبادة ، و مثله بتّل تبتيلاً .

قال الله تعالى : « و اذكر اسم ربك و تبتّل اليه تبتيلاً » المزمل:٨) أى انقطع فى العبادة و إخلاص النية إنقطاعاً يختصّ به من البتل و هو القطع كأنه قطع نفسه عن الدنيا بالعبادة لله تعالى وحده. و منه يقال للراهب : متبتّل لانقطاعه عن الناس و انفراده للعبادة .

بتّل و تبتّل الى الله : إنقطع عن الدنيا إلى الله جل و علا .

صدقة منبتلة : منقطعة عن صاحبها لايرجع فيها .

البتول : المنقطعة عن الزواج ، لقب مريم العذراء عليها السلام. التبتل :الانقطاع عن النساء و ترك النكاح .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « لا رهبانية و لا تبتل فى الاسلام » أى ولا إنقطاع عن الازدواج فى الاسلام إذ ترك النكاح و الانقطاع عن النساء و الزواج مذموم فى الاسلام جداً .

و فى الحديث : « ردّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التبتل عن عثمان بن مظعون » إذا أرادترك النكاح .

البتول : المنقطع عن دم الحيض ، لقب فاطمة الزهراء بنت محمد خاتم

الانبياء صلى الله عليه وآله وسلم.

و فى الرواية: «و قد سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انا سمعناك يا رسول الله تقول: ان مريم بتول، و ان فاطمة بتول، ما البتول؟ فقال: البتول التى لم تر حمرة قطّ»

و قيل: سميت فاطمة الزهراء عليها السلام بالبتول لا نقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى بالعبادة، و عن نساء زمانها و نساء الامة فعلاً وحسباً وديناً وعفافاً.

فى النهاية لابن الاثير: و سميت فاطمة البتول لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً و ديناً و حسباً، و قيل: لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى.

وفى لسان العرب: و سئل أحمد بن يحيى عن فاطمة رضوان الله عليها بنت سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم قيل: لها البتول؟ فقال: لانقطاعها عن نساء أهل زمانها و نساء الامة عفافاً وفضلاً و ديناً و حسباً. وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله عزوجل.

و فى القاموس وشرحه: عن الزمخشرى: البتول لقب فاطمة بنت سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم تشبيها بمريم عليها السلام فى المنزلة عندالله تعالى.

المبتول: المقطوع، و منه الحج المبتول، و العمرة المبتولة و فى الحديث: «العمرة المبتولة على صاحبها طواف النساء» و البتيل: المسيل فى أسفل الوادى.

و التبتل فى الدعاء: هو الدعاء باصبع واحدة يشير بها أو يرفع أصابعه مرة و يضعها مرة يرفعها إلى السماء رسلاً و يضعها تأنياً.

١٩ - الغصة - ١٠٨٨

غصّ بالطعام يغصّ غصاً و غصصاً ـ من بابى ضرب و منع ـ: إعترض فى الحلق شى من الطعام، فمنعه التنفس فهو غاص.

يقال : غصصت بالماء اغصّ غصصاً فأناغاص و غصّان إذا شرقت به أو وقف فى حلقك ، فلم تكد تسيغه. و يقال : غصّ بالغيظ على التشبيه . و يقال : اغص بريقه : كناية عن الموت ، و اغصّ المنزل بالقوم : إمتلأ بهم و ضاق عليهم . و أغصّ فلان عليهم الارض : ضيّقها عليهم ، و غصّ المكان بأهله : ضاق .

الغصة فى الحسى: الشجى فى الحلق و هو إعتراض الطعام فى الحلق فمله ، جمعها : غصص .

قال الله تعالى : « و طعاماً ذاغصّة » المزمل : ١٣)

وفى المعنوى: ما يضيق به الانسان من الحزن و الغم و الهمّ ، و منه الدعاء : « و اغصّنى بريقى » - بتشديد الصاد - : كناية عن كمال الخوف و الاضطراب أى صيّرنى بحيث أقدر أن ابلع ريقى و قدوقف فى حلقى .

١٠ - الكثب - ١٢٨٣

كثب الشى يكثبه كثباً - من بابى ضرب و نصر - : جمعه و اجتمع ، فهو متعد و غير متعدّ . كثب الماء : صبّه ، و كثب فى المكان : دخل فيه . يقال : كثب القوم : إذا اجتمعوا و كثبوا لكم : دخلوا بينكم و فيكم و هو من القرب . و كثب فلان التراب : نثر بعضه فوق بعض ، و انتثر و كثب عليه : حمّل و كرّ ، و كثب لبن الناقة : قلّ و أكثب الرجل : سقاه كثبة من لبن ، و كل طائفة من طعام أو تمر أو تراب ، أو نحو ذلك فهو كثبة بعد أن يكون قليلاً .

و قيل : كل مجتمع من طعام أو غيره بعد أن يكون قليلاً فهو كثبة ، و منه سمى الكثيب من الرمل لانه انصبّ فى مكان فاجتمع فيه . و انكثب الرمل:

اجتمع الكثيب : الرمل المتراكم أو التلّ من الرمل .

قال الله تعالى : «وكانت الجبال كثيباً مهيلاً» المزمل : ١٤) أى و صارت الجبال كأنها رمال متراكم .

و الكثيب : الرمل المستطيل المحدودب . و فى الحديث : « ثلاثة يوم القيامة على كثبان المسك : أحدهم مؤذن اذن احتساباً»

و فى الحديث : « جئت علياً عليه السلام وبين يديه قرنفل مكتوب» أى مجموع.

الكوائب : جمع كاثبة و هى من الفرس مجمع كتفيها قدّام السراج ،و منه : «يضعون رماحهم على كواثب خيولهم» .

الكثب ـ بالتحريك ـ : القرب ، يقال : فلان كثبك : أى قرب منك ،و كثب الصيد فلاناً : قرب منه ، و يقال : أكثبك الصيد فارمه .

و فى حديث بدر : «إن أكثبكم القوم فانبلوهم» و فى رواية :«إذا اكثبوكم فارموهم بالنبل » أى إذا دنوا منكم .

الكثبة :المطمئنة المخفضة من الارض بين الجبال .

٤٦ - الهيل -١٦٣٠

هال التراب و الرمل يهيله هيلاً ـ من باب ضرب نحو باع ـ : نثره وصبّه، فانتثر و سال و تفرّق .

و وصف المفعول : مهيل ، يقال : رمل مهيل . .

قال الله تعالى : « و كانت الجبال كثيباً مهيلاً » المزمل : ١٤)

و فى حديث الخندق : « فعادت كثيباً مهيلاً »أى رملاً سائلاً .

و كل شيء أرسلته إرسالاً من طعام أو تراب أو رمل فقد هلته هيلاً.

و فى الحديث : « ان قوماً شكوا إليه سرعة فناء طعامهم ، فقال: أتكيلون

أم تهيلون؟ قالوا : نهيل ، قال : فكيلوا و لا تهيلوا »

و هلت الدقيق فى الجراب : صببته من غير كيل . و يقال للرجل إذا جاء بالمال الكثير : جاء بالهيل و الهيلمان . و يقال :هلت الماء و أهلته إذا صببته و أرسلته .

الهيول : الهباء المنبث ، و هو ما تراه فى البيت من ضوء الشمس يدخل فى الكوة .

الهيولى - بضمّ الياء مشددة ومخففة - : القطن ، و شبه الأوائل طينة العالم به ، و النسبة إليه هيولى و هيو لانىّ جمعه : هيو ليات .

هيلاء : جبل أسود بمكة شرفها الله تعالى تقطع منه الحجارة للبناء و الارحاء .

و الهالة : دارة القمر ، و جمعها : هالات .

انها لوا عليه : تتابعوا عليه و علوها بالشتم والضرب .

﴿ النحو ﴾

١ - (يا أيها المزمل)

«يا» حرف نداءٍ و «أي» وصلة بين حرف النداء و المنادى المحلى باللام، و الهاء تنبيهية، و «المزمل» هو المنادى إسم فاعل من التزمل، و أصله: المتزمل، فقلبت التاء زاءاً لقربها منها، فادغمت فيها و ان إبدال التاء زاءاً أولى من إبدال الزاء تاءاً لان الزاء فيها زيادة صوت و هي من حروف الصفير، و النحويون يدغمون الا نقص في الازيد دائماً.

و في «المزمل» وجهان: أحدهما - هو مضاعف على حذف المفعول أي المزمل نفسه بالثوب. ثانيهما - هو مفتعل على إبدال الفاء ميماً.

٢ - (قم الليل الا قليلاً)

«قم» فعل أمر، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و في «الليل» وجوه: أحدها - مفعول به توسعاً، فان الفعل «قم» غير متعد، و أما ظرف المكان و الزمان فيجوز فيهما إلا ان ظرف المكان لا يتعدى إليه إلّا بواسطة، لا تقول: قمت الدار حتى تقول: قمت وسط الدار و خارج الدار. ثانيها - مفعول فيه على معنى: قم في الليل لأداء الصلاة و إقامتها. ثالثها - منصوب بنزع الخافض أي في حدّ الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر. رابعها - ان معمول «قم» محذوف و «الليل» منصوب على الظرفية، و التقدير: قم للصلاة في الليل.

و في «إلّا قليلا» وجوه: أحدها - إستثناء من «نصفه» و المعنى: قم نصف الليل إلّا قليلا. و قيل: المعنى قم أقل من نصف الليل، فنصفه منصوب على

البدل من «الليل» و القليل المستثنى غير مقدر فالنقصان منه لا يعقل. ثانيها ـ إستثناء من الليل أى صلّ الليل كله الّا يسيراً منه، لان قيام جميعه على الدوام غير ممكن فاستثنى منه القليل لراحة الجسد و القليل من الشىء مادون النصف.

ثالثها ـ ان «الليل» و «نصفه» ظرفان و «قليلا» إستثناء منهما، و قد قدّم المستثنى على المستثنى منه وهو قليل. رابعها ـ منصوب على الاستثناء على تقدير: إلّا شيئاً قليلاً من الليل لاتقوم فيه.

٣ ـ (نصفه أو انقص منه قليلاً)

«نصفه» بدل من الليل، و الضمير راجع إلى «الليل» و المعنى: قم يا محمد ﷺ نصف الليل أو أنقص منه قليلا. و «أو» للتخيير بين قيام النصف، و قيام أقل من النصف بقليل. و قيل: بدل من «قليلا» و المعنى: قم الليل الّا نصفه أو انقص من النصف قليلاً فيكون التخيير بين قيام النصف بتمامه و بين قيام الناقص منه.

و «انقص» فعل أمر، و «منـه» متعلق بـ «انقص» و الضمير راجع إلى «نصفه» و «قليلا» مفعول به، و يجوز أن يكون وصفاً لمحذوف أى زماناً أو وقتاً قليلاً.

و قيل: إن الضمير راجع إلى أقل من النصف فكأنه قيل: قم أقل من نصف الليل أو أنقص من ذلك القليل، فيكون التخيير فيما وراء النصف إلى الثلث.

٤ ـ (أو زد عليه و رتل القرآن ترتيلا)

«أو» للتخيير و «زد» فعل أمر و «عليه» متعلق بفعل الزيادة، و الضمير راجع إلى «نصفه» و قيل: راجع إلى الثلثين المستفاد من الكلام.

«و رتل» الواو للعطف، و «رتل» فعل أمر خطاب للنبى الكريم ﷺ من باب التفعيل عطف على «قم» و الواو هنا بمعنى المعية و المصاحبة، و قيل: يجوز أن تكون الواو للحال، والجملة بعدها حالية أى قم الليل مرتلاً القرآن

ترتيلا .

و «القرآن» مفعول به و«ترتيلا» منصوب على المصدرية للنوع زيادة تأكيد في الايجاب .

۵ - (انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً)

«ان» حرف تأكيد و « نا » فى موضع نصب ، إسمها و « سنلقى » السين للتسويف ومدخولها فعل مضارع للتكلم مع الغير ، و الجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و «عليك» متعلق بفعل الالقاء ، و «قولاً» مفعول به و«ثقيلاً» نعت من «قولاً»

۶ - (ان ناشئة الليل هى أشد و طأ و أقوم قيلاً)

«ان» حرف تأكيد ، و «ناشئة الليل» إسمها ، أى ساعات الليل الناشئة ، فاكتفى بالوصف عن الاسم ، و التأنيث باعتبار الساعة إذ كل ساعة تحدث ، فالناشئة إسم فاعل من النشأة ، اضيف إلى موصوفه . و قيل : «ناشئة» مصدر كالخاطئة و الكاذبة و العافية أى ان نشأة الليل وهى حدوث الليل و تكونه . و «هى» مبتداء و«أشد» خبره و الجملة فى موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و «وطأ» إسم مصدر ،منصوب على التمييز ، و قيل : مصدر ، و «أقوم» افعل تفضيل ك «أشد» و عطف على «أشد» و «قيلا» ك «وطأ»

۷ - (ان لك فى النهار سبحاً طويلاً)

«ان» حرف تأكيد ، و «لك» متعلق بمحذوف و هو خبر لحرف التأكيد، و «سبحاً» إسم لها و « طويلاً» نعت من «سبحاً» و«فى النهار» متعلق ب «سبحاً».

۸ - (و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتيلاً)

الواو للعطف ، و «اذكر» فعل أمر ، عطف على «قم» و «إسم» مفعول به ، اضيف إلى «رب» اضيف إلى «ك» و «تبتل» فعل أمر من باب التفعل ، عطف على «قم» و « إليه » متعلق ب« تبتل » و الضمير راجع إلى « ربك » و « تبتيلا » منصوب على المصدرية ، غير جار على فعله ، واقع موقع تبتلاً لرعاية الفواصل ، و قيل : «تبتل» بمعنى «بتّل» .

٩ - (رب المشرق و المغرب لا اله الا هو فاتخذه و كيلا)

«رب المشرق» مبتداء و «المغرب» عطف على «المشرق» و «لا» حرف نفي للجنس و «إله» إسمها ، و «إلّا» إستثنائية و «هو» في موضع رفع خبرها ، و الجملة في موضع رفع خبر للمبتداء و يجوز أن يكون «رب المشرق» خبراً لمحذوف أي هو . و «فاتخذه» الفاء للتفريع و مدخولها فعل أمر من باب الافتعال ، وأصله: أخذ ثم ادغمت الهمزة في تاء الافتعال ، و الضمير في موضع نصب، مفعول أول، و «و كيلاً» مفعول ثان .

١٠ - (و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً)

الواو للعطف و « اصبر » فعل أمر عطف على « اتخذ » و «ما» موصولة ، مجرور بـ « على » متعلق بـ « اصبر » و « يقولون » صلة الموصول على حذف العائد أي يقولونه ، و « اهجر » فعل أمر ، عطف على ما تقدم ، و « هم » في موضع نصب ، مفعول به ، و « هجراً » منصوب على المصدرية و « جميلاً » وصف له « هجراً ».

١١ - (و ذرني و المكذبين اولى النعمة و مهلهم قليلاً)

الواو للعطف و «ذر» فعل أمر ، واوي الفاء من «وذر» على حذف الفاء نحو «دع» و «ني» النون للوقاية في موضع نصب ، مفعول به ، والياء للتكلم، «والمكذبين» الواو للمعية، و مدخولها مفعول معه ، و قيل : عطف على ضمير المنصوب و «اولى النعمة» وصف من «المكذبين» و «مهلهم» الفعل للامر من باب التفعيل و الضمير في موضع نصب ، مفعول به ، و «قليلا» نعت من مصدر محذوف أي تمهيلاً قليلاً ، أو لموصوف محذوف أي زماناً قليلاً .

١٢ - (ان لدينا أنكالاً و جحيماً)

«ان» حرف تأكيد ، و «لدينا» «لدى» ظرف اضيف إلى ضمير التكلم مع الغير و الظرف متعلق بمحذوف و هو خبر لحرف التأكيد ، و « أنكالاً » جمع النكل - بكسر النون - إسم لحرف التأكيد ، و «جحيماً» عطف على «أنكالاً».

١٣ ـ (و طعاماً ذا غصة و عذاباً أليماً)

«وطعاماً» عطف على «أنكالاً» و «ذاغصة» نعت من «طعاماً» و «أليماً» صفة لـ«عذاباً» .

١٤ ـ (يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلاً)

في «يوم» وجوه : أحدها ـ ظرف متعلق بما تعلق به قوله تعالى :«لدينا» و جاز أن يعمل المحذوف في الظرفين لاختلافهما لان أحدهما ظرف زمان والاخر ظرف مكان . ثانيها ـ متعلق بمحذوف غير ما تعلق به «لدينا» و المحذوف نعت من «عذاباً» أي واقعاً يوم ...

ثالثها ـ متعلق بـ«أليماً» . رابعها ـ متعلق بـ« أنكالاً » أي ينكل بهم يوم يرجف . خامسها ـ منصوب بنزع الخافض أي هذه العقوبة في يوم ترجف الارض . سادسها ـ متعلق بـ« ذرني » أي و ذرني و المكذبين يوم ترجف .

و « ترجف » فعل مضارع و « الارض» فاعله ، و الجملة في موضع جر لاضافة «يوم» إليها و ان كانت في موضع النعت منه في المعنى . و «الجبال» عطف على «الارض» و «كانت» بمعنى تصير : عطف على « ترجف » و « الجبال » إسم «كانت» و « كثيباً» خبر لها ، و «مهيلاً» نعت من « كثيباً» و اصل مهيل : مهيول ، إسم مفعول من هيل ، فحذفت الواو عند سيبويه لثقل الضمة على الياء ،فحذفت الضمة و سكنت الياء و الواو ، و لالتقاء الساكنين ، وقال الاخفش : حذفت الياء ثم قلبت الواو ياء .

١٥ ـ (انا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولاً)

«ان» حرف تأكيد و«نا» ضمير تكلم مع الغير في موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد و «أرسلنا» فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال ، و « إليكم» متعلق بفعل الارسال ، و «رسولاً» مفعول به و «شاهداً» صفة لـ«رسولاً» و«عليكم» متعلق بـ« شاهداً » و « كما » الكاف للتعليل ، و « ما » مصدرية أي لاجل إرسالنا

إلى فرعون رسولاً . و قيل : «ما» موصولة ،و قيل : كافة . و الباقي ظاهر .

١٦ - (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً و بيلاً)

« فعصى» الفاءللنتيجة و مدخولها فعل ماض ، و «فرعون» فاعله و«الرسول» مفعول واللام فيه للعهدالذكرى ، و «فاخذناه» الفاء للعاقبة و «أخذنا»فعل تكلم مع الغير من الماضى و الضمير فيموضع نصب ، مفعول به ، راجع إلى«فرعون»و «أخذاً» منصوب على المصدرية و «و بيلا» نعت من «أخذاً» .

١٧ - (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدانشيباً)

الفاء للجزاء و مدخولها للاستفهام الا نكارى،و «تتقون» فعل مضارعلجمع المخاطب المذكر من باب الافتعال - من الوقاية - و أصله توتقيون،فقلبتالواو الاولى تاءاً، ثم ادغمت فيتاء الافتعال ، و لما ثقلت الضمة على الياءنقلتإلى القاف بعد حذف كسرها ، ثمحذفتالياء لالتقاء الساكنين ، و الجملة الاستفهاميةجزاء مقدم ، قدمت لمكان الاستفهام .

و «إن» حرف شرط و « كفرتم » فعل ماض لجمع المخاطب المذكر ، و الجملة شرط مؤخر و فـي « يوماً » وجوه : أحدهـا - منصوب على المفعولية ا « تتقون » أى كيف تحذرون ذلك اليوم إن جحدتم به . فعلى هذا « يوماً »إسم ، مفعول به ، و ليس منصوباً على الظرفية . ثانيها - ناب مناب المفعول أى عذاب يوم ، فحذف المضافو ناب المضاف إليهمكانالمضاف . ثالثها - مفعول ا« كفرتم» أى بيوم .

رابعها - مفعول ا «يجعل» أى يجعل الله الولدان شيباً فى يوم . خامسها- ظرف ا« تتقون » أىفكيف لكم بالتقوىيوم القيامة إن كفرتمفى الدنيا .سادسها- متعلق بمحذوف على تقدير : فكيف تتقون العذاب الكائنفييوم .

و «يجعل» فعل مضارع فى موضع نصب ، نعتمن«يوماً» والرابطهوالضمير المستتر الراجع إلى «يوماً» فى « يجعل » و هو الفاعل . و قيل : ان الفاعل هـو الضمير المستتر ، الراجع إلىالله تعالى فالرابط محذوف أى يجعلالله تعالىفيه .

و «الولدان» جمع الولد ، مفعول أول و «شيبا» جمع أشيب ، مفعول ثان .

١٨ - (السماء منفطر به كان وعده مفعولا)

«السماء» مبتداء و « منفطر » خبرها ، جيىء بغير تاء على النسب أى ذات إنفطار و قيل : لحمل السماء على معنى السقف كما فى قوله تعالى : « و جعلنا السماء سقفاً محفوظاً» و قيل : إشارة إلى بنائها . و قيل : إن السماء تذكّر و تؤنث ، و « به » متعلق بـ« منفطر » و الضمير راجع إلى « يوماً » و الجملة فى موضع نصب ، نعت من « يوماً » و الباء بمعنى فى وقيل : للسببية ، و قيل : للآلة و قيل : بمعنى اللام أى لذلك اليوم « كان » من أفعال الناقصة ، و « وعده » إسمها ، و الضمير راجع إلى الله تعالى، فهذا من إضافة المصدر إلى فاعله،وقيل:راجع إلى « يوماً » و هذا من إضافة المصدر إلى مفعوله ، و « مفعولاً »خبر ا «كان» .

١٩ - (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

« ان» حرف تأكيد ، و «هذه » فى موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، إشارة إلى هذه السورة أو إلى الآيات القرآنية و « تذكرة » مصدر من باب التفعيل ، خبر لحرف التأكيد .

« فمن » الفاء للتفريع ، و مدخولها شرطية ، و « شاء» فعل شرط ، مفعوله محذوف و المعروف فى مثل هذا الموردأن يقدّر المفعول من جنس الجواب ، و السياق يلائمه ، و التقدير : فمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا اتخذ الخ .أويكون المفعول محذوفاً : أى فمن شاء النجاة أو فمن شاء الاتعاظ .

«اتخذ» فعل ماض من باب الافتعال ، جزاء الشرط ، و « إلى ربه » متعلق بـ «سبيلاً» و هو مفعول به لفعل الاتخاذ .

٢٠ - (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل و نصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك و الله يقدر الليل و النهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون فى سبيل الله

فاقرؤا ما تيسر منه و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و أقرضوا الله قرضاً حسنا و ما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هوخيراً وأعظمأجراً و استغفروا اللهان الله غفور رحيم)

« ان » حرف تأكيد ، و« ربك » إسمها و « يعلم » في موضع رفع خبرها، و « انك » حرف تأكيد مع إسمها،و« تقوم » فعل مضارع ، خطاب للنبي الكريم ﷺ في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد، و « أدنى » في موضع نصب،مفعول به ، و « أدنى » إسم تفضيل من الدنو بمعنى القرب ، و « من ثلثي الليل » متعلق بـ« أدنى » و « نصفه » الواو لمطلق الجمع ، عطف على « أدنى » و كذلك « ثلثه » و« و طائفة » عطف على ضمير الفاعل في « تقوم » أي تقوم أنت و يقوم طائفة ، و جرى الفصل ـ بين العاطف و المعطوف ـ مجرى التوكيد بضمير الفصل ، إذ جاز العطف على الضمير المرفوع المستكن من غير تأكيد بضمير الفصل لوجود الفصل فانه يقوم مقام التوكيد في تجويز العطف .

« من » للتبعيض و « الذين »مجرور بها متعلق بـ« يقوم»و قيل: بـ«طائفة» و « معك » متعلق بمحذوف و هو صلة الموصول أي أصبحوا معك أو ثبتوا معك في الايمان و صالـح العمل ، و « و الله » الواو للاستيناف و « الله » مبتداء و « يقدّر » فعل مضارع من باب التفعيل خبره و « الليل » مفعول به و « النهار» عطف على « الليل » و « علم » فعل ماض ، فاعله : ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى ، و «أن » مخففة من الثقيلة أي علم انكم ، و « لن » حرف نفي للتابيد و مدخولها فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر، والضمير راجع إلى القيام مقدار ثلث الليل أو نصفه أو أدنى من ثلثيه ، أو راجع إلى التقدير ، و الجملة في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد .

« فتاب » الفاء للسببية و تحتمل التفريع و « تاب » فعل ماض ، و فاعلـه ضمير مستتر ، راجع إلـى الله تعالى و « عليكم » متعلق بـ« تاب » و « فاقرؤا » الفاء للتفريع ، و الفعل فعل أمر و« ما » موصولة ، في موضع نصب ، مفعول به ، و

«تيسّر» فعل ماض من باب التفعل ،صلة الموصول ، و « من» بيانية و «القرآن» مجرور بها ، و الجار و المجرور فی موضع رفع ، فاعل ا « تيسّر » و « علم » كالمتقدم ، و « أن » مخففة من الثقيلة و إسمها ضمير شأن و « سيكون » السين عوض من تخفيف حرف التأكيد وحذف إسمها ، و « يكون» تامة أی سيوجد ،و « آخرون » عطف على « مرضی » .

و « يبتغون » فعل مضارع من باب الافتعال ، أصله : يبتغيون،فنقلت الضمة على الياء ، فنقلت إلى العين بعد حذف كسرها ، ثم حذفت الياء لالتقاء الساكنين و الجملة فی موضع نصب ، حال من الضمير فی «يضربون» .

و « و اقيموا » الواو للعطف و « اقيموا » فعل أمر من باب الافعال ، عطف على « فاقرؤا » و «الصلاة» مفعول به و « آتوا » فعل أمر من باب الافعال و «الزكاة» مفعول به ، و « اقرضوا » فعل أمر من باب الافعال و « الله » مفعول به و « قرضاً » منصوب على المصدرية و « حسناً » نعت من « قرضاً » .

« و ما تقدموا » الواو للاستيناف و « ما » إسم ، نكرة غير زمانية ،متضمنة لمعنی حرف الشرط و الفعل مضارع ، مجزوم بالشرط و « من » بيانية و «تجدوه» فعل مضارع مجزوم بالشرط ، و الضمير فی موضع نصب ، مفعول أول راجع إلى « خير » و الجملة جزاء الشرط و « هو » ضمير فصل أو بدل من « الله » أو تأكيد للضمير فی « تجدوه » و « خيراً » مفعول ثان ، و « أعظم» إسم تفضيل ، عطف على « خيراً » و « أجراً » تمييز ، و « استغفروا » فعل أمر من باب الاستفعال، و «الله» مفعول به ، و « ان » حرف تأكيد و « الله » إسمها ، و « غفور » خبرها و «رحيم» نعت من « غفور » .

﴿البيان﴾

١ - (يا ايها المزمل)

أول نداء من الله تعالى نودى به النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم نداء تأنيس وملاطفة وتكريم و إحسان بحيث لا يكون هذا النوع من النداء الّا بين متحابين متصافين، نداء حبيب لحبيب ، و خليل لخليل على عادة العرب فى إشتقاق إسم للمخاطب فى الحالة التى هو عليها .

و للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وصف وصف به الامام إمير المؤمنين علياً عليه السلام حين رآه نائماً فى المسجد ، فعلا جبينه بعض التراب ، فقال له : « قم يا أبا تراب » و كان الامام على عليه السلام يقول : كان هذا الوصف هو أحب ما انادى به .

و لم يقل : يا أيها النبى أو يا أيها الرسول لانه كان فى أول الامر و إبتدائه، و لم يتحقق له وصف الرسالة و النبوة حتى يعلم بل نودى بما يعرف انه المخاطب.

و لقد تكرر بدء مطالع السور بنداء النبى صلى الله عليه وآله وسلم مما يصح أن يقال : انه أسلوب من أساليب النظم القرآنى فى مطالع السور و شخصياتها .

و فى الوصف تنبيه للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بانه حامل لثقال من الامور ...

قيل : و فيه كناية عن الفارغ المستريح ، و تحريض و حث على التشمر و المجاهدة فى الله تعالى و من هنا لقد تشمّر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حق التشمر ، و أقبل على إحياء لياليه و ترك الرقاد و الدعة ، و جاهد حتى إنتفخت أقدامـه ، و اصفرّ لونه، و ظهرت السيمى من وجهه إلى حد رحمة الله تعالى حتى قال الله تعالى: « انك لا تهدى من أحببت » و قال : « لا تعجل لسانك». و تهجين لما كان صلى الله عليه وآله وسلم

من الحالة حيث كان صلى الله عليه وآله وسلم متلففا بقطيفة مستعداً للنوم كما يفعله من لا يهمه أمر و لا يعنيه شأن ، فأمر بأن يترك التزمل إلى التشمر للعبادة و الهجود إلى التهجد ، مع الاشعار بانه غير عاتب على ذلك .

قيل : و فيه تنبيه لكل متزمل راقد ليتنبه إلى قيام الليل، و ذكر الله تعالى فيه لان الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه المخاطب كل من عمل ذلك العمل واتصف بتلك الصفة .

٢ - (قم الليل الا قليلاً)

أوّل أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بفرع من الفروع الاسلامية بعد الامر بالقراءة : « إقرأ باسم ربك الذى خلق » العلق : ١) والامر بالتحدى وتهديد المخالفين ، و الامر بمهمة الرسالة : «سلهم أيهم بذلك زعيم ـ فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث ـ فاصبر لحكم ربك » القلم : ٤٠ و ٤٤ و ٤٨)

أمر بقيام الليل لتحصيل الارتباط بذلك بينه صلى الله عليه وآله وسلم و بين الله جل وعلا، و من هنا يعلم إهتمام قيام الليل ، و انه أوّل أمر توجه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى الفروع العملية أمر له صلى الله عليه وآله وسلم بقيام الليل للتهجد و الخشوع و العبادة لله تعالى لانه يتمكن فيه من تفريغ القلب و تصفية النفس ، و الذهن و السداد فى القول أكثر من النهار لما فى النهار من شواغل كثيرة ...

٣ - (نصفه أو انقص منه قليلاً)

بيان لما استثنى من الليل ، و تقرير لقدر القيام ، و تخيير النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فيه : بين النصف من الليل و أنقص من النصف و هو الثلث .

و يجوز أن يكون « نصفه » بدلاً من الليل الباقى بعد الثنيا بدل الكل، فالمعنى : قم نصف الليل و تسهر فيه ، و فى التعبير عن النصف المخرج بالقليل إظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام ، و الايذان بفضله ، فالقيام فيه بمنزلة القيام فى أكثره فى كثرة الثواب ، و إعتبار قلته بالنسبة إلى الكل مع عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر .

قوله تعالى : « أو انقص منه » أى أنقص القيام من النصف المقارن له فى الصورة الاولى ، و « قليلاً » : نقصاً أومقداراًقليلاً بحيث لاينحط إلى نصف النصف فالمعنى : انك أيها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى خيار بين أن تقوم نصف الليل أو أقل منه و هو ثلثه .

ان تسئل: لو كان « نصفه » بدلاً من « قليلا » لا شك ان القليل لا يصل إلى النصف مع لزوم بدلية الاكثر من الاقل و الاكثر لا يبدل من الاقل فى لسان العرب ؟

تجيب : ان المراد بالقليل هنا النصف وسماه قليلاً لخلوّه من الصلاة لان ما اشتمل على طاعة الله تعالى لا يساويه ما لم يشتمل عليها فهو بدل الشىء من الشىء لا بدل الاكثر من الاقل .

قيل : يمكن أن يقال : ان المراد بالليل هو الجنس فيشتمل الليالى بأسرها لانه لم يكن ثم معهود ، فيصرف إليه الكلام ، : فالمعنى : قم الليالى إلّا قليلاً منها و هى ليالى الاعذار من مرض أو غلبة نوم وليالى الاسفار ... فيكون نصفه بدلاً مما بقى بعد الاستثناء فيكون بدل الاقل من الاكثر .

٤ ـ (أوزد عليه و رتل القرآن ترتيلا)

تخيير له صلى الله عليه وآله وسلم فيما تقدم و ما زاد عليه و هو ثلثا الليل ، و المعنى:أو زد على النصف و الثلث لقوله تعالى : « ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل و نصفه و ثلثه »المزمل:٢٠) و فيه دلالة على أن أكثر المقادير المفروضة هو ثلثا الليل و أقلها هو الثلث ، و ما بينهما هو النصف .

قوله تعالى : « و رتل القرآن ترتيلا » أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم بتلاوة القرآن الكريم على تأنّ و تثبّت وتتابع وتمهل فى القراءة بحيث يتمكن السامع من عدّها وفهمها و التدبر فيها بعد الامر بقيام الليل . و فيه تقرير لادب قراءة القرآن الكريم و ان كلمة « القرآن » وردت هنا لاول مرّة و فيه : إستعداد لما يوحى إليه و ما يلقى عليه من المهام العظمى و الاعباء الثقيلة ، و

تثبيت له صلى الله عليه وآله وسلم إزاء مواقف زعماء المشركين ، و أغنياء المكذبين و حملة عليهم .

و قيل : ان قوله تعالى : « و رتل القرآن ترتيلاً - إلى - قولاً ثقيلاً » جملة معترضة بين الامر بقيام الليل و بين تعليله : « ان ناشئة الليل » ... و في « ترتيباً » زيادة توكيد في الايجاب .

٥ - (انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً)

تعليل للحكم بقيام الليل ، بان قيام الليل و التوجه فيه إلى الله تعالى بصلاة الليل و تلاوة القرآن الكريم على تأنّ و تتابع تهيئة له صلى الله عليه وآله وسلم و إعداد لكرامة القرب و شرف الحضور و إلقاء قول ثقيل ، فقيام الليل هو السبيل المؤدى إلى هذا الموقف الكريم قال تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » الاسراء : ٧٩)

كأنه قال تعالى : صيّر نفسك بأنوار العبادة و التلاوة مستعدة لقبول الفيض الاعظم الالهى و هو القرآن الكريم وما فيه من الاوامر و النواهى التى هى تكاليف شاقة على نفوس البشر . ففى الاية تهيئة النبى صلى الله عليه وآله وسلم جسمياً و نفسياً للمهمة الخطيرة التى نيطت به و القيت به .

فى تلخيص البيان : للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه فى قوله تعالى: « انا سنلقى عليك قولاً ثقيلا » قال : و هذه إستعارة لان القرآن كلام وهو عرض من الاعراض و الثقل و الخفة من صفات الاجسام و المراد بها صفة القرآن بعظم القدر و رجاحة الفضل كما يقول القائل : فلان رصين رزأن ، وفلان راجح ركين إذا أراد صفته بالفضل الراجح و القدر الوازن .

و فى ايثار الضمير و الفعل للتكلم مع الغير من التعظيم و التفخيم ما لا يخفى .

٦ - (ان ناشئة الليل هى أشد و طأ و أقوم قيلاً)

مستأنف بيانى فى مقام التعليل . تعليل لاختيار الليل وقتاً لهذه الصلاة و

التلاوة ، كأنه قيل : لماذا أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يتعبد ليلاً و يتلوا القرآن الكريم في شطر من الليل ؟ فأجاب عنه بان قيام الانسان من مضجعه الحار خاصة في الشتاء يشق كثيراً على النفس و لكن أفضل الاعمال أحمزها ، و لان قلب الانسان في تلك المواقع من الليل أصفى و أهدأ ، فتكون العبادة و تلاوة القرآن أصوب و أثبت ، و يكون أكثر تجاوباً مع ما يتلوه من كلام الله تعالى .

و في الاية : بيان لفضل صلاة الليل على صلاة النهار و ان الاستكثار من صلاة الليل بالقراءة فيها ما أمكن أعظم للاجر و أجلب للثواب .

و في الاية : إعلان لسيطرة الروح بالذكر و الصلاة ، و فيها إستجابة لدعوة الله تعالى و ايثار للانس به ، و من ثم كانت أقوم قيلاً لان للذكر فيها حلاوة و للمناجاة فيها شفافة ، و للصلاة فيها خشوعاً ، فتكسب للقلب انس و راحة و شفافة و روح و نور و يقين و طمأنينة و سكون و تنبيه و إخلاص بحيث لا يجد ذلك لصلاة النهار و لا في ذكر النهار . و ان صلاة الليل ما يزيد القلب قوة و ايماناً و صفاء نفس للمصلى .

و المعنى : ان ناشئة الليل لتسهيل ما كلفه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من القيام هي أشد وطأ أي هي خاصة أشد ثبات قدم أو كلفة ، فلا بد من الاعتناء بالقيام ففيه من التخصيص مالا يخفى حيث ان النفس التي تنهض من مضجعها إلى العبادة يشق عليها تحتاج إلى أشد ثبات قدم في ذلك و أقوم قيلاً و أشد مقالاً و حكماً يحكم به .

في تلخيص البيان : و هذه إستعارة و المراد بناشئة الليل ههنا ما ينشأ فعله أي يبدأ به من عمل الليل كالتهجد في أثنائه و التلاوة في آنائه ، ومعنى أشد وطأ في قول بعضهم أشد مواطاة و هو مصدر يقال : و اطاه مواطاة و وطاء أي يواطي فيها السمع القلب ، و اللسان العمل لقلة الشواغل العارضة و اللوافت الصارفة ، و لان البال فيها اجمع و القلب أفرغ و القراءة فيها أقوم و الصلاة

أسلم ، و من جعل و طأهنا إسماً لما يستوطىء و يفترش كالمهاد و ما يجرى مجراه فانه ذهب إلى أن عمل الليل أوعث مقاماً و أصعب مراداً وعندهم ان كل ما ينشأ بالليل من قراءة أو تهجد أو طرق أو ترحل أشق على فاعله و أصعب على مستعمله لان الليل موحش هائل و مخوف محاذر ، و كل ما وقع فيه مما أومأنا إليه كان كالنسيب له و الشبيه به .

٧ ـ (ان لك فى النهار سبحاً طويلاً)

تقرير للداعى الخارجى إلى قيام الليل ، و تأكيد للامر بقيامه بعد بيان ما فى نفسه من الداعى ،وتعليل لترك النهار و الاعراض عنه لاختيار الصلاة النافلة. و السبح الطويل فى النهار : كناية عن الغور فى مهمات المعاش وأنواع التقلب فى قضاء حوائج الحياة .

فى المجمع: قال : و فى هذا دلالة على أنه لاعذر لاحد فى ترك صلاة الليل لاجل التعليم لان النبى صلى الله عليه و آله وسلم كان يحتاج إلى التعليم أكثر مما يحتاج الواحد منا إليه

و فى تلخيص البيان : قال : وهذه إستعارة و المراد بها المضطرب الواسع و المجال الفاسح و ذلك مأخوذ من السباحة فى الماء و هى الاضطراب فى غمراته و التقلب فى جهاته ، فكأنه سبحانه قال : ان لك فى النهار مصرفاً متسعاً و مذهباً منفسحاً تقضى فيه أو طارك و تبلغ آرابك .

٨ ـ (و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتيلاً)

إلتفات عن التكلم مع الغير فى قوله تعالى : « انا سنلقى » إلى الغيبة ، و لعل وجهه ايقاظ ذلة العبودية التى هى الرابطة بين العبد و ربه بذكر صفة الربوبية .

و أمر من الله تعالى لرسوله صلى الله عليه و آله وسلم بمداومة الذكر و الاخلاص له فى جميع الاوقات والاحوال دفعاً لما يمكن أن يخطر بالبال من ترك ذكر الله تعالى فى النهار بسبب الشواغل واختصاص الليل بصلاة الليل و التلاوة، فلم يرض الله تعالى أن يترك حظه من

ذكر الله و جل علا فى النهار بسبب قيامه فى الليل .

و فى التعبير عن ذكر الله جل وعلا بذكر إسمه تعالى إشارة إلى أن ذكر اسم الله هو الذى يذكّر بالله وهو الذى يستحضر به ماله سبحانه من صفات الكمال و الجلال التى تشعّ من أسمائه و صفاته ...

٩ - (رب المشرق و المغرب لا اله الا هو فاتخذه و كيلا)

تعليل للحث على التبتل ، و تقرير لسبب الامر بالذكر على طريق الوصف المقطوع عن الوصفية ، و التقدير: هو رب المشرق و المغرب و هذا فى معنى رب العالم كله ، فان المشرق و المغرب جهتان نسبيّتان تشملان جهات العالم المشهود كلها ، و فى تخصيصها بالذكر لمناسبة ذكر الليل و النهار المرتبطين بالشروق و الغروب أو لان المقام مقام التربية كما أمر رسوله صلى الله عليه و آله و سلم بالذكر توجهاً إلى مقام التربية فذكرهما تعميم بعد تخصيص و تعليل للتبتل إليه جل و علا ، فكأنه قال: ان ماسوى الله جل و علا فى ظل تربيته فكل ذلك توطئة لذكر « لا اله الا الله » فاذا انحصرت الربوبية بالله تعالى انحصرت الالوهية و المعبودية به جل وعلا ، و نتيجة كل ذلك قوله : « فاتخذه و كيلاً » فى جميع شئون حياته من الامور الدنيوية و الاخروية الاعتقادية و الخارجية فيرى نفسه مريداً لارادة الله تعالى و يرى ما سواه أسباباً لنيله بما أنعمه الله جل وعلا فى الدنيا ، وما ينعمه فى الاخرة من غير استقلال لاحد من الاسباب فى ذلك كله .

قيل : و انما لم يقتصر فى الاشارة إلى ربوبيته تعالى بقوله السابق : « ربك » للايذان بانه صلى الله عليه و آله و سلم مأمور باتخاذه رباً لانه ربه و رب العالم كله لالانه ربه وحده كما ربما كان الرجل من الوثنيين يتخذ صنماً لنفسه فحسب غير ما اتخذه غيره من الاصنام و لو كان إتخاذه صلى الله عليه و آله و سلم له تعالى رباً من هذا القبيل أو احتمل ذلك لم تصحّ دعوته إلى التوحيد .

و فى التعبير بالمشرق و المغرب عن الوجود كله و حصره فى هاتين الجهتين مع أن الجهات أربعة : و هى المشرق و المغرب و الشمال و الجنوب

لامور :

أحدها ـ ان التعبير القرآني جاء بلفظ مشرق و مغرب ، ولم يجيء بلفظ شرق و غرب تنبيهاً إلى مشرق الشمس و القمر والكواكب والنجوم ومغربها... وليس لتلك الكرات شمال و جنوب.

ثانيها ـ ان المشرق و المغرب يشملان ـ ضمناً ـ الشمال و الجنوب ، حيث ان المشرق يشير إلى جهة الشروق التى تمتد من أقصى الشمال الى منتهى الجنوب ، و كذلك المغرب ، فانه يمتد من طرف الشمال إلى طرف الجنوب.

ثالثها ـ ان دورة الارض و هى كوكب نعيش عليه ، و هى دورة من الغرب إلى الشرق ، و ليست من الشمال إلى الجنوب أو العكس ، و لذلك لا يظهر فى حركتها الّا وجه المشرق و المغرب جامعين كل شمال و جنوب يقع فى محيطهما.

و قوله تعالى : « فاتخذه و كيلا » مسبب عن التهليل، فان توحّده بالالوهية يقتضى أن توكل إليه الامور كلها ، و الفاء لترتيب الامر و موجبه على إختصاص الالوهية و الربوبية به جل و علا و « و كيلا » فعيل بمعنى مفعول أى موكولاً به و المراد من اتخاذه تعالى و كيلاً أن يعتمد إليه جل و علا ، و يفوّض إليه تعالى كل أمر و ذكر التوكل بعد التبتل تنبيه على أن مقام التوكل فوق مقام التبتل و فى الامر بالتوكل دلالة على غاية الحب له جل وعلا.

و الجملة بمنزلة النتيجة لما قبله ، و فيه ان من لم يفوّض الامور كلها إلى الله تعالى لم يكن راضياً بالهيته و إن كان معترفاً بربوبيته ، و فيها تسلية للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم انه سيكفيه شر الكفار و أعداء الدين .

و فى الآية إعلان وحدة الله تعالى وشمول ربوبيته و دعوة إلى جعله وحده و كيلاً و معتمداً فى محيط اتخذ قومه مع الله شركاء و أنداداً و جعلوا لهم من دونه أولياء و شفعاء ونصراء واستكبر زعمائهم حتى كاد الناس يتخذون منهم أرباباً من دون الله .

و هذه الاية عظيمة المدى لمناسبة ورودها لاول مرة ، وهكذا تسجل هذه الاية أول حملة قرآنية على الشرك وعبادة غير الله والدعاء لغير الله والاتجاه لغير الله و أول دعوة قرآنية إلى جعل الله وحده المتجه و الوكيل و المعتمد ، وتخليص النفس من أىّ سيطرة و خضوع لغيره ، و أول تقرير قرآنى بشمول ربوبيته و هذا هو أساس الاسلام و جوهر دعوته .

١٠ - (و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً)

عطف على طريق المسبب على السبب بان التوكل حق التوكل هو الذى يستعد به المتوكل على الصبر عند المصائب و الشدائد والأذى والسب والاستهزاء ...

تثبيت للنبى الكريم ﷺ إزاء تكذيب زعماء المشركين و الاغنياء المترفين الذين لا يخجلون من ذلك ، و هم كانوا يتمتعون بنعم الله تعالى و يجحدون بآياته ...

تثبيت له ﷺ بماقو بل بموقف الصدّ و نسبة السحر و الكهانة و الجنون من هذه الطبقة منذ خطواته الاولى لان رجالها رأوا فى دعوته ﷺ و حركته خطراً يهدّد مراكزهم و مصالحهم ، يهدّد مادياتهم و رئاستهم ، و يهدّد شهواتهم و مشتهياتهم . . . فأدى ذلك إلى نشوب المعركة بينهم و بينه ﷺ منذ عهد مبكر ثم استمرت إلى أن أظفره الله تعالى بهم فى بدر و ما بعدها . . .

و أمر آخر له ﷺ بهجرهم هجراً ليناً بالمجانبة بالقلب والهوى و المخالفة فى الافعال مع المداراة والاغضاء وترك المكافأة وأن لا يواجههم بما كانوا يتقوّلون فيه ﷺ من غير ترك الدعوة إلى الحق والصواب ، إلى الايمان و صالح الاعمال ، إلى ترك الباطل و الضلال ، إلى ترك الكفر و الفساد على طريق المناصحة إذ لا يمكن له ﷺ أن يتركهم و شأنهم بالمرة لان هذا لا يتسق مع طبيعة رسالة الرسول ﷺ التى تقضى بالاستمرار فى الدعوة و ان النبى ﷺ لم يتوقف عن دعوته .

و فى الامر تفريج عن النبى الكريم ﷺ إزاء شدة الموقف الذىواجهه منذ البدء و تلقين بان لايهتم له ، و توجيه له ﷺ إلى الفريق الصالح الطيب الذى استجاب أو الذى يمكن أن يستجيب إلى الدعوة مع عدم قطع الحبل مع الزعماء و الاغنياء بالمرة و عدم الغلظة والشدة فى الهجرة .

١١ ـ (و ذرنى و المكذبين اولى النعمة و مهلهم قليلاً)

تهديد شديد ، و وعيد مزلزل ، و إنذار مفزع لصناديد قريش وزعمائهم و هم أئمة الكفر و رؤس الضلالة و الفساد الذين يقفون لدعوة الحق بالمرصادعلى طريق الامر من الله تعالى لرسوله ﷺ بان يخلى بينه جل وعلاو بين المكذبين من الاغنياء المترفين .

قيل : فى الجمع بين توصيف المشركين بالتكذيب و توصيفهم باولى النعمة إشارة إلى علة ما يهدّدهم به من العذاب ، فان تكذيبهم بالدعوة الالهية ، و هم متنعمون بنعمة ربهم كفران منهم بالنعمة ، و جزاء الكفران سلب النعمة وتبديلها من النقمة .

و أمر آخر له ﷺ بوعيدهم بما سوف يلقونه من جهة ، و إعطاء فرصة لهم لعلهم يراجعون أنفسهم و يرقبون مسيرة الدعوة الالهية و أثرها فى النفوس من جهة اخرى ، فربما كان لهم من ذلك عبرة وعظة ، فايمان وصالح عمل...ورفض الشرك و العداوة و الاجتناب عن المعاصى و فساد الاعمال ...

و فى الاية إلتفات عن الغيبة فى « ربك » إلى التكلم وحده فى « ذرنى » و لعل الوجه فيه تشديد التهديد بنسبة الامر إلى الله تعالى نفسه .

١٢ ـ (ان لدينا أنكالاً و جحيماً)

تعليل لقوله تعالى : « ذرنى » و للامر بالامهال القليل أى لان لدينا اموراً متضادة لتنعمهم و تفصيل لما سيلقونه من أنواع العذاب الاربعة :..

و فى الاية إلتفات من التكلم وحده « ذرنى » إلى التكلم مع الغير للتفخيم و التعظيم .

١٣ - (و طعاماً ذا غصة و عذاباً أليماً)

بيان للنوعين الاخرين من أنواع العذاب ، و في تنكير الانواع و توصيف الاخيرين ما لا يخفى على القارىء الخبير .

١٤ - (يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلاً)

تقرير لظرف أنواع العذاب الاربعة ، و توصيف ليوم تقع فيه تلك الانواع من العذاب ، و تحدث فيه تلك الاحوال و الاهوال ، و إشارة إلى تبدل مشاهد الكون و نواميسه يوم القيامة من إضطراب حين تشقق القبور و يخرج ما فيها ، و حين تموج بهذه الامواج المتدافعة من الخلق الذين يساقون إلى المحشر و رجفة الارض و الجبال هي من رجفة الخلائق يوم البعث من فزعهم من أحوال هذا اليوم العظيم .

وقوله تعالى: « و كانت الجبال كثيبا مهيلاً » إشارة اخرى إلى ما يصيب الجبال من أحداث هذا اليوم و شدته ، و انها تتفتت و تنهار و تبدو مثل كثيب من الرمل غير المتماسك .

١٥ - (انا أرسلنا اليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولاً)

إلتفات عن الغيبة إلى الخطاب، خطاب زجر و انذار ، و خطاب دعوة و إرشاد يقرّر لهم : ان الله تعالى قد أرسل إليهم رسولاً شاهداً عليهم كما أرسل إلى فرعون رسولاً من قبل و تو طئة لذكر تعليل النكال و العذاب كما قال : « و ما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً » الاسراء : ١٥) تهديداً للمشركين بمقايستهم إلى فرعون في الكفر و العصيان ، و عاقبتهما كقياس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى موسى عليه السلام في الرسالة و الحجة ، و لم يذكر موسى عليه السلام في الكلام لعدم دخله في التشبيه .

و لعل وجه الالتفات : ان المتكلم لما أوعدهم بالعذاب على الغيبة فكأنه هاج به الوجد على اولئك المكذبين بما يلقون أنفسهم بأيديهم إلى التهلكة الابدية

لسفاهة رأيهم فشافههم بالانذار و الارشاد ليرتفع عن أنفسهم أيّ شك و عذر و تتمّ عليهم الحجة، فلعلهم يتقون، و لذا عقّب قياسهم إلى فرعون و قياس النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم إلى موسى عليه‌السلام و الاشارة إلى عاقبة أمر فرعون بقوله: «فكيف تتقون إن كفرتم يوماً».

و ان الاية عودة إلى صناديد قريش بعد تهديدهم بالعذاب والنكال بعرض دعوة الاسلام عليهم من جديد ليراجعوا أنفسهم وليطلبوا السلامة و النجاة من العذاب: القريب والبعيد الذى ينتظرهم.

و هذا أول مرة يواجه القرآن الكريم زعماء المشركين بفرعون و ماكان من كفر و ضلال و ما أخذه الله تعالى به من عذاب و نكال، و الجمع بين زعماء المشركين و فرعون لمشابهة كثيرة من جهل و عناد و لجاج و ضلال وإستكبار و استعلاء عن سماح كلمة الحق، عن قبول الصواب، وعن الاهتداء إلى طريق الرشاد و النفور منها...

و ان الاية أول تنزيل قرآنى صريح فى مهمة رسالة النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و نعته بالرسالة ثم توالى ذلك و تنوع حيث نعت بالنبى و النذير و البشير و الهادى... و هى نعوت توضيحية لمهمة الرسالة.

و قيل ان الله تعالى خصّص قصة موسى عليه‌السلام بالذكر و قدّمها على سائر القصص لان العبرة فى امة موسى عليه‌السلام أكثر و معجزاته أبهر، فكان تشبيه نبينا صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم بحاله أنسب كما ان تشبيه صناديد قريش بفرعون موسى عليه‌السلام أنسب

و فى الاية إشارة إلى تصديق رسالة النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم من قبل الله جل وعلا و شهادته على أعمالهم بتحملها فى الحياة الدنيا و تأديتها يوم الاخرة، و إشارة إلى أن مهمة الرسول هو تبليغهم و أداء الشهادة عند الله جل و علا فيهم بما كان منهم من هدى و ضلال، من ايمان و كفر، من صلاح و فساد، من خير و شر، و من إستجابة له صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم أو إعراض عنه.

١٦ - (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً و بيلاً)

تقرير لصناديد قريش يرون فيه ماكان من فرعون و ما حلّ به إذ عصى موسى عليه السلام أهم يعصون محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟ فيحلّ به من وبال و نكال و هم ليسوا أشد بأساً ، و لا أقوى قوة ، و لا أعزّ نفراً ولا أكثر قبيلاً من فرعون ...

و فى الاية تذكير لهم بمصير فرعون الذى عصى رسول الله موسى عليه السلام فأخذه الله جل وعلا أخذاً شديداً ، و فيها تخويف لهم بأهوال الدنيا مما لاقه فرعون و أذنابه من قبلهم بعد تخويفهم بأهوال القيامة و عذابها .

و فى وضع الظاهر موضع الضمير فى قوله تعالى : « فعصى فرعون » ايماء إلى أن ما كان له من القوة و العزة و العلو و الاستكبار فى الارض و التبجج بكثرة العدة و العدد و سعة المملكة و نفوذ المشيّة لم يغن عنه شيئاً ولم يدفع عنه عذاب الله تعالى فما الظن بزعماء المشركين و أذنابهم ؟ .

و فى التعبير عن موسى عليه السلام بالرسول إشارة إلى أن السبب الموجب لاخذ فرعون مخالفته أمر رسالته لانفس موسى عليه السلام بماأنه موسى ، فاذا كان السبب هو مخالفة الرسالة فليحذروا مخالفة رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

قوله تعالى : « فأخذناه أخذاً و بيلاً » خارج من التشبيه جيى به للتنبيه على أنه سيحق بهؤلاء ماحاق باولئك لامحالة .

١٧ - (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً)

توبيخ و تقريع و إنذار و وعيد و تحذير مرة اخرى بيوم القيامة على اسلوب السئوال الانكارى عن الوسيلة التى يتقون بها - إذا كفروا بالله تعالى و كذبوا بآياته و جحدوا رسالة رسوله - هول ذلك اليوم الذى يجعل الاطفال شيباً لشدته وهوله .

و ان الاية فى معرض وصف هول ذلك اليوم ، و مستهدف لاثارة الرعب فى القلوب و الرهبة فى النفوس و حمل المشركين على الارعواء و و إتقاء غضب الله تعالى ، و صدرها تنزيل فى مقام الجزاء فكأنه قيل : هبوا انكم لاتؤاخذون

فى الحياة الدنيا أخذة فرعون و أذنابه ، فكيف تتقون أنفسكم أهوال القيامة و ما أعدّ لكم من الانكال و الجحيم ، و من الطعام ذى الغصة و العذاب الاليم إن دمتم على ما أنتم عليه من الكفر و العصيان ، من الشرك و الفساد و من اللجاج و العناد .

و ان نسبة الاتقاء إلى ذلك اليوم من المجاز عقلى .

و فى قوله تعالى : « إن كفرتم » إحتراس يراد به قيد هذا العذاب الذى يتهددهم به و انه رهن بما ينكشف عنه موقفهم من النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فهم إلى هذه اللحظة فى سعة من أمرهم مادام النبى صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ماداموا فى الحياة لم تطو صحف أعمالهم و ما جاءهم الموت .

و فى هذا إغراء لهؤلاء المشركين بالايمان و إفساح الطريق لهم إليه ، و قد دخل كثير منهم فى دين الله تعالى ، و أصبحوا مؤمنين و هذا هو بعض الحكمة فى قوله تعالى : « و مهلهم قليلا » و قوله تعالى قبل ذلك : « و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلا » .

و قوله تعالى : « يوماً يجعل الولدان شيبا » كناية عن الشدة و المحنة ، يقال فى اليوم الشديد: يوم يشيب نواصى الاطفال و هو مجاز ، فاحذروا هذا اليوم فانه كائن لامحالة كما وعد الله تعالى .

فى تلخيص البيان : قال : و هذه إستعارة و المراد بها :ان الولدان الذين هم الاطفال لو جاز أن يشيبوا لرائع خطب أو طارق كرب لشابوا فى ذلك اليوم لعظيم أهواله و فظاعة أحواله و ذلك لقول القائل قد لقيت من هذا الامر ما تشيب منه النواصى كناية عن فظيع مالاقى و عظيم ماقاسى . انتهى كلامه و رفع مقامه .

١٨ ـ (السماء منفطر به كان وعده مفعولا)

وصف آخر لشدة ذلك اليوم الذى يشيب من هوله الولدان ، و التذكير لاجرائه على الموصوف المذكر أى شىء منفطر ، عبّر عنها بذلك تنبيهاً على أنه تبدلت حقيقتها و زال عنها إسمها و رسمها ،ولم يبق منها إلّا ما يعبّر عنه بالشىء

أو لتأويل السماء بالسقف ، أو اريدبها مطلق العلو ، أو من باب النسب أي ذات إنفطار .

وقوله تعالى: «كان وعده مفعولاً» إستئناف جيىء لتأكيد وقوع ماهدّد به المشركين و تسجيل ما تقدم من الوعيد بأنه ليس مجرد قول بل هو قول يتحول إلى فعل واقع و مشاهد محسوس ، و ان وعدالله تعالى آت لاريب فيه ، و انه حتم مقضيّ لان وعده تعالى صادق لا خلف فيه ، و لعل في نسبة الوعد إلى ضميره تعالى إشعاراً بان لا يصلح لهذا الوعد إلّا الله تعالى ، فيكفي فيه الضمير من غير حاجة إلى ذكره باسمه .

١٩ ـ (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

تقرير لامرين باسلوب عام : أحدهما ـ ان ما يسمعه الانسان من إنذار و دعوة هو تذكير و تنبيه و بلاغ . ثانيهما ـ لما في واقع الانسان من الاستعداد لقبول الحق و الايمان و صالح العمل و الاعراض عن الحق و الكفر وفساد العمل فالانسان بعد ذلك موكول إلى إختياره و مشيئته ، فمن شاء اتعظ واتخذ إلى ربه سبيلاً بالايمان به و تصديق رسالة رسوله و صالح الاعمال ...

فالطريق إلى الله تعالى مفتوح لكل من يريد الاتجاه إليه، فليس هناك من يحول بين الانسان و بين اتصاله بربه كما انه ليس هناك من يحمل الانسان حملاً على أخذ هذا الطريق ، فلا إكراه في الدين ، و لا إجبار في اتخاذ الطريق إلى الله جل و علا كما لا إكراه في الكفر و لا في إتخاذ الطريق إلى عدوه الشيطان .

و في الاية : بشارة و إنذار يجد فيها اولوا العقول السليمة تجاوباً مع الفطرة ، فيذكرون بها الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم و هم في ظهور آبائهم من الايمان به و الاقرار بربوبيته و وحدانيته ، و شرح موجز و ضمني لمهمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و مداها فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو مذكر وداع إلى الله تعالى، والناس بعد ذلك موكولون إلى قابلية الاختيار ، و قوة التمييز اللتين أودعهما الله جل و علا فيهم ، فمن شاء اختار طريق الهدى و الرشاد ، طريق الحق و الصواب ،

طريق الايمان و صالح الاعمال ، طريق الصلاح و الاصلاح ، و طريق السعادة و النجاة و اتخذ إلى ربه سبيلاً ، فكان سعيداً ناجياً ، و من شاء إختار سبيل الكفر و الضلالة ، سبيل الفساد و الافساد ، سبيل الباطل و العصيان ، و سبيل الشقاء و الهلاك و اتخذ إلى عدوه ابليس و هوله قرين فصار ملحداً و شقياً هالكاً ، ففي نفس الاية تقرير لقابلية الانسان و قدرته على التميز والاختيار .

و فيها : إشارة إلى الايات المنطوية على القوارع والزواجر المذكورة في الايات السابقة فلابد من التذكر والاتعاظ و العمل ...

و قيل إشارة إلى آيات صدر السورة التي تندب إلى قيام الليل والتهجد فيه فالاية سيقت لتوسعة الخطاب ، و تعميمه لغير رسول الله ﷺ من المؤمنين بعد ما وجّه الخطاب في صدر السورة إلى النبي الكريم ﷺ خاصة ،والدليل على هذا التعميم قوله تعالى : « فمن شاء » و قوله بعد ذلك : « وطائفة من الذين معك » .

و يستنتج من ذلك : ان صلاة الليل هي سبيل خاصة تهدي العبد إلى ربه .

٢٠ ـ (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك و الله يقدر الليل و النهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و أقرضوا الله قرضاً حسنا و ما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيراً و أعظم أجراً و استغفروا الله ان الله غفور رحيم)

إلتفات من الغيبة إلى الخطاب ، و بيان لما جاء في صدر السورة من الامر بقيام الليل ، و ترتيل القرآن و على هذا فالقول بمدنية هذه الاية ـ لامر الزكاة و خبر القتال فيها ـ غير وجيه جداً لقبح تأخير البيان عن وقت الحاجة ،و تطويل الاية بالنسبة إلى ما قبلها ليس دليلاً على مدنيتها ، إذليس قصير الاية معياراً

لمكيتها ، و لا طويلها معياراً لمدنيتها .

و فى التعبير بقوله تعالى : « ربك » تلويح إلى شمول العناية الربوبية ، و الرحمة الالهية ، و كذا فى قوله تعالى : « يعلم انك تقوم » الخ مضافاً إلى ما فيه من لائحة الشكر قال تعالى : « و كان سعيكم مشكوراً » الانسان : ٢٢)

قوله تعالى : « أدنى من ثلثى الليل » تقرير لما أمره الله تعالى رسوله ﷺ به من قيام الليل فى قوله : « قم الليل الا قليلا » و قد استعير الادنى للاقل لان المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما بينهما من الاحياز ، و جرى العرف على إستعمال أدنى فيما يقرب من الشىء و هو أقل ،فيقال : ان عدتهم أدنى من عشرة إذا كانوا تسعة مثلاً دون مالو كانوا أحد عشر ، و المعنى : أقرب من ثلثيه و أقل بقليل . و قوله : « نصفه » يقابل ما جاء فى قوله : « نصفه » المذكور فى أول السورة ، و قوله : « ثلثه » يقابل قوله تعالى : « نصفه أو انقص منه قليلاً » أى انقص من النصف قليلاً .

وقوله تعالى: « و طائفة من الذين معك » إشارة إلى أن قيام الليل لم يكن فرضاً على المؤمنين و لا واجباً ، إذ كان الذين يقومون الليل مع النبى الكريم ﷺ بعض المؤمنين ذوى الهمم لا كلهم ، فلو كان فرضاً للزم المسلمين كلهم، و لكان الذين لم يقوموا الليل تاركى فريضة ، و آثمين غير مؤمنين سواء قلنا بوجوب القيام على النبى ﷺ أم لا .

ان الجمل الثلاث ـ انك تقوم ـ إلى ـ معك » تنطوى على صورة من صور حياة النبى الكريم ﷺ و أصحابه الاولين التعبدية ، فالنبى ﷺ ظل فى حدود ما الزمه من قيام قسم كبير من الليل والتهجد فيه ، و تلاوة القرآن الكريم اتباعاً لأمر الله تعالى فى الايات الاولى من السورة ، و أصحابه السابقون حذوا حذوه فى ذلك .

وقوله تعالى: « والله يقدّر الليل و النهار » تمهيد لذكر سبب عدم فرض القيام لنافلة الليل ، أى والله تعالى وحده هو الذى يقدّر الليل و النهار فلا يقدر

على تقديرهما أحد غيره، فتقديم الاسم الجليل مبتداء و بناء «يقدر» موجب للاختصاص قطعاً كما يعرب عنه قوله تعالى: «علم أن لن تحصوه» أى علم تعالى ان الشأن لن تقدروا على تقدير الاوقات، و لن تستطيعوا ضبط الساعات أبداً.

و قيل: ان الجملة فى مقام التعليل لقوله تعالى: «ان ربك يعلم» والمعنى و كيف لا يعلم و هو الله الذى إليه الخلق و التقدير، ففى تعيين قدر الليل و النهار تعيين ثلثهما و نصفهما و ثلثيهما، و نسبة تقدير الليل والنهار إلى إسم الجلالة دون إسم الرب وغيره لان التقدير من شئون الخلق و الخلق إلى الله الذى ينتهى إليه كل شيء.

وقوله تعالى: «علم أن لن تحصوه» تقرير لسبب تخفيف القيام لنافلة الليل، و هذا شامل للمكلفين كلهم فان الاحصاء شاق عسير لكل مكلف: مريضاً كان أم سالماً، مسافراً كان أم حاضراً، و مقاتلاً كان أم قاعداً. و الجملة تأكيد لمعنى المتقدم أى لا يصح منكم ضبط أوقات الليل و النهار كما هى إلّا أن تأخذوا بالاوسع الاحوط و ذلك شاق عليكم مضافاً إلى أن إختلاف الليالى طولاً و قصراً فى ليالى السنة مما لا يتيسّر لعامة المكلفين إلّا من نام أول الليل و أراد القيام فى ثلث آخر الليل و اعتاد به و هذا غير عسير لمن اعتاد، فعل المؤمنين الاعتياد به فان الخير فى العادة.

وقوله تعالى: «فتاب عليكم» فى التعبير عن رفع الحرج عن المؤمنين فى قيام الليل بالتوبة مع ان هؤلاء المؤمنين لم يأتوا ذنباً لان قيام الليل لم يكن فرضاً عليهم ـ فيكون الترك إثماً ـ إشارة إلى لطف الله تعالى بالمؤمنين و إكرامه لهم إذ اعفاهم عن الالزام عليه بحيث لو يعلم انهم يقومون الليل يلزمهم عليه لما فى نافلة الليل من الآثار فى النفوس و كونها خير وسيلة لصلة روحية بالله تعالى ما ليس فى غيرها.

وقوله تعالى: «فاقرؤا ما تيسّر من القرآن» تفريع على علمه تعالى بعدم إحصاء عامة المكلفين المقادير المفروضة ـ من الثلثين او النصف أو الثلث ـ و

عدم تحفظهم أوقاتها بحيث لا يفوت منهم منها ، و إن كان منهم ذو والهمم العالية يتحفظونها بلاشاق جداً ، وتثبيت لاصل الحكم الاستحبابى و توسعته حسب التمكن من غير فرض عليهم ليكون لجميع المكلفين فيه حظّ و نصيب ، و فيه حث على الاحصاء و التحفظ أولاً ، و على حفظ الحكم و النيل بالحظ ثانياً .

و قوله تعالى : « علم أن سيكون منكم مرضى » مستأنف لبيان حكمة اخرى داعية إلى الترخيص و التخفيف ، و عدم الفرض بتاً ، و داء سبب عام لرفع وجوب القيام عن كافة المكلفين فان الاحصاء المذكور كان شاقاً عسيراً العامة المكلفين الّا طائفة ذوى همم عالية منهم اشير إليهم فى قوله تعالى: « و طائفة من الذين معك » .

وقوله تعالى : « و آخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله » إشارة إلى مصلحة ثالثة اخرى مقتضية للترخيص فى أمر القيام ، فان الاحصاء المذكور للمسافر مع ما هو عليه من الحال شاق عسير جداً ، و ان الضرب فى الارض: كناية عن السعى فى سبيل الرزق من أرض إلى أرض .

وقوله تعالى: « و آخرون يقاتلون فى سبيل الله » سبب رابع يقتضى الترخيص و عدم فرض القيام لنافلة الليل عليهم ، فانهم إذا لم يناموا فى الليل تتوالى عليهم أسباب المشقة و يظهر عليهم آثار الجهد فى النهار .

وقوله تعالى: « فاقرؤا ما تيسّر منه » وقد ذكرت قراءة ما تيسر من القرآن مرتين : مرة بعد بيان العذر العالم لجميع المكلفين و عسر الاحصاء و إحتفاظ أوقات الليل و ساعاته ، و مرة بعد ذكر الاعذار الخاصة من مرض أو سفر أو قتال تنبيهاً إلى أن كل واحد من العذرين لا يوجب حرمان المعذور عن حظّه حسب تمكنه و وسعه ، فيستحب للمريض أن يقرء حسب تمكنه فيكون من زمرة الساهرين.

وقوله تعالى: « و أقيموا الصلاة » ان الامر باقامة الصلاة هنا لأول مرة جاء فى التنزيل ، و إن كان النبى الكريم صلى الله عليه و آله و سلم ومن معه يصلون من قبل ، و قد اشير إلى الصلاة النبى صلى الله عليه و آله و سلم فى قوله تعالى : « أرايت الذى ينهى عبداً إذا صلى » العلق:

۹ و ۱۰) و هذا بناء على مكية الاية التى نحن فيها و هو الصواب ، وتلجلج بعض المفسرين غير وجيه جداً . و المراد من الصلاة هى المفروضة اليومية منها .

وقوله تعالى: « و آتوا الزكاة » ان كلمة الزكاة و الامر بها هنا هى أول مرة وردت فى القرآن الكريم ، و فى إقترانها إلى الصلاة دلالة على لزومها ، وخاصة ذكر الاقراض بعدها الذى يحمل على التطوع ، و ان الزكاة صارت علماً على الفريضة التى فرضت على أموال الاغنياء للفقراء و المحتاجين وسبل الخير و مصلحة المسلمين العامة منذ عهد مبكر من الدعوة الاسلامية ، فان الحاجة كانت ماسة إلى هذه الفريضة منذ بدء الدعوة سواء أكانت من أجل أغراض هذه الدعوة أم من أجل مساعدة الذين آمنوا من الفقراء و المساكين و الارقاء الذين كانوا أكثرية أتباع النبى صلى الله عليه وآله وسلم بمكة . و ان الاية هى نوات هذه الفريضة ، و قد حدّد مقدارها النبى صلى الله عليه وآله وسلم و فى إقترانها إلى الصلاة دلالة على أنها ركن ثان من أركان الاسلام لا بدله من المعونة المالية للمحتاجين إليها و للمصالح العامة بصورة إلزام وفرض، وعدم ترك ذلك للتطوع والاختيار .

و لعل فريضة الزكاة بهذه الصفة والمعنى من أعظم التشريعات الاسلامية مدى و أثراً فى صلاح المجتمع الاسلامى و أمنه و تضامنه ، و تخفيف أز مات بنيه و محتاجيه ، وتقليل أسباب الاحقاد والضغائن والحسد بين المحتاجين وغير المحتاجين، و تيسير تغذية المشاريع العامة التى لا تقوم الّا بالمال ، و هى من أعظم مميزات الشريعة الاسلامية على غيرها على هذا الاعتبار والمعنى و من أعظم مرشحاتها للخلود.

وقوله تعالى : « و أقرضوا الله قرضاً حسناً » دعوة إلى التصدق والانفاق و التعاون الاجتماعى تطوعاً بعد دعوتهم إلى الانفاق وجوباً ، وفيه معنى لطيف يزيد على قوة الحث ، وهو ان الذى ينفق أمواله فى سبيل الله تعالى و يتصدق بها على المحتاجين و يتعاون على البر كأنما يقرض الله تعالى ، و ان الذى يقرض الله جل و علا يستحق الوفاء أضعافاً مضاعفة .

فالزكاة فرض إلزامى ، و ما زاد عنها فهو قرض حسن لله تعالى .

وقوله تعالى: « و ما تقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله » حث على الانفاق و صالح الاعمال ... و هو تعقيب على الامر باقام الصلاة و ايتاء الزكاة و اقراض الله تعالى قرضاً حسناً ، فهذه كلها طاعات وقربات يتقرب بهاإلى الله جل و علا ، فالمراد بالخير مطلق الطاعة أعم من الواجبة والمندوبة .

وقوله تعالى: « و استغفروا الله »تحريص وحضّ على الاستغفار،وفي الامر تلقين ربانى بان الله تعالى يعلم ان أكثر الناس لايمكنهم أن يكونوا في نجوة من الهفوات والاخطاء ، و انه هو الغفور الرحيم الذى من شيمته التسامح و الاغضاء و شمول عباده بالرحمة الواسعة اذا آمنوا به واعترفوا بذنوبهم و ندموا عليها و لجاؤاإليه يطلبون غفرانه ورحمته ، وفي هذامافيه من التلقين والوسيلة إلى الصلاح و الاصلاح ، و حث المذنب على الندم و التوبة و تأميله بالغفران و الرحمة. و بعبارة اخرى فيه وسيلة من وسائل التربية الروحية .

وقوله تعالى: « ان الله غفور رحيم » تعليل للامر بالاستغفار وتأكيد عليه و وعد للمستغفرين بالمغفرة و الرحمة .

«الاعجاز»

و من وجوه إعجاز القرآن الكريم نزوله منجماً على تلك المدة التى نزل فيها ، و قد كشف عن سببه قوله تعالى : « و رتل القرآن ترتيلا » المزمل : ٤)

و ذلك لان القرآن حمل ثقيل سماوى لايوازيه حمل ، و النبى صلى الله عليه و آله و سلم هو الحامل لهذا المشعل السماوى ، فلابد من حساب و تقدير معه ليظل النبى صلى الله عليه و آله و سلم قوياً قادراً محتفظاً بقوته و قدرته على حمل هذا المشعل الذى بين يديه ، فقد أمره الله تعالى أن يهيىء نفسه لحمل هذا العبء و أن يلقاه صابراً : « انا سنلقى عليك قولاً ثقيلا ـ و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً » المزمل : ٥ ـ ١٠)

فان القرآن كان يدير المعركة الممتدة بينه و بين كفار قريش بمكة ، ثم بينه و بينهم و معهم اليهود فى المدينة ثم بينه و بين الجن و الانس كافة ـ كان يدير هذه المعركة فى سلسلة من المعارك ، يدخل فى كل معركة منها بالسلاح المناسب لظروفها و أحوالها و بهذا غلب و انتصر !

و انظر كيف كان الامر لو أن القرآن المدنى نزل فى مكة قبل الهجرة ، و واجه به النبى صلى الله عليه و آله و سلم قريشاً ، ثم لما هاجر إلى المدينة واجههم بالقرآن المكى ؟

و كيف كانت الحال لو تغايرت الايات كلها و اختلط بعضها ببعض ، ثم كان على النبى صلى الله عليه و آله و سلم أن يتخير ما يشاء منها؟ أكان ذلك يجىء على الوجه الذى

نزل عليه القرآن ؟

وإذن فقد كان على النبى ﷺ أن يبلّغ هذا القرآن الذى نزل عليه وأن يؤذن به فى الناس مرة واحدة ، و بغير هذه الصورة .

و اذكر هنا كفار قريش ، و استحضر أباجهل و أبا لهب و اميه بن خلف و أضرابهم من رؤس الكفر والضلالة ، و من رؤس الشرك والحماقة . . . و انظر كيف تكون الحال لو تلى عليهم القرآن هكذا مرة واحدة فى يوم أو يومين مثلاً وانظر بأىّ قلوب . و بأية آذان كانوا يستمعون لهذا القرآن و يتدبرون فيه . . . عن بدر و احد ، او عن الاحزاب وحنين؟ ماذا يكون قول القرآن فى تلك الاحداث التى لم تقع بعد ؟ و ماذاكان يمكن أن يقول فى حديث الافك مثلاً ؟ أو فى تلك الاحداث التى أمسك بها بعد أن وقعت ، و ناقشها مناقشة كاشفة ، و حاسب أصحابها حساب العليم الحكيم العادل . . . ماذا كان يمكن أن يقول القرآن فى هذا ونحوه؟ كان لابد أن يكون القرآن المقترح غير هذا القرآن حتى يجد من يستمع له و لومجرّد سماع ...

و انما نزول القرآن الكريم نجوماً على تلك الصفة التى نزل بها قدمكّن له ﷺ من أن يظلّ قائماً على أحداث دعوته ، مدافعاً عنها ، فاضحاً أعداءه حين يظبطهم متلبسين بما يدبرون من زور و بهتان ، و من كذب و افتراء . . . و بما يبيتون ما لا يرضى من القول ! و فى هذا ما فيه من مؤانسة للنبى الكريم ﷺ و تثبيت لقلبه ، و تطييب لخاطره و انعاش لروحه كلما نسم أنسام السماء ، و وجد شميمها مى غدوات جبرئيل و روحاته إليه . . . فعندئذ تتقشع من نفسه سحب الهمّ و الضيق و سحب الغم و الحزن التى كانت تسوقها إليه قريش و غيرهم من الكفار و المشركين ومن الاعداء و المنافقين بما يدبرون من مكايد و حيل ، و من خداع و مكر ... و ما يبيتون من ضرّ و أذى كما انه كان الناس دائماً فى ترقب لما سينزل من قرآن يفضح ما فى الصدور من العداوة ، و يكشف ما بالنفوس من مضمرات السوء ...

ففدأوجب الله تعالى على نبيه الكريم ﷺ تلاوة القرآن بالترتيل في قوله: « و رتل القرآن ترتيلا » و على امته كما يشير فى قوله : « فاقرؤا ما تيسّر من القرآن » المزمل : ٢٠)

و هذا الترتيل يقتضى زمناً طويلاً ليتلى فيه القرآن ... « على الناس على مكث » اذ قال : « و قرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلاً » الاسراء : ١٠٦)

نزله الله تعالى : أى شيئاً فشيئاً ، و حالاً بعدحال ، كأنما ينزل كلمة كلمة أو جملة جملة أوقطرة قطرة ..

و لو تدبّرت فى قوله تعالى : « و رتلناه ترتيلا » الفرقان : ٣٢) و « و نزلناه تنزيلاً » الاسراء : ١٠٦) و « رتل القرآن ترتيلا » المزمل : ٤) تجدفى هذا النغم المتقطع مراحل زمنية ... يأخذ القرآن فيها طريقه من السماء إلى الرسول الكريم ﷺ و إلى الناس وان هذه المراحل بعضهاطويل و بعضها قصير و بعضها أقصر .. و هكذا.. كما يشهد على ذلك تاريخ القرآن و كماتلمح هذافى مقاطع هاتين الفاصلتين .

و لعل لعلم النغم و علمائهانظراً فى مقاطع هاتين الفاصلتين ،وقياس المسافات الزمنية فيها ثم مراجعة ذلك على تاريخ النزول القرآني!وليس هذا للبحث العلمى و تقرير النظريات ... و انما لمطالعة وجه من وجوه الروعة و الجلال فى القرآن فان استبان لنا أخذنا حظّ النفس والروح من جلاله و روعته و جماله ، و إلّا وجهنا أنظارنا إلى آفاق اخرى من القرآن الكريم نطالع فيها وجوه الجمال والجلال و الروعة من قريب !

ان تسئل : لما ذا يرتل القرآن ترتيلاً ؟ و ما ذا لو سرد سرداً ؟أوينقص ذلك من معانيه ؟ أو يذهب ببعض الدلا لات و المفاهيم لمافيه ؟

تجيب عنها باجوبة :

منها : ان القرآن الكريم ليس كتاب علم يقرر الحقائق التى حملها إلى

الناس تقريراً علمياً فقط، و لو كان ذلك من مقاصده لماطال هذا الطول ، و لما امتد هذا الامتداد ، و لكان فى الامكان عرض حقائقه كلها فى آيات قليلة لاتتجاوز سورة من سور المفصّل أومن طوال السور على أكثر تقدير !

و لكن القرآن كتاب تربية و تهذيب قبل كل شيء فهو يمهد الطريق إلى العقول و القلوب قبل أن يغرس من حقائق ، شان المربى الذى يقدم وسائل الايضاح بين يدى الحقائق التى يريد عرضها على الطالبين !

و ان ترتيل القرآن داعية من أقوى الدواعى لشرح الصدور له ، و تأليف القلوب عليه، وجذب النفوس إلى تقبل الحقائق التى حملها والاخذ بها، والتجاوب معها ... ذلك ان هذا الترتيل يعرض الحقائق عرضاً مشبّعاً بالجو العاطفى المناسب لها ، فتجد مساربها إلى العقول والقلوب .. و تنفذ إليها فى تدفق وقوة ، فيستيقظ لها الكيان الانسانى كله ، و تصحو لها المشاعر و المدارك و تتلقاها فى نشوة غامرة و فى روح وراحة و رضى .

و ان هذا الترتيل هو النغم السماوية التى صحبت القرآن كى تؤدّى بها الحقائق القرآنية لتبلغ غايتهـا المقدرة لها من التأثير و الاقناع . . . و بغير هذا الترتيل تتعرّى هذه الحقائق من تلك الهزة الروحية التى تلمس قرارة النفس و تمس صميم الوجدان ، و من أجل هذا كان هذا التوجيه الالهى الذى حمل إلى النبى الكريم ﷺ فى صورة الامر : « ورتل القرآن ترتيلا » .

و قد امتثل النبى ﷺ هذا الامر ، و أخذ نفسه بهذا التوجيه الحكيم فى تلاوة القرآن ، و دعا من دخل فى دعوته أن يتابعوه فيه و فى هذا يقول ﷺ : « زيّنوا القرآن بأصواتكم »

هذه نغم مصفاة من كل شائبة من تلك الشوائب التى تصحب بعض الألحان التى تثير الغرائز الخسيسة ، أو تهيج المشاعر النازلة ، و انما هو الجلال المهيب و الروعة الآخذة تحفّان بتلاوة القرآن و تستوليان على كل من هو بمحضر او مسمع من مجلس تلاوته .

و منها : ان من حساب الناس مع كل طيب .. من قول أو عمل ، ومن كل مادى أو معنوى من شئونهم ـ أن يحرصوا على طول صحبتهم له ، و أن يتوسلوا بكل وسيلة تبقى على هذه الصحبة أطول زمن ممكن ، و القرآن الكريم خير ما وقع للناس فى هذه الحياة من طيبات ، تنعم بها الارواح و تسعد فى ظلها القلوب و تشرح لديها الصدور ...

و لهذا فقد كان تمام هذه النعم السماوية الالهية التى أنعم الله جل و علا بها على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم و على عباده كلهم أن ينزل القرآن منجماً و مرتلاً ، وبهذا يتضاعف الفضل ، و تتزاوج النعمة .. على النبى صلى الله عليه وآله وسلم و على المؤمنين به إذ يظل هذا الخير الغدق غادياً على الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و على المؤمنين ثلاثا و عشرين سنة ، يتلقون كل وقت جديداً من النعم ، ومزيداً من الخير إذ اتم تمامه و كمل بدره صحبوه على اسلوب أشبه بهذا الاسلوب الذى نزل به ، فرتلوه أيها المؤمنون هذا الترتيل الذى يطيل صحبتهم لكلماته و آياته فلا يقطعون ما بين عبريه الّافى أضعاف الزمن الذى يعبر به ما بين دفتى المصحف ، من يعدو عدواً أو يجرى جرياً .

و لعمرى لن يجد الباحث المتحرى مهما بالغ فى التحرى أثر البشر حرياً بسمة البقاء و الابدية مطبوعاً عليه بطابع الاعجاز و الخلود غير القرآن الكريم ، و لقد اختص وحده من ملايين الآثار و الكتب بصفة الاعجاز و نعت الخلود و هى هى بواعث الاعجاز و الدهشة العامة التى اعترت الناس جميعاً من العرب والمستعرب كلما تلوا القرآن اوتليت عليهم آياته ...

و ليس من المبالغة فى شىء أن يقال : ان القرآن الكريم أساس كل ما شهر فى تاريخ المسلمين من حركات لغوية و فكرية من العلوم والفنون والصناعات كلها ناتجة من فهم مبادىء كلام الله المجيد ، و نتج من هذا حركة التدوين و الترجمة و التأليف و التاريخ الاسلامى يتكون من عدة عناصر أهمها قراءة القرآن و حفظ آياته و فهم معانيه ، و هذا هو مبدأ التعليم و توجيه جديد فى التربية

الاسلامية و الاخلاق الرفيعة ، و أقبلت الامم على دراسته ، و تحليله بدقة، واهتمت به اهتماماً بالغاً ، و انما القرآن نور ينور العالم كالشمس تضيىء على الحجر و الوبر و لكن الانتفاع لمن كثر نظره فيه و اتسع علمه ، فعليكم أيها المؤمنون بالتلاوة والتدبر فيه و العمل به ، إذ فيه كما لكم ورشادكم ، خيركم وعزتكم، صلاحكم و سيادتكم ، و فيه سعادتكم و نجاتكم...

﴿ التكرار ﴾

سورتان يشتمل كل واحدمنهما على عشرين آية: إحداهما -سورة المزمل. ثانيهما - سورة البلد.

ونحن نشير في المقام إلى صيغ ست لغات - أوردنا معانيها اللغوية على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية :

١ - جاءت كلمة (المزمل) على صيغتها في القرآن الكريم نحو : مرة واحدة وهي في سورة المزمل : ١).

٢ - » » (الرتل) » » » » : أربع مرات : ١ و ٢ - الفرقان : ٣٢) ٣ - ٤ - المزمل : ٤).

٣ - » » (التبتل) » » » » : مرتين : وهما في سورة المزمل : ٨).

٤ - » » (الغصة) » » » » : مرة واحدة و هي في سورة المزمل : ١٣).

٥ - » » (الكثب) » » » » : مرة واحدة و هي في سورة المزمل : ١٤).

٦ - » » (المهيل) » » » » : مرة واحدة و هي في سورة المزمل : ١٤).

و قد جاءت قصة موسى عليه السلام تلويحاً و فرعون صراحاً لأول مرة في هذه

السورة، و هى أول إشارة قرآنية إلى أخبار و مواقف المكذبين الاولين عامة و فرعون خاصة ثم تكررت قصة موسى عليه السلام و فرعون و بنى اسرائيل بصراحٍ فى القرآن الكريم أكثر من غيرهم من الانبياء و الامم الاولين ...

و ذلك لما كان فى قصة موسى عليه السلام و فرعون و بنى اسرائيل من الاستشهاد و العظة و التذكير و الانذار و الوعد و الوعيد، و من المباحث الاجتماعية و الدينية و الثقافية و الاقتصادية و الاخلاقية و السياسية . . . سلبياً و ايجابياً أكثر من قصص الآخرين ...

و قد تكرر قوله تعالى : « فاقرؤا ما تيسر من القرآن » المزمل : ٢٠) مرتين : إحداهما بعد ذكر سبب الترخيص العام لقيام الليل و هو كلفة إحصاء أوقات الليل لنافلته ، و ثانيهما بعد ذكر الاعذار الخاصة لذلك من مرض و سفر و قتال فتدبر و اغتنم .

﴿ التناسب ﴾

ان البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بين هذه السورة و ما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة « القلم » فالمناسبة بينهما فبامور :

منها : لما جاء سورة « القلم » بالتثبيت و التطمين للنبى الكريم صلى الله عليه و آله و سلم على ما أنعم الله تعالى من نعم الرسالة ، و الدفع عنه كل ما يرميه المعاندون من الجنون لما سمعوا الذكر ، و ما كان هو إلّا ذكراً للعالمين ، جاءت سورة « المزمل » بأمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم بأحسن ما يمكن أن يستعين به فى مهمته من قيام الليل لنافلته، و تلاوة الوحى السماوى و دوام الذكر باسم الله تعالى و الصبر .

و **منها :** لما نهى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى سورة « القلم » عن إتباع المكذبين و وصفهم بصفات ذميمة ووصف النبى صلى الله عليه و آله و سلم بأوصاف ممدوحة بلا إشارة إلى موقف شخص بعينه إذ جائت الحملة على المكذبين عامة من الاغنياء والمترفين وغيرهم بسبب موقف الصد و التكذيب الذى اخذوا يقفونه ، امر صلى الله عليه و آله و سلم فى سورة «المزمل» بالتبليغ و الدعوة عملاً بالصلاة و تلاوة القرآن و الذكر باسم الله تعالى متوكلاً على الله تعالى ليلاً و نهاراً ، و بالصبر تجاه أقاويل هؤلاء السفهاء المترفين والاغنياء المكذبين كما قوبل موسى عليه السلام بأمثالهم فى بدء رسالته منذراً عليهم بسوء عاقبتهم و

هجرهم وامهالهم على ما كانوا عليه من التكذيب و الصد مع الحملة الشديدة على المشركين .

و منها : لما اشير في سورة « القلم » إلى يوم القيامة تلويحاً وإلى أحوال المكذبين فيه في قوله تعالى :« يوم يكشف عن ساق ـ و هم سالمون »:٤٢-٤٣) جاء في سورة « المزمل » ذكر من شدة أحوالهم و مالهم من الطعام و العذاب، و ذكر من تبدل الكون و نواميسه عند الساعة و أهوال يوم القيامة و فزعه من رجفان الارض و الجبال ، وصيرورة الجبال كثيباً مهيلاً ، ومن إنفطار السماء ووقوع ذلك اليوم لامحالة . و غيرها من التناسب فتدبر جيداً .

وأما الثانية: فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصحفاً فبوجوه : أحدها ـ لما جاءت في السورة السابقة قصة الجن و إستماع نفر منهم للقرآن الكريم به ، و رفض الانداد لله سبحانه ، أمر الله تعالى في سورة « المزمل » نبيه صلى الله عليه و آله و سلم بتلاوة القرآن لعل الانس كافة ، و خاصة المشركون منهم أن يستمعوا له و يؤمنوا به و يرفضوا الانداد لله سبحانه حتى على طريق التأسي بالمؤمنين من الجن .

ثانيها: لما اشير في سورة « الجن » إلى قيام عبدالله و دعائه ربه، واجتماع طائفة مؤمنة من الجن على هذا العبد القائم ليتبعوه في عمله ذلك ، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه و آله و سلم في سورة « المزمل » بالقيام لنافلة الليل ليتأسى به فيه امته المؤمنون .

ثالثها: انه لما ختمت سورة « الجن » بذكر رسالات الرسل بدئت هذه السورة بما يتعلق برسالة خاتم الانبياء صلى الله عليه و آله و سلم ، و لما جاء في ختام السابقة انه تعالى عالم الغيب بالايات و لايعلمها الّا من ارتضاه اتبعها هذه السورة بقوله : « يا ايها المزمل » إعلاماً بانه تعالى إرتضى محمداً رسوله صلى الله عليه و آله و سلم بذلك وخصّه بتلك الخصائص ...

رابعها: انه لما جاء في السورة السابقة ذكر لتعظيم القرآن و بيان تعجب الجن منه و اشتياقهم إليه و ايمانهم به ، و تهديد مكذبيه ، و بيان بعض حوادث أول بعثة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم جاء في سورة « المزمل » بيان لعظمة القرآن و أمر

الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بتلاوته وترتيله و تهديد مكذبي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و كتابه وإشارة إلى حال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أوائل نزول الوحي إليه فابتدأها بخطاب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بصفة كانت له في بدء نزول الوحي إليه تلطفاً و ايناساً ، فقال : « يا أيها المزمل » .

و أما الثالثة : فلما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم على ماكان عليه من التزمل بقيام الليل لنافلته و خيّره فيه في أوقات ثلاثة لكلفة تحفّظ الوقت المخصوص منها ، و بتلاوة القرآن مرتلاً أخبره بانه يلقى عليه قولاً ثقيلا إذ قال : « انا سنلقي عليك قولاً ثقيلا » فكأن الامرين السابقين كانا لتمهيد نفس النبي صلى الله عليه وآله وسلم لتلقي هذا القول الثقيل ، و من هنا يعلم ان المقدمة كذيها لاتخلو من مشقة ثم أشار إلى حكمة هذا الامر العسير بقوله : « ان ناشئة الليل ... » : ٦) .

ان الله تعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بوظيفته الليلية أخذ بذكر وظيفته النهارية من طلب المعاش أو دعوة الناس إلى الله تعالى مع الامر بمداومة الذكر في كل حال و الاخلاص له جل و علا ، و الانقطاع التام عما سواه و التوكل على الله تعالى ، و الصبر على ما يرميه الاعداء مع المداراة و ترك المكافأة ، ثم أمره صلى الله عليه وآله وسلم بتهديدهم على ماهم من التكذيب و الشرك و الطغيان ، و من ايذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالعذاب في الدنيا و الاخرة و ما لهم في الاخرة من الطعام ، و مالها من الاهوال... بتبدل مشاهد الكون و نواميسه ... بقوله تعالى : « ان لك في النهار سبحاً طويلاً ـ إلى ـ و كانت الجبال كثيباً مهيلاً » ٧ ـ ١٤) .

فكأن ذكر يوم القيامة و أهوالها تمهيد لذكر ماهو الغرض من رسالة النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلى قومه خاصة ، و الى الناس كافة على طريق التعظيم والتأكيد لمهمة عظمى اذ بذكر أهوال القيامة كثيراً ما تنفعل النفوس فتنقلب عما كانت عليه من الكفر و الطغيان ، مستشهداً على عذاب المكذبين في الدنيا بقصة فرعون إذ كذّب موسى عليه السلام و عصاه فأخذه الله تعالى أخذاً شديداً ، ثم أعاد الكلام إلى يوم القيامة و أهواله و حتمية وقوعه مع تحريصهم بالايمان و التقوى و تخويفهم بعذاب الاخرة و أبان لهم بان أهوالها بلغت حداً تشيب من تلك الاهوال الولدان

من قوله‌تعالى : «انا أرسلنا إليكم رسولاً - إلى - فمن شاء اتخذ إلى ربه‌سبيلا»: ١٥ - ١٩) ثم اخذ بذكر ما يلتقى ختام السورة ببدئها من أمر النبى صلى الله عليه وآله وسلم بقيام الليل، و تلاوة القرآن، و ذكر الله تعالى و التوكل عليه جل وعلا، و قدامتثل النبى صلى الله عليه وآله وسلم فعمّم الله‌تعالى ذلك لئلايتوهم بان قيام الليل و تاليه كان من وظائف خاصة بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم دون امته فعليهم بالتأسى، و إن كان غير مفروض عليهم كما كان طائفة من المؤمنين يقومون مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع الاشارة إلى العلل الاربع لعدم فرض القيام عليهم ثم حثهم على تلاوة القرآن كل حسب وسعه، ثم أمرهم باقام الصلاة المفروضة، و ايتاء الزكاة المالية الواجبة، ثم حثهم على الانفاق فى وجوه البر و رفع حاجة المحتاجين، و على صالح الاعمال، والاستغفار إذ لا يخلو انسان من تفريط و ان الله تعالى غفور رحيم.

﴿الناسخ و المنسوخ و المحكم والمتشابه﴾

و لقد اختلفت أقاويل العامة في نسخ بعض آيات هذه السورة إختلافاً كثيراً لاتبتني على دليل ولابرهان :

قيل : ان قوله تعالى : « قم الليل » منسوخ بقوله تعالى : « الّا قليلا » و قولـه « قليلا » منسوخ بقوله : « نصفه » و قوله : « نصفه » منسوخ بقوله : « أو انقص منه »

أقول: و من التحقيق ان الاستثناء والبيان يغايران النسخ .

وعن إبن كيسان و مقاتل في قوله تعالى : « قم الليل الّا قليلا الخ »: كان هذا قبل فرض الصلوات الخمس ثم نسخ بالخمس . وعن الحسن وعكرمة: ان الاية الاخيرة من هذه السورة نسخت الاية الاولى منها .

وفي المجمع: قال الطبرسي رضوان الله تعالى عليه : « و ليس في ظاهر الايات ما يقتضي النسخ ، فالاولى أن يكون الكلام على ظاهره فيكون القيام بالليل سنة مؤكدة مرغباً فيه و ليس بفرض »

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن للقرطبي : قال القشيري أبو نصر : و المشهور ان نسخ قيام الليل كان في حق الامة ، وبقيت الفريضة في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، و قيل : نسخ التقدير بمقدار و بقي أصل الوجوب كقوله تعالى : « فما استيسر من الهدى » فالهدى لابدمنه كذلك لم يكن بد من صلاة الليل، و لكن فوّض قدره إلى إختيار المصلي و على هذا فقد قال قوم : فرض قيام الليل بالقليل باق ، و هو مذهب الحسن و قال قوم : نسخ بالكلية فلا تجب صلاة الليل أصلاً ، و هو مذهب

الشافعي ، و لعل الفريضة التي بقيت في حق النبي ﷺ هي هذا وهو قيامه ومقداره مفوض إلى خيرته - إلى أن قال - : و قيل : وقع النسخ بقوله تعالى : « و من الليل فتهجد به نافلة لك » و الخطاب للنبي ﷺ و للامة كما ان فرضية الصلاة و إن خوطب بها النبي ﷺ في قوله تعالى : « يا أيها المزمل قم الليل » كانت عامة له ولغيره .

وفيه: و قد قيل : ان فريضة الليل إمتدت إلى ما بعد الهجرة و نسخت بالمدينة لقوله تعالى : « علم أن سيكون منكم مرضى ... » و إنما فرض القتال بالمدينة ، فعلى هذا بيان المواقيت جرى بمكة ، فقيام الليل نسخ بقوله تعالى : « و من الليل فتهجد به نافلة لك » .

وفيه: قال القرطبي : اختلف العلماء في الناسخ للامر بقيام الليل فعن ابن عباس و عائشة : ان الناسخ للامر بقيام الليل قوله تعالى : « ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل » إلى آخر السورة . و قيل : قوله تعالى : «علم ان لن تحصوه »

و عن إبن عباس أيضاً : هو منسوخ بقوله تعالى : « علم أن سيكون منكم مرضى » و عن عائشة أيضاً و الشافعي و مقاتل و ابن كيسان : هو منسوخ بالصلوات الخمس ، و قيل : الناسخ لذلك قوله تعالى : « فاقرؤا ما تيسر منه » قال أبو عبدالرحمن السلمي : لما نزلت « يا أيها المزمل » قاموا حتى و رمت أقدامهم و سوقهم ثم نزل قوله تعالى : « فاقرؤا ماتيسّر منه » قال بعض العلماء : و هو فرض نسخ به فرض كان على النبي ﷺ خاصة لفضله كما قال تعالى : « ومن الليل فتهجد به نافلة لك » .

قال القرطبي : قلت : القول الاول يعمّ جميع هذه الاقوال و قد قال تعالى « و أقيموا الصلاة » فدخل فيها قول من قال : ان الناسخ الصلوات الخمس...

أقول: و كل ذلك مردود بقوله تعالى: « و طائفة من الذين معك » إذلو كان قيام الليل فرضاً على المؤمنين لكان الذين يتركونه آثمين غير مؤمنين .

و قوله تعالى : « فاقرؤا ما تيسر من القرآن » بصدد التخفيف بماتيسّر من القرآن من غير نسخ لاصل الحكم السابق بالمنع عن قيام ثلثى الليل أو نصفه أو ثلثه، ولازم ذلك التوسعة فى التكليف بقيام الليل من حيث المقدار حتى يسع لعامة المكلفين الشاق عليهم إحصاءه دون النسخ بمعنى كون قيام الثلث أو النصف أو الادنى من الثلثين لمن استطاع ذلك بدعة محرمة ، وذلك ان الاحصاء المذكور انما لايتيسّر لمجموع المكلفين لالجميعهم ، ولم يتيسّر لاحدهم لم يشرّع من أصله و لايكلف الله نفساً الا وسعها .

على أنه تعالى يصدّق لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم وطائفة من الذين معه قيام الثلث والنصف والادنى من الثلثين ، وينسب عدم التمكن من الاحصاء إلى الجميع وهم لامحالة هم القائمون و غيرهم ، فالحكم انما كان شاقاً على المجموع من حيث المجموع دون كل واحد فوسّع فى التكليف بقوله تعالى : « فاقرؤا ما تيسر من القرآن » وسهّل الامر بالتخفيف ليكون لعامة المكلفين فيه نصيب مع بقاء الاصل المشتمل عليه صدر الصورة على حاله لمن تمكّن من الاحصاء و أراده و الحكم إستحبابى باق على أصله .

و ما ورد عن الامام أبى جعفر عليه السلام بعد الغض عن راويه أبى الجارود فلعل المراد بالنسخ هو البيان و رفع الابهام كما هو الظاهر من سياق الايات الكريمة و الرواية دون النسخ المصطلح ، و كثيراً ما ورد بهذا المعنى فى كلام أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقيل: ان قوله تعالى : « انا سنلقى عليك قولاً ثقيلا » منسوخ بقوله تعالى: « يريد الله أن يخفف عنكم » النساء : ٢٨)

أقول: و لايخفى ان الثقل فى الآية الاولى إما بالنظر إلى الكفار ،فقد وقع الاسلام عليهم ثقيلاً ، و إما بالنظر إلى ثقل الوحى حيث كان النبى صلى الله عليه وآله وسلم يتغير لونه ، و يتعرّق عند نزول الوحى السماوى ، أو إلى ثقل التكليف ، فان التكليف، مهما بولغ فى تخفيفه فهو ثقيل بظاهره ، و أما التخفيف فى الآية الثانية

فهو تخفيف فی أصل التشريع الذی كان منذ البدء ، فان هذا الدين سهل سمح ، فلا تنافی بين الآيتين فی شیء ، فلا نسخ .

وقيل: قوله تعالی : « و اصبر علی ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً » منسوخ بآية القتال .

وفی تفسير الطبری : عن قتادة قوله : « واصبر علی ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً » براءة نسخت ما ههنا أمر بقتالهم حتی يشهدوا « أن لا اله الّا الله وان محمداً رسول الله » لا يقبل منهم غيرها .

وفی المجمع : قال الزجاج : هذا يدل علی أنه نزل قبل الامر بالقتال . و قيل : بل هو أمر بالتلطف فی إستدعائهم ، فيجب مع القتال ولا نسخ ، و فی هذا دلالة علی وجوب الصبر علی الأذی لمن يدعو إلی الدين والمعاشرة بأحسن الاخلاق و إستعمال الرفق ليكونوا أقرب إلی الاجابة . انتهی كلامه .

أقول: وما يظهر من السياق: ان النبی الكريم صلی الله عليه وآله وسلم أمر بان يعامل المعاندين بحسن الاخلاق و الدعوة إلی الحق بالمناصحة و المداراة كما هی من شيمة الانبياء والمرسلين عليهم السلام و أن لا يواجه قولهم بما فی وسعه من المقابلة بالمثل ، فلا تدافع بين الآية و آية القتال ، فلا وجه لقول من قال : انها منسوخة بها ، و لا ضرورة إلی إلتزام النسخ فی أمثال هذه الاية .

قيل : ان قوله تعالی : « و ذرنی و المكذبين اولی النعمة و مهلهم قليلا » منسوخ بآية السيف .

أقول: و من غير خفی ان الاية بصدد تهديد الاغنياء المكذبين ، و وعيد شديد للفجار المترفين وأين هذا من النسخ ، و قد تقدم بعض الكلام فی سورة « القلم » فراجع .

وقيل: ان قوله تعالی : « ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلی ربه سبيلا » منسوخ بقوله تعالی : « و ما تشاؤن إلّا أن يشاء الله » الانسان : ٣٠) .

أقول: ان الآيتين متعاقبتان فی سورة الانسان ، و معنی الاية الاولی هو

نفى الاكراه فى الدين عقيدة و إخلاصاً بعد وضوح الحق كماقال الله تعالى : « لا إكراه فى الدين قدتبين الرشد من الغى » البقرة : ٢٥٦)

والاية الثانية إخبار عن عدم ايمانهم ، و هذا لايصلح أن يكون ناسخاً ، و المعنى : انكم باختيار كم لاتؤمنون البتة إلّا إذا أكرهنا كم على الايمان جبراً.

و أما التشابه فلم أجد كلاماً يدل على ان فى هذه السورة متشابهاً فآياتها محكمات . . . والله تعالى هو أعلم .

﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١ - (يا ايها المزمل)

فى توصيف النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بصفة التزمل و معناه أقوال : ١ - عن قتادة و ابراهيم و الكلبى : أى يا ايها الملتف بالثياب تأهّب للصلاة و العبادة. و ذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتزمل فى ثيابه أوّل ما جاء به جبرئيل عليه السلام فرقاً منه ، فكان يقول : زملونى زملونى حتى أنس به . من تزمل بالثوب : تلفف به اذا تغطّى ، و كان هذا فى ابتداء ما أوحى إليه ، فانه لما سمع قول الملك، ونظر إليه أخذته الرعدة فأتى أهله فقال : زملونى زملونى . و المعنى : يامن تلفف فى ثيابه أو فى قطيفته قم . و هذا هو الحقيقة .

٢ - عن إبن عباس : أى يا أيها المتحمل بالقرآن .

٣ - قيل : خرج النبى صلى الله عليه وآله وسلم يوماً من البيت ، وقد لبس ثيابه ، فناداه جبرئيل يا أيها المزمل .

٤ - عن عكرمة : أى يا أيها الملتف بأمر الرسالة و حامل النبوة من زمل الشىء إذا حمله . و المعنى : يا من زمّلت و حملت هذا الامر فقم به و احمله فانه أمر عظيم ، وانك المتزمل بعباءة النبوة و المتحمل لاثقال الرسالة و الملتزم لها. و قيل : انما خاطبه صلى الله عليه وآله وسلم بالمزمل والمدثر فى أوّل الامر لانه لم يكن بعد إذ ذّر شيئاً من تبليغ الرسالة ، و هذا على سبيل المجاز . قيل : و هذا جائز إذا كانت الميم مفتوحة على صيغة « المزمل » إسم المفعول، و هو إسم فاعل ، فالحمل على المجاز باطل .

٥ ـ عن السدى : أى يا أيها النائم . إذ كان رسول الله ﷺ قد نام وهو متزمل فى ثوبه ، فنودى : يا أيها المزمل .

٦ ـ قيل : أى يا أيها المزمل جسمك بالثياب ، و نفسك باختيارك غار حراء .

٧ ـ عن الضحاك : ان رسول الله ﷺ قد قوبل فى بدء دعوته بالهزء و السخرية و الايذاء ، و نسبة الكهانة و الجنون و الشعر و الكذب إليه ، فاغتم من الله تعالى ، فتزمّل بثوب لينام دفعاً للهمّ . فخوطب : يا أيها المزمل .

٨ ـ عن إبن عباس أيضاً : أول ماجاء النبى ﷺ جبرائيل عليه السلام خافه، فظن أن به مساً من الجن فرجع من الجبل مرتعداً وقال: زملونى فبيناهو كذلك إذجاءه الملك وناداه : يا أيها المزمل .

وقيل لماتلقى النبى ﷺ أمر ربه بانه رسول الله ﷺ فى قوله : « اقرأ باسم ربك» الخ. واستقبل هذه الدعوة إستقبال الانسان لأمر غريب يقع له مما لم تألفه حياته وقع فى شىء من الخوف و الفزع لهذا الحدث و الامر الجديد ولايدرى عواقبه فزع وعاد نفسه إلى أهله يرجف فؤاده و يقول : زملونى زملونى خوفاً منه لهيبة الوحى و ثقله .

أقول: و على اول أكثر المفسرين .

٢ ـ (قم الليل الا قليلاً)

فى وجوب القيام لنافلة الليل على النبى الكريم ﷺ و على امته وعلى الانبياء السابقين عليهم السلام وعدمه أقوال :

١ ـ عن سعيدبن جبير انه قال : كان قيام الليل لنافلته فرضاً و حتماً على نبينا ﷺ خاصة دون امته لتوجه الخطاب عليه خاصة .

٢ ـ عن إبن عباس انه قال : كان قيام الليل فرضاً على النبى ﷺ و على الانبياء عليهم السلام قبله .

٣ ـ عن إبن عباس أيضاً و قتادة والحسن و أبى عبدالرحمن و عائشة : كان

قيام الليل فرضاً على النبى صلى الله عليه وآله وسلم والذين آمنوا به فقام هو صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه نحواً من قيامهم فى رمضان حولاً حتى أنزل الله تعالى بعد سنة آخر هذه السورة تخفيفاً فصار قيام الليل تطوعاً بعد كونه فرضاً عليه صلى الله عليه وآله وسلم و على المؤمنين .

و قال بعض العامة: و الاخير هو الصواب لان الندب والحض لايقع على بعض الليل دون بعض لان قيامه ليس مخصوصاً به وقتاً دون وقت .

و عن سعيدبن جبير أيضاً انه قال : مكث النبى صلى الله عليه وآله وسلم و أصحابه عشر سنين يقومون الليل فنزل آخر السورة بعد عشر سنين : « ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل » فخفف الله عنهم .

وفى تفسير الطبرى: عن عائشة قالت كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حصيراً يصلى عليه من الليل ، فتسامع به الناس فاجتمعوا ، فخرج كالمغضب و كان بهم رحيماً ، فخشى أن يكتب عليهم قيام الليل ، فقال : يا أيها الناس اكلفوا من الاعمال ما تطيقون فان الله لايمل من الثواب حتى تملوا من العمل ، و خير الاعمال مادمتم عليه ، و نزل القرآن : « يا أيها المزمل قم الليل الّا قليلا نصفه أو انقص منه قليلاً أوزد عليه » حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق ، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر . فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردّهم إلى الفريضة و ترك قيام الليل .

أقول: و ليس لنا دليل قاطع على فرض القيام لنافلة الليل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما يظهر ذلك من الرواية الآتية . و ما ورد فى تفسير الطبرى عن عائشة فهو مرمية بالوضع فانها لم تولد عند نزول السورة فضلاً عن كونها زوجة النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

و فى « قليلاً » أقوال : ١ ـ قيل : أى صلّ الليل كله إلّا يسيراً منه لان قيام جميعه على الدوام غير ممكن ، فاستثنى من الليل القليل لراحة الجسد ، و القليل من الشيء مادون النصف .

٢ ـ عن مقاتل والكلبى : اريد بالقليل الثلث .

٣ ـ قيل : القليل : هو مادون المعشار والسدس .

٤ ـ قيل : ان المعنى : قم أقل من نصف الليل على ان « قليلا » بدل من « نصفه » .

أقول: و يمكن أن يكون الثاني هو المستفاد من قوله تعالى : « ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل و نصفه و ثلثه » المزمل : ٢٠) على أن أكثر المقادير المفروضة هو الثلثان كما أن أقل الفرض هو الثلث . فمعنى الاية: قم الثلثين من الليل .

٣ ـ (نصفه أو انقص منه قليلاً)

في « نصفه » أقوال : ١ ـ قيل: ان « نصفه » بدل من « الليل الّا قليلا » المتعلق به تكليف القيام ، والمعنى : قم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم نصف الليل .

٢ ـ قيل : انه بدل من « قليلا » والمعنى : قم الليل الّا نصفه ، على أن جملة البدل تكون رافعاً لابهام المستثنى بالمطابقة ، ولابهام المستثنى منه بالالتزام عكس الوجه السابق .

٣ ـ قيل: انه بدل من « الليل » لكن المراد بالقليل القليل من الليالي دون القليل من أجزاء الليل ، و المعنى : قم نصف الليل إلّا قليلا من الليالي و هي ليالي العذر لمرض أو سفر أو قتال أو غلبة نوم و ما إليها من الاعذار .

أقول: و على الاول اكثر المفسرين و إن كان الثاني قريباً منه في النتيجة و لكن الاول هو أسبق إلى الذهن لان الحاجة إلى رفع الابهام عن متعلق الحكم أقدم من الحاجة إلى رفع الابهام عن توابعه و ملحقاته ، فكون « نصفه » بدلاً من الليل و لازمه رفع ابهام متعلق التكليف بالمطابقة أسبق إلى الذهن من كونه بدلاً من « قليلاً » .

٤ ـ (أو زد عليه و رتل القرآن ترتيلا)

في « رتل القرآن ترتيلاً » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس والحسن وقتادة :أي إقرأ القرآن قرائة بينة ، و بيّنه بياناً و ثبّته فيه تثبيتاً ، و اقرأه على هينتك

ثلاث آيات و أربعاً و خمساً ، فلا تعجل بقراءة القرآن . و قال الزجاج :والبيان لايتمّ بان تعجل فى القرآن انما يتم بان تبين جميع الحروف و توفى حقها من الاشباع . و قال أبو حمزة : قلت لابن عباس : انى رجل فى قراءتى و فى كلامى عجلة ، فقال إبن عباس لأن أقرأ البقرة ارتلها أحب إلىّ من اقرأالقرآن كله .

و قيل : إقرأه فى مهل و بيان مع تدبر المعانى ، و التدبر فى لطائف خطابه و طالب نفسك بالقيام باحكامه، وقلبك بفهم معانيه وسرك بالاقبال عليه ، وهو القراءة فى تمهل و تتابع بحيث تتابع الحروف والكلمات ، فيأخذ كل حرف مكانه على الفم من كل كلمة كما تأخذ الكلمة مكانها من كل آية حتى ينتظم منها جميعها موكب متحرك فى نظام أشبه بنظام حيات الدر فى عقدها .

٢ ـ قيل : أى أحسن قراءة القرآن حسناً بتؤدة و تبيين ، و الترتيل : هو التنضيد و التنسيق وحسن النظام . من ترتل الانسان اذا استوت و حسن نظامها و يقال : ثغر رتل اذا كانت أسنانه مستوية لاتفاوت فيها و لا تغيير لفظاً ، و لاتقدم مؤخراً .

٣ ـ عن الضحاك : اى إقرأه حرفاً حرفاً .

٤ ـ قيل : ان المراد بالترتيل : هو ايجاب قراءة القرآن دون الصلاة .

٥ ـ قيل : ان المراد بترتيل القرآن ترتيله فى الصلاة .

٦ ـ قيل: اريد بالترتيل الصلاة نفسها ، والتعبير عن الصلاة كالتعبير فى قوله تعالى : «أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً » الاسراء : ٧٨)

٧ ـ عن مجاهد : أى إذا قرأت القرآن رتل بعضه على أثر بعض و ترسل فيه ترسلاً .

٨ ـ عن قطرب : أى ضعّف وليّن ، و المراد بهذا تحزين القرآن أى اقرأه بصوت حزين

۹ ـ قيل : ان الغرض من ترتيل القران انما هو حضور القلب عند القراءة لامجرد إخراج الحروف من الحلقوم بتعويج الوجه والفم وألحان الغناء كما يعتاده قراء هذا الزمان من أهل مصر وغيرها في مكة المكرمة وغيرها بل هو بدعة أحدثها البطالون الأكالون و الحمقى الجاهلون بالشرائع وأدلتها الصادقة ، و ليس هذا بأول قارورة كسرت في الاسلام .

أقول: والاول هو المستفاد من الروايات الآتية من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً .

۵ ـ (انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً)

في « قولاً ثقيلا » أقوال : ۱ ـ عن قتادة و الحسن : أى يثقل العمل بشرائع القرآن و فرائضه و حدوده وتكاليفه إلّا على الخاشعين .

وفي المجمع: أى سنوحى عليك قولاً يثقل عليك و على امتك ، أما ثقله عليه فلما فيه من تبليغ الرسالة وما يلحقه من الاذى فيه و ما يلزمه من قيام الليل و مجاهدة النفس و ترك الراحة والدعة، و أماثقله على امته فلمافيه من الامر والنهى والحدود و هذا معنى قول قتادة ومقاتل والحسن .

وفي الفرائد الغوالي على شواهد الامالي للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه : « وقيل : ثقيلا عليك وعلى امتك وعلى الكفار ، أما ثقله عليه صلى الله عليه وآله فلمافيه من تبليغ الرسالة وما يلحقه من الاذى فيه وما يلزمه من قيام الليل و مجاهدة النفس و ترك الراحة و الدعة ، و أما ثقله على امته فلما فيه من الامر والنهى و الحدود ، و أما على الكفار فلمافيه من الكشف عن جهلهم وضلالهم وسفه أحلامهم و قبح أفعالهم .

۲ ـ عن إبن زيد : أى ثقيل مبارك محمله ، ثقل في الدنيا يثقل في الموازين يوم القيامة كما قال الله تعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات و الارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها و حملها الانسان » الاحزاب : ۷۲)

۳ ـ قيل : اريد بالقول الثقيل : القرآن نفسه لمافيه من الاوامر و النواهي

التى ثقل على النفوس الشاكة ، و إن كانت خفيفة و سهلة على النفوس المطمئنة و ثقيل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار ثقل تبليغها ، و ثقيل على بعض النفوس كثقل الصوم و الصلاة و الزكاة و اتيان الحج والجهاد على بعض الناس لثقل المجاهدة على النفس .

٤ ـ عن الحسن : أى قولاً ثقيلاً فى الميزان يوم القيامة ، فله شأن عظيم و وزن كبير .

٥ ـ قيل : أى كلام له وزن ورجحان وموقع لانه حكمة و بيان وليس مالا يعبأ به كما يقال للرجل العاقل : رزين راجح .

٦ ـ قيل : أى ثقيل نزولـه علـى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما كان صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه الوحى كان يتغير حاله و يرفض من جبينه العرق بحيث كان يعرق فى اليوم الثانى . و ذلك ان الوحى إذا نزل علـى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و هو على ناقته وضعت جرانها ـ أى صدرها ـ على الارض فما تستطيع ان تتحرك حتى يسرى عليه .

٧ ـ عن مجاهد وأبى العالية : أى قولاً ثقيلا لما فيه من الوعد و الوعيد ، و من البشارة والانذار ، ومن الحدود والفرائض ، ومن الاحكام والاوامر والنواهى ، و من الحلال والحرام .

٨ ـ قيل : أى كلاماً عظيماً جليلاً ذا خطر ، وعظمة لانه كلام رب العالمين و كل شىء له خطر و مقداره فهو ثقيل : والمعنى : فصر نفسك و اجعلها مستعدة لقبول هذا القول العظيم الثقيل الفاق ، و ممهدة لقبول الفيض الاعظم الالهى . و قيل : أى قولاً عظيم الشأن متين رصين كما يقال :هذا كلام رصين ، وهذا كلام له وزن إذا كان واقعاً موقعه فى الحكمة و البيان .

و المراد هو الحى الذى أنزله الله تعالى على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعله ثقيلاً من جهة عظم قدره و جلالة خطره إذ كل شىء نفيس و علق خطير فهو ثقل وثقيل و ثاقل ، و ليس معناه الثقيل الـذى يستثقله الناس فيتبرمون به .

٩ - عن محمد بن كعب وأبي علي الفارسي : أي قولاً ثقيلاً على المنافقين لانه يبين عيوبهم ويظهر نفاقهم ويهتك أستارهم ...

١٠ - قيل : أي خفيف على اللسان بالتلاوة ، و ثقيل في الميزان بالثواب والعقاب يوم القيامة . وقيل : ثقيل في الميزان يوم القيامة حقيقة أو مجازاً بمعنى كثرة الثواب عليه .

١١ - قيل أي قولاً ثقيلاً لمافيه محكم متشابه ، و ناسخ ومنسوخ .

١٢ - قيل : أي قولاً شديداً لما فيه من التكاليف .

١٣ - قيل : أي قولاً ثقيلا على الكافرين والفجار لمافيه من الاحتجاج عليهم والبيان لضلالهم ، والسب لآلهتهم، والسفه لأحلامهم والخطر لمراكزهم ومصالحهم، والتقريع لمافي قلوبهم من المرض والعداوة والعناد والحقد والحسد، والكشف عما حرّفوه ، و قبح أفعالهم ...

١٤ - عن السدي : أي قولاً كريماً . فالثقيل بمعنى الكريم ، مأخوذ من قولهم: فلان ثقيل عليّ أي يكرم عليّ .

١٥ - عن الفراء : أي قولاً رزيناً ليس خفيفاً لانه كلام ربنا جلت عظمته ، فليس بسفساف لان السفساف من الكلام يكون خفيفاً .

١٦ - عن الحسين بن الفضل : أي ثقيلاً لايحمله إلّا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزينة بالتوحيد .

١٧ - قيل : أي ثقيلا على المتأمل فيه ، و عسيراً على المتدبر فيه لافتقاره إلى مزيد تصفية للسرّ وتجريد للنظر كما يقول بعض المتعلمين ، و يستعذرون بان القرآن المجيد ظنية الدلالة لانفهم هدفه ولانعلم غرضه ، فكأن القرآن كان لمحمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام كتاب عمل ولنا كتاب تقبيل، وتوهموا ان قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من فسّر القرآن برأيه » يشمل لكل من فسّر القرآن ولو بنفس القرآن و بالروايات الصحيحة ... كل ذلك فراراً من الفحص والتدبر حول القرآن.. وهذا مما وقع على ألسنة هؤلاء المتعلمين من أعداء الاسلام حتى يصدّوهم عن التدبر والتأمل

فى القرآن الكريم ، و مباحثه الاجتماعية و السياسية و الجزائية و الاقتصادية و الاخلاقية ...

و هذا إحدى وسائل الاستحمار للمستعمرين ، إحدى وسائل التحميق للمستبدين و إحدى وسائل الاستثمار للمستثمرين وخاصة الممالك الاسلامية ... نفذت حتى فى هؤلاء الاشباه ... نعم انه ثقيل فى إدراك معانيه واحضارها جداً على الكسالى والبطالين ...

١٨ ـ قيل : أى قولاً راجحاً على ماعداه لفظاً ومعنى، ومن شأن الراجح أن يكون ثقيلا . وقيل : أى ثابتاً كثبوت الثقيل فى محله ، والمعنى انه ثابت الاعجاز لايزول إعجازه أبداً . وقيل : لانه باق على وجه الدهر لان الثقيل من شأنه أن لايزول عن حيّزه ، وأن يثبت فى مكانه .

١٩ ـ قيل : أى ثقيلا فى كثرة ثواب قرائته لقارئه .

٢٠ ـ قيل : أى إلقاءاً ثقيلا على حذف الموصوف .

٢١ ـ قيل : أى قولاً ثقيلا باعتبار ثقل حروفه فى اللوح المحفوظ .

٢٢ ـ قيل : أى قولاً ثقيلا فى الوحى والنزول على النبى الكريم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، و ثقيلا فى التكليف على الكفار و المنافقين إذ يغيظهم بما فيه ، و ثقيلا من حيث المتانة والبلاغة و ثقيلا فى كونه دائم الذكر ، و منقطعاً عما سوى الله تعالى ، و هجر الناس و التوكل عليه ، و الصبر على الاذى و ايكال الامر إلى الله تعالى .

٢٣ ـ قيل : أى قولاً مهيباً لما فيه من الزواجر والمواعيد .

٢٤ ـ قيل : أى سنلقى عليك بافتراض صلاة الليل قولاً ثقيلا يثقل حمله لان الليل للمنام فمن أمر بقيام أكثره لم يتهيّأ له ذلك بحمل شديد على النفس و مجاهدة الشيطان فهو أمر يثقل على العبد . فالكلام متصل بما فرض من قيام الليل .

أقول: و لكل وجه ولكن الاوجه و الانسب بظاهر السياق هو الثامن من الاقوال فتدبر جيداً .

٦ - (ان ناشئة الليل هى أشد و طأ و أقوم قيلاً)

فى « ناشئة الليل »أقوال : ١ - عن إبن عباس و إبن مسعود ومجاهدوسعيدبن جبير و إبن زيد وأبن ميسرة و إبن أبى نجيح : أى ساعات الليل إذ كل ساعة من ساعاته ناشئة من الليل . و منه قوله تعالى : « أو ينشأ فى الحلية وهوفى الخصام غير مبين » .

و قال إبن عباس : ناشئة الليل بلسان الحبشة : إذا قام الرجل من الليل ، قالوا : نشأ و يقال : نشأ الليل : قام فى الليل . فالمراد بناشئة الليل : قيام الليل .

والنفس الناشئة : القائمة بالليل التى تنشأ من مضجعها إلى العبادةأى تنهض وترتفع ، من نشأت السحاب اذا ارتفعت ، و نشأ من مكانه اذا نهض ، فالناشئة : القيام بعد النوم ، و القيام عن المضجع للعبادة فى الليل . و يقولون :انما الناشئة: القيام بعدالنوم ، ومن قام أول الليل قبل النوم فما قام ناشئة .

و عن يمان و إبن كيسان : الناشئة هى القيام فى آخر الليل .وقال إبن عباس أيضاً : كانت صلاتهم أول الليل ، و ذلك ان الانسان اذا نام لايدرى متى يستيقظ ، و التقدير : ان ساعات الليل الناشئة .

٢ - عن إبن عباس ومجاهد أيضاً وعكرمة والضحاك : هى ساعات الليل كلها لانها تحدث واحدة بعد اخرى ، فناشئة الليل : أوقاته وساعاته كلها لان أوقاته تنشأ أولاً فاولاً ، يقال : نشأ الشىء ينشأ إذا ابتدأ و أقبل شيئاً بعدشىء ، فهو ناشىء ، و لانه ينشأ بعد النهار . و قال القتبى : انه ساعات الليل لانها تنشأ ساعة بعد ساعة .

٣ - عن قتادة : ناشئة الليل : هى الساعة مابعد العشاء الاخرة .

٤ - عن الحسن ومجاهد: هى مابعد العشاء الاخرة إلى الصبح . وقال الحسن أيضاً : ما كان بعد العشاء فهو ناشئة . و قال مجاهد : كل شىء بعد العشاء فهو ناشئة .

٥ ـ عن عطاء وعكرمة ، ناشئة الليل: هى بدء الليل وأوله ، حيث يبدأ فيها نشوء الليل . وقال بعض المفسرين : و هى التى يتحقق بها مادعى إليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم من قيام الليل إلّا قليلا منه ،فانه لو نام الانسان أول الليل فهيهات أن ينضبط الوقت يستيقظ فيه ، ومن ثمّ فقد لا يقوم شيئاً من الليل فضلاً عن أن يقوم الليل كله الّا قليلا منه .

٦ ـ عن إبن عمر و أنس بن مالك : ناشئة الليل : هى ما بين المغرب و العشاء تمسكاً بان لفظ نشأ يعطى الابتداء فكان بالاولية أحق . وقال بعض المفسرين: الناشئة هى الساعات الاولى من الليل لما ورد عن على بن الحسين عليه السلام انه كان يصلى بين المغرب والعشاء و يقول : أما سمعتم قول الله تعالى : « ان ناشئة الليل » هذه ناشئة الليل .

و قال بعضهم : فناشئة الليل هى العبادة التى تنشأ بعد العشاء نشوء النور فى الظلام ، فالعبادة التى هى وليدة الليل و ناشئته تفضل على عبادة النهار من حيث الوطء والقيل .

٧ ـ عن مجاهد أيضاً : ناشئة الليل : هى ساعات التهجد من الليل .

٨ ـ قال بعض أصحاب التأويل : ناشئة الليل : هى الواردات الروحانية و الخواطر النورانية، و الانفعالات النفسانية للابتهاج بعالم القدس ، بعالم النور، بعالم الملكوت ، وبعالم الجبروت بسبب نافلة الليل والقيام فيه للذكر والتسبيح و العبادة ، و فراغ النفس من الشواغل الحسية التى تكون بالنهار .

أقول: والسابع هو المؤيد بالروايات الآتية من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

وفى « أشد وطأ » أقوال : ١ ـ قيل : أى أشد ثبات قدم و أبعد من الزلل، و أثقل على النفس ، و أشق على القائم ، واغلظ على المصلى من صلاة النهار وذلك لان العمل بالليل أثبت منه بالنهار ، فان الانسان يخلو فى الليل بما يعمله، فيكون ذلك أثبت للعمل و أنفى لما يلهى و يشغل القلب . والوطأ : الثبات تقول : وطئت

الارض بقدمي .

و قال الاخفش أي أشد قياماً و وقعاً في النفس و القبول لخلوه عما يعرض كثيراً على العمل النهاري .

٢ - عن قتاده : أي أثبت في الخير ، و احفظ من الحفظ ، فقيام الليل للصلاة وقراءة القرآن والذكر والتسبيح أثبت منها في النهار ، لان العمل في الليل يواطيء القلوب والابصار والسمع مالا يواطيء في النهار .

٣ - قيل : أي أجمع للخاطر في أداء القراءة و تفهمها ، وهو أفرغ للقلب من النهار وأصوب و أثبت قراءة لحضور القلب و هدو الاصوات ، قال الفراء : أثبت قراءة و قياماً .

٤ - قيل : ناشئة الليل هي خاصة دون ناشئة النهار أشد مواطأة يوافق القلب اللسان ، والسرّ العلانية أشد موافقة بين القلب والبصر والسمع لمن أراد الخشوع و الاخلاص لانقطاع رؤية الخلائق و انقطاع الاصوات و الحركات ، و أكثر موافقة و ملائمة و ادعى إلى التنبيه و الاخلاص و تفريغ القلب و تصفية النفس و الذهن و السداد في القول أكثر من النهار بسبب ما في النهار من شواغل كثيرة . . .

و قال إبن عباس : اي يواطيء السمع القلب قال الله تعالى : « ليواطؤا عدة ما حرّم الله » أي ليوافقوا . وهذا على قراءة « وطا » بكسر الواو والمد من واطأ يواطيء بمعنى وافق .

٥ - قيل : أي ناشئة الليل أثقل على المصلي من ساعات النهار وأشق من قولهم . اشتدت على القوم وطأة سلطانهم أي ثقل عليهم ما حمّلهم في المؤن ، وذلك ان الليل وقت منام و تودّع و إجمام فمن شغله بالعبادة فقد تحمل المشقة العظيمة ، وهذا على قراءة : « وطأ » بفتح الواو وسكون الطاء مقصورة .

٦ - قيل : أي أشد مهاداً للتصرف في التفكر والتدبر .

٧ - عن الفراء : أي أثبت للعمل و أدوم لمن أراد الاستكثار من العبادة ، و

الليل وقت فراغ عن اشتغال المعاش ، فعبادته تدوم ولاتنقطع .

٨ ـ عن الكلبي : أي أشد نشاطاً للمصلي لانه في زمان راحته ، واخف وأثبت للقراءة ، وأشدمقالاً من صلاة النهار .

٩ ـ عن إبن زيد : أي أشد طمأنينة ، وأفرغ له قلباً و ذلك انه لا يعرض له حوائج واشتغال بشيء .

١٠ ـ عن الضحاك: أي قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار ، وأشدمواطأة بالليل منه بالنهار .

أقول: و على الرابع أكثر المفسرين وإن كان الاول غير بعيد .

وفي « أقوم قيلاً » أقوال : ١ ـ قيل : أي أشد إستقامة و إستمراراً على الصواب لان الاصوات هادئة و الدنيا ساكنة ، فلا يضطرب على المصلي ما يقرؤه ، فالقراءة بالليل أقوم منها بالنهار . و قال أبو علي : أي أشد إستقامة لفراغ البال بالليل .

٢ ـ عن قتادة ومجاهد وإبن زيد وأنس : أي أصوب للقراءة وأثبت للقول لفراغ البال لانه زمان التفهم ، ولانه زمان إنقطاع ما يشغل به القلب .

٣ ـ عن إبن شجرة : أي أعجل إجابة للدعاء .

٤ ـ عن عكرمة : أي عبادة الليل أتم نشاطاً ، و أتم إخلاصاً وأكثر بركة.

٥ ـ عن زيد بن أسلم وإبن عباس : أي أجدر أن يتفقه في القرآن .

٦ ـ عن قتادة : أي احفظ للقراءة .

٧ ـ عن إبن زيد أيضاً : أي أقوم قراءة لفراغه من الدنيا .

٨ ـ قيل : أي أشهد مقالاً وأثبت قراءة لهدوّ الاصوات وسكون الحركات، فلا يكون بين القراءة وبين تفهم معانيها حائل ولا مشوّش .

٩ ـ قيل :أي أن قيام الليل أكثر فائدة وأطيب ثمراً حيث يكون الانسان مغالباً لهواه ،قاهراً سلطان نفسه،ومستعلياً على حاجة جسده ، وتلك أحسن أحوال الانسان لتقبل الخير والافادة منه .

١٠ ـ قيل : أى أسدّ واقوم للمقال والتلاوة . .

أقول: ولكل وجه والأوجه هو الاول .

٧ ـ (ان لك فى النهار سبحاً طويلاً)

فى « سبحاً طويلاً » أقوال : ١ ـ عن قتادة و مبرد : أى متصرفاً و منقلباً فى مهماتك ، و ما تقتضى فيه حوائجك ، فلا تفرغ لخدمة الله تعالى إلّا بالليل .

والسبح : التوسعة و المرّ و السهل فى الشىء كالمرّ فى الماء ، و السبح فى عمل النهار هو المرّ فى العمل الذى يحتاج فيه إلى الضياء ، و أما عمل الليل فلا يحتاج فيه إلى ضياء التمكن ، ذلك لأن العمل كالفكر فى وجوه البرهان و تلاوة القرآن .

و معنى الاية : ان لك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم فى النهار مشاغل كثيرة من تبليغ الرسالة و دعوة الناس إلى الله تعالى و جدالهم بالتى هى أحسن ، و تعليم الفرائض و السنن و إصلاح المعيشة لنفسك و لعيالك . . . فلا تستطيع أن تفرغ بالك لنافلة الليل و تلاوة القرآن و التسبيح و الذكر لله تعالى . . . فعليك بالليل للتوجه التام إلى ربك و الانقطاع إليه بالصلاة و العبادة و التهجد و التلاوة .

٢ ـ عن إبن عباس و قتادة و إبن زيد و عطاء و أبى معاذ و الخليل : أى فراغاً طويلاً لنومك و راحتك ، فلك فى النهار مجال للنوم و الاستراحة و العمل و للتصرف فى الحوائج و تدبير أمر معاشك ، فافرغ لدينك الليل و تهجّد فيه .

٣ ـ عن مجاهد : أى متاعاً طويلاً و مجالاً للعمل و المشاغل .

٤ ـ عن الزجاج : أى أن لك فى النهار فراغاً فان فاتك شىء بالليل تستطيع على تداركه فى النهار و تقضيه فيه فتتسع به و تتقلب فيه . فالاية فى معنى قوله تعالى : « و هو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً » الفرقان : ٦٢)

أقول: و الثاني هو المؤيد بالرواية الآتية و المعاني متقاربة .

٨ - (و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتيلاً)

في « و اذكر اسم ربك » أقوال :قيل:١-أي ادع الناس دعوة الحق و جاهد في سبيل الله تعالى .

٢ - قيل :أي توجّه إلى الله تعالى في جميع الاحوال بمنع الغفلة عن الله جل و علا في حال من الاحوال كما يؤيده قوله : « وتبتل اليه تبتيلاً » بالانقطاع الكلي عما سوى الله والاتجاه الكلي إليه في أيّ حال .

٣ - قيل : أي ردّد إسم الله تعالى باللسان على عدة المسبحة المؤية أو الالفية .

٤ - قيل : اريد بالذكر ههنا الصلاة ذاتها ، وقراءة القرآن فيها .

٥ - قيل : إنما هو ذكر القلب الحاضر مع اللسان الذكر .

٦ - قيل : أي ادع الله تعالى بأسمائه الحسنى ليحصل لك مع الصلاة محمود العاقبة .

٧ - قيل : أي اقصد بعملك وجه ربك .

٨ - عن سهل: أي إقرأ باسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء صلاتك توصلك لبركة قرائتها إلى ربك وتقطعك عما سواه .

٩ - قيل : أي اذكر اسم ربك في وعده و وعيد لتوفّر على طاعته و تعدل عن معصيته .

١٠ - عن الكلبي : أي صلّ لربك أي بالنهار .

١١ - عن عطاء : أي انقطع إليه إنقطاعاً .

١٢ عن شقيق : أي توكل عليه توكلاً .

١٣ - قيل : أي اخشع و اخضع لله تعالى وحده .

أقول: والرابع هو الانسب بظاهر السياق وبما ورد في معنى التبتل .

وفي قوله تعالى : « وتبتل اليه تبتيلا » أقوال : ١ - عن إبن عباس ومجاهد و

قتادة و عطاء والضحاك : أى انقطع إلى الله إنقطاعاً لحوائجك وعبادتك عن غيره ، و منه قيل لمريم عليها السلام: البتول لانقطاعها إلى الله تعالى ، وقيل لفاطمة الزهراء عليها السلام لانقطاعها عن القرين أو عن الكفؤ غير على عليه السلام . والمعنى : اخلص له العبادة والمسئلة والدعاء والدعوة إخلاصاً .

٢-قيل : أى انقطع بعبادتك إليه ولا تشرك به غيره وانقطع عن الناس والجماعات وعن الاوثان والاصنام ، وعن عبادة غير الله .

٣ - عن إبن عرفة : أى تفرّد .

٤ - عن الحسن : أى بتل نفسك واجتهد .

٥ - عن إبن زيد : أى تفرّغ لعبادته تعالى .

٦ - عن شقيق: أى توكل عليه توكلاً .

أقول: والاول هو الانسب بماورد فى معنى التبتل من رفع اليدين و التضرع إلى الله تعالى وخاصة فى ركعة الوتر من نافلة الليل .

٩ - (رب المشرق و المغرب لا اله الا هو فاتخذه و كيلا)

فى « رب المشرق والمغرب » أقوال : ١ - قيل: أى رب العالم بما فيه لانه بين المشرق والمغرب فانهما جهتان نسبيتان تشملان جهات العالم المشهود كلها، وأما إختصاصهما بالذكر فلمناسبة ماتقدم من ذكر الليل : « قم الليل » و ذكر النهار : « فى النهار » المرتبطين بالشروق والغروب .

٢ - قيل : أى رب مشرق الشمس ومغربها و المراد أول النهار و آخره ، فأضاف النصف الاول من النهار إلى المشرق والنصف الاخر منه إلى المغرب .

٣ - قيل : أى مالك المشرق والمغرب أى المتصرف فيما بينهما و المدبر لما بينهما .

أقول: وعلى الاول اكثر المحققين .

وفى قوله تعالى : « فاتخذه وكيلا » أقوال : ١ - قيل : أى كفيلاً بماوعدك به ، فاعتمد عليه و فوّض إليه امورك كلها فانه خالق كل شىء وبيده التدبير وهو

بصير بالعباد.

٢ - قيل أي فاتخذه قائماً باموركَ، و حفيظاً لها، فانه خير حفيظ، وذلك لان الوكيل هو الذي يقوم مقام الموكل بحيث تقوم إرادته مقام إرادته، وعمله مقام عمله و أما إتخاذالله جل وعلا وكيلا فأن يرى الانسان الامر كله له تعالى و إليه جل وعلا سواء كان من الامور الخارجية والحوادث الكونية، فلايرى لنفسه ولالشيء من الاسباب الظاهرية إستقلالاً في التأثير إذلامؤثر في الوجود بحقيقة معنى التأثير إلّاالله تعالى فلايتعلق بتأثير سبب من الاسباب برضى أو سخط أو سرور أو أسف و ما إليها...

بل يتوسل إلى مقاصده و مآربه بما عرّفه الله تعالى من الاسباب من غير أن يطمئن إلى إستقلالها في التأثير ويرجع الظفر بالمطلوب إلى الله تعالى ليختار له ما يرتضيه أم كان من الامور التي لها تعلق بالعمل من العبادات والمعاملات... فيجعل إرادته تابعة لارادة ربه التشريعية فيعمل على حسب مايريده الله تعالى منه فيما شرّع من الشريعة والآداب...

٣ - قيل: أي فاتخذه كافياً لنفسك على ما أذاك المكذبون واستهزؤك لقوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر فسوف يعلمون» الحجر: ٩٤ - ٩٦)

أقول: ولكل وجه ولكن الاوجه هو الاول.

١٠ - (واصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً)

في «اصبر على ما يقولون» أقوال: ١ - قيل أي اصبر على ما يقول هؤلاء المشركون في من أنه سبحانه اتخذ له ولداً و صاحبة و شريكاً في الملك لقوله تعالى: «اتبع ما اوحي إليك من ربك لا إله إلا هو و أعرض عن المشركين - و لا تسبّوا الذين يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم» الانعام: ١٠٦ - ١٠٨)

٢ - قيل: أي اصبر على ما يقول المكذبون بآياتنا انها من أساطير الاولين

و انها مفتريات ليست بوحي سماوي لقوله تعالى : « وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلّا أساطير الاولين » الانعام : ٢٥) و قوله تعالى : « و قالوا ما هذا إلا إفك مفترى » سباء : ٤٣)

٣ ـ قيل واصبر يامحمد ﷺ ما يقول فيك سفهاء قومك المكذبون من امك ساحر وشاعر ومجنون وكاهن ومفتر و كذاب، ومن أذاهم وسبّهم وإستهزاءهم و تكذيبهم بك ، فلاتجزع من قولهم ، و لا تمتنع من دعائهم ، و من أقوال ضالة مفتراة ، وما يرمونك به من تهم باطلة كاذبة ، اصبر على سفاهتهم تلك ، اصبر على هذا كله فانه من آثار هذا القول الثقيل الذى ألقيناه عليك ، وتلك هى المهمة الثقيلة التى انتدبناك لحملها ، و انه لايعنيك على حمل هذا العب الثقيل إلّا تو كلك على الله تعالى واعتصامك بالصبر والصلاة .

أقول: والتعميم هو المستفاد من الرواية الاتية فانتظر .

وفى قوله تعالى: « واهجرهم هجراً جميلاً» أقوال: ١ ـ قيل: الهجر الجميل: هو عدم قطع الرابطة مع زعماء المشركين و أغنياء المكذبين بالمرة ، وعدم الغلظة والشدة فى الهجر . والمعنى : و اعتزلهم أو تجنبهم من غير أن تواجه قولهم بمافى وسعك من المقابلة بالمثل .وقد وردت الروايات: ان رسول الله ﷺ اتخذله مركزاً سرياً عرف بدار الارقم يجتمع فيه مع المؤمنين ، فيقيمون فيه صلواتهم معه ، و يتلقون عنه تعاليم دينهم ، و دامت هذه الحال نحو ثلاث سنين إلى أن أسلم حمزة بن عبدالمطلب .

٢ ـ قيل: الهجر الجميل : إظهار الموجدة عليهم من غير ترك الدعوة إلى الحق على وجه المناصحة و معاملتهم بحسن الخلق ، و المداراة بهم والاغضاء عن زلاتهم من غير عتابهم ، و عدم التعرض لهم ، و عدم الاشتغال بمكافأتهم ، فان فى ذلك ترك الدعاء لهم إلى الله تعالى .فالهجر الجميل هو هجر ليّن لاعتاب معه ولاجزع فيه .

٣ ـ قيل : الهجر الجميل : هو الهجر فى ذات الله تعالى كما قال : «و إذا

رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره » الانعام : ٦٨)

وقال : « قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون » الانعام : ٩١)

٤ ـ قيل : أي واهجر المشركين إذا انقطع بينك وبينهم ما ترجو لهم من خير ـ اهجرهم هجراً جميلاً ـ أي كن رفيقاً بهم متودداً إليهم ، و لايحملنك ما يرمونك به من سفاهة وجهل على بغضتهم والدعاء عليهم . . بل ارفق بهم ، والتمس العذر لهم ، و هذا هو شأن العالم مع الجاهل ، والطبيب مع المريض ، فاذا انتهى بك الامر معهم إلى القطيعة ، فليكن ذلك بحكمة و برفق من جهتك كأن تقول : سلام عليكم لي عملي ولكم عملكم، اني لا املك لكم خيراً ، و لا رشداً إلى غير ذلك مما علمك الله من الدعوة إليه بالحكمة و الموعظة الحسنة و المجادلة بالتي هي أحسن .

فالهجر الجميل : أن يخالفهم بالقلب والافعال ، وأن لايخالطهم بياله وهواهم مع المداراة والاغضاء وترك المكافاة .

أقول: و على الثاني أكثر المفسرين وقريب منه الرابع .

١١ ـ (و ذرني و المكذبين اولي النعمة و مهلهم قليلاً)

في « ذرني و المكذبين » **أقوال** : ١ ـ قيل : أي ارض بي لعقابهم و هم صناديد قريش و رؤساء مكة من المستهزئين ، وهم أرباب الترفه واللذة .

٢ ـ عن مقاتل : أي كل جزاءهم إليّ ، و لاتشغل قلبك بمجازاتهم و هم الذين كانوا يطعمون يوم بدر و هم عشرة وعن سعيد بن جبير قال : اخبرت انهم اثناعشر رجلاً .

٣ ـ عن يحيى بن سلام : أي اتركهم إليّ وأنا كافيهم ، وهم بنو المغيرة .

٥ ـ قيل : أي دعني يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم و المكذبين بآياتي ، و هم الذين كانوا يؤذون النبي صلى الله عليه وآله وسلم و يقفون موقف الصدّ منه صلى الله عليه وآله وسلم ، و هم أرباب التنعم .

٥ ـ قيل: أي خل بيني وبين رؤساء الشرك و الضلالة و الفساد الذين يؤذون النبي صلى الله عليه و آله و سلم و يقفون لدعوته بالمرصاد، وهم المترفون من مشركي مكة.

أقول: و الخامس هو الانسب بظاهر السياق و خاصة ذكر فرعون، وقريب منه الاول والرابع.

وفي «مهلهم قليلا» أقوال: ١ ـ قيل: أي أمهلهم إلى مدة آجالهم فان لله تعالى فيهم طلبة وحاجة. وفيه وعيد بهم في الحياة الدنيا بالذل والهوان وغلبة الاسلام على الكفر وظهور الدين على الشرك.

٢ ـ عن عائشة قالت: لما نزلت هذه الاية لم يكن إلّا يسيراً حتى وقعت وقعة بدر. و هذا ليس بشيء لاتفاق المفسرين على نزول الاية في بدء الرسالة، و لم تولد عائشة بعد، وكانت وقعة بدر بعد الهجرة بسنين...

٣ ـ قيل: أي مهلهم إلى مدة الدنيا، و أخّرهم وقعة بالعذاب الذي بسطته لهم قليلا حتى يبلغ الكتاب أجله.

فالمراد بالقليل هو الزمان الذي يمكثون في الارض حتى يرجعوا إلى ربهم فيحاسبهم و يجازيهم.

أقول: والاول هو الأنسب بسياق التهديد لهم بالخزي والهوان في الحياة الدنيا و بالعذاب والنار في الاخرة فتدبر جيداً.

١٢ ـ (ان لدينا أنكالاً و جحيماً)

في «أنكالاً» أقوال: ١ ـ عن الحسن ومجاهد وعكرمة و قتادة: أي قيوداً في الاخرة عظاماً لاتفك أبداً، تمنع أصحابها من الحركة. وسمي نكلاً لقوته، و كذلك الغل و كل عذاب قوي فاشتد.

٢ ـ عن الكلبي: أي أغلالاً.

٣ ـ عن مقاتل: أي أنواعاً من العذاب الشديد.

٤ ـ قيل: أي قيوداً سوداً من نار جهنم.

أقول: و على الاول أكثر المفسرين.

و في « جحيما » أقوال : ١ ـ قيل : هو إسم من أسماء جهنم .

٢ ـ قيل : أي ناراً عظيمة ولايسمى القليل به .

٣ ـ قيل : أي ناراً شديدة .

٥ ـ قيل : أي ناراً محرقة .

أقول: والاول هو المؤيد بآيات كريمة...

١٣ ـ (و طعاماً ذا غصة و عذاباً أليماً)

في « طعاماً ذاغصة » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس : أي طعاماً يغصّ به آكله، فلاهو نازل عن حلقه ، ولاهو خلقه منه ، فكأن له شوكاً من نار يأخذ بالحلق فلا يدخل ولا يخرج ، بأن تتردّد اللقمة في الحلق ولايسيغها آكلها ، وهي الغسلين والزقوم و الضريع .

٢ ـ عن مجاهد : هو الزقوم كما قال تعالى : « ان شجرة الزقوم طعام الاثيم » و قيل : أي طعاماً ذاغصة من شجرة الزقوم .

٣ ـ قيل : أي طعاماً ينشب في الحلق ، فلايكاد يساغ . و الغصّة : الشجا و هو ما ينشب في الحلق من عظم أو غيره . و قيل : يضيق الحلق عن إبتلاعه فيصاب بغصة منه .

٤ ـ عن الزجاج : أي طعامهم الضريع كما قال تعالى : « ليس لهم طعام إلا من ضريع » و هو شوك كالعوسج .

٥ ـ قيل : أي طعاماً يأخذ بالحلقوم لخشونته وشدة تكرهه .

٦ ـ قيل : أي طعاماً يسبب الغصة .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين من غير تناف بينه و بين الاقوال الاخر على أنها من المصاديق والنعوت ...

١٦ ـ (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً و بيلاً)

في « أخذاً وبيلاً » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس ومجاهد وقتادة و الاخفش : أي أخذاً ثقيلاً شديداً . ومنه مطر وابل : شديد .

٢ ـ قيل : أى أخذاً مهلكا ومخزياً و مهيناً .و المعنى : عاقبناه عقوبة غليظة. و قال الزجاج : أى ثقيلاً غليظاً ، ومنه يقال للمطر : و ابل أى عظيم و غليظ . و الوبيل أيضاً : العصا الضخمة .

٣ ـ قيل : أى أخذاً وخيم العاقبة ، و منه ماء وبيل أى وخيم غير مرىء.

٤ ـ عن إبن زيد :الوبيل:الشر . وان العرب تقول لمن تتابع عليه الشر :لقد أوبل عليه ، و تقول : أو بلت على شرك و ذلك لان الله تعالى لم يرض بان يغرق و يعذب فرعون و قومه حتى أقر في عذاب مستقر فيبعثهم يوم القيامة إلى النار .

أقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

١٧ ـ (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً)

فى معنى الاية أقوال : ١ ـ عن قتادة : اى كيف تتقون يوماً ، و أنتم قد كفرتم بالله ، و لا تصدقون رسوله . و قال : و الله ما يتقى من كفر بالله ذلك اليوم بشيء.

٢ ـ قيل : أى كيف تتقون العذاب إن كفرتم بالله تعالى و كذبتم برسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

٣ ـ قيل : أى كيف تتقون يوماً يجعل الولدان شيباً إن كفرتم به .

٤ ـ عن الحسن : أى بأى صلاة تتقون العذاب ؟و بأى صوم تتقون العذاب ؟

٥ ـ قيل : وفيه إضمار أى كيف تتقون عذاب يوم وعقابه إن كفرتم برسولكم الذى أرسلناه إليكم .

٦ ـ قيل : أى يجعل الله الولدان شيباً فى يوم لشدة هوله و كربه .

٧ ـ قيل :أى بأى شيء تتحصنون من عذاب ذلك اليوم إن كفرتم به ، و كيف تدفعون عنكم ذلك يجعل هذا اليوم لشدة هوله الولدان شيباً . فالضمير فى « يجعل » راجع إلى « يوما » فالجملة وصف لذلك اليوم و شدته .

٨ ـ قيل : كيف تحذرون يوم القيامة وقد كفرتم به وجحدتم الجزاء فيه ،

فكيف تدعون تقوى الله و خوف عقابه .

٩ ـ قيل : أي فكيف لكم بالتقوى يوم القيامة إن كفرتم به في الدنيا . وهذا بناء على أن « يوماً » ظرف لـ « تتقون » .

١٠ ـ قيل : أي فكيف تدفعون عن أنفسكم عذاب هذا اليوم الذي يجعل الولدان شيباً إن كفرتم . و لم تؤمنوا بالله ، ولم تستجيبوا لما يدعوكم إليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ؟ كيف تدفعون عن أنفسكم هذا العذاب ! أأنتم أقوى من فرعون قوة أو أشد بأساً و أكثر نفراً ؟ لقد أخذ فرعون بكفره ، وستوخذون أنتم بكفركم إن كفرتم وامسكتم بهذا الكفر ، و كيف يحصل لكم أمان من يوم يحصل فيه هذا الفزع العظيم الذي تشيب من هوله الولدان ؟ و قيل : فكيف تتقون أنفسكم . و قيل : تتقون الله تعالى .

أقول: و الثامن هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه و بين بعض الاقوال الاخر .

و في « الولدان » أقوال : ١ عن السدى : انهم أولاد الزنى .

٢ ـ قيل : هم أولاد المشركين .

٣ ـ قيل : هم الصغار عامة سواء كانوا من المشركين أم من المؤمنين أي يشيب يوم القيامة لشدة هوله وفزعه الصغير من غير كبر . وقيل : ان الاطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب . وذلك لان الهموم والاحزان إذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب .

٤ ـ قيل : ان هذا ضرب مثل لشدة ذلك اليوم فهو مجاز لان يقوم القيامة لايكون فيه ولدان . والمعنى : ان هيبة ذلك اليوم وهوله بحال لو كان فيه هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة ، و يقال : هذا وقت الفزع ، وقبل أن ينفخ في الصور نفخة الصعق . كما يقال : « يوم يشيب نواصي الاطفال » من قول الحكماء : ان الهموم و الاحزان تسرع الشيب لاقتضائهما إحتباس الروح إلى داخل القلب المستتبع لانطفاء الحرارة الغريزية المستعقب لفجاجة الاخلاط و استيلاء البلغم المتكرج .

فليس المراد : ان هول ذلك اليوم يجعل الولدان شيباً حقيقة لان ايصال الالم و الخوف إلى الصبيان غير جائز .

وقدحكى : ان رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب ، و أصبح و هو أبيض الرأس و اللحية ، فقال : أريت القيامة والنار في المنام ، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كماترون .

أقول: وعلى الرابع أكثر المفسرين .

١٨ ـ (السماء منفطر به كان وعده مفعولا)

في « السماء منفطر به » أقوال : ١ ـ قيل : أي السماء متصدعة متشققة في ذلك اليوم لشدته وهوله ، فالباء بمعنى « في » عندالفراء .

٢ ـ قيل : أي السماء منفطر لذلك اليوم . فالباء بمعنى اللام .

٣ ـ عن إبن زيد : أي السماء منفطر بما يجعل الولدان شيباً .

٤ ـ قيل : أي منفطر بأمر الله تعالى وقدرته و عظمته .وعن إبن عباس ومجاهد: أي السماء منقلة بذلك اليوم متصدعة متشققة . و عن الحسن :أي السماء محزونة و موقرة يوم القيامة لشدته وفزعه .

٥ ـ عن قتادة : أي السماء منقل بالله يوم القيامة .

٦ ـ قيل : أي السماء منفطر بسبب ذلك اليوم وهوله و شدته .

أقول: والرابع هو الانسب بالمقام .

و في قوله تعالى : « كان وعده مفعولاً » أقوال : ١ ـ قيل : أي كان وعد الله تعالى بيوم القيامة و الحساب و الجزاء مفعولاً لا شك فيه و لا خلف و لا تبديل .

٢ ـ عن مقاتل : أي كان وعده تعالى بأن يظهر دينه على الدين كله مفعولاً فانه سيتحقق بلا إرتياب .

٣ ـ قيل : أي كان وعده تعالى بان تكون الولدان يوم القيامة شيباً كان مفعولا لامحالة .

٤ - قيل : أي كان وعـد ذلك اليوم بانه يجعل الولدان شيباً كان مفعولاً .

٥ - قيل : كان وعد الله تعالى بمجيىء ذلك اليوم أي هو كائن لامحالة .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

١٩ - (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

في « ان هذه تذكرة » أقوال : ١ - قيل : أي ان هذه السورة و قيل : أي آيات هذه السورة التي أشارت إلى قيام الليل و التهجدفيه ، و إلى قيام الساعة و أهوالها و أحوال الكفار والمكذبين .

٢ - عن قتادة : أي آيات القرآن إذهو كالسورة الواحدة .

٣ - قيل : أي ان هذه الايات التي ذكر فيها أمر القيامة و أهوالها و ما يفعل فيها باهل الكفر والعصيان . وقيل : أي ان هذه الايات المشتملة على التكاليف والتخاويف ، وعلى النذر والبشريات ، وعلى الوعد والوعيد معاً .

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق . وان كل آية من الايات الكريمة تذكرة كما أن القرآن كله تذكرة .

٢٠ - (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى مـن ثلثى الليل و نصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك و الله يقدر الليل و النهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى و آخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و أقرضوا الله قرضاً حسنا و ما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيراً وأعظم أجراً و استغفروا الله ان الله غفور رحيم)

في « والله يقدر الليل والنهار» أقوال : ١ - قيل: أي يعلم الله تعالى مقادير الليل و النهار على حقائقها ، و يعلم القدر الذى تقومونه من الليل ، و أنتم تعلمون بالتحرى و الاجتهاد الذى يقع فيه الخطاء . و عن عطاء : أي لايفوته علم

ماتفعلونه .

٢ - قيل : أى يخلقهما مقدرين كقوله تعالى : « و خلق كل شيء فقدره تقديراً » و تقدير الخلقة لا يتعلق به حكم ، و انما يربط الله به ما يشاء من وظائف التكليف .

٣ - قيل : أى يحسبهما .

٤ - قيل : أى يحصيهما .

٥ - قيل : أى يقدر أوقاتهما لتعلموا فيها على مايأمركم به . .

أقول: و على الاول أكثر المفسرين .

و فى قوله تعالى : « علم أن لن تحصوه » أقوال : ١ - عن سعيد بن جبير و الحسن : أى لن تطيقوا معرفة حقائق ذلك و القيام به . قيل : وهذا أصح لان قيام الليل ما فرض كله ومايعلم الانسان باوقاته المخصوصة للقيام فيها من الثلثين والنصف و الثلث .

و قال الحسن : قاموا حتى انتفخت أقدامهم فقال تعالى : « لن تحصوه » أى انكم لاتطيقون إحصاءه على الحقيقة. فالمعنى لن تحصوا الليل وأوقاته لتقوموا فيما يجب فيه عليكم إلّا بقيام جميعه و ذلك يشق عليكم .

٢ - قيل : أى انكم لن تصلوا إلى الغاية من العبادة وقيام الليل لنافلته.

٣ - قيل : أى لن تطيقوا قيام الليل .

٤ - عن مقاتل : قال لما نزلت : « قم الليل الّا قليلا ... » شق عليهم ذلك، وكان الرجل لايدرى حتى نصف الليل من ثلثه ، فيقوم حتى يصبح مخافة أن يخطىء فانتفخت أقدامهم ، وانتقعت ألوانهم فرحمهم الله و خفف عنهم فقال: « علم أن لن تحصوه » لانكم إن زدتم ثقل عليكم واحتجتم إلى تكليف ماليس فرضاً و إن نقصتم شق عليكم ذلك .

٥ - قيل : أى لن تطيقوا المداومة على الليل ويقع منكم التقصير فيه .

أقول: و الاول هو الانسب بظاهر التعليل للترخيص فتأمل جيدا .

و في قوله تعالى : « فتاب عليكم » أقوال : ١ ـ : أى فعاد عليكم بالعفو ، و هذا يدل على أنه كان فيهم من ترك بعض ما أمر به من قيام الليل في أول السورة .

٢ ـ عن الجبائى : فتاب عليكم بان جعل القيام بالليل لنافلته تطوعاً و لم يجعله فرضاً .

٣ ـ قيل : أى فتاب عليكم من فرض القيام إذا عجزتم . و أصل التوبة الرجوع ، و المعنى : رجع لكم من تثقيل إلى تخفيف ، و من عسر إلى يسر ، و انما امروا بحفظ الأوقات على طريق التحرى ، فخفّف عنهم ذلك التحرى ، فالمعنى: خفف عنكم وتسامح معكم ، و رجع بكم إلى التخفيف ، فلايلزمكم إثماً كما لايلزم التائب .

أقول: والثانى هو الظاهر .

وفي قوله تعالى : « فاقرؤا ما تيسّر من القرآن » أقوال : ١ ـ قيل : اريد بالقراءة نفس قراءة القرآن الكريم في نافلة الليل ، و المعنى :فاقرؤا ماتيسّر لكم من القرآن في صلاتكم الليلية مما خفف عليكم .

٢ ـ عن الحسن : أى فاقرؤا ماتيسّر لكم في صلاة المغرب والعشاء .

٣ ـ قيل : أى فاقرؤا ماتيسّر لكم من القرآن في ليلتكم بعد النافلة أو قبلها أو قبلها و بعدهامعاً .

٤ ـ عن الحسن أيضاً : اريد بالقراءة نفس الصلاة الليلية ، فأوجب الله تعالى صلاة الليل ماتيسّر ثم نسخ ذلك بالفرائض ...و المعنى: فصلّوا في الليل ما تيسّر لكم و ما أمكنكم . وعبّر عن الصلاة بالقرآن لانها تتضمنه و هذا من باب تسمية الشيء ببعض أجزائه ...

أقول: والثالث هو الانسب بظاهر السياق .

ثم اختلف فيمايتيسّر إختلافاً كثيراً: ١ عن إبن عباس : مأة آية ليلاو نهاراً. و قال الحسن : من قرأ مأة آية في ليلة لم يحاجه القرآن . و عن كعب قال : من قرأ

في ليلة مأة آية كتب من القانتين .

٢ ـ عن أبي خالد الكناني : أي أقصر السورة و هي ثلاث آيات في كل يوم وليلة .

٣ـ عن مالك والشافعي : أي سورة الفاتحة وثلاث آيات من أقصر السورة وعن أبي حنيفة : أي آية واحدة من آي القرآن كانت . و عنه أيضاً :ثلاث آيات لانها أقل سورة .

٤ ـ عن الضحاك : أي قراءة القرآن كله في كل شهر مرة لان الله تعالى يسّره على عباده .

٥ ـ عن جويبر : أي ثلث القرآن في كل اسبوع ، لانه يسّره الله تعالى على عباده .

٦ ـ عن السدي : أي مأتا آية في كل ثلاثة أيام .

٧ عن إبن عباس : أي مأة آية في كل خمسة عشر يوماً .

٨ ـ قيل : مأة آية في كل جمعة .

٩ ـ قيل :أي يختم القرآن في كل اسبوع .

١٠ ـ عن سعيد بن جبير : أي خمسون آية في كل ليلة .

١١ ـ قيل أي يختم القرآن في كل رمضان .

١٢ ـ قيل : أي يختم القرآن في كل سنة .

أقول: و ليس لتلك الاقوال دليل و لا تستفاد من السياق ، فمنّا يتمكن بالاقل و منّا يتمكن بالاكثر فعلى كل حسب تمكنه و هذا هو الظاهر من الكلام .

و في قوله تعالى : « يبتغون من فضل الله » أقوال : ١ـ قيل : أي يبتغون الربح بالتجارة .

٢ ـ قيل أي يطلبون العلم .

٣ ـ قيل : أي يطلبون الرزق بالتجارة و الأجارة و غيرهما من انحاء

الكسب الحلال .

٤ ـ عن إبن عباس : أى يطلبون العلم و الرزق و يسعون فى طلب المعاش .

أقول: و على الثالث أكثر المفسرين و لكن الاخير غير بعيد عن الاطلاق .

وفي قوله تعالى : « و آتوا الزكاة » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس : اريد بالزكاة الطاعة لله تعالى والاخلاص له .

٢ ـ قيل : اريد بالزكاة زكاة الفطرة لان السورة مكية والزكاة المفروضة المالية وجبت في المدينة .

٣ ـ قيل : اريد بالزكاة كل افعال الخير .

٤ ـ قيل : اريد بالزكاة صدقة التطوع .

٥ ـ عن قتادة و عكرمة : الزكاة ههنا الزكاة الواجبة فى أموالكم. قيل: ان السورة و إن كانت مكية و لكن هذه الاية مدنية ، فحمل الزكاة على الفرض لا بأس به .

أقول: والرابع هو المستفاد من ظاهر السياق .

و فى قوله تعالى : « واقرضوا الله قرضاً حسناً » أقوال : ١ ـ عن زيد بن أسلم: القرض الحسن : النفقة على الاهل .

٢ ـ قيل : القرض الحسن : ما قصد به وجه الله تعالى خالصاً من المال الطيب .

٣ ـ قيل : اريد بالقرض : الانفاق في وجوه الخير وفي سبيل الخيرات .

٤ ـ قيل : اريد بالاقراض : أداء الزكاة الواجبة على أحسن الوجوه وأنفعها للفقراء و المحتاجين .

٥ قيل : اريد بالاقراض : رفع حوائج المحتاجين فمن استقرض درهماً أو

أو ديناراً ، فيعطى به فقد أقرض الله تعالى .

٦ ـ عن إبن زيد : الاقراض هو النفقة في سبيل الله و هو من النوافل سوى الزكاة المفروضة .

أقول: و على الخامس أكثر المحققين .

﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ ـ (يا ايها المزمل)

يا أيها المتلفف بثيابك تريد النوم ، دفعاً لهم الايذاء و السخرية ، و غم الاستهزاء والاقاويل السخيفة ، وتخفيفاً من وقعة الوحي وثقل الرسالة السماوية ؟ و ليس لك النوم و الراحة كسائر الناس ، كيف و أنت حامل الرسالة و عباءة النبوة و انما عليك القيام و الحركة النفسية ، و تهيئة نفسك بالعمل لابلاغ الرسالة والانذار ودعوة الناس إلى الحق و الصواب، إلى الايمان بالله تعالى والعبادة لله وحده ، و إلى صراط مستقيم وسعادة الدارين ... إذ لابد من العمل لقادة الدين قبل الارشاد ، و من الاهتداء قبل الهداية ... كما يظهر من تقديم القيام لنافلة الليل على القيام لانذار الناس إذ قال الله تعالى : « ياأيها المزمل قم الليل إلّا قليلا » المزمل: ١ـ٢) و قال : « يا أيها المدثر قم فأنذر» المدثر: ١ـ٢) و عليك أن تقاوم الكرب العظام و النوائب المرّة بالصبر و الصلاة لا بالتزمل و النوم على حدّ قوله تعالى: «استعينوا بالصبر و الصلاة » البقرة: ١٥٣)

٢ ـ (قم الليل الا قليلاً)

قم الليل يا محمد صلّى الله عليه وآله وسلّم للصلاة والعبادة و اشتغل بالعبودية آناء الليل ... فصلّ و اسجد و سبّح إلّا قليلاً من الليل تنام فيه ، لما في القيام من الليل من صفاء وتزكية للنفس . ومن سرور و طمأنينة للقلب ، و من صلة بالله جل وعلا ما لا يمكن في النهار .

قال الله تعالى: «ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» الاسراء: ٧٩)

وقال: «ومن آناىء الليل فسبّح» طه: ١٣٠)

و قال: «ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم» الطور: ٤٩)

و قال: «ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً» الانسان: ٢٦)

٣ـ (نصفه أو انقص منه قليلاً)

قم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلى الصلاة والذكر والعبادة لله تعالى نصف الليل أو أنقص من النصف قليلاً إلى الثلث.

٤ـ (أو زد عليه و رتل القرآن ترتيلا)

أوزد يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قيامك على النصف الليل إلى الثلثين، فأنت في خيار بين الثلثين و الثلث، و ما بينهما هو النصف، و طرفاه الى الثلثين و إلى الثلث.

وتمهّل في تلاوة القرآن و لاتسرع فيها ليتمكن السامع أن يستمع له وينصت و بيّن القرآن تبياناً، فلا تنثره نثر الرمل، و لا تهزّه هزّ الشعر، و لكن اقرع به القلوب القاسية. كما نزل القرآن نجوماً لتقرأه على الناس على مكث. و هذا هو حق التلاوة توجل عندها القلوب، و تقشعر لديها الجلود...

فالغرض من تلاوة القرآن هو التذكر و التذكير للقارىء تارة و له و للسامع معاً تارة اخرى، و التدبر في معانيه و مفاهيمه، و في أغراضه و مقاصده لينتفع من عظاته و نصائحه، من حقائقه و علومه، من حكمه ومعارفه، من أحكامه و حدوده من وعده و وعيده، و من تبشيره و إنذاره حتى يعرف قدره و يعمل بأوامره ويترك نواهيه، فيخاف من وعيده و يرجى من وعده...

والمراد بالترتيل: هو حضور القلب عند القراءة، والتمكن من التأمل في حقائق الايات القرآنية و دقائقها و معارفها، والاستشعار بعظمة الله تعالى جلاله ليستنير القلوب بنور الله جل وعلا، ويطلق على اللسان ذكر الله تعالى، فيقع القارى والمستمع

بين الخوف والرجاء ، وإلّا فمجرد حركة اللسان وإخراج الحروف من مخارجها غير مقصود بالذات .

قال الله تعالى : « و لقد صرّفنا فى هذا القرآن ليذكّروا ـ و قرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلاً » الاسراء : ٤١ ـ ١٠٦)

و قال : « و اذا قرىء القرآن فاستمعوا له و انصتوا لعلكم ترحمون » الاعراف : ٢٠٤)

وقال : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » القمر : ١٧)

و قال : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به » البقرة : ١٢١)

و قال : « و اذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً و على ربهم يتوكلون » الانفال : ٢)

و قال : « الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم و قلوبهم إلى ذكر الله » الزمر : ٢٣)

و قال : « أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها » محمد صلى الله عليه وآله وسلم : ٢٤)

٥ ـ (انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً)

انا سنوحى إليك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم قولاً ثقيلاً من جهة عظم قدره، وجلالة خطره ومكان نفاسته لانه كلام رب العالمين ، كلام وقع موقع الحكمة والبيان كلام متين رصين لا يقاس به كلام ، لا مثيل ولا نظير ، فهذا ثقيل جداً لا يقاس به الاثقال ... و ان القرآن إحدى الثقلين وأكبرهما .

قال الله تعالى : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها و حملها الانسان » الاحزاب : ٧٢)

و قال : « لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله و تلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » الحشر : ٢١)

و قال : « ولو أن قرآناً سيّرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلّم به الموتى » الرعد : ٣١)

و من غير مراء : ان القرآن الكريم وأحكامه ثقيل إلّا على الخاشعين ، و لكن كل ذلك ليس ثقيلاً حتى على المؤمنين فضلاً عن رسول الله الاعظم ﷺ وماهو ثقيل جداً حتى على الرسول ﷺ هو تغيير القلوب والمشاعر و القضاء على العقائد الفاسدة والتقاليد الموروثة، والحمية الجاهلية، وإستئصال الفساد من جذوره بأنسها الانسان والمجتمع بمدة طويلة ، وإزالة الملكات الرذيلة ، وإقامة الملكات الفاضلة مقامها ، إزالة الكفر و الشرك ، و إقامة الايمان و الاخلاص مقامهما ، إزالة الضلالة و الطغيان ، و إقامة الهداية و الطاعة مقامهما ، إزالة العناد و العداوة و الحقد و المرض عن القلوب ، و إقامة المحبة و الصداقة و المودة و السلامة مقامها ، و إزالة الاخلاق الفاسدة و إقامة الاخلاق الفاضلة مقامها ، و إزالة الجو الفاسد والاستبداد و الظلم و إقامة الجو السالم و الحرية و العدل مقامها ...

و بالجملة : إخراج المجتمع البشرى و أفراده من الظلمات ، من ورطة الجهل ، من لجة الباطل ، و من وبال الاختلاف ، و إدخالهم فى عالم النور ، فى ميدان العلم ، و رقى الحق و الاتحاد ثقيل جداً قال الله تعالى : « قم فانذر » المدثر : ٢)

و هذا ما كلف به محمد رسول الله ﷺ كيف لايكون هذا التغيير ، و هذا الاخراج ثقيلاً و انك لا تستطيع أن تغيّر أخلاق زوجتك الفاسدة ، و ولدك وصديقك العاصيين؟ و كيف فى عصر الجاهلية أفسد العصور ، وأكثرها فساداً و طغياناً ...

نعم ان هذا القرآن الكريم لثقيل فى ميزان الحق ، وفى أثره فى القلب على الاطلاق فليس تكاليفه و لا مبناه ثقيلاً جداً .

قال الله تعالى : « لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من

خشية الله » الحشر : ٢١)

فلا بد أن يكون القلب الذى ينزل إليه القرآن أثبت و أقوم من الجبل حيث ان تلقى هذا الفيض الالهى والمعرفة به واستيعابه لثقيل يحتاج إلى إستعداد قوى ، وان التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقيل يحتاج إلى نفس قوى ، و ان الاتصال بالملأ الاعلى و بروح الوجود، وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذى تهيأ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لثقيل يحتاج إلى علو النفس ، و ان الاستقامة على هذا الامر بلا شك و لا إرتياب ، و لا تردد مع كثرة الهواتف و الجواذب و المعوقات لثقيل يحتاج إلى روح زكية غير كدرة ، و ان قيام الليل و الناس نيام و الاتصال بالله تعالى و تلقى فيضه تعالى و نوره و الانس بالوحدة معه و الخلوة إليه جل و علا لثقيل يحتاج إلى نفس مطمئنة ، و ان ترتيل القرآن و الكون ساكن بحيث كأنما يتنزل هومن الملأ الاعلى وتتجاوب به أرجاء الوجود فى الترتيل بلا لفظ بشرى ، و لا عبارة إنسان ، و إستقبال إشعاعاته و ايحاءاته و ايقاعاته فى الليل الساجى لثقيل يحتاج إلى التحمل الشديد . . .

و قدتلقى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هذا الوحى السماوى ، و قد اطلق القول على القرآن فى كثير من الايات الكريمة ..

قال الله تعالى : « و ما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب الّا رحمة من ربك » القصص : ٨٦)

وقال : « و انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل : ٦)

و قال : « وهدوا إلى الطيب من القول وهدوا إلى صراط الحميد » الحج : ٢٤)

و قال : « قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون أفلم يدّبّروا القول أم جاءهم مالم يأت آباء هم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق وا كثرهم للحق

كارهون » المؤمنون:٦٦ ـ ٧٠)

و قال : « ولقد وصّلنا لهم القول لعلهم يتذكرون » القصص : ٥١)

وقال : « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله و اولئك هم اولوا الالباب » الزمر : ١٨)

و قال : « انه لقول رسول كريم ـ تنزيل من رب العالمين » الحاقة : ٤٠ ـ ٤٣)

و قال : « انه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين » التكوير: ١٩ ـ ٢٠)

٦ ـ (ان ناشئة الليل هى أشد و طأ و أقوم قيلاً)

ان الحركة من المضجع الحار ، و القيام وقت السحر لنافلة الليل والتهجد و تلاوة القرآن الكريم والعبادة لله تعالى أشد ثبات قدم و أشد استقامة و أقوم مقالاً لكونها أدعى التنبيه والاخلاص ، و تصفية النفس وتزكيتها من أدران المعصية و العداوة والحسادة... أوثبت لقراءة القرآن لحضور القلب و فراغ البال فى الاسحار ما ليس فى النهار .

وللاسحار والمستغفرين فيها فضل أشار تعالى إليه حثاً عليه فى قوله : « قل أؤنبئكم بخير من ذلكم ـ الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا و قنا عذاب النار الصابرين و الصادقين و القانتين والمنفقين و المستغفرين بالاسحار » آل عمران : ١٥ ـ ١٧)

و قال : « أمّن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الاخرة ويرجوا رحمة ربه » الزمر : ٩)

و قال : « ان المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون و بالاسحار هم يستغفرون » الذاريات: ١٥ ـ ١٨)

و قال : « و الفجر و ليال عشر و الشفع و الوتر والليل اذا يسر » الفجر:

١ ـ ٤)

و قال : « اقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل و قرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً، و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» الاسراء: ٧٨ ـ ٧٩)

و ان الفجر وقت مبارك لتتفتح فيه النفس لتقبل الخير وتشرق فيه بنور الحق كما يشرق وجه النهار و يسفر حين يطلع الفجر : « فلااقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس والصبح اذا تنفس » التكوير : ١٥ ـ ١٨)

٧ ـ (ان لك فى النهار سبحاً طويلاً)

ان لك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فى النهار فراغاً طويلاً فى مهماتك ، وإشتغالاً بمشاغلك فلاتستطيع أن تتفرغ للصلاة والعبادة لله تعالى وتلاوة القرآن على ماتستطيع عليه فى الليل فعليك بها فيه لانه للعبادة و التهجد و النوم و الاستراحة ، و النهار للعمل والسعى فى مهام امورك من ابلاغ الرسالة و الدعوة وفى طلب المعاش ، و ما يحتاج إليه الانسان من الاعمال النهارية ...

ان تسئل: ان قيام الليل لنافلته والتهجد والسهر لتلاوة القرآن يضعف الجسم الانسانى عن المقاومة والسعى فى النهار ؟

و لقد أجاب عنه الامام أمير المؤمنين عليه السلام بقوله : « و كأن بقائكم يقول اذا حال على بن أبيطالب ـ التخشن والتهجد ـ فقد قعد به الضعف عن قتال الاقران و منازلة الشجعان ألاوان الشجرة البرية أصلب عوداً، و الروائح الخضرة أرق جلوداً و النباتات البدوية أقوى وقوداً و إبطاء خموداً ، وأنا ورسول الله كالصنو من الصنو و الذراع من العضد »

والمراد انه عليه السلام ورسول الله من أصل واحد فى العمل و الطريقة واسلوب المعيشة فيكون فى حالته كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شديد البأس قوى العزيمة وإن كان خشن المعيشة .

٨ - (و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتيلاً)

و اذكر يا محمد صلى الله عليه و آله وسلم إسم ربك دائماً و خاصة في قيام الليل لنافلته و تلاوة القرآن و التهجد و الذكر وقت السحر ، و أخلص له العبادة و المسئلة و الدعاء و تضرع إليه تضرعاً منقطعاً عما سواه. هذا هو المستفاد من ظاهر السياق .

و هذا لا ينا في اللب من أن يكون المراد هو التوجه إلى الله تعالى دائماً والمعنى : دم على ذكر الله تعالى ليلاً و نهاراً على أي وجه كان من تسبيح و تهليل و تمجيد و تحميد و صلاة قال الله تعالى: « فاذا فرغت فانصب و إلى ربك فارغب» الانشراح: ٧ ـ ٨)

و من تلاوة القرآن و دراسة العلم و إبلاغ الرسالة و دعوة الناس إلى الله تعالى .

و انقطع إلى الله تعالى بمجامع الهمة و إستغراق العزيمة في مراقبته و حيث لم يكن ذلك إلّا بتجريد نفسه صلى الله عليه و آله وسلم عن العوائق الصادرة عن مراقبة الله تعالى و قطع العلائق عماسواه إنقطاعاً تاماً ، والانقطاع إليه لايمكن إلّا بالاقبال عليه و الاعراض عما سواه ، وترجمته قوله تعالى : «لاإله إلّا الله » و الاقبال عليه جلا و علا انما يكون بملازمة الذكر و الاعراض عما سواه يكون بمخالفة الهوى و والتنقي عن كدورات الدنيا و تصفية النفوس و تزكية القلوب عنها و نتيجة ذلك هي الفلاح كماقال الله تعالى : « قد أفلح من تزكى و ذكر اسم ربه فصلى» الاعلى : ١٤ ـ ١٥)

فعمدة الطريق إلى الله تعالى أمران: الملازمة لذكر الله جل و علا والمخالفة لما يشغل عن الله وهذا هو السفر إلى الله سبحانه والتبتل إليه .

٩ ـ (رب المشرق و المغرب لا اله الا هو فاتخذه و كيلا)

و اعبد ربك وحده و انقطع إليه عما سواه لانه رب هذا الوجود كله لا إله إلّا هو ، فاتخذه و كيلاً في جميع شئون حياتك ، و مو كولاً له امورك كلها،

فانه الخالق المدبر ، و انه الغالب الحكيم ، و بيده الامر كلـه و هو الولى الحميد .

قال الله تعالى : « و إليه يرجع الامر كله فاعبده و تو كل عليه » هود : ١٢٣)

و قال : « و اتبع ما يوحى إليك من ربك ـ و تو كل على الله و كفى بالله و كيلا ـ ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتو كل على الله و كفى بالله و كيلاً » الاحزاب : ٢ ـ ٤٨)

و قال : « الله خالق كل شيء و هو على كل شيء و كيل » الزمر : ٦٢)

و على المؤمنين التو كل على الله جل وعلا في جميع شئون الحياة وهذا هو طريق النجاة و السعادة و هذا هو صراط مستقيم و سبيل السواء كما تو كل عليه تعالى جميع الرسل والانبياء عليهم السلام :

قال الله تعالى : « ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء و كيل » الانعام : ١٠٢)

و قال : « ما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلّا باذن الله و على الله فليتو كل المؤمنون ومالنا ألانتو كل على الله و قد هدانا سبلنا و لنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتو كل المتو كلون » ابراهيم : ١١ ـ ١٢)

و قال : « و ما اغنى عنكم من الله من شيء إن الحكم إلّا لله عليه تو كلت وعليه فليتو كل المتو كلون » يوسف : ٦٧)

قال : « الله لا إله إلّا هو وعلى الله فليتو كل المؤمنون » التغابن : ١٣)

و قال : « و من يتو كل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره » الطلاق :٣)

١٠ ـ (و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً)

و اصبر يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على مايقول زعماء المشركين ، وأغنياء المكذبين في من اتخاذ الولد و الشريك والصاحبة ، و مايقولون فيك من النسبة إلى السحر و الكهانة و الجنون و الشعر ... و ما يقولون فيما جئت بهم من كونه كذباً و

مفتر ومن كونه أساطير الاولين و ليس بشيء ... واصبر كما اصبر اولوالعزم من الرسل ، فلا تستعجل لهم حتى يأتيك نصرنا فانك بأعيننا ، و تجانبهم في العقيدة و العمل ، و ادعهم إلى سبيل ربك و اعف عنهم و عظهم و قل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً .

قال الله تعالى : « فاصبر على مايقولون ـ نحن أعلم بمايقولون و ماأنت عليهم بجبار » ق : ٣٩ ـ ٤٥)

وقال : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ـ و اصبر و ماصبرك إلّا بالله و لا تحزن عليهم و لاتك في ضيق ممايمكرون » النحل : ١٢٥ ـ ١٢٧)

و قال : « فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل و لا تستعجل لهم » الاحقاف : ٣٥)

و قال : « و لقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدّل لكلمات الله » الانعام : ٣٤)

وقال : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » الطور : ٤٨)

و قال : « و اتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » يونس : ١٠٩)

و قال : « فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الهاً آخر فسوف يعلمون و لقد نعلم انك يضيق صدرك بمايقولون » الحجر : ٩٤ ـ ٩٧)

و قال : « خذ العفو و امر بالعرف و أعرض عن الجاهلين » الاعراف : ١٩٩)

و قال : « فاعرض عنهم و عظهم و قل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً » النساء : ٦٣)

و ما ورد في المقام فهو من باب التأويل فتدبر جيداً .

١١ - (و ذرني و المكذبين اولي النعمة و مهلهم قليلاً)

و كل يا محمد ﷺ إليّ أمر هؤلاء المشركين ، و زعماء المترفين و أغنياء المكذبين ، فان بي غنية عنك في الانتقام منهم، ودعني و إياهم فاني اكفيكهم واجازيهم بما يستحقون به، فتمهل عليهم قليلاً واتركهم برفق وتأنّ ولاتهتمّ بشأنهم حتى يبلغ الكتاب أجلاً ، فسيذوقون الخزي والهوان في الحياة الدنيا ، و النار و العذاب في الآخرة .

قال الله تعالى : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً و لهواً و غرتهم الحياة الدنيا - ثم ذرهم في خوضهم يلعبون - فذرهم و ما يفترون » الانعام : ٧٠-٩١ -١١٢)

و قال : « ذرهم يأكلوا و يتمتعوا و يلههم الامل فسوف يعلمون » الحجر : ٣)

و قال : « فذرهم في غمرتهم حتى حين أيحسبون انما نمدّهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون » المؤمنون : ٥٤ - ٥٦)

و قال : « فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم ان كيدي متين » القلم : ٤٤ - ٤٥)

و قال : « انهم يكيدون كيداً و أكيد كيداً فمهّل الكافرين أمهلهم رويداً» الطارق : ١٥ - ١٧)

١٢ - (ان لدينا أنكالاً و جحيماً)

ان عندنا لهؤلاء المترفين ، و زعماء المشركين ، و أغنياء المكذبين قيوداً ثقالاً توضع في أرجلهم تمنع أصحابها من الحركة ، وجحيماً تؤجج نارها وتسعر وقودها ، وتشوي وجوه أصحابها .

قال الله تعالى :«و برّزت الجحيم للغاوين و قيل لهم أين ما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم أو ينتصرون فكبكبوا فيها هم والغاوون » الشعراء : ٩١ - ٩٤)

و قال : « ماأغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لايؤمن بالله العظيم » الحاقة : ٢٨ ـ ٣٣)

و قال : « و برزت الجحيم لمن يرى فأما من طغى و آثر الحياة الدنيا فان الجحيم هى المأوى » النازعات : ٣٦ ـ ٣٩)

وقال : « واذا الجحيم سعّرت » التكوير : ١٢)

و قال : « وان الفجار لفى جحيم يصلونها يوم الدين و ما هم عنها بغائبين » الانفطار : ١٤ ـ ١٦)

١٣ ـ (و طعاماً ذا غصة و عذاباً أليماً)

وان لهؤلاء الزعماء والمترفين ، و هؤلاء الاغنياء المكذبين طعاماً من شجرة الزقوم تخرج في أصل الجحيم يغلى في البطون مضافاً إلى هذا العذاب الداخلى الذى يحرقهم في الداخل ان لهم عذاباً موجعاً مولماً يحرقهم في الخارج لايقدر قدره ولايدرك كنهه كل ذلك معدّ لهم ومرصد .

قال الله تعالى : « أم شجرة الزقوم ـ انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كانه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون ثم ان لهم عليها لشوباً من حميم ثم ان مرجعهم لالى الجحيم » الصافات : ٦٤ ـ ٦٨)

وقال : « ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً » النساء : ١٠)

وقال: « ان شجرت الزقوم طعام الاثيم كالمهل يغلى في البطون كغلى الحميم خذوه فاعتلوه إلى سواء الجحيم ثم صبّوا فوق رأسه من عذاب الحميم » الدخان : ٤٣ ـ ٤٨)

و قال : « ثم انكم أيها الضالون المكذبون لا كلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم » الواقعة : ٥١ ـ ٥٥)

وقال : « فليس له اليوم ههنا حميم ولا طعام إلّا من غسلين لا يأكله إلّا الخاطئون » الحاقة : ٣٥ ـ ٣٧)

و قال : « ليس لهم طعام الّا ضريع لا يسمن و لا يغني من جوع » الغاشية: ٦ ـ ٧)

١٤ ـ (يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلاً)

ذلك العذاب في يوم تتحرك وتضطرب وتزلزل الارض بمن عليها إضطراباً شديداً و ترجف الجبال معاً أيضاً ، وتنقلع من اصولها ، و تصبح الجبال مع صلابتها و إرتفاعها رملاً سائلاً ، سائراً منتاثراً غير متماسك ، فتتفرّق أجزائها وتصير كالعهن المنفوش .

قال الله تعالى : « إذا زلزلت الارض زلزالها » الزلزلة : ١)

و قال : « اذا رجت الارض رجاً و بسّت الجبال بساً فكانت هباء منبثاً » الواقعة : ٤ ـ ٦)

و قال : « ويسئلونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفاً فيذرها قاعاً صفصفاً لا ترى فيها عوجا ولا أمتاً » طه : ١٠٥ ـ ١٠٧)

وقال : « وتسير الجبال سيراً » الطور :١٠)

و قال : « وتكون الجبال كالعهن » المعارج : ٩)

و قال : « وإذا الجبال نسفت » المرسلات : ١٠)

و قال : « وإذا الجبال سيّرت » التكوير : ٣)

وقال : « وتكون الجبال كالعهن المنفوش » القارعة : ٥)

١٥ ـ (انـا أرسلنا اليكم رسولاً شاهـداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولاً)

إنا أرسلنا إليكم يا أهل مكة رسولاً يشهد عليكم يوم القيامة باستجابة طائفة منكم دعوته ، وإمتناع الاخرين ، بايمان طائفة منكم بما جاءكم به و كفر الاخرين بتصديق طائفة منكم برسالته ، وتكذيب الاخرين ، بهداية طائفة إلى صراط مستقيم

وضلالة الاخرين ، و بطاعة طائفة وعصيان الاخرين ، كماأرسلنا إلى فرعون مصر المستكبر الطاغي المستبد رسولاً وهو موسى بن عمران عليه السلام كما ان كل نبي ورسول شاهد على امته ، وان كل مؤمن شاهد على غيره .

قال الله تعالى : « ياأيها النبي انا أرسلناك شاهداًومبشراًونذيراًوداعياًإلى الله باذنه وسراجاً منيراً » الاحزاب : ٤٥ ـ ٤٦)

وقال : « و كنت عليهم شهيداًمادمت فيهم » المائدة : ١١٧)

وقال : « ويوم نبعث في كل امة شهيداًعليهم من أنفسهم وجئنابك شهيداًعلى هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء و هدى و رحمة و بشرى للمسلمين » النحل : ٨٩)

وقال : « هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذاليكون الرسول شهيداًعليكم وتكونوا شهداءعلى الناس » الحج : ٧٨)

و قال : « فكيف إذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنابك على هؤلاء شهيداً » النساء : ٤١)

وقال : «و كذلك جعلناكم امةوسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً» البقرة : ١٤٣)

١٦ ـ (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً و بيلاً)

فعصى فرعون الرسول ـ وهو موسى بن عمران عليه السلام ـ الذي أرسلناه إلى فرعون و قومه فاستكبر ولم يؤمن به و كذّب بآياتنا ، وأضل قومه ، فاخذناه مع كثرة جنوده وسعة ملكه أخذاًشديداً هو و من معه ، فأغرقناهم في اليم لانهم كانوا قوماًمستكبرين وغافلين عن آياتنا ، عالين على عبادنا وظالمين ومفسدين في الارض ، وفي ذلك لعبرة لقوم آخرين .

قال الله تعالى : « كدأب آل فرعون و الذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم بذنوبهم ـ و أغرقنا آل فرعون و كل كانوا ظالمين » الانفال : ٥٢ ـ ٥٤)

و قال : « فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم وأضل فرعون قومه وماهدى » طه: ٧٨ _ ٧٩)

وقال : « ثم أرسلناموسى واخاه هارون بآياتنا و سلطان مبين إلى فرعون و ملائه فاستكبروا و كانوا قوماعالين _ فكذبوهما فكانوا من المهلكين » المؤمنون: ٤٥ _ ٤٨)

و قال :«إلى فرعون وقومه انهم كانوا قوماً فاسقين فلما جاءتهم آياتنامبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواًفانظر كيف كان عاقبة المفسدين » النمل : ١٢ _ ١٤)

و قال : « واستكبر هو وجنوده في الارض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فأخذناه و جنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين » القصص : ٣٩ _ ٤٠)

وقال : « فانتقمنا منهم فاغرقناهم في اليمّ بانهم كذبوا بآياتنا و كانوا عنها غافلين » الاعراف : ١٣٦)

وقال : « اذهب إلى فرعون انه طغى _ فكذّب و عصى ثم أدبر يسعى فحشر فنادى فقال أنا ربكم الاعلى فأخذه الله نكال الاخرة و الاولى ان في ذلك لعبرة لمن يخشى » النازعات : ١٧ _ ٢٦)

١٧ _(فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً)

إن كفرتم بالله تعالى ، و كذّبتم بآياته ، و عصيتم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف تتقون يوماً ، وتحذرون من هوله ، و تخشون من عذابه ، اليوم الذي يجعل الولدان شيباً ، تشيب الاطفال لو كانت تلك الاهوال في الحياة الدنيا لشدتها و شدة الافزاع و الرعاب...

فيا أيها الناس اتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله جل و علا ، فلاتجزى نفس عن نفس و انماتوفى كل نفس ما كسبت ، و اخشوا يوماً لا يجزي والد عن ولده ، و احذروا يوماً لايأمن من فزعه الّا المتقون . ، و خافوا يوماً يفرّ المرء من أخيه و

امه وابيه وصاحبته وبينه ، و هذا يوم يود الذين كفروا وعصوا الرسول لاتسوّى بهم الارض وذلك يوم عسير على الكافرين غير يسير ، فويل للمكذبين .

قال الله تعالى : « ياأيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئاً ان وعد الله حق فلاتغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور » لقمان : ٣٣)

و قال : « واتقوا يوماً لاتجزى نفس عن نفس شيئاً ولايقبل منها شفاعة ولايؤخذ منها عدل ولاهم ينصرون ـ واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون » البقرة : ٤٨ ـ ٢٧١)

و قال : « ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض إلّا من شاء الله ـ من جاء بالحسنة فله خير منها و هم من فزع يومئذ آمنون » النمل : ٨٧ ـ ٨٩)

و قال : « انا نخاف من ربنا يوما عبوساً قمطريراً فوقاهم الله شر ذلك اليوم » الانسان : ١٠ ـ ١١)

وقال : « فاذا جاءت الصاخة يوم يفرّ المرء من أخيه وامه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » عبس : ٣٣ ـ ٣٧)

و قال : « يومئذ يودّ الذين كفروا و عصوا الرسول لاتسوّى بهم الارض » النساء : ٤٢)

و قال : « فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير » المدثر : ٨ ـ ١٠)

وقال : « هذا يوم الفصل جمعناكم والاولين ـ فويل يومئذ للمكذبين » المرسلات : ٣٨ ـ ٤٠)

١٨ ـ (السماء منفطر به كان وعده مفعولا)

السماء مع عظمها منفطر بأمر الله تعالى وقدرته يوم القيامة ، كان وعد الله جل و علا بقيام الساعة و الحساب و الجزاء و اقعاً لا محالة ، فلا ينبغي لاحد أن يرتاب

في وقوعه .

وهذا اليوم يوم عسير على الكافرين يعضّ الظالم على يديه ، ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً .

قال الله تعالى : « يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن » المعارج: ٨ ـ ٩)

وقال : « فاذا نفخ في الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فدكتاد كة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة و انشقت السماء فهي يومئذ واهية » الحاقة : ١٣ ـ ١٦)

وقال : « انما توعدون لصادق وان الدين لواقع » الذاريات : ٥ ـ ٦)

وقال : « انما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين » الانعام : ١٣٤)

و قال : « ويوم تشقق السماء بالغمام و نزّل الملائكة تنزيلاً الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً ويوم يعضّ الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ياويلتى ليتني لم اتخذ فلانا خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جائني » الفرقان : ٢٥ ـ ٢٩)

١٩ ـ (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

ان هذه الايات التي ذكر فيها أمر القيامة و أهوالها ، وقوارعها وزواجرها وما اشير فيها من تبدل مشاهد كون ونواميسه عند قيام الساعة ، تملأ عظمتها وروعتها نفوس الخلق على مختلف طبقاتهم هيبة و رهبة ، و ما يفعل فيها بأهل الكفر و الطغيان ، بأهل الشرك و العصيان ، بأهل الضلالة و الحيران ، و بأهل الجحيم و النيران تذكرة بالغة لمن تذكر ، و عبرة كافية لمن اعتبر ، وعظة شافية لمن اتعظ .

فمن شاء الجنة و نعيمها ، اتخذ إلى ربه طريقاً بالايمان وصالح العمل ، والتجنب عن الكفر وفساد العمل ، اتخذ إلى ربه سبيلا بالاهتداء و الطاعة ، و الاعراض عن الضلالة والمعصية ، ومن شاء النجاة والسلام ، والسعادة و الرضوان ، اتخذ طريق

الحق والصراط المستقيم فانه المنهاج الموصل إلى مرضاة الله تعالى وثوابه ورحمته.
فقد امكن له لانه أظهر له الحجج والدلائل ...

قال الله تعالى: «و قل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر» الكهف: ٢٩)

وقال: «ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» القمر: ١٧)

و قال: «وانه لتذكرة للمتقين و انا لنعلم ان منكم مكذبين و انه لحسرة على الكافرين» الحاقة: ٤٨ ـ ٥٠)

و قال: «انها لاحدى الكبر نذيراً للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ـ فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة ـ كلا بل لا يخافون الاخرة كلاانه تذكرة فمن شاء ذكره» المدثر: ٣٥ ـ ٥٥)

وقال: «ان هؤلاء يحبون العاجلة و يذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ـ ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا» الانسان: ٢٧ ـ ٢٩)

وقال: «إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم» التكوير: ٢٧ ـ ٢٨)

٢٠ ـ (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك و الله يقدر الليل و النهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و أقرضوا الله قرضاً حسنا و ما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيراً وأعظم أجراً و استغفروا الله ان الله غفور رحيم)

ان ربك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم يعلم انك تقوم فى بعض الليالى قريباً من الثلثين، و فى بعضها قريباً من النصف، و فى بعضها قريباً من ثلث الليل لنافلته وتلاوة القرآن الكريم و التهجد فيه و الذكر لله تعالى، و يعلم ان طائفة من المؤمنين يقومون

معك لذلك .

و في ذلك دلالة على عدم فرض القيام على المؤمنين ، و إلّا كان التاركون آثمين و يؤيد ذلك قوله تعالى : « ان المتقين في جنات و عيون ـ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون و بالاسحارهم يستغفرون » الذاريات : ١٥ ـ ١٨)

كما لم يكن القيام فرضاً على النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لقوله تعالى : « و من الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً » الاسراء : ٧٩)

والله تعالى هو الذي يقدر الليل و النهار ، و يعلم مقاديرهما و ساعاتهما و أوقاتهما حسب إختلاف الافاق على حقائقها ... و يعلم القدر الذي تقومونه من الليل، ولا يفوته علم ما تفعلون ،فلا يقدّر على تقديرهما أحد سواه لما فيهما من الاختلاف باختلاف الآفاق ... ولما في تعاقبهما و طولهما وقصرهما على مرّ الايام والدهور ... و في ذلك لآيات لاولي الالباب .

قال الله تعالى : « وخلق كل شيء فقدّره تقديراً » الفرقان : ٢)

وقال : « و كل شيء عنده بمقدار » الرعد : ٨)

وقال : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل و النهار لآيات لاولي الالباب » آل عمران : ١٩٠)

علم الله تعالى ان الشأن لن تطيقوا أيها المؤمنون إحصاء الاوقات للقيام فيها بنافلة الليل و قراءة القرآن الكريم والتهجد فيه ، فضلاً عن تقدير الليل و النهار و ضبط ساعاتهما وتحفظ أوقاتهما تماماً .

وهذا إحدى الادلة الاربع لعدم فرض القيام لنافلة الليل إذ في إحصاء أوقاته و تحفظها كلفة وحرج ، وان الله تعالى ما كلّف نفساً إلّا وسعها ، ولا في الدين من حرج.

قال الله تعالى : « لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها » البقرة ٢٨٦)

وقال : « وما جعل عليكم في الدين من حرج » الحج : ٧٨)

وقال : « ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله سنة الله في الذين خلوا من قبل» الاحزاب : ٣٨)

فتاب الله تعالى عليكم بان جعل القيام لنافلة الليل تطوعاً ، ولم يجعله فرضاً عليكم ، إذ خصّص لكم فى ترك القيام المقدر ، ورفع عنكم التبعة فى تركه .

نظير قوله تعالى فى عدم وجوب الصدقة و ترك المؤمنين المندوب ، و رفع تبعته عنهم : « يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدّموا بين يدى نجواكم صدقة ذلك خير لكم وأطهر فان لم تجدوا فان الله غفور رحيم ـ فاذ لم تفعلوا وتاب الله عليكم » المجادلة : ١٢ ـ ١٣)

فاقرؤا أيها المؤمنون من غير تحمّل المشاق ماتمكّن لكم من القرآن الكريم قبل نافلة الليل أو بعدها أو قبلها وبعدها معاً .

قال الله تعالى فى وصف المؤمنين : « يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات اولئك من الصالحين » آل عمران . ١١٣ ـ ١١٤)

علم الله تعالى ان الشأن سيكون منكم مرضى يعسر عليهم القيام لنافلة الليل ، وهذا سبب ثان لعدم فرض نافلة الليل .

و ذلك اذا خفّف الله تعالى الفرائض عن المرضى ماداموا هم مرضى فكيف النوافل ...

قال الله تعالى : « ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج » التوبة : ٩١)

وقال : « وإن كنتم مرضى أو على سفر ـ ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » المائدة : ٦)

وقال : « ومن كان مريضاً أو على سفر فعدة من أيام اخر يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر » البقرة : ١٨٥)

وطائفة آخرون غير مرضى ، ولكنهم يسافرون فى أقطار الارض ، ويطلبون الرزق ويسعون فى طلب المعاش بالتجارة وغيرها من أنحاء الكسب الحلال من فضل الله تعالى وان السفر يستدعى النوم والراحة فى الليل .

قال الله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه و لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » القصص : ٧٣)

وطائفة ثالثة آخرون هم يقاتلون الاعداء و يجاهدون في سبيل الله تعالى ، يشق عليهم السهر والقيام ليلاً والقتال نهاراً .

في تسوية درجة المجاهدين لدرجة المكتسبين المال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والاحسان والافضال دليل على أن كسب الحلال بمنزلة الجهاد اذ جمعه الله تعالى مع الجهاد في سبيل الله جل وعلا ، مضافاً إلى أن الانسان يتمكن بالمال للانفاق و الجهاد ، وقد حثّه الله تعالى عليهما بقوله : « يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض » البقرة : ٢٦٧)

وبقوله : « فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة » النساء : ٩٥)

وبقوله : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : ١٥)

فاذا كان الامر كذلك ويشق عليكم القيام لنافلة الليل ، فاقرؤا ما تيسّر لكم من القرآن الكريم فلا تتركوا .

وأقيموا الصلاة المفروضة أيها المؤمنون في كل حال، فانها ثابت حكمها لا يسقط بحال مادمتم أحياء ...

قال الله تعالى : « الذين هم على صلاتهم دائمون ـ والذين هم على صلاتهم يحافظون » المعارج : ٢٣ ـ ٣٤)

وقال : « و أوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حياً » مريم : ٣١)

وقال : « وما امروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء و يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة » البينة : ٥)

وآتوا الزكاة المالية الواجبة عليكم أيها المؤمنون ، و ذلك لان الحاجة ماسة إلى هذه الفريضة منذ بدء دعوة الاسلام سواء أكانت من أجل أغراض هذه الدعوة أم لاجل مساعدة الذين آمنوا من ذوالحاجات و الارقاء الذين كانوا أكثرية أتباع

النبي الكريم ﷺ بمكة .

وقدجاء الامر بالزكاة عقيب الامر بالصلاة المفروضة بمواضع عديدةمن سور مكية كسورةالليل : ١٨) والاعراف:١٥٦)والمؤمنون : ٤)والنمل:٣)ولقمان: ٤) وفصلت : ٧)وغيرها كلهايدل على الفرض والوجوب ، و حمل تلك الايات على التطوع والندب ممالايرضى صاحبها جداً ، وتلجلج بعض المتفسرين تلجلج لايعتنى به . وأقرضوا الله قرضاً حسناً أيها المؤمنون برفع حوائج المحتاجين بالقرض من غير ربح وبالانفاق في وجوه البر وإعلاء كلمة الحق وابطال الباطل، وتقطيع أذناب الكافرين حتى يبدله الله تعالى بالاضعاف الكثيرة في الحياة الدنيا والاجر الكثير في الاخرة.

قال الله تعالى :«من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة » البقرة : ٢٤٥)

وقال : « لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضاً حسناً لاكفرّن عنكم سيئاتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار » المائدة : ١٢)

وقال:«من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم»الحديد:١١) وماتقدّموا لانفسكم أيها المؤمنون من خير ممافعلتم من الطاعات وصالح الاعمال مما ذكر ومالم يذكر ،ومماتؤخرونه لمابعد الموت بالوصية من صلاة وصيام وحج مندوبات ومن صدقات جاريات ، وماإليهامن وجوه البر وأعمال الخير تجدوا كل ذلك عندالله تعالى هو خيراً من أعمالكم وأعظم أجراًلكم .

قال الله تعالى : « علمت نفس ماقدّمت وأخرّت » الانفطار : ٥)

وقال : « ينبّؤ الانسان يومئذ بماقدّم وأخرّ » القيامة : ١٣)

وقال : « لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصيها و وجدوا ما عملوا حاضراً » الكهف : ٤٩)

وقال : « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ماعملوا ويزيدهم من فضله»

النور : ٣٧ ـ ٣٨)

وقال : « ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة و لا يقطعون واديا إلّا كتب لهم ليجزيهم الله أحسن ما كانوا يعملون » التوبة : ١٢١)

واستغفروا الله تعالى أيها المؤمنون فى كافة أحوالكم فان الانسان قلما يخلو من تفريط ، لان الله جل وعلا غفور يغفر لكم ، رحيم يرحمكم خاصة .

قال الله تعالى : « ورحمتي وسعت كل شيء فسا كتبها للذين يتقون و يؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الاعراف : ١٥٦)

﴿ جملة المعانى ﴾

٥٤٧٦ - (يا ايها المزمل)

يا أيها المتلفف بثيابك تريد النوم تخفيفاً لثقل الوحى .

٥٤٧٧ - (قم الليل الا قليلاً)

قم يا محمد ﷺ الليل لنافلته و العبادة لله تعالى و تلاوة القرآن الكريم .

٥٤٧٨ - (نصفه أو انقص منه قليلاً)

نصف الليل أو أنقص من النصف قليلاً إلى الثلث .

٥٤٧٩ - (أو زد عليه و رتل القرآن ترتيلا)

أو زد يا محمد ﷺ قيامك على نصف الليل إلى الثلثين ، و تمهّل فى تلاوة القرآن و بيّنه تبياناً ليتمكن السامع أن يستمع له .

٥٤٨٠ - (انا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً)

انا سنوحى إليك يا محمد ﷺ قولاً ثقيلاً من جهة عظم قدره و جلالة خطره .

٥٤٨١ - (ان ناشئة الليل هى أشد و طأ و أقوم قيلاً)

ان الحركة من المضجع و القيام وقت السحر و النوم لنافلة الليل و التهجد أشد ثبات قدم و أقوم مقالاً .

٥٤٨٢ - (ان لك فى النهار سبحاً طويلاً)

ان لك يا محمد ﷺ فى النهار فراغاً طويلاً فى مهماتك و اشتغالاً بمشاغلك فلا تتفرغ للصلاة و العبادة .

٥٤٨٣ - (و اذكر اسم ربك و تبتل اليه تبتيلاً)

و اذكر يامحمد ﷺ إسم ربك ودم عليه، وخاصة ليلاً وتضرّع إليه منقطعاً عما سواه.

٥٤٨٤ ـ (رب المشرق و المغرب لا اله الا هو فاتخذه و كيلا)

لانه رب هذا الوجود كله إذلا اله الّا هو فاتخذه وحده و كيلاً في جميع شئون حياتك .

٥٤٨٥ ـ (و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلاً)

واصبر يامحمد ﷺ على مايقول هؤلاء المشركون والاغنياء المترفون فيّ و في كتابي وفيك، وادعهم إلى الحق وسواء السبيل على طريق المناصحة والمداراة من غير أن تواجههم بمافي وسعك من المقابلة بالمثل .

٥٤٨٦ ـ (و ذرني و المكذبين اولي النعمة و مهلهم قليلاً)

واترك يامحمد ﷺ ودع أمرهم إليّ برفق وتأنّ ، و مهلهم قليلاحتى يبلغ الكتاب أجله .

٥٤٨٧ ـ (ان لدينا أنكالاً و جحيماً)

ان عندنا لهؤلاء المكذبين المترفين قيوداً ثقالاً يقيّدون بها ، عندنا لهم مضافاً إلى ذلك جحيماً تؤجج نارها وتسعر وقودها وتشوي وجوه أصحابها .

٥٤٨٨ ـ (و طعاماً ذا غصة و عذاباً أليماً)

وان لهم طعاماً من شجرة الزقوم تخرج في أصل الجحيم، ولهم عذاباً موجعاً مولماً.

٥٤٨٩ ـ (يوم ترجف الارض و الجبال و كانت الجبال كثيباً مهيلاً)

ذلك العذاب في يوم تضطرب الارض إضطراباً شديداً ، و معها ترجف الجبال ، وتنقطع من اصولها ، وتصير الجبال رملاً متناثراً غير متماسك .

٥٤٩٠ ـ (انـا أرسلنا اليكم رسولاً شاهـداً عليكم كماأرسلناالى فرعون رسولاً)

انا ارسلنا إليكم ياأهل مكة رسولاً يشهد عليكم يوم القيامة بايمان طائفة و إمتناع الاخرين منكم ، كماأرسلنا إلى فرعون مصر رسولاً .

٥٤٩١ ـ (فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً و بيلاً)

فعصى فرعون مصر رسولنا و هو موسى عليه السلام فاخذنا فرعون أخذاً شديداً هو

ومن معه .

٠٤٩٢ ـ(فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً)

إن كفرتم بالله تعالى فكيف تتقون يوماً و تحذرون من هوله ، تشيب الاطفال منه.

٠٤٩٣ ـ (السماء منفطر به كان وعده مفعولا)

السماء مع عظمها متصدع بامر الله تعالى عند قيام الساعة كان وعده تعالى واقعاً لامحالة .

٠٤٩٤ ـ (ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا)

ان تلك الايات التي ذكر فيها أمر القيامة وأهوالها ، فمن شاء الجنة و نعيمها اتخذ إلى ربه طريقاً بالايمان وصالح الاعمال ...

٠٤٩٥ ـ (ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك و الله يقدر الليل و النهار علم أن لن تحصوه فتاب عليكم فاقرؤا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله و آخرون يقاتلون في سبيل الله فاقرؤا ما تيسر منه و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة و أقرضوا الله قرضاً حسنا و ما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً و استغفروا الله ان الله غفور رحيم)

ان ربك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم يعلم انك تقوم في بعض الليالي قريباً من الثلثين ، وفي بعضها قريباً من النصف ، وفي بعضها قريباً من الثلث لنافلته و التهجد فيه ، و يعلم ان طائفة من المؤمنين يقومون معك لذلك ، والله تعالى هو الذي يقدر الليل و النهار ، ويعلم مقاديرهما و أوقاتهما. علم الله تعالى ان الشأن لن تستطيعوا باحصاء الاوقات للقيام لنافلة الليل ، فرخّص لكم ترك القيام ورفع عنكم تبعة الترك ، فاقرؤا أيها المؤمنون ما تيسّر لكم من القرآن ، علم الله تعالى ان الشأن سيكون منكم مرضى يعسر عليهم القيام لنافلة الليل ، و طائفة آخرون منكم يسافرون في الارض يسعون في طلب المعاش ، وطائفة آخرون منكم يقاتلون الاعداء يشق عليهم

القيام ليلاً والقتال نهاراً .

فاذاكان الامر كذلك ، فاقرؤا ماتيسّر لكم من القرآن ولاتتركوا، وأقيموا الصلاة المفروضة اليومية فى كل حال، وآتوا الزكاة الواجبة ، واقرضوا اللّٰه تعالى قرضاً حسناً بقرض المحتاجين من غير ربح وبالانفاق فى وجوه البر ،وماتقدموا الانفسكم أيها المؤمنون من خير تجدوه عنداللّٰه هو خيراً، وان لكم عنداللّٰه أعظم أجراً، واستغفروا اللّٰه فى كافة أحوالكم لان اللّٰه تعالى غفور يغفر لذنوبكم ، رحيم يرحمكم .

﴿ بحث روائي ﴾

في تفسير البرهان : بالاسناد عن الكلبي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال : يا كلبي كم لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم من إسم في القرآن ؟ فقلت : إسمان أو ثلاثة ، فقال : يا كلبي له عشرة أسماء ـ إلى أن قال ـ : و يا أيها المزمل . الحديث .

أقول: ان الكلبي مخدوش عند أصحابنا الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، ولو سلمنا وهذا من باب إطلاق الوصف على الموصوف باعتبار ملاحظة معنى الوصفية فيه كقولك أيها الفاضل ويا أيها المحقق ... واطلاق المزمل على النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم باعتبار وصفه الظاهر من تزمله بثيابه .

و في جوامع الجامع : و روى انه قد دخل على خديجة و قد جئث فرقاً ، فقال : زمّلوني فبينا هو على ذلك إذ ناداه جبرئيل : « يا أيها المزمل »

قوله : « وقد جئث » جئث الرجل : ثقل عند القيام أو عند شيء ثقيل و« فرقاً »: فزعاً وخوفاً .

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن : للقرطبي عن عائشة ـ كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم متزملاً ـ بمرط طوله أربعة عشر ذراعاً ، نصفه عليّ وأنا نائمة ، و نصفه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم و هو يصلي والله ما كان خزاً ولا قزاً ولا مرعزاء ولا إبريسما و لا صوفا ، كان سداه شعر أو لحمته وبراً .

ثم قال القرطبي : وهذا القول من عائشة يدل على أن السورة مدنية، فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يبن بها إلّا في المدينة وما ذكر من أنها مكية لا يصح .

أقول: وقد اتفق جمهور المفسرين على مكية السورة وخاصة معظم أوائلها

و كثير من الروايات يؤيد مكيتها ، و رواية عائشة من موضوعات العامة أو من أكاذيب عائشة فانها ولدت بعد بضع سنين من نزول السورة فضلاً عن كونها زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند نزولها ،وان الواقع لا يتغيّر لاصلاح الموضوع أو الكذب ؟« ان الله لا يصلح عمل المفسدين » يونس : ٨١)

وفي تفسير القمي : « يا أيها المزمل قم الليل إلّا قليلاً نصفه أو انقص »قال: هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يتزمّل بثوبه و ينام فقال : « يا أيها المزمل قم الليل إلّا قليلا نصفه أو انقص منه قليلا » قال : انقص من القليل « أوزد عليه » أي على القليل قليلاً .

وفي التهذيب : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئلته عن قول الله تعالى : « قم الليل إلّا قليلا » قال : أمره الله أن يصلّي كل ليلة إلّا أن تأتي عليه ليلة من الليالي لا يصلّي شيئاً .

أقول: وفي الرواية إشارة إلى أحد الاقوال السابقة في الاية الكريمة .

و في المجمع : و قيل : إن نصفه بدل من القليل ، فيكون بياناً للمستثنى ، ويؤيد هذا القول ماروى عن الصادق عليه السلام قال : القليل : النصف أو انقص من القليل قليلاً ، أو زد على القليل قليلاً .

وفي قرب الاسناد: باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن ابيطالب عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قول الله تعالى : « و رتل القرآن ترتيلا » فقال تثبّته تثبيتاً ولا تنثره نثر الرمل ، ولا تهذّه هذّ الشعر قفوا عند عجائبه حرّكوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة .

وفي الكافي : باسناده عن عبدالله بن سليمان قال : سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل : « ورتل القرآن ترتيلاً » قال :قال أمير المؤمنين عليه السلام :بيّنه تبياناً ، ولا تهذّه هذّ الشعر ، ولا تنثره نثر الرمل ، ولكن اقرعوا به قلوبكم القاسية ، و لا يكن همّ أحدكم آخر السورة .

قوله : « و لا تهذّه » الهذّ : سرعة القراءة ، و المعنى : لا يتسرع كما

يتسرع فـى قراءة الشعر و لا تفرغ كلماته بحيث لا تكاد تجتمع كذرات الرمل .

وفي المجمع : عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « رتل القرآن ترتيلا » قال : هو أن تتمكث فيه ، وتحسن به صوتك .

و فيه : عن ام سلمة انها قالت : كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقطع قرائته آية آية.

وفي الدرالمنثور: أخرج العسكري في المواعظ عن علي عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سئل عن قول الله : « ورتل القرآن ترتيلا » قال : بيّنه تبييناً ،ولا تنثره الدقل، ولا تهزه هزّ الشعر ، قفوا عند عجائبه وحرّكوا به القلوب و لايكن همّ أحدهم آخر السورة .

وفيه: عن طاوس قال :سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أي الناس أحسن قراءة قال :الذي إذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله .

وفي الكافي: باسناده عن علي بن أبي حمزة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ان القرآن لايقرء هذرمة ولكن يرتل ترتيلا ،فاذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فقف عندها واسئل الله عزوجل الجنة ، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوذ بالله من النار .

وفي المجالس : باسناده عن عبدالرحمن بن كثير الهاشمي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن أمير المؤمنين عليه السلام ـ في حديث وصف المتقين ـ قال: أما الليل فصافّون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلونه ترتيلا ، يحزنون به أنفسهم ، و يستشيرون به تهييج أحزانهم ، بكاء على ذنوبهم ، و وجع كلوم جراحهم ، و إذا مرّوا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وأبصارهم ، فاقشعرّت منها جلودهم ، ووجلت قلوبهم ، فظنوا أن صهيل جهنم و زفيرها و شهيقها في اصول آذانهم ، و إذا مرّوا بآية فيها تشويق ركنوا إليها طمعاً ، و تطلعت أنفسهم إليها شوقاً وظنوا أنها نصب أعينهم .

وفي وسائل الشيعة : بالاسناد عن علي بن أبي حمزة قال : سئل أبو بصير

أباعبدالله عليه السلام وأنا حاضر فقال له : جعلت فداك أقرأ القرآن في ليلة ؟ فقال :لاقال :
ففي ليلتين ؟فقال : لاحتى بلغ ستّ ليال فأشار بيده ، فقال : هائم قال : يابا محمد
إن من كان قبلكم من أصحاب محمد كان يقرأ القرآن في شهر وأقل ، ان القرآن
لا يقرأ هذرمة ، و لكن يرتّل ترتيلاً ، إذامررت بآية فيها ذكر النار و قفت
عندها و تعوذت بالله من النار ، فقال أبو بصير : أقرأ القرآن في رمضان في
ليلة؟ فقال :لافقال:ففي ليلتين ؟فقال :لا فقال : ففي ثلاث ؟ فقال : ها و أو ما بيده
نعم شهر رمضان لا يشبهه شيء من الشهور له حق و حرمة أكثر من الصلاة ما
استطعت .

قوله عليه السلام : « هذرمة » إسراع في القراءة .

وفيه: عن علي بن أبي حمزة قال : دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال له أبو بصير :
جعلت فداك أقرأ القرآن في شهر رمضان في ليلة ؟ فقال : لا قال : ففي ليلتين؟
فقال : لا ، فقال: ففي ثلاث ؟ فقال: ها ، وأشار بيده ثم قال : ياأبا محمد ان لرمضان
حقاً وحرمة لايشبهه شيء من الشهور وكان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ أحدهم القرآن
في شهر أو أقل ، ان القرآن لايقرأ هذرمة ، و لكن يرتّل ترتيلاً ، وإذا مررت بآية
فيها ذكر الجنة فقف عندها ،وسل الله الجنة ، و إذامررت بآية فيها ذكر النار فقف
عندها وتعوّذ بالله من النار .

وفي رواية: عن عبدالله بن مغفل قال :رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم فتح مكة على
ناقته يقرأ سورة الفتح فرجّع في قرائته .

وفي رواية: زيّنوا القرآن باصواتكم ولقد اولى هذا مزماراً من مزامير
آل داود »

وفي رواية: عن جابر قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و نحن نقرأ
القرآن و فينا العربي و العجمي فقال : اقرؤا كل حسن و سيجيء أقوام
يقيمونه كما يقام القدح ـ السهم ـ يتعجلونه و لا يتأجلونه لايجا و ز تراقيهم .

وفي المجمع : عن عبدالله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لصاحب القرآن

إقرأ و أرق ، و رتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فان منزلتك عن آخر درجة تقرأها « انا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً » أي سنوحي إليك قولاً يثقل عليك وعلى امتك .

وفيه: سئل الحارث بن هشام رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله كيف يأتيك الوحي ؟ فقال ﷺ : أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس ،وهو أشد علي فيفصم عني و قد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل الملك رجلاً فاعي ما يقول .

قوله ﷺ: « فيفصم » : فيقطع .

وفي التهذيب : باسناده عن هشام إبن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله تعالى: «ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلاً » قال : يعني بقوله :«وأقوم قيلا» قيام الرجل عن فراشه يريد به الله عزوجل ولا يريد به غيره .

وفي بعض النسخ : «لا يريد به غيره» من غير واو .

وفي المجمع : في قوله تعالى: « ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا» قال: و المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام انهما قالا : هي القيام في آخر الليل إلى صلاة الليل .

و في تفسير القرطبي : وكان علي بن الحسين عليه السلام يصلي بين المغرب والعشاء و يقول :هذا ناشئة الليل .

و في الدر المنثور : أخرج ابن المنذر عن حسين بن علي عليه السلام انه رؤي يصلّي بين المغرب و العشاء فقيل له في ذلك ؟ فقال :انهما من الناشئة .

وفي تفسير القمي : وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «ان لك في النهار سبحا طويلاً » يقول: فراغاً طويلاً لنومك وحاجتك. وقوله : «وتبتل إليه تبتيلاً » يقول : اخلص النية إخلاصاً .

وفيه: في قوله تعالى : « و تبتل إليه تبتيلاً » قال : رفع اليدين وتحريك السبابتين .

وفى الكافى : باسناده عن أبى اسحق عن أبى عبدالله عليه السلام قال: الرغبة أن تستقبل ببطن كفيك إلى السماء ، و الرهبة أن تجعل ظهر كفيك إلى السماءو قولـه : « و تبتل إليه تبتيلاً » قـال : الدعاء باصبع واحدة تشير بها ، و التضرع تشير باصبعيك و تحرّكهما ، و الابتهال رفع اليدين و تمدّهما ، و ذلك عند الدمعة ثم ادع.

وفى معانى الاخبار: باسناده عن على ابن جعفر عن اخيه موسى بن جعفر عليه السلام قال : التبتل : أن تقلّب كفيك فى الدعاء إذا دعوت ، و الابتهال : ان تبسطهما و تقدّمهما ، و الرغبة: أن تستقبل براحتيك السماء وتستقبل بهما وجهك،والرهبة: أن تلقى (تكفى خ) بكفيك فترفعهما إلى الوجه ، والتضرّع:أن تحرّك اصبعيك وتشير بهما .

وفى المجمع : فى قوله تعالى : « و تبتل إليه تبتيلاً » وروى محمد بن مسلم و زرارة و حمران عن أبى جعفر و أبى عبدالله عليهما السلام :ان التبتل هنا رفع اليدين فى الصلاة و فى رواية أبى بصير قال : هو رفع يدك إلى الله و تضرّعك إليـه .

وفى الكافى : باسناده عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبدالله عليه السلام :يا حفص انّ من صبر صبراً قليلاً ،و إنّ من جزع جزع قليلاً ، ثم قال : عليك بالصبر فى جميع امورك ، فـان الله عـزوجل بعث محمداً صلى الله عليه وآله وسلم فأمره بالصبر و الرفق فقال : « و اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجراً جميلا و ذرنى والمكذبين اولى النعمة » الحديث .

وفيه: باسناده عن محمد بن الفضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام قال:قلت: « فاصبر على ما يقولون » قال : يقولون فيك « واهجرهم هجراً جميلا وذرنى » يا محمد « والمكذبين » بوصيك . الحديث .

و فى الاحتجاج : عن الامام على عليه السلام ـ فى حديث يذكر فيه المنافقين ـ قال: و مازال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يتألفهم و يقربهم و يجلسهم عن يمينه و شماله حتى أذن الله

عزوجل له في ابعادهم بقوله : « واهجرهم هجراً جميلاً »

وفي المناقب: لا بن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه عن أبان بن عثمان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: « و ذرني والمكذبين » الاية قال : هو وعيد يوعدالله عزوجل من كذب بولاية علي أمير المؤمنين عليه السلام.

وفي المجمع: في قوله تعالى : « وطعاماً ذا غصة » وروى عن حمران بن اعين عن عبدالله بن عمر : ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم سمع قارئاً يقرأ هذه فصعق .

وفي تفسير القرطبي: وقال حمران بن أعين : قرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « ان لدينا أنكالاً وجحيما وطعاماً ذا غصة » فصعق .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : « و طعاماً ذا غصة » قال : لايقدر أن يبلعه . و قوله: « يوم ترجف الارض والجبال » قال: أي تخسف « وكانت الجبال كثيبا مهيلاً » قال : مثل الرمل ينحدر .

وفي تفسير القرطبي: و في حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «انهم شكوا إليه الجدوبة» فقال : « أتكيلون أم تهيلون ؟ » قالوا : نهيل . قال : « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه »

وفي التوحيد : باسناده عن عبدالله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال - في حديث - : فيأمر الله عزوجل ناراً يقال لها :الفلق أشد شيء في جهنم عذاباً، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والاغلال ، فيأمرها الله عزوجل أن تنفخ في وجوه الخلائق نفخة ، فتنفخ فمن شدة نفختها تنقطع السماء و تنطمس النجوم و تجمد البحار وتزول الجبال و تظلم الابصار و تضع الحوامل حملها ، و تشيب الولدان من هولها يوم القيامة .

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى : « فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً » قال : كيف إن كفرتم تتقون ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيباً . و قال أيضاً ، تشيب الولدان من الفزع حيث يسمعون الصيحة .

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام : «احذروا يوماً تفحص فيه الاعمال ،

ويكثر فيه الزلزال وتشيب فيه الاطفال ».

وفي تفسير القمي : و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى : « ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه » ففعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك وبشر الناس به ، فاشتدّ ذلك عليهم و « علم أن لن تحصوه » و كان الرجل يقوم و لايدري متى ينتصف الليل ، و متى يكون الثلثان ، و كان الرجل يقوم حتى يصبح مخافة أن لا يحفظه فأنزل الله : « ان ربك يعلم انك تقوم» إلى قوله: « علم أن لن تحصوه » يقول : متى يكون النصف والثلث نسخت هذه الاية « فاقرؤا ما تيسّر من القرآن » واعلموا أنه لم يأت نبي قط إلّا خلا بصلاة الليل و لا جاء نبي قط إلّا بصلاة الليل في أول الليل .

وفي شواهد التنزيل: للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن إبن عباس في قوله تعالى : « ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه وطائفة من الذين معك » قال : علي و أبوذر .

وفيه: باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى : « ان ربك يعلم انك » يا محمد « تقوم » تصلي « أدنى من ثلثي الليل و نصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك » قال : فأول من قام الليل معه عليّ ، و أول من بايع معه عليّ ، و أول من هاجر معه عليّ

وفي المجمع : في قوله تعالى : « فاقرؤا ما تيسر منه » و روى عن الرضا عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام قال : ما تيسّر منه لكم فيه خشوع القلب و صفاء السرّ

و في الدر المنثور : عن إبن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « فاقرؤا ما تيسّر منه» قال: مائة آية .

وفيه: عن عبدالله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ما من جالب يجلب طعاماً إلى بلد من بلاد المسلمين ، فيبيعه بسعر يومه إلّا كانت منزلته عندالله منزلة الشهيد ثم قرء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « و آخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله و

آخرون يقاتلون فى سبيل الله ».

وفى تفسير القمى: عن سماعة قال: سئلته عن قول الله: « واقرضوا الله قرضاً حسناً » قال: هو غير الزكاة.

و فى الخصال: عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام - فيما علّم أصحابه من حديث الاربعمأة - قال اكثروا الاستغفار تجلبوا الرزق، و قدّموا مااستطعتم من عمل الخير تجدوه غداً. قيل: ذيله مأخوذ من قوله تعالى: « وما تقدّموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيراً و أعظم اجراً »

﴿ بحث فقهي ﴾

وقداستدل بعض الفقهاء بقوله تعالى : « واذكر اسم ربك» المزمل:٨) على وجوب البسملة في أول سورة الحمد وفي أول السور القرآنية إلّا سورة التوبة .

أقول: ليس في الاية دلالة و لا ايماء على ذلك ، نعم لو كانت الجملة قبل قوله تعالى : « و رتل القرآن ترتيلا » لكان لذلك وجه . و أما وجوب البسملة في أوائل السور فله أدلة ، قد تقدم بعض الكلام منا في تفسير سورة الحمد فراجع .

واستدل بعضهم : بقوله تعالى :«وتبتل اليه تبتيلاً »المزمل :٨)على وجوب رفع اليدين في الصلاة لما روى عن محمدبن مسلم وحمران بن أعين عن الباقر و الصادق عليهما السلام: ان التبتيل هنا رفع اليدين في الصلاة . و عن أبي بصير : « قال هو رفع يديك إلى الله وتضرّعك إليه » وقال : ويمكن أن يكون ذلك علامة على الانقطاع إلى الله الذي هو معنى التبتيل .

أقول: وليس في الاية الكريمة ولا في الروايتين دلالة على المدعى ،وأما وجوب رفع اليدين في تكبيرة الاحرام والسلام فله أدلة خاصة ، و أما رفعهما في سائر تكبيرات الصلاة ففي وجوبه كلام طويل في محله فراجع .

و منهم : من استدل بقوله تعالى : « فاقرؤا ماتيسّر من القرآن »المزمل: ٢٠)على وجوب قراءة شيء من القرآن في الصلاة ، وذلك لان قراءة شيء من القرآن واجب ، ولا شيء من القراءة في غير الصلاة بواجب ، فيكون الوجوب في الصلاة ، و هو المطلوب ، أما الصغرى فلصيغة الامر الدالة على الوجوب ، و أما الكبرى فبالاجماع .

ان قلت : ان الكبرى ممنوعة ، وسند المنع ان الوجوب إما عينى ولا إشعار به في الكلام، وإما كفائى فعدمه في غير الصلاة ممنوع ، بل يجب لئلا يندرس المعجزة؟

قلت : ان المراد بالوجوب هو الوجوب العينى كما هو الاغلب في التكاليف ، وهو المتبادر إلى الذهن عند الاطلاق ، ولا ريب ان قراءة القرآن غير واجبة عيناً في غير الصلاة إجماعاً ، فتجب فيها عينياً ، فالقراءة الواجبة هنا مجملة علم بيانها بالسنة النبوية ، والمراد بها الفاتحة لقول النبي الكريم ﷺ : «لا صلاة إلّا بفاتحة الكتاب» وقوله ﷺ : «كل صلاة لم يقرأ فيها فاتحة الكتاب ففي خداج» ولا بد من قراءة سورة اخرى بعد الفاتحة ، و إن كانت من أقصر السور على ما ورد من الروايات واجماع الفقهاء الشيعة الامامية الاثنى عشرية كثر الله تعالى أمثالهم ...

ومنهم : من استدل بالاية الكريمة على استحباب قراءة القرآن في غير الصلاة على أن الامر هنا للاستحباب لا الوجوب وخاصة في الليل.

ان قلت : ان قراءة القرآن واجبة كفاية للحفظ في الصدر لبقاء الاحكام و المعجزة و أدلة اصول الدين فليحمل عليه ؟

قلت : ان القيد حينئذ يصير لغواً فتأمل .

ومنهم : من قال : ان الاية الكريمة وتكرارها تدل على وجوب قراءة القرآن في غير الصلاة لان الامر في غير الصلاة وهو إذا تكرر يدل على الوجوب ، فيجب على كل مسلم قراءة القرآن ، وإن قل نظراً إلى بقاء المعجزة ، ووقوفا على دلائل الاصول الاعتقادية من التوحيد والنبوة والمعاد التى لا يجوز فيها التقليد .

وقد استدل منهم : بقوله تعالى : «و آخرون يضربون في الارض يبتغون من فضل الله» المزمل : ٢٠) على جواز المضاربة ، وذلك لان الاية تدل على رجحان التكسب من غير أن يفرق بين كونه بمال المكتسب أو بمال غيره .

أقول: ان المضاربة في اصطلاح الفقهاء : هي دفع أحد النقدين إلى شخص ليعمل به فتكون له حصة من الربح على ما يتعاهدان به ، وأما الضرب في الارض فهو التصرف فيها ، وهو أعم من المضاربة ،ولا دلالة للعام على الخاص ، مع أن المضاربة

تكون حضراً و سفراً ، فالاستدلال بهذه الاية يخصّص موضوع المضاربة فلا دلالة فيها إلّا بعموم بعيد .

ومنهم : من استدل بقوله تعالى : « و ماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هو خيراً وأعظم أجراً » المزمل : ٢٠) على جواز العطايا المنجزة كالوقف والسكنى والصدقات الجارية والهبة وغيرها ...

أقول: ان الاية الكريمة لاتدل على ذلك بالخصوص ،بل هي بعمومها وظاهرها تحضّ المؤمنين على فعل الخيرات وصالح الاعمال ، ويدخل فيهاما ذكر .

وقداستدل الاردبيلي قدس سره بقوله تعالى : « و استغفروا الله » المزمل : ٢٠) على وجوب الاستغفار على المؤمنين في جميع الاحوال ، و ذلك لان الانسان لا يخلو عن تفريط وتقصير وذنب قطّ وقال : ان قوله تعالى : « ان الله غفور رحيم » يؤكد وجوب الاستغفار ، والمعنى : يجب عليكم الاستغفار فانه يغفر لكم فانه ستار لذنوبكم ، و صفوح عنكم ، رحيم بكم ، فلاتتركوه ، فدلت على وجوب الاستغفار ومشروعيته دائماً ، و إن لم يشعر بالذنب ، فيمكن إستحباب التوبة حينئذ دائماً من غير شعور بصدور الذنب ، ويدل على قبول التوبة ايضاً فافهم .

﴿ بحث مذهبى ﴾

و اعلم أن فى قوله تعالى : « ان هذه تذ كرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا » المزمل : ١٩) رداً على مذهب الأشاعرة من العامة ، ودلالة على بطلانه ، وذلك لانها تدل على أن الكفر والايمان كليهما واقعان تحت اختيارنا ، و ليسا مخلوقين فينا من غير جهة إرادتنا ـ على ما ذهب هؤلاء المجبرة فضلّوا و اضلّوا كثيراً ـ و الّا لم يصح هذا الكلام .

ونحن لا نرى بدأ إلّا بذكر ما يميّز به مذهب الحق والصواب من مذهب الباطل السخيف ، ويميز الطيب سليم القلب من الخبيث مريض القلب ، ويميز الضال المضل من الهادى المهتدى ، و بالجملة يميّز صراط مستقيم من سبل الشيطان ... ثم اقض فأنت قاض .

وهذا هو :

ان الشيعة الامامية الاثنى عشرية يقولون : ان الله تعالى خلق الخلائق لاشريك له فى الخلق ولا خالق سواه ، و ركب فى كل مخلوق صفة ، وجعل لكل موجود أثراً ، وجعل من أوصاف الاشياء وآثارها نوعين :

أحدهما : مايصدر عنها صدوراً لاباختيارها ، و لاهى مقيدة بارادتها كطلوع الشمس واشراقها ، وغروب الشمس واخفائها ، و كنبت الاشجار وإثمارها ...

ثانيهما : مايصدر عنها صدوراً تحت اختيارها ومقيدة بارادتها كمشى الدابة و وقوفها ، وطلبها للحشائش وأكلها .

وهم يقولون : ان هناك فرقاً ضرورياً بين حركة يد المرتعش الحادثة لا عن

اختياره وتحريك اليد لتناول الطعام والشراب المنضبط تحت الاختيار، كالفرق بين التنفس والتكلم، وبين قوة الرؤية للعين ورؤيتها، وبين نبات الشعر وحلقه حيث ان الاول لا إختيار فيها، والثاني إختياري.

وان الفعل الاختياري هو ما إذا شاء الانسان فعله أو شاء تركه، الامر الذي يجده الانسان في صميم فطرته فارقاً بين الامرين بديهياً لاغبار عليه، كما يجد الانسان من نفسه الفرق بين تعلق الارادة بالعمل الذي يريده، وتعلق العلم به، حيث لا أثر للعلم في تحقق المعلوم، أما الارادة فهي الباعثة على تحقق المراد، وكذا القدرة على عمل هي التي جعلته تحت إختياره إن شاء فعله وإن شاء تركه، ولاهكذا أثر للعلم بالنسبة إلى المعلوم.

وبالجملة ان هناك أفعالاً إختيارية تصدر من الفاعل المختار حسب إرادته واختياره يكون هو المسئول عنها، تحسيناً أم تقبيحاً، مدحاً أو ذماً، ثواباً أم عقاباً، خيراً أو شراً، ولايسئل عنها غيره بتاتاً، لايؤخذ الجار بذنب الجار، ولاتزر وازرة وزر اخرى وان تدع مثقلة إلى حملها لايحمل منه شيء ولو كان ذاقربى، ومضاعفات كل عمل إنما ترجع على العامل، وتستند إليه تبعاته من خير أو شر، صلاح أو فساد، حق أو باطل، كفر أم ايمان، طاعة أو معصية، هداية أم ضلالة ...

هذا ما تشهد به ضرورة العقل وبداهة الوجدان، وعليه صح التكليف والتشريع وبعث الرسل وإنزال الكتب، والامر والنهي والوعد والوعيد، والتبشير والانذار، والمعاد والحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وما إليها، وإلّا لغى التكليف وبطل التشريع وكذب المعاد والجزاء، ولم يكن موقع لتحسين أو تقبيح، ولا استحقاق ثواب وعقاب... ولاصبح تحسين المحسن على إحسانه عبثاً كمدح الجميل على حسن صورته، وهكذا لغى ذم المسيء على إسائته كذم الدميم على قبح منظره، وقدح القصير على قصر قامته أو الاعرج على عرج رجله ...

ولنا أن نسئل الاشاعرة :

اتجدون من أنفسكم الفرق بين جود الكريم وصفاء اللؤلؤ؟ أو بين شح

البخيل وسواد الفحم ؟ فان قالوا : نعم ، فنسئلهم :فالى من يرجع مدح الجود إذا جاد الكريم ؟ و إلى من يعود ذم الشح إذا بخل اللئيم ؟ فان قالوا : إلى الله سبحانه قلنا : فلم يكن فرق بين الكريم و اللئيم إذا كان كرم ذاك و لؤم هذا كلاهما من عند الله تعالى ، غير داخلين تحت إختيارهما و إرادتهما ، و بالتالى لم يكن فرق بين كرم الكريم و صفاء اللؤلؤ أو بين شح البخيل و سواد الفحم ، فقد نقضتم ما اعترفتم به أولاً !

وقد دلّ صريح القرآن فى محكمات آياته الكريمة ، وصريح الروايات الواردة عن طريق أئمة أهل بيت الوحى عليهم السلام على صحة ما شهدت به العقول ، و اعترفت به العقلاء وذهب إليه أهل العدل والتنزيه من الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، إذ وقفوا من مسئلة «الاستطاعة» موقفاً نزيهاً ، و قدسوا ساحة قدسه تعالى أجمل تقديس فى هدى العقل الرشيد و محكمات الايات والآثار الصحيحة التى جاء فيها ذكر الوعد والوعيد ، والامر و النهى ، والتكليف والتشريع ، والثواب والعقاب ، والدعوة إلى الايمان وصالح الاعمال ، و الخروج عن طاعة الشيطان وفساد الاعمال ، ومدح المؤمنين وذم الكفار والمنافقين ...

﴿ صلاة الليل و فضلها ﴾

قال الله تعالى : « قم الليل إلّا قليلا - ان ناشئة الليل هي أشد وطأ و أقوم قيلاً » المزمل : ٢ - ٦)

و قد وردت روايات كثيرة عن طريق أئمة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين لا يسعها المقام فانا على جناح الاختصار فنشير إلى نبذة منها :

١ - في الكافي باسناده عن معاوية بن عمار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : - كان في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام إلى أن قال - يا عليّ اوصيك في نفسك بخصال فاحفظها ثم قال : اللهم أعنه - إلى أن قال - : و عليك بصلاة الليل ، و عليك بصلاة الليل و عليك بصلاة الليل .

٢ - في الخصال : باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبرئيل : عظني ، فقال : يا محمد عش ماشئت فانك ميّت واحبب ماشئت فانك مفارقه ، و اعمل ماشئت فانك ملاقيه ، و اعلم أن شرف المؤمن صلاته بالليل و عزّه كفّه عن أعراض الناس .

٣ - في التهذيب باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : شرف المؤمن صلاة الليل وعزّ المؤمن كفّه الاذى عن الناس .

٤ - و فيه باسناده عن علي بن محمد النوفلي قال : سمعته يقول : ان العبد ليقوم في الليل فيميل به النعاس يميناً و شمالاً ، و قد وقع ذقنه على صدره فيأمر الله تعالى أبواب السماء فتفتح ثم يقول للملائكة : انظروا إلى عبدي ما يصيبه في

التقرب إليّ بمالم افترض عليه راجياً منى لثلاث خصال: ذنباً أغفره له، أو توبة اجدّدها، أورزقاً أزيده فيه، أشهدوا ملائكتي أني قدجمعتهن له.

٥ - في الفقيه باسناده عن الامام جعفر بن محمدالصادق عن آبائه عليهم السلام - في وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام - انه قال: يا عليّ ثلاث فرحات للمؤمن في الدنيامنها: التهجد في آخرالليل، يا عليّ ثلاث كفارات منها التهجدبالليل و الناس نيام.

٦ - في وسائل الشيعة بالاسناد عن بحر السقا عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان من روح الله عزوجل ثلاثة: التهجد بالليل، و إفطار الصائم ولقاء الاخوان.

٧ - في الخصال: باسناده عن سهل بن سعد قال: جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا محمدعش ماشئت فانك ميت، وأحبب ماشئت فانك مفارقه، واعمل ماشئت فانك تجزى به، و اعلم أن شرف الرجل قيامه بالليل، و عزّه إستغنائه عن الناس.

٨ - في المجالس باسناده عن إبن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث - : فمن رزق صلاة الليل من عبدأوأمة قام لله مخلصاً فتوضّأ وضوءاً سائغاً و صلّى لله عز وجل بنيّة صادقة، و قلب سليم و بدن خاشع و عين دامعة جعل الله تعالى خلفه تسعة صفوف من الملائكة في كل صف ما لايحصي عددهم إلّا الله أحد طرفي كل صف بالمشرق والاخر بالمغرب قال: فاذا فرغ كتب الله عز و جل له بعددهم درجات.

٩ - في العلل باسناده عن جابر بن عبدالله الانصاري: قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ما اتخذ الله إبراهيم خليلاً إلّا لا طعامه الطعام، والصلاة بالليل و الناس نيام.

١٠ - و فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الركعتان في جوف الليل أحب إلى من الدنيا و مافيها.

١١ - في المقنعة للمفيد رضوان الله تعالى عليه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذاقام

العبد من لذيذمضجعه والنعاس فى عينه ليرضى ربه بصلاة ليله باهى الله به الملائكة وقال أما ترون عبدى هذا قد قام من لذيذ مضجعه لصلاة لم افرضها عليه أشهدوا انى قدغفرت له .

١٢ ـ و فيه : قال : ان البيوت التى تصلى فيها بالليل بتلاوة القرآن تضىء لاهل السماء كما تضىء نجوم السماء لاهل الارض .

١٣ ـ فى المجالس باسناده عن زيدبن على عن أبيه عن جده قال : قال أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام : ان فى الجنة لشجرة يخرج من أعلاها الحلل ، ومن أسفلها خيل بلق مسرّجة ملجمة ، ذوات أجنحة لاتروث ولاتبول ، فيركبها أولياء الله فتطير بهم فى الجنة حيث شاؤا ، فيقول الذين أسفل منهم : يا ربنا ما بلغ بعبادك هذه الكرامة ؟ فيقول الله جل جلاله : انهم كانوا يقومون الليل ، ولا ينامون و يصومون النهار و لا يأكلون ، و يجاهدون العدوّ و لا يجبنون ، و يتصدّقون ولا يبخلون .

وفى دعائم الاسلام : عن على عليه السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ان فى الجنة شجرة تخرج من أصلها خيل بلق لاتروث و لا تبول ، مسرّجة ملجمة ، لجمها الذهب وسروجها الدر و الياقوت ، فيستوى عليها أهل عليين ،فيمرّون على من أسفل منهم فيقول أهل الجنة : ربنا بم بلغت بعبادك هذه الكرامة : فيقال لهم :كانوا يقومون الليل و كنتم تنامون ، وكانوا يصومون النهار ، و كنتم تأكلون ، وكانوا يتصدّقون و كنتم تبخلون ، وكانوا يجاهدون و كنتم تجبنون .

١٤ ـ و فى المجالس باسناده عن المفضل قال: سمعت مولاى الصادق عليه السلام يقول : كان فيما ناجى الله عزوجل به موسى بن عمران عليه السلام أن قال له : يا ابن عمران كذب من زعم انه يحبّنى فاذا جنّه الليل نام عنّى ، أليس كل محبّ يحبّ خلوة حبيبه ؟ ها أنا ذا يا ابن عمران مطلع على أحبائى إذا جنّهم الليل حوّلت أبصارهم فى قلوبهم، و مثّلت عقوبتى بين أعينهم ، يخاطبونى عن المشاهدة ، و يكلّمونى عن الحضور ، يا ابن عمران هب لى من قلبك الخشوع ، و من بدنك الخضوع ،

و من عينيك الدموع في ظلم الليل ، و ادعني فانك تجدني قريباً مجيباً .

١٥ ـ و فيه : في مناهي النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه قال : ما زال جبرئيل يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان خيار امتي لن يناموا .

١٦ ـ وفيه ، باسناده عن عبدالله بن سنان قال : سمعت الصادق عليه السلام يقول : ثلاثة هنّ فخر المؤمن وزينة في الدنيا والاخرة : الصلاة في آخر الليل ، ويأسه مما في أيدي الناس ، وولاية الامام من آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم .

١٧ ـ في التهذيب باسناده عن محمد بن سليمان الديلمي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : يا سليمان لا تدع قيام الليل ، فان المغبون من حرم قيام الليل .

١٨ ـ في المقنع : قال أبو عبدالله عليه السلام : ليس منّا من لم يصلّ صلاة الليل .

١٩ ـ و فيه : قال الصادق عليه السلام : ليس من شيعتنا من لم يصلّ صلاة الليل. قال الشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه : يريد انه ليس من شيعتهم المخلصين ، و ليس من شيعتهم أيضاً من لم يعتقد فضل صلاة الليل .

٢٠ ـ في الخصال : باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال : لهو المؤمن في ثلاثة أشياء : التمتع بالنساء و مفاكهة الاخوان والصلاة بالليل .

قوله عليه السلام : « مفاكهة الاخوان » أي ممازحتهم في غير المناهي، وعدّ صلاة الليل من جملة اللهو و الفرحات و جعلها مع ما مرّ في قرن لبيان انه ينبغي للمؤمن أن يكون متلذذاً بمناجاة ربه ، و الخلوة مع حبيبه فرحاً بهما ، وفيه تنبيه إلى أنه ليس المؤمن على الحقيقة إلّا من كان كذلك .

٢١ ـ في البحار : عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال : أوحى الله إلى موسى عليه السلام : قم في ظلمة الليل أجعل قبرك روضة من رياض الجنان .

٢٢ ـ في العدة : قال : دخل ضرار بن ضمرة على معاوية فقال له : صف لي علياً عليه السلام فقال له : أو تعفيني من ذلك فقال : لا أعفيك ، فقال : كان والله بعيد المدى

شديد القوى، يقول فصلاً و يحكم عدلاً يتفجّر العلم من جوانبه، و تنطف الحكمة من نواحيه، و يستوحش من الدنيا و زهرتها و يستأنس بالليل و وحشته.

٢٣ ـ في إرشاد القلوب: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: صلاة الليل سراج لصاحبها في ظلمة القبر ـ إلى أن قال ـ: فو كفت دمع معاوية على لحيته فنشفها بكمه و اختنق القوم بالبكاء ثم قال: كان والله أبو الحسن كذلك، فكيف كان حبك اياه؟ قال: كحب ام موسى لموسى عليه السلام و اعتذر إلى الله من التقصير قال: كيف صبرك عنه يا ضرار؟ قال: صبر من ذبح واحدها على صدرها، فهي لا ترقى عبرتها و لا تسكن حرارتها قام و خرج و هو باك، فقال معاوية: أما انكم لو فقد تموني لما كان فيكم من يثني عليّ من هذا الثناء فقال له بعض من كان حاضراً: الصاحب على قدر صاحبه.

٢٤ ـ في رواية: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: رحم الله رجلاً قام من الليل، فصلّى و أيقظ إمرأته، فان أبت نضح في وجهها الماء رحم الله إمرأة قامت من الليل فصلّت و أيقظت زوجها، فان أبى نضحت في وجهه الماء.

٢٥ ـ في العدة: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لأبي ذر: ان ربك يباهي الملائكة بثلاثة نفر: رجل يصبح في أرض قفر، فيؤذّن و يقيم يصلّي، فيقول ربك عزوجل للملائكة: انظروا إلى عبدي يصلي و لا يراه أحد غيري، فينزل سبعون ألف ملك يصلّون و راءه و يستغفرون له إلى الغد من ذلك اليوم، و رجل قام من الليل يصلّي وحده فسجد و نام وهو ساجد، فيقول: انظروا إلى عبدي روحه عندي وجسده ساجد لي، و رجل في زحف فيفرّ أصحابه و يثبت هو يقاتل حتى قتل (حتى يقتل خ).

٢٦ ـ في الفقيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند موته لابي ذر: يا أباذر احفظ وصية نبيك تنفعك: من ختم له بقيام الليل ثم مات فله الجنة. الحديث.

٢٧ ـ في العلل باسناده عن يعقوب بن سالم انه سئل أباعبدالله عليه السلام عن الرجل

يقوم في آخر الليل يرفع صوته بالقراءة؟ قال: ينبغي للرجل إذا صلى بالليل أن يسمع أهله لكي يقوم النائم ويتحرك المتحرك.

٢٨ ـ في البحار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خياركم اولي النهى قيل: يا رسول الله من اولوا النهى؟ فقال: المتهجدون بالليل والناس نيام.

«القرآن الكريم وقيام الليل»

و قد اشير بمواضع عديدة في القرآن الكريم إلى قيام الليل لنافلته، و التهجد فيه، و تلاوة الايات الكريمة، و الذكر لله جل و علا:

منها: قوله تعالى: «قم الليل إلا قليلاً - ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل و نصفه و ثلثه و طائفة من الذين معك» المزمل: ٢ - ٢٠)

وقد سبقت الروايات في الايات الكريمة فراجع.

ومنها: قوله تعالى: «ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً» الاسراء: ٧٩)

في تفسير القمي: في قوله تعالى: «و من الليل فتهجّد به نافلة لك» قال: صلاة الليل، و قال: سبب النور في القيامة الصلاة في جوف الليل.

ومنها: قوله تعالى: «تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً و طمعاً و مما رزقناهم ينفقون» السجدة: ١٦) فالمؤمنون يرتفعون جنوبهم عن المضاجع لصلاة الليل و هم المتهجدون بالليل الذين يقومون عن فراشهم لنافلة الليل.

عن معاذ بن جبل قال: بينما نحن مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم في غزوة تبوك و قد أصابنا الحر، فتفرّق القوم فاذا رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أقربهم مني فدنوت منه، فقلت: يا رسول الله أنبئني بعمل يدخلني الجنة و يباعدني من النار، قال: لقد سئلت عن عظيم وانه ليسير على من يسّره الله عليه، تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة، و تؤدي الزكاة المفروضة، و تصوم شهر رمضان قال صلّى الله عليه وآله وسلّم: و إن شئت أنبأتك بأبواب

الخير ؟ قال : قلت : أجل يا رسول الله قال :الصوم جنة ، والصدقة تكفر الخطيئة، وقيام الرجل في جوف الليل يبتغي وجه الله ثم قرء هذه الاية :«تتجافى جنوبهم عن المضاجع» .

وفي تفسير القمي : باسناده عن عاصم بن حميد عن أبي عبدالله عليه السلام قال :ما من عمل حسن يعمله العبد إلّا و له ثواب في القرآن إلّا صلاة الليل فان الله لم يبيّن ثوابها لعظيم خطرها عنده ، فقال : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع...الخ »

وفي العلل : باسناده عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر عليه السلام قال : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » لعلك ترى ان القوم لم يكونوا ينامون ؟ قال : قلت : الله و رسوله وابن رسوله أعلم ، قال : فقال : لابدّ لهذا البدن أن تريحه حتى يخرج نفسه، فاذا خرج النفس استراح البدن ، ورجع الروح ، وفيه قوة على العمل ، فانما ذكرهم: « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » انزلت في أمير المؤمنين عليه السلام و أتباعه من شيعتنا ، ينامون في أول الليل ، فاذا ذهب ثلثا الليل أو ماشاء الله فزعوا إلى ربهم راغبين مرهبين طامعين فيما عنده ، فذكرهم الله في كتابه ، فاخبرك الله بما أعطاهم انه أسكنهم في جواره و أدخلهم جنته ، و آمن خوفهم و أذهب رعبهم .

قال : قلت : جعلت فداك إن أنا قمت في آخر الليل أيّ شيء أقول اذا قمت؟ قال : قل : « الحمد لله رب العالمين ، و إله المرسلين ، والحمد لله الذي يحيي الموتى و يبعث من في القبور » فانك إذا قلتها ذهب عنك رجز الشيطان و وسواسه إن شاء الله .

وفي محاسن البرقي : باسناده عن علي بن عبد العزيز قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ألا اخبرك بأصل الاسلام و فرعه وذروته وسنامه ؟ قال : قلت : بل جعلت فداك: قال : أصله الصلاة ، و فرعه الزكاة ، وذروته وسنامه الجهاد في سبيل الله ألا اخبرك بأبواب الخير ؟ الصوم الجنة والصدقة تحطّ الخطيئة و قيام الرجل في جوف الليل يناجي ربه ثم تلا : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما

رزقناهم ينفقون »

ومنها : قوله تعالى : « و الذين يبيتون لربهم سجداً و قياماً » الفرقان : ٦٤)

فى العلل: باسناده عن زرارة قال : قال أبو جعفر عليه السلام : « من كان يؤمن بالله و اليوم الاخر فلا يبيتنّ إلّا بوتر».

ومنها : قوله تعالى: «كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون و بالاسحار هم يستغفرون» الذاريات : ١٧ ـ ١٨)

فى الكافى : باسناده عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ان العبد يوقظ ثلاث مرات من الليل، فان لم يقم أتاه الشيطان فبال فى اذنه قال :وسئلته عن قول الله عز وجل : « كانوا قليلا من الليل مايهجعون » قال : كانوا أقل الليالى تفوتهم لايقومون فيها .

وفى العلل : باسناده عن بعض أصحابنا عن أبى الحسن الاول عليه السلام قال :كان إذا استوى من الركوع فى آخر ركعته من الوتر قال : اللهم انك قلت فى كتابك المنزل : «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون و بالاسحار هم يستغفرون »طال والله هجوعى وقلّ قيامى ، و هذا السحر و أنا استغفرك لذنوبى الاستغفار من لايملك لنفسه ضراً و لانفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ثم يخرّ ساجداً .

وفيه: باسناده عن معاوية بن معاوية قال :سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول فى قول الله تعالى : « و بالاسحار هم يستغفرون » قال : كانوا يستغفرون الله فى آخر الوتر فى آخر الليل سبعين مرة .

ومنها قوله تعالى : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » الفتح : ٢٩)

فى الفقيه : باسناده عن عبدالله بن سنان انه سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عز وجل: «سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » قال : هو السهر فى الصلاة .

ومنها : قوله تعالى : « و الذاكرين الله كثيراً و الذاكرات » الاحزاب : ٣٥)

وفي المجمع: عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إذا أيقظ الرجل أهله من الليل وصلّيا كتبا من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات.

و منها: قوله تعالى: «و جعلنا في قلوب الذين اتبعوه رأفة و رحمة و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله» الحديد: ٢٧)

وفي التهذيب: باسناده عن محمد إبن علي بن أبي عبدالله عن أبي الحسن عليه السلام في قوله تعالى: «ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلّا ابتغاء رضوان الله» قال: صلاة الليل.

قوله: «صلاة الليل» أي رهبانية هذه الامة في صلاة الليل أو رهبانيتهم كانت هي، فيدل على أن الاية الكريمة مسوقة لمدح الرهبانية لاذمها، والاية تحتملهما، و على المدح كانت مندوبة في شريعتهم، فاوجبوها على أنفسهم بالنذر وشبهه كما يستفاد من قوله تعالى: «ما كتبناها عليهم»

ومنها: قوله تعالى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً» الكهف: ٤٦)

وفي معاني الاخبار: باسناده عن سعيد بن النصر عن جعفر بن محمد عليه السلام قال: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» وثمان ركعات من آخر الليل والوتر زينة الاخرة وقد يجمعهما الله لاقوام.

وفي ثواب الاعمال: عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: إن كان الله عزوجل قد قال: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا» ان الثمان ركعات يصليها العبد آخر الليل زينة الاخرة.

قوله عليه السلام: «إن كان الله» شرط، وجزائه «ان الثمان» على تقدير فانه قال: ان الثمان. وفي تفسير العياشي: كما ان ثماني ركعات.

ومنها: قوله تعالى: «أمن هو قانت آناء الليل ساجداً و قائماً يحذر الاخرة و يرجوا رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر اولوا الالباب» الزمر: ٩)

وفي العلل: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال :قلت : « آناء الليل ساجداً وقائماً ... الخ » ؟ قال : يعني صلاة الليل .

ومنها : قوله تعالى : «وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين » هود : ١١٤)

و تفسير القمي : في قوله تعالى : « وأقم الصلاة طرفي النهار » قال : الغداة و المغرب « و زلفاً من الليل » قال : لعشاء الاخرة « ان الحسنات يذهبن السيئات » قال : صلاة المؤمنين بالليل تذهب بما عملوا بالنهار من السيئات والذنوب.

و في أمالي الطوسي : باسناده عن موسى بن عيسى عن أبي الحسن العسكري عن آبائه عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : « ان الحسنات يذهبن السيئات » قال:صلاة الليل تذهب بذنوب النهار .

وفي العلل :عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في قول الله عزوجل :«ان الحسنات يذهبن السيئات » قال : صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب النهار .

و في تفسير العياشي : عن ابراهيم الكرخي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال الله في كتابه : « ان الحسنات يذهبن السيئات » قال : قال : صلاة الليل تذهب بذنوب النهار ، و قال تذهب بما جرحتم .

ومنها : قوله تعالى : « و سبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه و ادبار النجوم » الطور : ٤٨ - ٤٩)

و في تفسير القمي : في قوله تعالى : « وسبح بحمد ربك حين تقوم » قال : لصلاة الليل« فسبحه »قال: صلاة الليل .

وفي دعائم الاسلام : عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل:« ومن الليل فسبحه وادبار النجوم » قال :هو الوتر من آخر الليل .

وفيه: عن جعفر بن محمد عليه السلام في قوله عزوجل : « فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم »قال أمره أن يصلّي بالليل .

ومنها قوله تعالى : « ومن الليل فاسجدله وسبحه ليلاً طويلاً » الانسان : ٢٦)

فى دعائم الاسلام : عن جعفر بن محمد عليه السلام انه قال فى قوله عز و جل:«ومن الليل فاسجدله وسبحه ليلا طويلاً » قال : أمره أن يصلّى فى ساعات من الليل ففعل صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها : قوله تعالى : « الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار ـ ليسوا سواء من أهل الكتاب امة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون » آل عمران : ١٧ ـ ١١٣)

﴿ السهر وقيام الليل في الاسحار ﴾

وقدجعل العلماء المتهجدون ، و الزهاد العابدون لليل سبع مراتب :

الاولى : السهر و هو إحياء الليل كله ، وهذا شأن الاقوياء الذين تجرّدوا للعبادة الليلية و تلذذوا بمناجاة ربهم ويقومون الليل، ويتلون كتاب الله ويذكرون الله جل وعلا ويستغفرون من غير أن يتعبوا بطول القيام، وهم يكتفون بقليل من نوم النهار ، و خاصة القيلولة ، و صار هذا غذاء لهم وحياة لقلوبهم ، و منهم من يصلّي صلاة الصبح بوضوء العشاء . و قد كان ذلك طريق جماعة من السلف ، ومنهم : طاوس اليماني وسعيد بن المسيب و الربيع بن خثيم ، ولا تخلو الازمان من أمثالهم طوبى لهم ثم طوبى لهم ...

قال الله تعالى : « و الذين يبيتون لربهم سجداً و قياماً » الفرقان : ٦٤) بات الليل إذا سهر الليل كله في طاعة . و في الاية الكريمة بيان لصلاة النافلة الليلية والطاعة في الليل ، و تخصيص البيتوتة بالذكر لان العبادة بالليل أشق و أبعد من الرياء ، وفيها بيان لاحوالهم في معاملتهم مع ربهم ، و وصف ليلهم بعد وصف نهارهم .

حكي انه كانت حفصة بنت سيرين اخت محمد بن سيرين تقرأ كل ليلة نصف القرآن تقوم به في الصلاة ، و كانت تقوم في مصلّاها بالليل فربما طفيء المصباح فيضيىء بها البيت حتى تصبح ، وكانت من عابدات أهل البصرة ، و كان أخوها إبن سيرين إذا أشكل عليه من القرآن قال : اذهبوا فاسئلوا حفصة كيف تقرأ و كانت تقول : « يا معشر الشباب خذوا من أنفسكم و أنتم شباب فاني ما رأيت العمل

إلّا فى الشباب » و كانت إمرأة اخرى تصلّى الليل كله ، فاذا قرب الفجر نامت نومة خفيفة ثم تقوم و تقول : يا نفس كم تنامين ؟ و كم تقومين يوشك ان تنامى نومة لا تقومين منها إلّا صبيحة يوم النشور فكان هذا دأبها حتى ماتت .

الثانية : أن ينام نصف أول الليل ، و يقوم نصف آخره ، فيتلو القرآن الكريم قبل نافلة الليل أو بعدها ، أو هما معاً و يذكر الله تعالى و يستغفر الله جل و علا إلى أن يدخل فى الصباح ، وهذا شأن القليلين من المتهجدين .

الثالثة : أن ينام ثلثى أول الليل ، و يقوم فى ثلث الاخير من الليل ، و هذا شأن أكثر القائمين و الزهاد العابدين وهم يتلون آيات الله تعالى و يذكرون الله جل وعلا و يستغفرون و يقيمون نافلة الليل حتى مطلع الفجر .

الرابعة : أن يقوم سدس الاخير من الليل فيصلى نافلة الليل ثم يشتغل بالتلاوة و الذكر و الاستغفار حتى مطلع الفجر ، وهذا شأن أكثر القائمين من السابقين .

والخامسة : أن يقوم مقدار نافلة الليل ، و هو أيضاً من جملة أصحاب التهجد و المستغفرين فى الاسحار ، و يكتب من زمرة القائمين فى الليل ، من غير إشتغال بتلاوة القرآن الكريم ، و الدعاء والذكر لاقبل النافلة و لا بعدها قبل الفجر لدخوله .

السادسة : أن يقوم مقدار ثلاث ركعات : ركعتا الشفع ، و ركعة الوتر ، فيدخل فى الفجر ، و هو الذى لايدركه الصبح نائماً ، و فى كونه من جملة القائمين فى الليل والمستغفرين فى الاسحار تأمّل . نعم ورد : صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة . ولكنه مقدمة للاعتياد بقيام الليل بكماله .

والسابعة: عكس الخمسة السابقة غير الاولى بأن يصلّى ثم ينام حتى مطلع الفجر ، و فى كونه من أصحاب التهجد و القائمين تأمل أيضاً لخروجه من كونه من المستغفرين فى الاسحار فان السحر هو الوقت المتصل بالفجر و هو حينئذ نائم، نعم لوخاف أن لايقيظ ، أو أن يحتلم وغيرهما من الاعذار ، فله أن يصلى قبل أن ينام

كما ان من فاتت عليه نافلة الليل فله أن يقيمها نهاراً، من غير أن يعتاد بذلك .

وهنا مرتبة اخرى : و هى أن لا يراعى التقدير ، و ان ذلك انما يتيسّر للنبى صلى الله عليه وآله وسلم الذى يوحى إليه ، وقد كان هذا من خصال النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إذ كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو سدسه يختلف ذلك فى الليالى كما دلّ عليه قوله تعالى : « قم الليل إلّا قليلا أو انقص منه قليلاً أو زد عليه ـ ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثى الليل و نصفه وثلثه » المزمل : ٢ ـ ٢٠)

وفى الفقيه : باسناده عن عبيدالله بن زرارة عن أبى عبدالله عليه السلام انه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا صلى العشاء آوى إلى فراشه ، ولم يصلّ شيئاً حتى ينتصف الليل .

و فى التهذيب: باسناده عن سليمان بن حفص المروزى عن الرجل العسكرى عليه السلام قال : إذا انتصف الليل ظهر بياض فى وسط السماء شبه عمود من حديد تضيىء له الدنيا ، فيكون ساعة ويذهب ثم يظلم ، فاذا بقى الثلث الليل الاخير ظهر بياض من قبل المشرق فأضائت له الدنيا ، فيكون ساعة ثم يذهب و هو وقت صلاة الليل ، ثم تظلم قبل الفجر ثم يطلع الفجر الصادق من قبل المشرق ، و قال : من أراد أن يصلّى فى نصف الليل فيطول فذاك له .

وفيه: باسناده عن ليث المرادى قال: سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الصلاة فى الصيف فى الليالى القصار صلاة الليل فى أوّل الليل ، فقال : نعم ، نعم ما رأيت ونعم ما صنعت يعنى فى السفر قال : وسئلته عن الرجل يخاف الجنابة فى السفر أو فى البرد فيعجّل صلاة الليل والوتر فى أول الليل فقال: نعم .

وفيه: باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال: إذ خشيت أن لا تقوم آخر الليل وكانت بك علة أو أصابك برد فصلّ صلاتك ، وأوتر من أوّل الليل .

وفى الفقيه: باسناده عن عمر بن حنظلة انه قال لابى عبدالله عليه السلام :انى مكثت ثمانية عشر ليلة أنوى القيام فلا أقوم أفاصلّى أوّل الليل؟ قال: لا إقض بالنهار فانى أكره أن تتخذ ذلك خلقاً.

وأما السهر وقيام الليل في الاسحار ففي فضلهما روايات كثيرة لا يسعها مقام الاختصار، ولكنا لانرى بداً إلّا بذكر نبذة منها :

في مصباح الشريعة : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام :لا راحة لمؤمن على الحقيقة إلّا عند لقاء الله وما سوى ذلك ففي أربعة أشياء :صمت تعرف به حال قلبك ونفسك فيما يكون بينك وبين باريك ، وخلوة تنجو بها من آفات الزمان ظاهراً أو باطناً ،وجوع تميت به الشهوات والوسواس والوساوس،وسهر تنوّر به قلبك و تنقي به طبعك و تزكي به روحك .

وفي أعلام الدين للديلمي : قال أبو الحسن الثالث عليه السلام في مواعظه ـ : السهر ألذّ للمنام والجوع يزيد في طيب الطعام ، يريد به الحث على قيام الليل وصيام النهار .

وفي الفقيه: قال الصادق عليه السلام : يقوم الناس من فرشهم على ثلاثة أصناف:صنف له ولا عليه ، وصنف عليه ولا له،وصنف لا عليه ولا له ، فأما الصنف الذي له ولا عليه، فيقوم من منامه فيتوضّأ ويصلّي ويذكر الله عزوجل فذلك الذي له ولا عليه ، و أما الصنف الثاني فلم يزل في معصية الله عزوجل فذلك الذي عليه ولا له ، و أما الصنف الثالث فلم يزل نائماً حتى أصبح فذلك الذي لا عليه ولا له .

أقول: رواه الصدوق في أماليه باسناده عن أبي داود المسترق عن الصادق عليه السلام .

وفيه: قال أبو جعفر عليه السلام : ان الله يحبّ المداعب في الجماع بلا رفث ، و المتوحد بالفكر المتخلي بالعبر الساهر في الصلاة .

وفي نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام : « كم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والظمأ ، و كم من قائم ليس له من قيامه إلّا السهر والعناء،حبذا نوم الاكياس وإفطارهم .

أقول: وذلك لان الصيام الندبي ، وقيام الليل لنافلته والتهجد فيه من غير إحراز شرائط الصحة والقبول لاتفيد لصاحبها ، فنوم الذين تقع عباداتهم مطابقة لمذهب الحق خير من ذلك الصيام والقيام ليلاً ونهاراً ، عليهما عامّة الناس من غير ولاية لأولياء الله تعالى صلوات الله عليهم أجمعين .

وفي أمالي الصدوق رضوان الله عليه باسناده عن المفضل عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : إذا قام العبد نصف الليل بين يدي ربه جل جلاله ، فصلّى له أربع ركعات في جوف الليل المظلم ثم سجد سجدة الشكر بعد فراغه ، فقال : ماشاءالله ماشاءالله مأة مرة ناداه الله جل جلاله من فوقه عبدي إلى كم تقول : ماشاءالله ماشاءالله أنا ربك وإليّ المشيّة وقد شئت قضاء حاجتك فسلني ماشئت .

و في تحف العقول : في مواعظ عيسى بن مريم عليه السلام - : بحق أقول لكم: طوبى للذين يتهجّدون من الليل ، اولئك الذين يرثون النور الدائم من أجل انهم قاموا في ظلمة الليل على أرجلهم في مساجدهم يتضرّعون إلى ربهم رجاء أن ينجّيهم في الشدة غداً .

وفي رواية: مما ناجى به الله تعالى نبيه داود عليه السلام : « عليك بالاستغفار في دلج الليل والاسحار ، ياداود إذا جنّ عليك الليل ، فانظر إلى إرتفاع النجوم في السماء و سبّحني ، و أكثر من ذكرى حتى أذكرك ، يا داود ! إن المتقين لا ينامون ليلهم إلّا بصلواتهم إليّ ، ولا يقطعون نهارهم إلّا بذكرى ، يا داود ! إن العارفين كحّلوا أعينهم بمرود السهر ، و قاموا ليلهم يسهرون ، يطلبون بذلك مرضاتي ، يا داود ! انه من يصلّي بالليل ، والناس نيام يريد بذلك وجهي فاني آمر ملائكتي: أن يستغفروا له ، وتشتاق إليه جنّتي ، ويدعو له كل رطب ويابس » .

وفي الخصال : باسناده عن جابر بن عبدالله قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قالت ام سليمان بن داود لسليمان : يابني وإياك و كثرة النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تدع الرجل فقيراً يوم القيامة .

وفي البحار: عن ابن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام قال :قلت له :أخبرني جعلت فداك أيّ ساعة يكون العبد أقرب إلى الله ، والله منه قريب ؟ قال : إذا قام في آخر الليل ، و العيون هادئة فيمشي إلى وضوئه حتى يتوضأ بأسبغ وضوء ثم يجيء حتى يقوم في مسجده فيوجّه وجهه إلى الله ، و يصفّ قدميه ، و يرفع صوته و يكبّر و افتتح الصلاة فقرأ أجزاء و صلّى ركعتين و قام ليعيد

صلاته ناداه مناد من عنان السماء عن يمين العرش : أيها العبد المنادى ربه ان البر لينثر على رأسك من عنان السماء، والملائكة محيطة بك من لدن قدميك إلى عنان السماء ، والله ينادى : عبدى لو تعلم من تناجى إذاً ما انفتلت ؟ قال : قلت: جعلت فداك يا ابن رسول الله ما الانفتال ؟ قال : تقول بوجهك و جسدك هكذا ثم ولّى وجهه فذلك الانفتال .

وفيه: قال الصادق عليه السلام في ذم أقوام من المنافقين : « خشب بالليل جدر بالنهار » .

أراد : انهم ينامون الليل كله من غير قيام لصلاة و لا استيقاظ لمناجاة فهم كالخشب الملقاة قال الله تعالى : « كأنهم خشب مسندة »

وفى دعائم الاسلام: عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام انه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يكون الرجل طول الليل كالجيفة الملقاة ، و أمر بالقيام من الليل والتهجد بالصلاة .

وفى مجالس ابن الشيخ الطوسى : باسناده عن محمد بن عبدة النيسابورى قال :- قلت لابى عبدالله عليه السلام : ان الناس يروون عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ان فى الليل ساعة لا يدعو فيها عبد مؤمن بدعوة إلّا استجيب له ؟ قال : نعم ، قلت : متى هى جعلت فداك ؟ قال: ما بين نصف الليل إلى الثلث الباقى منه ، قلت له : أهى ليلة من الليالى معلومة ؟ أو كل ليلة ؟ قال : بل كل ليلة .

وفى ثواب الاعمال باسناده عن أبى الصباح الكنانى عن أبى جعفر عليه السلام قال: ان الله عز وجل يحبّ من عباده المؤمنين كل دعاء فعليكم بالدعاء فى السحر إلى طلوع الشمس فانها ساعة تفتح فيها أبواب السماء وتهبّ الرياح ، وتقسم فيها الارزاق ، و تقضى فيها الحوائج العظام .

وفى البحار: بالاسناد عن الفضل بن أبى قرّة السمندى عن الصادق عليه السلام قال: يا فضل ان أفضل ما دعوتم الله بالاسحار ، قال الله تعالى : « و بالاسحارهم يستغفرون »

وفى مكارم الاخلاق : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم لعلى عليه السلام - فى وصيته - : يا علىّ صلّ من الليل ولو قدر حلب شاة ، و بالاسحار فادع فان عند ذلك لا تردّ دعوة قال الله

تبارك وتعالى : « و المستغفرين بالأسحار » .

وفي تفسير روح البيان: مدح ابن رواحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال :

و فينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات ان ما قال واقع

يبيت يجا في جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع .

وفي العلل : باسناده عن سليمان الديلمي قال : قال أبو عبدالله عليه السلام: ياسليمان لا تدع قيام الليل فان المغبون من حرم قيام الليل .

وفي رواية : قال الصادق عليه السلام :أبغض الخلق إلى الله جيفة بالليل ، بطّال بالنهار.

تأثير نافلة الليل

فى النفوس والمجتمع وآثارها

ولعمرى لولا الروايات الواردة فى تأثير قيام الليل لنافلته والتهجد فيه ، والذكر وتلاوة القرآن الكريم والاستغفار فى نفوس القائمين ، وفى شئون حياتهم الدنيوية والاخروية من جهة ، وفى المجتمع البشرى من جهة اخرى من غير فكاك بينهما لوجد القائم المتهجد لذلك آثاراً كثيرة . . .

أفيعصى الله جل وعلا نهاراً من يقيم نافلة الليل ، ويتلو آياته ويستغفره فى الاسحار؟ هل يظلم على الناس ويفسد فى الارض نهاراً من يقول فى جوف الليل: العفو ثلاثمأة مرة؟ أيغيب أو يكذب أو يحكم بغير ماأنزل الله تعالى أو يفترى على المسلم نهاراً من يستغفر له ليلاً ؟؟؟!!!

فى التهذيب : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام عن آبائه عن على بن ابيطالب عليهم السلام قال : قيام الليل مصحّة البدن و رضا الرب ، وتمسّك باخلاق النبيين وتعرّض لرحمته .

و فيه :باسناده عن معاوية بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : صلاة الليل تحسن الوجه وتذهب بالهمّ وتجلو البصر .

و فى رواية : تحسن الوجه وتحسن الخلق ، و تطيب الريح وتدرّ الرزق ، وتقضى الدين وتذهب بالهم وتجلو البصر .

وفى عيون الاخبار: باسناده عن إسمعيل بن موسى بن جعفر عن أخيه على

بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن جده قال : سئل على بن الحسين عليه السلام ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجهاً؟ قال: لانهم خلوا بالله فكساهم الله من نوره

وفى المقنعة : قال : روى ان صلاة الليل تدرّ الرزق وتحسن الوجه وترضى الرب وتنفى السيّئات .

وفى محاسن البرقى : عن يعقوب بن يزيد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : كذب من زعم انه يصلّى بالليل وهو يجوع ان صلاة الليل تضمن رزق النهار .

و فى الفقيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : عليكم بصلاة الليل فانها سنّة نبيكم ودأب الصالحين قبلكم ، ومطردة الداء عن أجسادكم .

وفى العلل : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : صلاة الليل تبيّض الوجه ، وصلاة الليل تطيب الريح ، وصلاة الليل تجلب الرزق .

وفى التهذيب : عن أبى عبدالله عليه السلام انه جاءه رجل فشكى إليه الحاجة و أفرط فى الشكاية حتى كاد أن يشكو الجوع قال : فقال أبوعبدالله عليه السلام : ياهذا أتصلّى بالليل ؟ قال : فقال الرجل : نعم، قال: فالتفت أبوعبدالله عليه السلام إلى أصحابه فقال : كذب من زعم انه يصلّى بالليل ويجوع بالنهار ، ان الله ضمن بصلاة الليل قوت النهار .

وفى أمالى الصدوق : باسناده عن مسعدة بن صدقة عن الصادق عن آبائه عليهم السلام ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان الله تبارك و تعالى إذا رأى أهل قرية قد أسرفوا فى المعاصى ، و فيها ثلاثة نفر من المؤمنين ، ناداهم جلّ جلاله ، وتقدّست أسماءه : ياأهل معصيتى لولا من فيكم من المؤمنين المتحابين بجلالى، العامرين بصلاتهم أرضى ومساجدى والمستغفرين بالاسحار خوفاً منى لانزلت بكم عذابى ثم لاابالى .

قوله صلى الله عليه وآله وسلم : «المتحابين بجلالى» أى يتحببون ويتودّدون لتذكر جلالى وعظمتى لالدنيا وأغراضها .

وفى الخصال : باسناده عن الاعمش عن الصادق عليه السلام - فى حديث يذكر

فيه الائمة وعلائم الامام ـ فقال : ودينهم الورع والعفة والصدق والصلاح والاجتهاد وأداء الامانة إلى البر والفاجر وطول السجود وقيام الليل وإجتناب المحارم و انتظار الفرج بالصبر وحسن الصحبة وحسن الجوار .

وفى فقه الرضا: حافظوا على صلاة الليل فانها حرمة الرب ، تدرّ الرزق، وتحسّن الوجه ، وتضمن رزق النهار ، وطوّلوا الوقوف فى الوتر ، فانه روى انّ من طوّل الوقوف فى الوتر قلّ وقوفه يوم القيامة .

وفى مجالس المفيد: باسناده عن جابر الانصارى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : أيها الناس ما من عبد إلّا وهو يضرب عليه بخزائم معقودة ، فاذا ذهب ثلثا الليل وبقى ثلثه أتاه ملك فقال له : قم فاذكر الله فقد دنا الصبح ، قال : فان هو تحرّك وذكر الله انحلّت عنه عقدة ، و ان قام فتوضّأ و دخل فى الصلاة إنحلت عنه العقد كلهنّ ، فيصبح قرير العين .

و فى دعوات الراوندى : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم ، وان قيام الليل قربة إلى الله ، وتكفير السيئات ، و منهاة عن الاثم ، ومطردة الداء عن الجسد .

وفيه : ويروى : ان الرجل إذا قام يصلى أصبح طيّب النفس ، وإذا نام حتى يصبح أصبح ثقيلا موصّماً .

اقول: الوصم : الفترة والكسل والتوانى .

و فى ارشاد القلوب :وروى عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : صلاة الليل مرضاة الربّ ، وحبّ الملائكة ، وسنّة الانبياء و نور المعرفة وأصل الايمان و راحة الابدان و كراهية الشيطان ، وسلاح على الاعداء و إجابة للدعاء وقبول الاعمال ، وبركة فى الرزق وشفيع بين صاحبها ، و بين ملك الموت وسراج فى قبره وفراش تحت جنبه وجواب مع منكر ونكير ، ومونس وزائر فى قبره إلى يوم القيامة .

فاذا كان يوم القيامة كانت الصلاة ظلاً فوقه وتاجاً على رأسه ولباساً على بدنه ونوراً يسعى بين يديه، وستراً بينه وبين النار، وحجّة للمؤمن بين يدى الله تعالى، وثقلاً فى الميزان وجوازاً على الصراط ومفتاحاً للجنة لان الصلاة تكبير وتحميد وتسبيح وتمجيد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء، وإن أفضل الاعمال كلها الصلاة لوقتها.

أقول: ولعمرى ان المعرفة الحقيقية والعلم الحقيقى أى المعارف الالهية والحكم الاسلامية لايحصل إلاّ نتيجة التدبر فى الايات القرآنية والعبادة والتهجد والمثول بين يدى الله جل وعلا خاضعاً خاشعاً جوف الليل، وهذا العلم علم يترشح من قنوت وإستغفار جوف الليل من قيام لوجه الله تعالى والناس نيام، فالعبادة بكل خشوع لها آثارها فى النفوس وفى المجتمع البشرى وابلاغها أسمى مراتب الكمال وبدرجة هذا الكمال تتجلى المعارف الالهية فى النفوس، وتتحقق سر الخلق، وتظهر علة وجودنا فى هذا العالم اذفى تلاوة القرآن الكريم ونافلة الليل والذكر والاستغفار الى طلوع الفجر آثار منها: أن المواظبة على ذلك تؤدّى بالفرد أن تكون أخلاقه سامية حميدة، تؤدّى به إلى مراقبة نفسه فى كل أمر جزئى بعلمه ان مخالفة بسيطة توجب حرمانه على صلاة الليل ومناجاة ربه الجليل فعلى الانسان أن يتقدم فى معرفة الله جل وعلا، و أن يعمل فى تقوية هذه المعرفة و البلوغ إلى الغاية التى خلق لاجلها. وهذه المعرفة التى ينالها الانسان فى هذه الدنيا نتيجة العمل الصالح والعبادة الخالصة بجميع أنواعها لوجهه الكريم: أكرم الوجوه وأعزّها تكون نوراً يهدى هذا الانسان إلى روح وريحان إلى جنات عدن ونعيم.

فالنيل بالمعارف الالهية وحصول اليقين نتيجة تزكية النفس، وعبادة خالصة وأخلاق كريمة لاتحصل إلاّ بقيام الليل والتهجد فيه.

ومن آثار القيام، النجاة من مكايد الشيطان، والسير فى سبيل الهدى و

الابتعاد عن طرق الضلال، والظلم والخيانة والكذب والافتراء والتهمة والجساسة والغيبة والنمامة وعن تحليل الحرام وتحريم الحلال والبدعة فى الدين الاسلامى و الحكم بغيرما أنزل الله تعالى ، و عن قتل النفس و سفك الدم و هتك الاعراض ونهب الاموال و الفساد فى الارض وإشاعة الفحشاء . . . وينفتح بقيام الليل قلب القائم ، ويذهب عن المتهجد صدأ الذنوب والقساوة الناشئة من الآثام فيلين أكثر فأكثر إلى ذكر الله تعالى فى جميع الحالات . . .



التوفيق وسلبه لقيام الليل
و ما يتيسر به لنافلة الليل

إعلم أن قيام الليل للتهجد فيه، و تلاوة آيات الله جل و علا والاستغفار في جوف الليل عبادة خاصة تحتاج إلى توفيق خاص إلهى، و تأييد ربانى، و لا ينال بهذا التوفيق والتأييد المستمر إلا من زكى نفسها من أدران المحارم و أرجاس النواهى كلها ... و من ثم نرى القائمين أقل القليلين، وإن كان الذين يريدونه كثيرين ولكنهم لايوفقون، و نحن نرى الظالمين الخونة، وأصحاب الكبائر الفجرة كثيراً ما يوفقون بالاعمال المندوبة، والصلوات المفروضة، والانفاق والصدقات والحج و لو سمعة ورئاءاً و لكنهم لا يوفقون لقيام الليل والتهجد فيه.

كيف يوفق خائن النهار لتهجد الليل؟ و كاذب النهار لتلاوة القرآن؟ و مغتاب النهار لاستغفار المؤمن؟ ومفسد النهار لعفو الليل ثلاثمأة مرة؟؟؟!!!

في التهذيب: باسناده عن الحسين بن الحسن الكندى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: ان الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل، فاذا حرم صلاة الليل حرم بها الرزق.

و في التوحيد: باسناده عن سلمان الفارسى قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام فقال: انى قد حرمت الصلاة بالليل، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أنت رجل قد قيدتك ذنوبك.

وفيه: باسناده عن سلمان الفارسى رضى‌الله عنه انه أتاه رجل فقال: يا أبا عبدالله انى لا أقوى على الصلاة بالليل، فقال: لا تعص الله بالنهار.

و فى محاسن البرقى: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبى جعفر و أبى عبدالله عليهما‌السلام قال: ما من عبد إلاّ وهو يتيقّظ مرّة أو مرتين فى الليل أو مراراً فان قام، و إلاّ فحج الشيطان فبال فى اذنه، ألايرى أحدكم إذا كان منه ذاك قام ثقيلا أو كسلان.

قوله عليه‌السلام: «فحج الشيطان» يقال: بال فلان قائماً فحج رجليه أى فرّقهما و باعد ما بينهما، والفحج: تباعد ما بين الفخذين.

وفيه: باسناده عن محمدبن‌مسلم عن‌أبى‌جعفر عليه‌السلام قال: ان لليل شيطاناً يقال‌له: الزهاء فاذا استيقظ العبد و أراد القيام إلى الصلاة قال له: ليست ساعتك ثم يستيقظ مرة اخرى، فيقول: لم يأن لك فما يزال كذلك يزيله ويحبسه حتى يطلع الفجر، فاذا طلع الفجر بال فى اذنه ثم انصاع يمصع بذنبه فخراً و يصيح.

قوله عليه‌السلام: «إنصاع» إنفتل راجعاً مسرعاً، و «يمصع» يقال: مصعت الدابة بذنبها: حرّكته و ضربت به.

و فى أعلام الدين للديلمى عن الامام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عليهما‌السلام قال: كان فيما أوحى الله إلى موسى بن عمران عليه‌السلام: يا موسى كذب من زعم انه يحبنى فاذا جنّه الليل نام عنى، يا ابن عمران لو رأيت الذين يصلّون لى فى الدياجى، وقد مثلت نفسى بين‌أعينهم يخاطبونى، وقدجلّيت عن‌المشاهدة، و يكلمونى و قد عززت عن الحضور.

و فى الدر المنثور: عن إبن‌مسعود قال: قال رسول‌الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: إياكم والمعاصى ان العبد ليذنب الذنب، فينسى به الباب من‌العلم، و ان العبد ليذنب الذنب، فيحرم به قيام الليل، و ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيئّى له ثم تلا رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم: «فطاف عليها طائف من ربك و هم نائمون

فاصبحت كالصريم » قد حرموا خير جنتهم بذنبهم .

و فى الفقيه : باسناده عن أبى حمزة الثمالى عن أبى جعفر عليه السلام انه قال : مانوى عبدأن يقوم أيّة ساعة نوى فعلم الله ذلك منه إلاّ و كّل به ملكين يحركانه تلك الساعة .

اقول : و لا يخفى على القارىء المتدبر فى تلك الروايات : ان بعضها يشير إلى الموفقين و بعض الاخر إلى المحرومين .

و لنا ان نذكر فى المقام أهم ما يتيسّر للقائم المتهجد ، و يسهل عليه القيام ، و هو على الامور الظاهرة العملية ، والمعنوية الباطنية ، و أما الظاهرة فعلى أقسام .

احدها - قلة الاكل والشرب و تخفيف المعدة عن ثقل الطعام ، فان كثرة الاكل والشرب و ثقل المعدة توجب غلبة النوم و ثقل القيام على من أراده .

ثانيها : القيلولة النهارية ، فانها سنة للاستعانة على قيام الليل والتهجد فيه و تلاوة القرآن الكريم والذكر والاستغفار .

ثالثها - أن لا يتعب نفسه بالاعمال النهارية زائدة على ثمان ساعات فانها تعيى الجوارح ، و تضعف بها الاعصاب الانسانية ، فتوجب غلبة النوم و ثقل القيام على من أراده .

رابعها : ان لا يأكل الحرام ، و لا ينهمك فى الشهوات ، و لا يرتكب النواهى ، و أن لا يحتقب الاوزار . . . فان ذلك كله مما يقسى القلب ، و يحول بينه و بين أسباب الرحمة الالهية ، و يمنع من قيام الليل والتهجد فيه ، حيث ان الشر يدعو إلى الشر كما ان الخير يدعو إلى الخير .

واما الباطنية : فهى أيضاً على أربعة أقسام :

احدها - تزكية النفس عن أرجاس المعاصى وحب الشهوات وإتباع الأهواء ... و تطهير القلب عن وساوس الشيطان ، و عن الحقد على المؤمنين ، و عن حب

الدنيا والجاه والمقام . . ، وإلاّ لما يتيسّر من القيام لمن أراده ، و لو قام لماكان متفكراً في صلاته ، ولامتدبراً في كتاب الله جل وعلا إلاّ في مهماته الواهية ، و لذائذ الدنيوية الزائلة .. . ولايجول إلاّ في وساوسه . . . وفي آماله ...

ثانيها - أن يعرف فضل قيام الليل والتهجد فيه ، و تأثيرها في النفوس البشرية والمجتمع ، وآثارها في شئون الحياة الدنيوية والاخروية على ماجاء به الكتاب الكريم والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام ، و مايشاهد من أصحاب التهجد من واقع الانسانية ، والخصال والفضائل . . .

وقد حكي ان بعض المتهجدين لمارجع من غزوة ، فدخل داره نصف الليل مهّدت إمرأته فراشها ، فجلست تنتظره ولكنه أخذ بصلاة الليل ، ولم يزل يصلّي حتى أصبح ، فقالت له زوجته : اني كنت منتظرة وأنت تصلي نافلة الليل و تتلوا كتاب الله تعالى وتذكر الله وتستغفره ؟ قال : والله اني كنت متفكراً في آثار نافلة الليل في المصلي وفي المجتمع وثوابها في الاخرة ، ومنه حوراء من حور الجنة، فنسيت الزوجة شوقاً لها ، ولنعيم الجنة الباقية .

ثالثها : الخوف من الله تعالى والرجاء منه بالتفكر في كون الله جل وعلا غفوراً ومنتقماً ، رحيماً وقاهراً . . . والتفكر في أهوال الاخرة و دركات جهنم و عذابها للطغاة الكافرين والعصاة المنافقين ، وفي أمن الاخرة ونعيمها لاصحاب الليل والمستغفرين .

وقد كان طاوس اليماني يقول : ان ذكر جهنم وعذابها وشوق الجنة ونعيمها تطير نوم القائمين .

و كان غلام إسمه صهيب يقوم الليل كله ، فقالت له سيدته : ان قيامك بالليل يضرّ بعملك في النهار . فقال : ان صهيباً إذا ذكر النار لايأتيه النوم .

و كان بعض المتهجدين يقوم الليل كله ، و كان يقول : إذا ذكرت النار إشتدّ خوفي ، وإذا ذكرت الجنة إشتدّ شوقي فلا أقدر أن أنام .

رابعها - لما فى قيام الليل من صفاء القلب و حلاوة المناجاة ، و يفرح القائم عند الفجر كما يفرح الصائم ليلة الفطر ، ويدخل المتهجد فى الصبح الذى يتنفس هو وهو كما ورد فى الاخبار السابقة . . . ولعمرى يجد القائم هذا الصفاء ، والمتهجد تلك الحلاوة ، والمستغفر ذلك الفرح إذا أدام القيام ، و من وجد تلك اللذائذ التى لاتقاس بها لذة الدنيا فلا يترك القيام مادام حياً ، كيف يترك القيام من يناجي ربه فى جوف الليل ، ويتكلم به والناس نيام ، و يرد فى خاطره وقت الاسحار مالا يرد فيه فى غيرها؟ .

قيل: لبعض المتهجدين: كيف عليك الليل ؟ قال: ساعة أنا فيها بين حالتين: أفرح بظلمته إذاجاء واغتم بفجره إذا طلع .

وقال بعضهم : ان أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ،ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الحياة الدنيا .

وقال بعضهم : ليس فى الدنيا وقت يشبه نسيم الجنة إلا وقت السحر الذى يجده أصحاب الليل فى أسحارهم . . .

ومنهم : من قال : ان لذة المناجاة ليست من الدنيا ، إنما هى من الجنة أظهرها الله تعالى لاصحاب الليل لايجدها سواهم .

ومنهم : من قال : ان الله تعالى ينظر وقت الاسحار إلى قلوب المتيقظين فيملؤها أنواراً ، فتستنير بها .

و منهم : من قال : ان لله تعالى نفحات فى الليل والنهار ، ولكنها تصيب القلوب المتيقظة وقت الاسحار ،فتخطىء القلوب النائمة ، فتعرضوا قلوبكم لتلك النفحات لما فى قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل ، وفضل وقت السحر على الاوقات كفضل ليلة القدر على ليالى السنة . . .

﴿ فى فضل قراءة القرآن الكريم ﴾

قال الله تعالى آمراً لنبيه (ص) بقراءة القرآن الكريم مرتلاً : «ورتل القرآن ترتيلاً » المزمل : ٤) وآمراً للامة الاسلامية بها على طريق التأكيد كل حسب تمكنه : «فاقرؤا ماتيسّر من القرآن ـ فاقرؤا ماتيسّر منه» المزمل : ٢٠)

ان الله تعالى رخّص للامة الاسلامية قيام الليل لنافلته للامور الاربعة المتقدمة، ولكن لم يرخّص لهم قراءة القرآن الكريم بحال ، ومن هنا يعلم فضلها عليه ، وأهميتها بحدّ لولم نقل بوجوبها عينياً ، فلانقول بجواز تركها أيضاً .

فى وسائل الشيعة: قال رسول الله (ص) : «أفضل العبادة قراءة القرآن»

وفى الكافى : باسناده عن معاوية بن عمار عن أبى عبدالله (ع) ـ فى وصية النبى (ص) لعلى (ع) ـ قال : وعليك بتلاوة القرآن على كل حال .

وفيه : باسناده عن حريز عن أبى عبدالله (ع) قال : القرآن عهدالله إلى خلقه، فقد ينبغى للمرء المسلم أن ينظر فى عهده وأن يقرأ منه فى كل يوم خمسين آية.

وفيه : باسناده عن الزهرى قال : سمعت على بن الحسين (ع) يقول : آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزانة ينبغى لك أن تنظر مافيها .

وفى رواية :قال رسول الله (ص): «من أراد أن يتكلم مع الله فليقرأ القرآن»

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن عبدالله بن سليمان عن أبى جعفر (ع) قال : من قرأ القرآن قائماً فى صلاته كتب الله له بكل حرف مأة حسنة ،ومن قرأه فى صلاته جالساً كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة ، ومن قرأه فى غير صلاته

كتب الله له بكل حرف عشر حسنات .

وفيه :باسناده عن إسحق بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من قرأ مأة آية يصلى بها فى ليلة ، كتب الله له بها قنوت ليلة ، ومن قرأ مأتى آية فى ليلة من غير صلاة الليل كتب الله له فى اللوح قنطاراً من الحسنات ، و القنطار ألف ومأتا أو قية ، والاوقية أعظم من جبل أحد .

و فى رواية : عن أبى شريح الخزاعى قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أبشروا أبشروا أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وانى رسول الله قالوا : بلى قال : فان هذا القرآن سبب طرفه بيدالله وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فانكم لن تهلكوا ولن تضلوا بعده أبداً .

وفى الكافى : باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبى عبدالله عليه السلام قال: مايمنع التاجر منكم المشغول فى سوقه إذا رجع إلى منزله أن لاينام حتى يقرأ سورة من القرآن فتكتب (فيكتب خ) له مكان كل آية يقرؤها عشر حسنات ، وتمحى عنه عشر سيئات .

وفيه : باسناده عن بشير بن غالب لاسدى عن الحسين ابن على عليه السلام قال : من قرأ آية من كتاب الله عزوجل فى صلاته قائماً يكتب له بكل حرف مأة حسنة فاذا قرأها فى غير صلاة كتب الله له بكل حرف عشر حسنات ، وان استمع القرآن كتب الله له بكل حرف حسنة ، وإن ختم القرآن ليلاً صلت عليه الملائكة حتى يصبح ، و إن ختمه نهاراً صلت عليه الحفظة حتى يمسى ، وكانت له دعوة مجابة وكان خيراً له مما بين السماء إلى الارض ، قلت : هذا لمن قرأ القرآن فمن لم يقرأ ؟ قال : يا أخابنى أسد ان الله جواد ماجد كريم إذا قرأ مامعه أعطاه الله ذلك .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن جابر قال :كان أبو جعفر عليه السلام يقول : ان لجميع شهر رمضان لفضلاً على جميع سائر الشهور كفضل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على سائر الرسل

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فضل كلام الله على غيره كفضل الله على خلقه و ان فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه وذلك انه منه .

و فى رواية : عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان الرجل ليس فى جوفه شىء من القرآن كالبيت الخرب .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ القرآن ثم رأى ان أحداً اوتى أفضل مما اوتى فقد استصغر ما عظمه الله تعالى .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبى ولا ملك ولا غيره .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل عبادة امتى تلاوة القرآن .

وفى الكافى : باسناده عن سعد ابن طريق عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ عشر آيات فى ليلة لم يكتب من الغافلين ، ومن قرأ خمسين آية كتب من الذاكرين ، ومن قرأ مأة آية كتب من القانتين ، ومن قرأ مأتى آية كتب من الخاشعين ، و من قرأ ثلاث مأة آية كتب من الفائزين ، ومن قرأ خمسمأة آية كتب من المجتهدين ومن قرأ ألف آية كتب له قنطار من بر (تبرخ) القنطار خمسة عشر ألف مثقال من ذهب ، و المثقال أربعة و عشرون قيراطاً أصغرها مثل جبل أحد و أكبرها ما بين السماء إلى الارض .

وفى عدة الداعى : عن أبى بكر الحضرمى عن أبى عبد الله عليه السلام قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، يدع أن يقرء فى دبر الفريضة بـ «قل هو الله أحد» فانه من قرئها جمع الله له خير الدنيا و خير الاخرة ، وغفر له ولوالديه وماتوالدا (ولدا خ)

وفى المجالس: باسناده عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام - فى حديث - انه : قال : عليكم بتلاوة القرآن فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن فاذا كان يوم القيامة يقال لقارىء القرآن : إقرأ وارقأ فكلما قرأ آية يرقى درجة .

وفى العيون : باسناده عن الرضا عليه السلام عن آبائه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ستة من المروءة : ثلاثة منها فى الحضر وثلاثة منها فى السفر ، فاما التى فى الحضر فتلاوة كتاب الله تعالى ، وعمارة مساجد الله ، وإتخاذ الاخوان فى الله عز وجل ، وأما التى فى السفر فبذل الزاد وحسن الخلق فى غير المعاصى .

وفى الخصال : باسناده عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاحسد إلاّ فى إثنتين : رجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار .

وفيه : فى ما اوصى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم أباذر : عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً فانه ذكر لك فى السماء ، ونورلك فى الارض .

وفى تفسير القمى : عن الامام على بن الحسين عليه السلام قال : عليك بالقرآن فان الله خلق الجنة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة ، جعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصباءها اللؤلؤ ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن فمن قرأ القرآن قال له : إقرأ وارق ، ومن دخل منهم الجنة لم يكن فى الجنة أعلى درجة منه ماخلا النبيون والصديقون .

وفى المجمع : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إذا قال المعلم للصبى : قل : بسم الله الرحمن الرحيم فقال الصبى : بسم الله الرحمن الرحيم كتب الله براءة للصبى وبراءة لابويه وبراءة للمعلم .

وفى التهذيب : باسناده عن معمر ابن خلاّد عن الرضا عليه السلام قال : سمعته يقول : ينبغى للرجل إذا أصبح أن يقرأ بعد التعقيب خمسين آية .

وفى بصائر الدرجات : باسناده عن أبن عثمان العبدى عن جعفر عن أبيه عن على عليه السلام قال : قراءة القرآن فى الصلاة أفضل من قراءة القرآن فى غير الصلاة ، وذكر الله أفضل والصدقة جنة .

وفى رواية : عن أبى سعيد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله تعالى : من شغله قراءة القرآن عن دعائى اعطيته أفضل ثواب الشاكرين .

الادعية قبل التلاوة و بعدها و لحفظ القرآن

وقد وردت أدعية كثيرة عن أئمة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين في تلاوة القرآن الكريم قبلها و بعدها ، و لحفظه وختمه نشير إلى مايسعه المقام :

١ - في كتاب الاقبال باسناده عن علي بن ميمون الصائغ أبي الاكراد عن أبي عبدالله عليه السلام انه كان من دعائه إذا أخذ مصحف القرآن و الجامع قبل أن يقرأ القرآن وقبل أن ينشره يقول حين يأخذه بيمينه :

بسم الله اللهم اني اشهد ان هذا كتابك المنزل من عندك على رسولك محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم و كتابك الناطق على لسان رسولك، وفيه حكمك وشرائع دينك، أنزلته على نبيك وجعلته عهد امتك إلى خلقك، وحبلاً متصلاً فيما بينك وبين عبادك.

اللهم نشرت عهدك و كتابك ، اللهم فاجعل نظري فيه عبادة ، وقراءتي فيه تفكراً وفكري فيه إعتباراً ، واجعلني ممن اتعظ ببيان مواعظك فيه ، و اجتنب معاصيك ، ولاتطبع عند قرائتي كتابك على قلبي ولا على سمعي ، ولاتجعل على بصري غشاوة ، ولا تجعل قراءتي قراءة لا تدبّر فيها بل اجعلني أتدبر آياته و أحكامه آخذاً بشرايع دينك ، ولا تجعل نظري فيه غفلة ، ولاقرائتي هذراً انك أنت الرؤف الرحيم .

فيقول عند الفراغ من قراءة بعض القرآن العظيم : اللهم اني قرأت ماقضيت لي من كتابك الذي أنزلته على نبيك محمد صلواتك عليه ورحمتك فلك الحمد ربنا ولك الشكر و المنة على ماقدّرت و وفّقت ، اللهم اجعلني ممن يحل حلا لك و

يحرم حرامك، ويجتنب معاصيك ويؤمن بمحكمه ومتشابهه وناسخه ومنسوخه واجعله لي شفاء ورحمة وحرزاً وذخراً.

اللهم اجعله لي انساً في قبري و انساً في حشري و انساً في نشري و اجعله لي بركة بكل آية قرأتها، و ارفع لي بكل حرف درجة في أعلا عليين آمين يا رب العالمين.

اللهم صل على محمد نبيك و صفيك و نجيك و دليلك، و الداعي إلى سبيلك، وعلى أمير المؤمنين وليك و خليفتك من بعد رسولك، وعلى أوصيائهما المستحفظين دينك المستودعين حقك، وعليهم أجمعين السلام ورحمة الله وبركاته.

٢ ـ في مصباح الانوار باسناده عن زر بن جيش قال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره في المسجد الجامع بالكوفة على أمير المؤمنين على بن ابيطالب عليه السلام فلما بلغت الحواميم قال لي أمير المؤمنين عليه السلام: قد بلغت عرائس القرآن، فلما بلغت رأس العشرين من «حم عسق» والذين آمنوا و عملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير» بكى أمير المؤمنين حتى ارتفع نحيبه، ثم رفع رأسه إلى السماء وقال: يازر! أمن على دعائي ثم قال: قال حبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أمرني أن أدعو بهن عند ختم القرآن:

اللهم اني اسئلك إخبات المخبتين و إخلاص الموقنين و مرافقة الابرار و استحقاق حقائق الايمان و الغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم، و وجوب رحمتك وعزائم مغفرتك و الفوز بالجنة و النجاة من النار. ثم قال: يا زر! إذا ختمت فادع بهذه.

٣ ـ في مصباح المتهجد: كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا ختم القرآن قال: اللهم اشرح بالقرآن صدري و استعمل بالقرآن بدني، و نور بالقرآن بصري و أطلق بالقرآن لساني. وأعني عليه ماابقيتني فانه لاحول ولاقوة إلا بك.

٤ ـ في عدة الداعي: عن حماد بن عيسى رفعه إلى أمير المؤمنين عليه السلام قال:

قال رسول الله (ص) : ألا اعلّمك دعاء لاتنسى القرآن ؟ قل :

«اللهم ارحمني بترك معاصيك أبداً ما أبقيتني وارحمني من تكلف مالا يعنيني، و ارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني ، وألزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، و ارزقني أن أتلوه على النحو الذي يرضيك عني، اللهم نوّر بكتابك بصري. واشرح به صدري ، و اطلق به لساني ، واستعمل به بدني ، وقوّني به على ذلك ، واعني عليه انه لايعين عليه إلاّ أنت لاإله إلاّ أنت » .

اقول : رواه الكليني رضوان الله تعالى في الكافي .

٥ ـ في الكافي باسناده عن أبان بن تغلب عن أبي عبدالله (ع) قال : تقول : اللهم إني اسئلك ولم يسئل العباد مثلك أسئلك بحق محمد نبيك ورسولك وابراهيم خليلك و صفيك و موسى كليمك و نجيّك و عيسى كلمتك و روحك و أسئلك بصحف إبراهيم و توراة موسى و زبور داود و انجيل عيسى وقرآن محمد (ص) وبكل وحي اوحيته و قضاء امضيته، وحق قضيته وغني أغنيته و ضالّ هديته وسائل أعطيته ، و اسئلك باسمك الذي وضعته على الليل . فأظلم و باسمك الذي وضعته على النهار فاستنار، وباسمك الذي وضعته على الارض فاستقرّت ودعمت به السماوات فاستقلّت و وضعته على الجبال فرست ، و باسمك الذي بثثت به الارزاق و أسئلك باسمك الذي تحيي به الموتى و اسئلك بمعاقد العز من عرشك و منتهى الرحمن من كتابك .

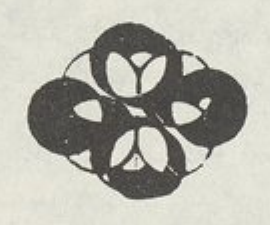
أسئلك أن تصلي على محمد و آل محمد و أن ترزقني حفظ القرآن ، وأصناف العلم وأن تثبتها في قلبي وسمعي و بصري ، وأن تخالط بها لحمي ودمي وعظامي و مخّي و تستعمل بها ليلي ونهاري برحمتك و قدرتك فانه لاحول ولاقوة إلاّ بك ياحيّ ياقيوم .

وفي حديث آخر زيادة :

و اسئلك باسمك الذي دعاك به عبادك الذين استجبت لهم وأنبياءك فغفرت .

لهم و رحمتهم ، و اسئلك بكل إسم أنزلته فى كتبك و بـاسمك الذى استقرّ به عرشك ، و باسمك الواحد الاحد الفرد الوتر المتعال الذى يملأ الاركان كلها ، الطاهر الطهر المبارك المقدس الحى القيوم نور السماوات والارض الرحمن الرحيم الكبير المتعال ، و كتابك المنزل بـالحق و كلماتك التامات ، و نورك التام و بعظمتك و أركانك . أى أركان العرش أو أركان السموات و الارض .

وقال فى حديث آخر : قـال رسول الله صلى الله عليه وآله : من أراد أن يوعيه عزوجل القرآن و العلم فليكتب هذا الدعاء فى إناء نظيف بعسل ماذى - أى أبيض - ثم يغسله بماء المطر قبل أن يمس الارض ويشربه ثلاثة أيام على الريق ، فانه يحفظ ذلك إن شاء الله .



﴿شرائط قراءة القرآن الكريم وآدابها﴾

واعلم أن لقراءة القرآن الكريم شرائط وآداباً كثيرة ينبغي لمن يقرأه من رعايتها وحفظها:

منها: بعد ترك المناهي التحريمية والتنزيهية أن يتوضأ ويلبس أحسن ثيابه ويعطّر ويتعمّم ويستقبل القبلة، وأن يسعى في تحصيل حضور القلب والتفهم وفي تزكية النفس، وتخليتها عن موانع الفهم بترك حديث النفس ووسوسة الصدر وتصفية القلب بالادعية الواردة لماقبل التلاوة...

فيفتح المصحف بين يديه، ويستعيذ بالله جل وعلا من الشيطان الرجيم و همزاته، ويبتدء بالبسملة، فليأخذ بالقراءة جهراً من غير رياء وسمعة وتصنع، ومن غير أن يشوّش الوقت على مصلّ أوشاغل عبادة... وأن يحسّن القراءة و يقرأ مرتلاً بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغيّر النظم تعظيماً و تكريماً للقرآن بأحسن صوت وتحزّن ومتأنّياً ومتأدّباً على هيئة السكون، غيرمتكىء على شيء، وغير متربع ولاجالس على هيئة التكبر و التبختر، بل على خشوع وخضوع، و أن يراعي حق الايات وقفا ووصلا وإعراباً.

في الكافي: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «أعرب القرآن فانه عربي»

متفكراً في الايات الكريمة: التفكر في عظمة الله تعالى وقدرته، التفكر في علمه، إحسانه عليه، التفكر في نظم الايات و اسلوبها، و في مضامينها،

التفكر فى خلق السموات والارض ، التفكر فى الجبال و البحار ، والتعقل فى أحوال الامم السابقة من ناجيهم و هالكهم ، من سعداءهم و أشقياءهم ، من مؤمنهم وكافرهم، من مطيعهم وطاغيهم ، وصلحاءهم و فجارهم ، ومن أتقياءهم و أغبياءهم . . .

والتعقل فى أحوال الانبياء والمرسلين عليهم السلام وفى صبرهم على الايذاء و الاستهزاء وتكذيب قومهم ،وفى استقامتهم على مهمتهم من الدعوة وتبليغ الرسالة وصالح أعمالهم و ثباتهم على ما كانوا عليه من الحق ، وإنتظارهم لنصرالله تعالى على أعداءهم . . .

والتدبر فى أسرار القرآن الكريم وحكمه ، وفى معارفه وحدوده ، و فى مواعظه ونصائحه ، وفى أحكامه وإرشاداته ، و فى أوامره و نواهيه ، وفى وعده و وعيده ،وفى زواجره وبشاراته . . . ليحصل للقارى ايمان وعقيدة ، وخوف ورجاء و شوق و وجل ، و جذب ودفع ، ويتأثر بآثار مختلفة حسب إختلاف الايات القرآنية . . .

فى مصباح الشريعه : قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام : من قرأ القرآن ، ولم يخضع له ولم يرق قلبه ولم ينشىء حزناً ووجلاً فى سره فقداستهان بعظم شأن الله وخسر خسراناً مبيناً .

وفى المجمع : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : إذا مررت بآية فيها ذكر الجنة فاسئل الله الجنة ، و إذا مررت بآية فيها ذكر النار فتعوذ بالله من النار .

وفى الكافى : باسناده عن سماعة قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : ينبغى لمن قرأ القرآن إذا مر بآية من القرآن فيها مسئلة أو تخويف أن يسئل عند ذلك خير ما يرجو ويسئله العافية من النار ومن العذاب .

وفي محاسن البرقي: عن اسمعيل بن أبان الحناط عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: نظفوا طريق القرآن قيل: يا رسول الله وما طريق القرآن؟ قال: أفوا هكم قيل: بماذا؟ قال: بالسواك.

وفي تفسير العياشي: عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله: «يتلونه حق تلاوته» فقال: الوقوف عند ذكر الجنة والنار.



في فضل تعليم القرآن الكريم والتعلم به وفي الاجرة على تعليمه

في وسائل الشيعة : بالاسناد عن النعمان بن سعد عن علي عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : خيار كم من تعلّم القرآن وعلّمه .

وفي أمالي الطوسي قدس سره باسناده عن عقبة بن عمار قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لايعذّب الله قلباً وعى القرآن .

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام - في خطبة - : و تعلّموا القرآن فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور ، و أحسنوا تلاوته فانه أنفع (أحسن خ) القصص ، فان العالم العامل بغير علمه كالجاهل الحائر الذي لايستفيق من جهله ، بل الحجة عليه أعظم والحسرة له ألزم وهو عندالله ألوم.

وفي المجمع : عن معاذ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : مامن رجل علّم ولده القرآن إلا توّج الله أبويه يوم القيامة بتاج الملك و كسيا حلّتين لم ير الناس مثلهما .

و في الفقيه : عن الاصبغ بن نباتة قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ان الله ليهمّ بعذاب أهل الارض جميعاً حتى لايحاشي منهم أحداً إذا عملوا بالمعاصي و اجترحوا السيئات ، فاذا نظر إلى الشيب ناقلي أقدامهم إلى الصلوات والولدان يتعلّمون القرآن رحمهم فأخّر ذلك عنهم .

وفي فروع الكافي : باسناده عن يعقوب بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام

قال : الغلام يلعب سبع سنين ، و يتعلّم الكتاب سبع سنين ، و يتعلّم الحلال والحرام سبع سنين .

وفى عدة الداعى : عن يعقوب الاحمر قال : قلت لابى عبدالله عليه السلام : جعلت فداك انه قد أصابنى هموم و أشياء لم يبق شيء من الخير إلاّ و قد تفلّت منى منه طائفة حتى القرآن ، لقد تفلّت منى طائفة منه ، قال : ففزع عند ذلك حين ذكرت القرآن ، ثم قال : ان الرجل لينسى السورة من القرآن فتأتيه يوم القيامة حتى تشرف عليه من درجة من بعض الدرجات ، فيقول : السلام عليك ، فيقول :وعليك السلام من أنت؟ فيقول: أناسورة كذاو كذا ضيّعتنى وتركتنى أما لو تمسكت بى بلّغت بك هذه الدرجة ، ثم أشار باصبعه ، ثم قال :

عليكم بالقرآن فتعلّموه فان من الناس من يتعلّم ليقال : فلان قارىء و منهم من يتعلّمه ويطلب به الصوت ، ليقال : فلان حسن الصوت ، وليس فى ذلك خير ، و منهم من يتعلّمه فيقوم به فى ليله و نهاره ، ولا يبالى من علم ذلك و من لم يعلمه .

و فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان أفضلكم من تعلم القرآن وعلّمه .

وفى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خيركم من تعلّم القرآن و علّمه .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى حديث ـ قال : ومن تعلّم القرآن و تواضع فى العلم و علّم عباد الله و هو يريد ما عند الله لم يكن فى الجنة أعظم ثواباً منه ولا أعظم منزلة منه ، و لم يكن فى الجنة منزل ولادرجة رفيعة ولانفيسة إلاّ وكان له فيها أوفر النصيب و أشرف المنازل .

وفى الكافى . باسناده عن حسان المعلم قال . سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن التعليم ، فقال : لاتأخذ على التعليم أجراً ، قلت : فالشعر والرسائل وما أشبه ذلك اشارط عليه ؟ قال : نعم بعد أن يكون الصبيان عندك سواء فى التعليم لا تفضل بعضهم على بعض .

وفي التهذيب : باسناده عن الفضل بن أبي قرة قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : هؤلاء يقولون : ان كسب المعلم سحت ، فقال كذبوا (كذب خ) أعداء الله انما أرادوا أن لا يعلموا أولادهم القرآن ، لو ان المعلم أعطاه رجل دية ولده لكان للمعلم مباحاً .

وفيه : باسناده عن جراح المدائني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : المعلّم لا يعلّم بالاجر ويقبل الهدية إذا اهدى إليه .

وفي معاني الاخبار : باسناده عن عمرو بن جميع عن جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تعلّموا القرآن بعربيته ، وإياكم والنبز فيه يعني الهمز . قال الصادق عليه السلام : الهمز زيادة في القرآن إلا الهمز الاصلي مثل قوله : « ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبأ » و قوله : « لكم فيها دفء » وقوله : « فادارأتم فيها » .

وفي الخصال : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : تعلّموا العربية فانها كلام الله الذي كلم به خلقه ، ونطق به للماضين . الحديث .

وفي عدة الداعي : عن أبي جعفر الجواد عليه السلام قال : ما استوى رجلان في حسب ودين قط إلاّ كان أفضلهما عندالله عزوجل أدبهما ، قال : قلت : قدعلمت فضله عند الناس في النادي والمجلس . فما فضله عندالله ؟ قال : بقراءة القرآن كما انزل ، ودعائه من حيث لايلحن ، فان الدعاء الملحون لايصعد إلى الله .

وفي الكافي : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان الرجل الاعجمي من امتي ليقرأ القرآن بعجمية ، فترفعه الملائكة على عربيته .

وفي المجمع : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان هذا القرآن مأدبة الله فتعلّموا مأدبته ما استطعتم ، ان هذا القرآن حبل الله وهو النور المبيّن والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسّك به ، ونجاة لمن تبعه . الحديث .

و في عدة الداعي : قال الصادق عليه السلام : ينبغي للمؤمن أن لايموت حتى يتعلم القرآن أو يكون في تعلمه .

﴿ في فضل حفظ القرآن الكريم وذم نسيانه ﴾

في الكافي: باسناده عن أبي بصير قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : من نسي سورة من القرآن مثّلت له في صورة حسنة ودرجة رفيعة في الجنة، فاذا رآها قال: ماأنت ماأحسنك ليتك لي ؟ فيقول : أماتعرفني أناسورة كذاو كذا ولولم تنسني رفعتك إلى هذا .

اقول: وفي ثواب الاعمال زياده « المكان» بعد«هذا» ففيه «إلى هذا المكان»

و في الفقيه : باسناده عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام - في حديث المناهي - ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ألاومن تعلّم القرآن ثم نسيه لقي الله يوم القيامة مغلولاً يسلّط الله عليه بكل آية منها حية تكون قرينه إلى النار إلاّ أن يغفر له .

اقول: وهذا إذانسي عن تفريط وتقصير، فتركه متهاوناً ومتساهلاً كماهو الغالب في الناسين .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرضت عليّ اجور امتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد، وعرضت عليّ ذنوب امتي، فلم أرفيها ذنباً أعظم من سورة من القرآن أوآية اوتيها رجل ثم نسيها .

و في رواية: عن سلمان الفارسي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أكبر ذنوب توافي به امتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع أحدهم فنسيها . قال الله تعالى : « ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة اعمى

قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى »

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ : مامن أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يفكه منها إلا عدله ، ومامن رجل تعلّم القرآن ثم نسيه إلا لقى الله يوم القيامة أجذم .

أي من تعلم القرآن ثم نسيه متعمداً لقى الله تعالى وهو مقطوع اليد .

وذلك لان ترك المستحب كفعل المكروه كثيراً ماينهى عنه بأمثال هذا كمايقف عليه المتتبع لكلام الائمة أهل البيت عليهم السلام العارف بأساليب خطابهم ، وان قطع اليد وإن لم يكن عقوبة على الناس المتعمد إلا أن نسيان القرآن لعله من قبيل المؤثر لحصول هذا النقص في الاخرة كمافي تولّد الولد أخرس لو تكلم الزوج حال الوقاع ، أو أعمى لو نظر - حاله - إلى الموضع المعلوم من الزوجة ، وكتأثير الفرقة بين الزوجين إن فعلا كذا ونحو ذلك . فيكون ذلك أثراً لنسيان القرآن من قبيل الخاصية كاثر السّم وكاحراق النار ولامانع من هذا .

وقيل : لو كان ناسي القرآن يستحق عقوبة على نسيانه لكان حفظ القرآن بأسره فرضاً لازماً لان العقوبة لاتستحق بترك ماليس بواجب وليس حفظ جميع القرآن واجبا .

ولايخفى ان هذا اثبات ملازمة بين أمرين لاتلازم بينهما شرعاً لان تحريم شيء لايلزم إيجاب ضده شرعاً حتى لو كانا ضدين لاثالث لهما كما في المقام ، نعم يلزمه ذلك عقلاً كماهو الحق في صورة الامر مضافاً إلى أن نسيان القرآن بأسره محرّم بلاريب لأدائه إلى ترك الواجب من القراءة في الصلاة لوجوب حفظ مايلزم فيها منه بخلاف حفظه أجمع ، فلايجب لاذاتاً ولاتبعاً ، والمراد من الحفظ المعرفة والضبط لاالحفظ عن ظهر القلب .

وقيل : ان قطع يد الناسي ليس بعقوبة لان الله تعالى قد يقطع أوليائه و

صالحي عباده بالامراض التي تؤدي إلى قطع أعضائهم كما قد يبتدي سبحانه بخلق ناقصي الاعضاء .

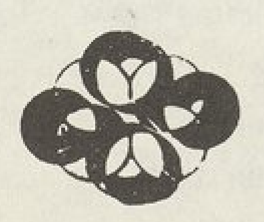
اجيب عنه : ان هذا متجه في الدنيا إلا أن ظاهر الحديث إرادة اللقاء في الدار الاخرة كما هو ظاهر إستعمال لفظ لقاء الله تعالى ، وان القطع إن عرض للاولياء والصلحاء في الحياة الدنيا فليس بعقاب لهم لكن حشرهم على تلك الحال لاشبهة في كونه عقاباً وكذا العقول في ايجاد مشوه الخلق أو ناقص الاعضاء في الدنيا لايمكن الجزم بكونه عقاباً بخلاف بعثه في الاخرة كذلك فانه يعدّ عقوبة.

ولا يخفى ان من أسباب حفظ القرآن الكريم في القلوب والمصاحف إستدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه، والمحافظة على ما فيه من الاعمال الباطنة والآداب الظاهرة . . .

وفي المجمع: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قرأ القرآن حتى يستظهره ويحفظه أدخله الله الجنة وشفّعه في عشرة من أهل بيته كلهم قد وجبت لهم النار .

اقول: هذا إذا كان الاستظهار والحفظ موجباً لهداية هؤلاء من أصحاب النار.

وفي الكافي : باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة .



ائمة أهل البيت عليهم السلام
و قراءة القرآن الكريم جهراً

وقد كان أئمتنا أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين يقرؤن القرآن الكريم جهراً ولنا فيهم اسوة حسنة .

في الاحتجاج : وروى انه ـ الامام موسى بن جعفر عليهما السلام ـ كان حسن الصوت و حسن القراءة ، وقال يوماً من الايام : ان على بن الحسين عليهما السلام كان يقرأ القرآن، فربما مرّ به المار فصعق من حسن صوته .

وفي الكافي : باسناده عن حفص قال : مارايت أحداً أشد خوفاً على نفسه من موسى بن جعفر عليهما السلام ولا أرجى للناس منهم ، و كانت قرائته حزناً فاذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً .

وفي السيرة النبوية لابن هشام عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري انه حدّث : ان أباسفيان بن حرب وأباجهل بن هشام و الاخنس بن شريق ابن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يصلّي من الليل في بيته ، فأخذ كل رجل منهم مجلساً يستمع فيه . و كل لايعلم بمكان صاحبه ، فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا ، فجمعهم الطريق، فتلاوموا ، و قال بعضهم لبعض : لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لاوقعتم في نفسه شيئاً ثم انصرفوا حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه، فباتوا يستمعون له ، حتى إذا طلع الفجر تفرّقوا فجمعهم الطريق ، فقال بعضهم

لبعض : لانبرح حتى نتعاهد ألاّ نعود ، فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا .

فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أباسفيان في بيته فقال : أخبرني يا أباحنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : يا أباثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها و اعرف مايراد بها ، وسمعت أشياء ماعرفت معناها ولا مايراد بها ، قال الاخنس : و أنا والذي حلفت به كذلك .

قال : ثم خرج من عنده حتى أتى أبـاجهل ، فدخل عليه بيته فقال : يـا أبا الحكم ، مارأيك فيما سمعت من محمد ؟ فقال : ماذا سمعت ! تنازعنا نحن و بنو عبدمناف الشرف أطعموا فاطعمنا ، وحملوا فحملنا ، واعطوا فاعطينا حتى إذا تجاذينا على الركب و كنا كفرسى رهان، قالوا : منا نبيّ يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه ! والله لانؤمن به أبداً ولا نصدّقه قال: فقام عنه الاخنس وتركه.

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذاتلا عليهم القرآن ، ودعاهم إلى الله قالوا يهزؤن به: قلوبنا في أكنّة مما تدعونا إليه لانفقه ماتقول : وفي آذاننا وقر لانسمع ماتقول ، ومن بيننا وبينك حجاب ، قدحال بيننا وبينك ، فاعمل بماأنت عليه ، اناعاملون بما نحن عليه ، انا لانفقه عنك شيئاً .

فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من قولهم : «و اذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بـالاخرة حجاباً مستوراً ـ إلى قوله ـ و لّوا على أدبارهم نفوراً» أي كيف فهموا توحيدك ربك إن كنت جعلت على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقراً ، وبينك وبينهم حجاباً بزعمهم أي اني لم افعل ذلك

وفيه : عن عروة بن الزبيري قال :كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه قال : اجتمع يوماً أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا : و الله ماسمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط ، فمن رجل يسمعهموه ؟ فقال عبدالله بن مسعود : أنا ، قـالوا : انا نخشاهم عليك ، انما نريد رجلاً له عشيرة يمنعونه من القوم إن ارادوه ، قال : دعوني فان الله سيمنعني قال:

فغدا إبن مسعود حتى اتى المقام في الضحى ، وقريش في أنديتها، حتى قام عند المقام ثم قرأ .

« بسم الله الرحمن الرحيم » رافعاً بها صوته « الرحمن علم القرآن » قال: ثم استقبلها يقرؤها قال : فتأملوه فجعلوا يقولون : ماذا قال ابن ام عبد ؟ قال : ثم قالوا : انه ليتلو بعض ماجاء به محمد فقاموا إليه، فجعلوا يضربون في وجهه، وجعل يقرأ حتى بلغ منها ماشاء الله أن يبلغ ، ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه ، فقالوا له : هذا الذي خشينا عليك ، فقال : ما كان أعداء الله أهون عليّ منهم الآن، ولئن شئتم لاغادينّهم بمثلها غداً قالوا : لا ، حسبك ، قد أسمعتهم مايكرهون وغير ذلك من قراءات الائمة عليهم السلام جهراً .

وقد ذكر العلماء للقراءة جهراً فوائد كثيرة :

منها: ان فائدة الجهر تتعلق بنفس القارى و بغيره ، و فائدة الخفاء متعلق بنفس القارى، ومن غير مراء ان الخير المتعلق العام أفضل من الخير اللازم الخاص.

ومنها: ان الجهر يوجب يقظة قلب القارىء ، و يجمع همّه إلى التفكر فيه ويصرف إليه سمعه .

و منها : ان النوم يطرد برفع الصوت ، وان الجهر يزيد في نشاط القارىء للقراءة ويقلل من كسله .

و منها : ان كثيراً مايتيقظ النائم بجهر القارىء فيكون هو سبب احيائه ولانه قد يراه بطال غافل ، فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة ، فمتى حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل ، وإذا اجتمعت هذه النيات تضاعف الاجر ، و كثرة النيات تزكي أعمال الابرار وتتضاعف اجورهم ولذلك و ردت الروايات الكثيرة : ان قراءة القرآن في المصاحف أفضل اذ يزيد في العمل النظر ، وتأمل المصحف و حمله ، فيزيد الاجر بسببه . و غير ذلك من الفوائد . . .

و في الكافي : عن أبي جعفر عليه السلام قال ، من قرأ « انا أنزلناه في ليلة القدر»

يجهر بها صوته كان كالشاهر سيفه في سبيل الله ، ومن قرأها سراً كان كالمتشحط بدمه في سبيل الله . الحديث .

وفي وسائل الشيعة : عن معاوية بن عمار قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : الرجل لايرى انه صنع شيئاً في الدعاء وفي القراءة حتى يرفع صوته ، فقال : لابأس ان علي بن الحسين عليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن وكان يرفع صوته حتى يسمعه أهل الدار ، وان أباجعفر عليه السلام كان أحسن الناس صوتاً بالقرآن وكان إذا قام من الليل و قرأ رفع صوته فيمر به مار الطريق من الساقين و غيرهم فيقومون فيستمعون إلى قرائته .

اقول : و من أسرار الحث على قراءة القرآن الكريم في البيوت جهراً إذاعة أمر الاسلام : و انتشار قراءه الكتاب المجيد ، فان الرجل إذا قرأ في بيته قرأته المرأة ، و قرأ الطفل إتباعاً غالباً . و ذاع امره و انتشر ، و هذا من أعظم الاسباب في نشر الاسلام ، و إقامة الشعار الالهي ، و خاصة إذا ارتفعت الاصوات بالقراءة في البيوت بكرة و عشياً ، فيعظم أمر الاسلام في نفوس السامعين لما يعروهم من الدهشه عند إرتفاع أصوات القرآن في مختلف نواحي البلد . . .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاحسد إلا في إثنين : رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له فقال : ليتني اوتيت مااوتي فلان فعملت مثل مايعمل ، و رجل آتاه الله مالافهو يهلكه في الحق ، فقال رجل : ليتني اوتيت مثل مااوتي فلان فعملت مثل مايعمل .

اقول : ان المراد من الحسد : الغبطة بان صاحب القرآن الكريم والمال المنفق في غبطة ، وهي حسن الحال ، و الغبطة حسنة لانها أن يتمنى الانسان ماهو فيه من النعمة و هذا بخلاف الحسد المذموم ، و هو تمني زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحاسد أم لا ، و هذا مذموم شرعاً ، و هو أول معاصي

ابليس حين حسد آدم عليه السلام مامنحه الله تعالى من الكرامة و الاحترام والاعظام، و أما الغبطة فهى تمنى حال مثل ذاك الذى هو على حالة سارة ، و أعظمها نعمتان: نعمة دينية و نعمة دنيوية .

قال الله تعالى : «ان الذين يتلون الكتاب و أقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سراً و علانية يرجون تجارة لن تبور » فاطر : ٢٩) .



التغني والتحزن والجهر

بتلاوة القرآن الكريم

في الكافي : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم :لكل شيء حلية وحلية القرآن الصوت الحسن .

وفيه : باسناده عن أبي بصير قال : قلت لابي جعفر عليه السلام : إذا قرأت القرآن فرفعت به صوتي جاء ني الشيطان ، فقال : انما ترائي بهذا أهلك و الناس ، قال : ياأبا محمد إقرأقراءة مابين القرائتين تسمع أهلك، ورجّع بالقرآن صوتك، فان الله عزوجل يحبّ الصوت الحسن يرجّع فيه ترجيعاً .

قوله : «جاء من الشيطان» أي يوسوسني ، ويلقي في صدري . . .

وفيه : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إقرؤا القرآن بألحان العرب وأصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق و أهل الكبائر فانه سيجيىء من بعدي أقوام يرجّعون القرآن ترجيع الغناء والنوح والرهبانية لايجوز تراقيهم قلوبهم مقلوبة وقلوب من يعجبه شأنهم .

وفي جامع الاخبار : عن البراء بن عازب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :زيّنوا القرآن باصواتكم .

وفيه : عن عبدالله بن مسعود قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان حسن الصوت زينة للقرآن :

وفي العيون : باسناده عن عبدالله التميمي عن الرضا عليه السلام قال : قال رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم : حسّنوا القرآن بأصواتكم فان الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً .

وفي البحار : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه سئل : أيّ الناس أحسن صوتاً بالقرآن؟ قال : من إذا سمعت قراءته رأيت انه يخشى الله .

وفي معاني الاخبار : باسناده عن القاسم ابن سلام رفعه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ليس منا من لم يتغنّ بالقرآن .

وفي جامع الاخبار : عن سعد بن أبي وقاص قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان القرآن نزل بالحزن فاذا قرأتموه بكّوا ، فان لم تبكوا فتباكوا ، و تغنّوا به فمن لم يتغنّ بالقرآن فليس منا .

اقول : معناه : ليس منا من لم يتغن به ، ولا يذهب به إلى الصوت .

وقد روى : ان من قرأ القرآن فهو غنى لا فقر بعده . وروى : ان من اعطى القرآن فظنّ ان أحداً اعطى أكثر مما اعطى فقد عظّم صغيراً وصغّر كبيراً ، فلا ينبغى لحامل القرآن أن يرى أحداً من أهل الارض أغنى منه ولو ملك الدنيا برحبها و يحتمل أن يكون المعنى : من لم يقم على القرآن فليس منا أى فلا تتجاوزه إلى غيره ولا يتعداه إلى سواه ، من غنى الرجل بالمكان إذا طال مقامه به ومنه قيل : المغنى والمغانى قال الله تعالى : «كان لم يغنوا فيها» الاعراف : ٩٢) أى لم يقيموا بها .

وقيل : اى لا تقرؤا القرآن مستعجلين مسرعين بل أقيموا وتلبثوا ليتحصّل لكم فهم معانيه وتدبر ما فيه من النكات والاحكام والعظات ، ويستأنس له بما ورد عنهم عليهم السلام من الاوامر بالتأنى حال القراءة والنهى عن الاسراع فيها .

وقيل : معناه : ان القرآن الكريم حيثما وجد ففيه الغنى كل الغنى عن الحطام والمتاع الزائل الفاني .

وفي المجالس : باسناده عن سليمان بن خالد عن الصادق عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتى شاباً (شباباً خ) من الانصار فقال : انى اريد أن اقرأ عليكم

فمن بكى فله الجنة فقرأ آخر الزمر : «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً» إلى آخر السورة فبكى القوم جميعاً إلا شاباً ، فقال : يارسول الله قد تباكيت فما قطرت عيني ، قال : اني معيد عليكم فمن تباكى فله الجنة ، فأعاد عليهم فبكى القوم وتباكى الفتى فدخلوا الجنة جميعاً .

وفي الكافي : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان القرآن نزل بالحزن فاقرؤه بالحزن .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا. وأما الجهر بالقراءة فهو أن يسمع هو ومن كان بجانبه، فان القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ، فلابد من صوت ، وأقله ما يسمع هو ومن في طرفه،

وأما أكثر من ذلك فقد تكون ممدوحاً محبوباً إذا يترتب عليه آثار مطلوبة وإلاّ فيكون مكروهاً .

وقيل : ان الفرق بين التلاوة والقراءة : ان التلاوة قرائة القرآن متابعة كالدراسة ، وأما القراءة فهي أعم لأنها جمع الحروف باللفظ واتباعها .

ولا يخفى على القارىء الخبير مابين التلاوة والقراءة من الفرق ، وذلك ان التلاوة لاتكون في الكلمة الواحدة ، والقراءة تكون فيها تقول : قرأ فلان إسمه، ولاتقول تلا إسمه ، وذلك ان أصل التلاوة من قولك : تلا الشيء الشيء يتلوه إذا تبعه، فاذا لم تكن الكلمة تتبع اختها لم تستعمل فيها التلاوة ، وتستعمل فيها القراءة لان القراءة إسم لجنس هذا الفعل .

فالتلاوة لاتكون إلاّ في كلمتين فصاعداً ، والقراءة تكون في كلمة واحدة وأكثر فتكون التلاوة في الكلمات يتبع بعضها بعضاً ولا تكون في كلمة واحدة اذلا يصح فيه التلو .

البيوت التي يقرأ فيها
القرآن الكريم وغنى أهلها

في الكافي : باسناده عن ليث بن أبي سليم رفعه قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : نوّروا بيوتكم بتلاوة القرآن ، ولاتتخذوها قبوراً كمافعلت اليهود والنصارى ، صلوا في الكنائس والبيع وعطّلوا بيوتهم ، فان البيت إذا كثر فيه تلاوة القرآن كثر خيره واتسع أهله وأضاء لاهل السماء كما تضيئ نجوم السماء لاهل الدنيا.

وفيه : باسناده عن عبد الاعلى مولى آل سام عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان البيت إذا كان فيه المرء المسلم يتلو القرآن يترائاه أهل السماء كما يترائا أهل الدنيا الكوكب الدري في السماء .

وفيه : باسناده عن إبن القداح عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : البيت الذي يقرأ فيه القرآن ، و يذكر الله عز وجل فيه تكثر بركته و تحضره الملائكة وتهجره الشياطين، ويضيىء لاهل السماء كما تضيىء الكواكب لاهل الارض ، و ان البيت الذي لايقرأ فيه القرآن ولايذكر الله عزوجل فيه تقلّ بركته، وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين .

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ان البيت الذي يقرأ فيه القرآن يكثر خيره ، و البيت الذي لايقرأ فيه القرآن يقلّ خيره » .

وفي وسائل الشيعة : عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه عليه السلام - في حديث - قال : كان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منا،

ومن كان لايقرأ منا أمره بالذكر، والبيت الذي يقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزوجل فيه تكثر بركته.

وفي قرب الاسناد: باسناده عن إبن علوان عن الصادق عن أبيه عليه السلام انه كان يستحب أن يعلّق المصحف في البيت يتقى به من الشياطين قال: ويستحب أن لايترك من القراءة فيه.

وفي ثواب الاعمال: باسناده عن حماد بن عيسى عن جعفر عن أبيه عليهما السلام قال: اني ليعجبني أن يكون في البيت مصحف يطرد الله به الشياطين.

وفي عدة الداعي: عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: اجعلوا لبيوتكم نصيباً من القرآن، فان البيت إذا قرأ فيه القرآن تيسّر على أهله، وكثر خيره وكان سكّانه في زيادة، وإذا لم يقرأ فيه القرآن ضيق على أهله، وقلّ خيره، وكان سكّانه في نقصان.

وفي الخصال: عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ثلاثة يشكون إلى الله عزوجل: مسجد خراب لايصلي فيه أهله، وعالم بين جهّال، ومصحف معلّق قد وقع عليه غبار لايقرأ فيه.

وفي رجال الكشي: باسناده عن أبي هارون قال: كنت ساكناً دار الحسن بن الحسين فلما علم إنقطاعي إلى أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام أخرجني من داره، قال: فمرّ بي أبو عبدالله عليه السلام فقال: ياباهارون بلغني ان هذا أخرجك من داره؟ قلت: نعم قال: بلغني انك كنت تكثر فيها تلاوة كتاب الله، والدار إذا تلي فيها كتاب الله كان لها نور ساطع في السماء، وتعرف من بين الدور.

وفي وسائل الشيعة: بالاسناد عن بريد بن معاوية قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: ان الصواعق لاتصيب ذاكراً قال: قلت: وما الذاكر؟ قال: من قرأ مأة آية.

وفي ثواب الاعمال: باسناده عن معاوية بن عمار قال أبو عبدالله عليه السلام:

من قرأ القرآن فهو غنى ولا فقر بعده وللامانة غنى (والا ما به غنى خ) .

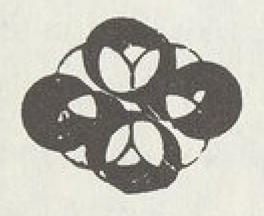
وقيل : والله ما دون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة .

وفى رواية : قال رسول الله ﷺ : القرآن غنى لافقر بعده ولاغنى دونه .

وفى رواية : قال النبى ﷺ : «أصفر البيوت جوف صفر من كتاب الله»

و فى شرح الحديد : عن أنس قال : قال لى رسول الله ﷺ : يا ابن ام سليم لا تغفل عن قراءة القرآن صباحاً ومساءاً ، فان القرآن يحيى القلب الميت ، وينهى عن الفحشاء والمنكر .

وفيه : قال رسول الله ﷺ : «ان ربكم لأشد اذناً إلى قارىء القرآن من صاحب القينة إلى قينته» .



﴿ في فضل أهل القرآن الكريم ﴾

في الفقيه : عن إبن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أشراف امتي حملة القرآن وأصحاب الليل .

وفي المجمع : عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :حملة القرآن في الدنيا عرفاء أهل الجنة يوم القيامة .

وفي الكافي : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان أهل القرآن في أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين والمرسلين ، فلا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم ، فان لهم من الله العزيز الجبار لمكاناً.

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان لله أهلين من الناس ، قيل :من هم يا رسول الله ؟ قال : أهل القرآن هم أهل الله وخاصته .

و في وسائل الشيعة : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : حملة القرآن المخصوصون برحمة الله ، الملبّسون نور الله ، المعلّمون كلام الله ، المقرّبون عند الله ، من والاهم فقد والى الله ، ومن عاداهم فقد عادى الله ، يدفع الله عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ، وعن قاريه بلوى الاخرة والذى نفس محمد بيده لسامع آية من كتاب الله وهو معتقد أعظم أجراً من ثبير ذهباً يتصدّق به ، ولقارى آية من كتاب الله معتقداً مما دون العرش إلى أسفل التخوم .

و في رواية مرفوعة : « ان من تعظيم جلال الله إكرام ذى الشيبة في الاسلام وإكرام الامام العادل ، واكرام حملة القرآن »

فى فضل قراءة القرآن الكريم نظراً

فى المصحف و على ظهر القلب

وقد وردت روايات عديدة فى فضل قراءة القرآن الكريم نظراً فى المصحف على القراءة من ظهر القلب ، وذلك لان النظر فى المصحف عبادة ، فيزيد فى الاجر بذلك لاجتماع القراءة والنظر .

فى رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قراءة الرجل فى غير المصحف ألف درجة ، وقراءته فى المصحف تضاعف على ذلك إلى ألفى درجة .

و فى رواية : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : فضل القرآن نظراً على من قرأ ظاهراً كفضل الفريضة على النافلة .

وفى الكافى: باسناده عن إسحق بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قلت له : جعلت فداك انى أحفظ القرآن على ظهر قلبى ، فأقرأه على ظهر قلبى أفضل أو انظر فى المصحف ؟ قال : فقال لى : بل اقرأه وانظر فى المصحف فهو أفضل، أما علمت ان النظر فى المصحف عبادة .

وفيه : عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من قرأ القرآن فى المصحف متّع ببصره وخفّف على والديه وإن كانا كافرين .

وفيه : عن أبى عبدالله قال :قراءة القرآن فى المصحف تخفّف العذاب عن الوالدين ولو كانا كافرين .

و فى عدة الداعى : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم : ليس شىء أشدّ على الشيطان من

القراءة في المصحف نظراً والمصحف في البيت يطرد الشيطان .

وفي أمالي الطوسي قدس سره باسناده عن أبي ذرقال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : النظر الى علي بن أبيطالب عليه السلام عبادة ، والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة والنظر في المصحف يعني صحيفة القرآن عبادة ، والنظر إلى الكعبة عبادة .

وفي رواية : قال عليه السلام : أفضل العبادة القراءة في المصحف .

وفي المستدرك : عن علي بن خلف قال : شكى رجل إلى محمد بن حميد الرازي الرمد فقال له : أدم النظر في المصحف ، فانه كان بي رمد فشكوت ذلك إلى حزير عبدالحميد ، فقال لي : أدم النظر في المصحف ،فانه كان بي رمد فشكوت ذلك إلى الاعمش فقال لي : أدم النظر في المصحف ، فانه كان بي رمد فشكوت ذلك إلى عبدالله بن مسعود فقال لي : أدم النظر في المصحف ، فانه كان بي رمد فشكوت ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال لي : أدم النظر في المصحف ، فانه كان بي رمد فشكوت ذلك إلى جبرئيل فقال لي : أدم النظر في المصحف .

وفي الفقيه : روى ان النظر إلى الكعبة عبادة - إلى أن قال - : والنظر إلى المصحف من غير قراءة عبادة - الحديث

اقول : وفي الحث على القراءة نظراً في نفس المصحف نكات جليلة ينبغي الالتفات إليها :

منها : الالماع إلى كلاءة القرآن الكريم عن الاندراس بتكثر نسخه، فانه لو اكتفى بالقراءة عن ظهر القلب لهجرت النسخ ،وأدى ذلك إلى قلتها بل يوجب إعوازها ، وإنمحاء آثارها . . .

ومنها : متع ببصره، فيراد منها ان القراءة في المصحف سبب لحفظ البصر من العمى والرمد .

ومنها : ان القراءة في المصحف سبب لتمتع القارىء بمغازي القرآن الجليلة ونكاته الدقيقة ، ومعارفه العالية ، وحكمه الراقية لان الانسان عندالنظر

إلى ما يروقه من المرئيات تبتهج نفسه ، ويجد إنتعاشاً في بصره وبصيرته، وكذلك قارىء القرآن إذا سرح بصره في ألفاظه وأطلق فكره في معانيه وتعمّق في مضامينه العالية ، ومعارفه الرفيعة ، وتعاليمه الثمينة . . . يجد في نفسه لذة الوقوف عليها ، ومتعة الطموح إليها ، ويشاهد هشة من روحه، وتطلعاً من قلبه .



قراءة القرآن الكريم

و تأثيرها فى النفوس

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان هذه القلوب لتصدى كما يصدى الحديد ، وان جلاءها قراءة القرآن .

فى المنار : ـ فى تأثير قراءة القرآن الكريم على النفوس البشرية ـ قال حكيم افرنجي : كان محمد يقرأ القرآن فى حالة وله و تأثر و تأثير ، فيجذب به إلى الايمان اضعاف من جذبتهم آيات موسى وعيسى عليهما السلام .

اقول : و لعمرى ليست عبارات و لا كلمات تجذب قلوب الانس و نفوس إليها كما تجذبها كلمات القرآن الكريم و عباراته إليها إذفيها جاذبية فى السمع إذ قرأت تمهد السمع لاستماعها ، لمافيها من جاذبية الصدق والبساطة ، جاذبية الحق والهداية، جاذبية الخير والسعادة، وجاذبية توافق الفطرة الانسانية، واستجاشة الطبع، ولو قرأت العلماء ودعاة الدين هذا القرآن الكريم كما كان يقرء رسول الله وأهل بيته صلوات الله عليهم اجمعين لما تركت القراءة من أكثر المسلمين فى أيامنا هذا، وما كانوا معرضين عنه كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، وما جعلوا الموسيقى والغناء مكانها. ولم يكتفوا بما يقرء من راديو وما إليها من آلات اللهو واللعب السياسى.

ومن غير مراء ان السور القرآنية وآيها كلها يرتبط بحياة الإنسان إرتباطاً وثيقاً ، سواء كان عالماً نحريراً أم كان جاهلاً بليداً ، رجلاً قوياً أم امرأة ضعيفة ، سواداً كان أو بياضاً ، مدنياً كان أم بدوياً . . . لما فيها من الأسرار و العظات

البالغات و النصائح المؤثرة و الثمرات اليانعات التى انزلت لانتفاع الجن والانس منها و الاستضائة بها والاهتداء اليها . ومن هنا وردت الروايات الكثيرة فى فضل كل سورة من القرآن الكريم خاصة وفى المجموع كافة إذ للقرآن الكريم كله و لكل سورة آية منه تأثير عميق فى حياة الانسان إذا اطلع على اسرارها و حفظ معانيها وعمل بها ، و تقوم آثار كل آية و كل سورة و كل القرآن الكريم على أسس ثلاثة :

احدها : حفظ القرآن و تلاوته .

ثانيها : فهم القرآن و التدبر فيه .

ثالثها : العمل بما فيه .

وإذا أردنا أن نرى آثارها فيجب علينا أن نسلك هذا السبيل ، و نجعل القرآن مصباح حياتنا ونور قلوبنا و جلاً همومنا و غمومنا ، وعدتنا فى السلم و الحرب ، ونفتح به قلوبنا و نزكى به نفوسنا ، و نجعله حصناً حصيناً لنا . . .

فى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام فى خطبة : « و اعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذى لا يغش ، والهادى الذى لا يضل ، والمحدث الذى لا يكذب ، وما جالس هذا القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان ، زيادة فى هدى و نقصان من عمى .

واعلموا انه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة ، ولا لاحد قبل القرآن من غنى ، فاستشفوه من أدوائكم ، و استعينوا به على لأوائكم ، فان فيه شفاء من أكبر الداء وهو الكفر والنفاق ، والغى والضلال ، فاسئلوا الله به ، و توجهوا اليه بحبه ، ولا تسئلوا به خلقه ، انه ماتوجه العباد إلى الله تعالى بمثله .

و اعلموا انه شافع مشفع ، و قائل مصدق ، و انه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه ، ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه ، فانه ينادى مناد يوم القيامة : ألا ان كل حارث مبتلى فى حرثه ، و عاقبة عمله غير حرثة القرآن .

فكونوا من حرثته و اتباعه، و استدلّوه على ربكم و استنصحوه على أنفسكم واتهموا عليه آراءكم و استغشّوا فيه أهواءكم » .

قوله عليه السلام «للأوائكم» أى شدائدكم من الألواء: الشدة و «من محل به القرآن» أى من شكى عليه القرآن وقال عنهم شراً عندالله تعالى .

ان القرآن الكريم هو الترياق الاكبر و الكبريت الاحمر ، وله خواص غريبة وآثار كثيرة فى النفوس كما انه بمجموعه وبأجزائه معجزات عجيبة لايمثل بالطود الاشم بل هو أفخم، لا بالبحر الضخم، بل هو أعظم وأعظم لايقاس به عظيم من الخلق، وانه ما إذا نظر الخطيب المصقع و الواعظ المبلغ فلايجد لنفسه بدّاً إلا أن يأخذ منه مواعظه و زواجره ، و إذا تدبر الفقيه الحاذق ، و المفتى الصادق لايرى بدّاً إلا أن يأخذ منه معالم الحلال و الحرام ، و يغترف فى بحره الاحكام . . . و إذا تفكر البلغاء و الفصحاء فى بلاغته و فصاحته فلا بدّ له من رجوعهم إليه فى توجيه معانيه و أساليبه و مبانيه . . . وعلى الاديب الكاسر الكيس الماهر أن يفتخر بأدبه ، وما عسى أن يقول فيه المادحون ويثنى عليه المثنون بعد قوله تعالى : « فبأى حديث بعده يؤمنون » ولا يجوز لفقيه أن يتكاسل فى الرجوع إليه معتذراً بما يخدش شأنه و الفقاهة و « هو تبيان كل شىء » ويقول : « مافرطنا فى الكتاب من شىء » و من الأسف ان رجوع فقهائنـا إليه قليل جداً حتى يقول بعض المتفقهين ـ فى أيامنا ـ : بان القرآن لايكون دليلاً فى المسائل الفرعية والاحكام الفقهية . . .

«قراءة القرآن الكريم والمستمعون»

في قرب الاسناد : باسناده عن الامام الحسين بن علي عن أبيه عليهما السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قارىء القرآن والمستمع في الاجر سواء .

وفي المجالس : باسناده عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ـ في وصيته له ـ قال : يا أباذر أخفض صوتك عند الجنائز ، وعند القتال ، وعند القرآن .

وفي الدر المنثور : عن الحسن رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكره رفع الصوت عند ثلاث : عند الجنازة ،وإذا التقى الزحفان ، وعند قراءة القرآن .

وفيه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من استمع إلى آية من كتاب الله كتبت له حسنة مضاعفة ، ومن تلاها كانت له نوراً يوم القيامة .

وفي تفسير كشف الاسرار : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ألا من اشتاق إلى الله فليسمع كلام الله ، فان مثل القرآن كمثل جراب مسك أي وقت فتحته فاح ريحه.

قيل : ان قارى القرآن مثله كمثل الغازي إذا غزى مع الكافر ، فان قتل فيفوز فوزاً عظيماً بشهادته ، وإن قتل الكافر ، فتحصل له الغنائم ، فحال أهل القرآن كحال الغازي إما هو قارىء ، وإما مستمع ، فلو كان قارئاً فله الجنة ، وإن كان مستمعاً فله الجنة ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : القاري والمستمع في الاجر سواء . وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ القرآن غرس الله له شجرة في الجنة .

وقيل : مثل القرآن مثل الجنة فيها كل تالد جديد وطارق قديم، والقرآن فيه كل رطب ويابس مبين في الجنة قصور ودرجات ، وفي القرآن سور وآيات .

وقيل: ان القرآن الكريم كمثل الماء الجاري في الماء حياة النفوس و في القرآن حياة القلوب، و كلاهما نزلا من السماء قال الله تعالى في القرآن: «نزل به الروح الامين على قلبك» الشعراء: ١٩٤) و في الماء: «وأنزلنا من السماء ماءطهوراً» الفرقان: ٤٨) نزل الماء من السماء قطرة قطرة ولونزل جملة لهلك الناس: «وما ننزله إلاّ بقدرمعلوم»: الحجر: ٢١)

ونزل القرآن آية آية، فلو نزل جملة لم تطق القلوب على احتوائه فيها، وان الماء يطهّر الظواهر والاجساد، والقرآن الكريم يطهّر البواطن ويزكي النفوس و ان الماء يوجب إزدياد قوة البصر فكذلك القرآن، وان للماء صفات ثلاث: الطهارة، واللطافة، والنظافة، فكذلك القرآن له صفات ثلاث: الفصاحة والجزالة والطراوة، فما دام البدن حياً يحتاج إلى الماء في حياته وإدامتها، فلايشبع من الماء، فكذلك القلب مادام فيه الايمان يحتاج الى القرآن فلايشبع، بل حياته في حاجة إليه، و كلما استفاد منه يصير احتياجه إليه أكثر، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: القرآن بحر عميق لايدرك قعره.

وفي تفسير العياشي: باسناده عن زرارة قال: سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول يجب الانصات للقرآن في الصلاة وفي غيرها، وإذا قرىء عندك القرآن وجب عليك الانصات والاستماع.

وفي السرائر: عن زرارة قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يقرأ القرآن يجب على من يسمعه الانصات له والاستماع له؟ قال: نعم، إذا قرئ القرآن عندك فقد وجب عليك الاستماع والانصات.

و في وسائل الشيعة: عن عبدالله بن أبي يعفور عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قلت له: الرجل يقرأ القرآن أيجب على من سمعه الانصات له والاستماع؟ قال: نعم إذا قرأ عندك القرآن وجب عليك الانصات والاستماع.

أقول : وقد خرّج أكثر الفقهاء الوجوب على الاستحباب المؤكد، وعندي لايترك الاحتياط وجوباً.

وفي الكافي : باسناده عن السكوني عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لاخير في العيش إلّا لرجلين: عالم مطاع أو مستمع واع.

وفي رواية : عن ابن مسعود قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إقرأ عليّ فقلت : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقرأ عليك و عليك أنزل ؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم : اني احب أن اسمعه من غيري ، و كنت أقرأ وعينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تفيضان.

وفي الخبر : كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن.

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من استمع إلى آية من كتاب الله عزوجل كانت له نوراً يوم القيامة.

قال بعض المحققين : ان المستمعين لكلام الله تعالى خمس طوائف :

طائفة : يستمعون له ، ويتفكرون فيه ، فينتفعون به ويعملون ويأتمرون بأوامره وينتهون عن نواهيه ، ويزدجرون بزواجره ، ويستبشرون ببشاراته وهم الذين قال الله تعالى فيهم : «انما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة و مما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم و مغفرة و رزق كريم» الانفال : ٢ ـ ٤)

وقال : «الله نزّل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» الزمر : ٢٣)

وقال : «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل اليهم ولعلهم يتفكرون» النحل : ٤٤)

و قال : « انا أنزلنا عليك الكتاب للناس بالحق - ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون » الزمر : ٤١ - ٤٢)

وقال : « وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون » التوبة : ١٢٤)

وهم الذين يستمعون للقرآن الكريم ليهتدوا بنور الحق إلى الحق والصواب ، بنور العقل إلى صراط مستقيم وطريق النجاة ، وبنور الفطرة إلى الخير والسعادة . . .

وهم لا يقصرون القراءة في التبرك والتسلية والتعزية . . . والاهداء ليلة الزفاف . . . وهم طائفة مؤمنة حقاً ، طائفة مهدية ناجية ومتنعمة بنعيم الجنة .

والطائفة الثانية : الذين يستمعون لكلام الله تعالى ليتسقطوا العيوب و يتلمسوا السقطات ، و قلوبهم غير مؤمن به ، وهم يسمعون و يتظاهرون بالقبول ساعة الحضور ولكنهم يبطنون الانكار .

قال الله تعالى فيهم : « ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا من عندك قالوا للذين اوتوا العلم ماذا قال آنفاً اولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا أهواءهم » محمد ﷺ : ١٦)

وقال : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم وأسرّوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم » الانبياء : ٢-٣)

وقال : « أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يستمعون كلام الله ثم يحرّفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون » البقرة : ٧٥)

وقال : « ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون » الانفال : ٢١)

وهم لا يريدون التدبر والفهم فيما يستمعون له لابطانهم الكفر والتكذيب والاستهزاء كما ظهرت حين خلوا و كشفت عنها الايات القرآنية . . . فتدبر

جيداً .

في الكافي : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قلت ان قوماً إذا ذكروا شيئاً من القرآن أوحدّثوا به صعق أحدهم حتى يرى ان أحدهم لو قطعت يداه أورجلاه لم يشعر بذلك ؟ فقال : سبحان الله ذاك من الشيطان ما بهذا نعتوا إنما هو اللين والرقة والدمعة والوجل .

قيل : ان المراد انهم يكذبون في إدعائهم عدم الشعور، وان مباديه بأيديهم لان الرقة والدمعة تدفعه .

الطائفة الثالثة : هم الذين يسمعون ولا يستمعون فانهم غافلون عما يتلى عليهم حتى إذا سمعوا ساعات من كلام الله تعالى ثم يسئلون عن آية أوسورة تقرأ لايعلمون بها ، وهذا حال اكثر الناس في مجالس التعزية ، وهم حاضرون فيها من غير إعتبار بها ، ولا تذكار، يتكلمون بما لا يعني . . .

الطائفة الرابعة : الذين إذا تتلى عليهم آيات الله تعالى إشمأزّت قلوبهم وهم عنها معرضون وهم الذين قال الله تعالى فيهم: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا » الحج : ٧٢)

وقال: « وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ في اذنيه وقراً » لقمان : ٧)

وقال : « واذا ذكر الله وحده إشمأزّت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة و اذا ذكر الذين من دونه إذاهم يستبشرون » الزمر : ٤٥)

وقال : « فمالهم عن التذكرة معرضين كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة » المدثر : ٤٩ ـ ٥١)

الطائفة الخامسة : الذين يستمعون له و يلتذون إذا تليت عليهم الايات

الكريمة بصوت حسن من غير تدبر فى مفاهيمها و أغراضها ، ومن غير عمل بها فكأنهم يحسبون ان القرآن الكريم كتاب قراءة لا كتاب عمل وهذا حال أكثر الامة الاسلامية ، وهم يؤمنون به و يتبركون فى شؤن حياتهم ، غير عاملين به ولامتدبرين فيه .



﴿قراءة القرآن الكريم والتدبر فيه﴾

ونحن نرى في أيامنا هذا ان أكثر الامة الاسلامية قد أصبحت بالنسبة إلى هذا الوحي السماوي على ثلاث فرق :

فريق منهم : لايهتمون بهذا القرآن الكريم ولابهذا الدين الاسلامي من اصوله وفروعه وهم همج الرعاء يعبّر عنهم باصحاب النفاق يتلوّنون بألوان و يتشكلون بأشكال مختلفة، وهم لايبالون أن يقال لهم: أنتم مردة الشرق : سارق العقل و الدين، ولاأن يقال لهم : أنتم مقلدة الغرب: سارق الشرف والدنيا ، وهما معاً سارق الدين والدنيا أيضاً لانهما توأمان يرتضعان من لبن واحد واقعاً .

وفريق منهم : يقصرون تلاوة القرآن الكريم في شهر رمضان ، وفي مجالس العزاء وعلى القبور . . . ويتبرّكون في السفر والعرائس . . .

وفريق منهم : يقرؤنه من غير تدبر في مفاهيمه وأهدافه ، ولا تعقل في معارفه وأسراره ، فكأنهم يرون ان إستخراج العلوم والدقائق منه في عهدة غير هذه الامة ، فلايتفكرون في حكمه ولافي نظامه الاجتماعية والاقتصادية والتجارية والاخلاقية والسياسية ولافي إستخراج الاحكام الشرعية . . .

ويتكاسلون في معرفة مقاصد القرآن الكريم و يعتذرون بما هو مردود بصراحة هذا الكتاب السماوي إذيقول :«وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» البقرة: ٤٤) ويقول :«كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته و ليتذكروا اولوا الالباب» ص: ٢٩) .

ويقول : «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» محمد ﷺ : ٢٤).
ويقول : «انظر كيف نصرّف الايات لعلهم يفقهون» الانعام :٦٥) .
ويقول : «كذلك يبيّن الله لكم الايات لعلكم تتفكرون» البقرة : ٢١٩) .
وغيرها من الايات القرآنية التى تحرص الانسان على التلاوة ، و التدبر و التعقل والتفكر والتذكر فيها ، ولو لم يكن الانسان متمكناً لفهم مقاصد القرآن الكريم فلما ذاحثّه عليه ؟ وهل هذا إلاّ التكليف بما لا يطاق ؟ و هذا هو الامام على عليه السلام يقول : «لا خير فى عبادة لا فقه فيها ، ولا قراءة لا تدبر فيها» .

وحيث ان القرآن الكريم جاء لامرين :
أحدهما ـ لحياة الامة بالعلوم الكونية .
ثانيهما ـ لحفظ كيان الامة وبقائها بالعلوم الشرعية ، فكما يجب على هذه الامة الاسلامية تعليم الاحكام الشرعية ، كذلك يجب عليهم تعليم العلوم الكونية مما فيه حياة الامة و بقائها بالشرعية .

فى الكافى : باسناده عن طلحة بن زيد عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ان هذا القرآن فيه منار الهدى ومصابيح الدجى ، فليجل جال بصره ، ويفتح للضياء نظره ، فان التفكر حياة قلب البصير كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنور .

وفى معانى الاخبار : باسناده عن أبى حمزة الثمالى عن أبى جعفر عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : ألا اخبركم بالفقيه حقاً ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من عذاب الله ولم يؤيسهم من روح الله ، ولم يرخّص فى معاصى الله ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ألا لا خير فى علم ليس فيه تفهّم ، ألا لا خير فى قراءة ليس فيها تدبرّ ، ألا لا خير فى عبادة ليس فيها تفقه .

وفى شرح الحديد: عن إبن عباس قال : لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلّهما وأتدبرّ هما أحبّ إلىّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة . أى السرعة فى القراءة ومن غير ريب ان قوة الدين و كمال الايمان واليقين لا يحصلان إلاّ بكثرة تلاوة

القرآن الكريم و إستماعه مع التدبر بنية الاهتداء به والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه والازدجار بزواجره والاستبشار ببشاراته ، فان الايمان الاذعاني الصحيح يزداد ويقوى وينمى ، وتترتب عليه آثاره من صالح الاعمال وترك المعاصي والفساد بحسب قدر التدبر في القرآن الكريم ، وينقص ويضعف على هذه النسبة من ترك تدبره ، وما آمن أكثر العرب إلاّ بسماعه و فهمه، ولافتحوا الاقطار ومصروا الامصار واتسع عمرانهم وعظم سلطانهم إلاّ بتأثير هداية القرآن وماكان الجاحدون المعاندون من زعماء مكة يجاهدون رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويصدّونه عن تبليغ دعوة ربه الا يمنعه من قراءة القرآن على الناس .

« و قال الذين كفروا لاتسمعوا لهذا القرآن و الغوا فيه لعلكم تغلبون» فصلت : ٢٦) .

وما ضعف الاسلام منذ القـرون الوسطى حتى زال أكثر ملكه إلاّ بهجر تـلاوة القرآن وتدبره ، واختصوا القرآن بـالتبرك والشفاء للامراض والجهيزة للبنات مع راديو وتلويزيون ، وجعلوه قرينهما في دارهم من غير استخبار عن حاله واكتفوا بقراءة من يقرؤه في راديو وهو لايقرؤه إلاّ للدرهم والدينار الذي يكون حاله معلوماً .

وما يستفاد من الايات الكريمة والروايات الواردة في تلاوة القرآن الكريم والتدبر فيه والعمل به: انّ الذي يتلو القرآن لمجرد التلاوة فمثله كمثل حمار يحمل أسفاراً إذ لاحظّ له من الايمـان بالكتاب لانه لايعرف أسراره ولا يعرفه هداية الله تعالى ، و قراءة الالفاظ من غير تدبر في معانيها لاتفيد الهداية ،حتى ولو فهم القاري مدلولاتها لان هذا الفهم من قبيل التصور والتصور خيال يلوح و يتراءى ثم يغيب .

وانما الفهم الصحيح فهم الايمان والتصديق ممن يتدبر الكتاب مهتدياً مسترشداً ملاحظاً انه مخاطب بآياته ليهتدي بها ويسترشد بمعانيها . ويعرف معارفها

وحكمها وأسرارها ويعمل بها ، وإلاّ فكان كنسخة الطبيب التي لايعمل المريض بها .

وانماقول بعض الكسالى وأرباب الاعذار السخيفة بان القرآن الكريم يتعبد بتلاوته فقط مردود بنفس الكتاب والسنة . . . و على كل مسلم أن يقرأ هذا الكتاب السماوي متدبراً فيه أويستمع له متفكراً فيه ولو مرّة واحدة في عمره ، وهذه أقل ما يمكن أن يتصور فيه ، وإلاّ فيجب عليه التلاوة والتدبر صباحاً و مساءاً وهو يقول آمراً مكرراً في آية واحدة: «فاقرؤا ماتيسر من القرآن- فاقرؤا ماتيسر منه» المزمل:٢٠) فعليكم بالكتاب والتدبر فيه والعمل به وخاصة دعاة الاسلام وقادة الدين قبل أن يدعوا الناس إليه .



«القرآن المهجور»

قال الله تعالى: «ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً وقال الرسول يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً» الفرقان: ٢٧- ٣٠)

ونحن نرى في أيامنا هذه القرآن الكريم مهجوراً: مهجور التدبر فيه والعمل به، ومهجور التدريس والتدرس بما فيه... ولذلك يخاطب النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يوم القيامة لهذه الامة الاسلامية اليومية، ويقول لهم: أنتم مزقتم امتي كل ممزق - الامة التي أصبحوا بنعمة الاسلام إخواناً، وتشابكت قلوبهم، فكانوا خير امة اخرجت للناس وفتحوا قلوب الناس وحرروا أمصارهم، وصححوا عقائدهم وعمروا ديارهم - ناوأتم كل مؤمن كريم رفيع وهتكتم أعراضهم، وماألتم كل كافر مهين وضيع، وأظهر بعضكم الفسق، وأبطنه بعض الاخرين، وأوردتم شعوبكم آسن المبادىء الكافرة وأحللتموهم كل مرعى وبيل.

ياأدعياء الاسلام ماذاعليكم لوا تقيتم الله رب العالمين، ولو بمقدار رهبتكم من رئيس أيّة دولة من الدول الشيطانية الكبرى التي تحالفونها؟ ماذا عليكم لو فكّرتم ساعة واحدة في العدل الذي تتغنّون به ليلاً ونهاراً، والظلم الذي تعانيه شعوبكم في الحرية التي تتشدقون بها، والأرهاب الدموي الذي يطبق بلدانكم في مفهوم الوالي الذي تولية صلاحياته... وماتمارسونه من إضطهاد

و تنكيل بحق شعوبكم ، بدل الرعاية والحماية ، وتوفير السعادة و الرفاه لهم ، وتدبير امور دينهم ودنياهم ؟

ماذا عليكم لو كنتم أسياد أعزاء لأنفسكم ، لاعبيداً أذلاء لغيركم ، وملكتم القدرة على «إتخاذ القرار» الصادر إليكم من رب العزة بتحكيم الشريعة الاسلامية و المعارف القرآنية وحدود الله جل وعلا بقدر مالديكم من طواغية لـ « تنفيذ القرارات » الصادرة إليكم من طواغيت الارض ؟ ماذا عليكم لو تركتم تخدير الجماهير وتغريرها في احتفالاتكم بذكرى هجرتي ، واطلعتم على جوع فقراء شعوبكم ، وآلام البائسين والمستضعفين منهم ، ومايعانونه من محن و شدائد ، و بأساء وضراء و كوارث وحرمان ؟

ماذا عليكم لو صرفتم سمعكم ـ ساعة واحدة ـ عن مديح المغنّيات وثناء الفجّار ، عن مديح العاريات وثناء الكفار ، وعن مديح الببغاة وثناء الخمّار في دور إذا عاتكم ، وأنتم قرأتم مصير أيّة طاغية من الطواغيت السابقين ، ومآل أمر أي مستكبر من المستكبرين ، و نهاية أي مجرم من المجرمين الماضين ؟ ماذا عليكم لو نزعتم عن أعينكم نظارة النفاق الذي يكال لكم ، والدجل الذي يحيط بكم ، وإطلعتم من نافذة الحقيقة المرّة على واقعكم ... لتروا أين أنتم مني !!!؟؟؟

ياأدعياء الاسلام: ألم تعلموا أن قطرة دم مسلم تهراق بغير حق أعظم عند الله جل وعلا من زوال السماوات والارض؟ ألم تعلموا ان الحكم بغير ما أنزل الله تعالى قرين الكفر ؟ ألم تعلموا : ان حرمة مال المسلم كحرمة دمه ؟ ألم تعلموا : ان حرمة عرض المسلم كحرمة دمه وماله ؟ ألم تعلموا: ان المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه ؟ فهل استرعت أسماعكم المجازر التي تقترف في كل مكان بحق حملة الرسالة الاسلامية ... ولو بقدر إهتمامكم بالمباريات الرياضية والدّورات الأولمبيّة !!! ؟؟ ؟

اين انتم مني ياادعياء الاسلام :

لقد مررت ليلة أسري بي على الناس تقرض شفاههم بمقاريض من نار ،

فقلت : من هؤلاء يا جبرائيل ؟ فقال : هؤلاء خطباء من أهل الدنيا ممن كانـوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم ، ممن يقولون مالايفعلون ...

يا أدعياء الاسلام : ان شر الناس يوم القيامة من يحكم بغير ما أنزل الله تعالى، من لم يسلم المسلمون من يده ولسانه ، من يعلم ولم يعمل بعلمه ، ويعلم، ويكتم علمه قال رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم : «أشد الناس حسرة يوم القيامة رجل علّم علماً فانتفع به من سمعه دونه» اولئك الذين يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون

ونحن نقول اليوم : سلام عليك يارسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

انهم يريدون منا أن نكفر بك و برسالتك الغراء ونغفل أصالتنا الانسانية وشرفها الذاتي ، وندين بالولاء لـ « كارل ماركس» أو « آدم سميث» أو مردتهم الجهلة وندين بالولاء لـ «لامارك» أو «داروين» وأذنابهم المبتورة السفلة الذين هم ليسوا أرفع شأناً من القردة، ونحن مصرّون على الايمان بك والتصديق بنبوتك والتمسك بشريعتك، والسير في الطريق الانساني اللائق بواقعه، والكفر بالجبت والطاغوت وبكل باطل وهزل ...

انهم يريدون منا أن نعتبر الاسلام مرحلة تاريخية وتحفة أثرية . .. ونحن مصرّون على أن يظلّ الاسلام على حياتنا كلها : بداية حياتنا . أمس ، وقضية جهادنا اليوم ، ونظام حياتنا غداً ... إن شاء الله تعالى .

انهم يريدون منا أن نجعل الاسلام إحساساً داخلياً وشعوراً باطنياً، ونحن مصرون على حمل الاسلام شعلة تنير حياة الشعوب في الدنيا ، وصراطاً إلى جنة النعيم يوم القيامة .

انهم يريدون منا أن نؤدي أركان الاسلام شكليات بلامحتوى، وعناوين بلا موضوعات ، فالصلاة حركات رياضية ، و الحج طقوس كهنوتيّة ، و الصوم جوع و عطش ... و نحن مصرّون على الايمان بالاسلام : عقيدة تبنى عليها كل التصورات والمفاهيم، وفكراً ينبض بالحياة والحركة والنور، وتشريعاً ينظم المجتمع والمواقف، وقراراً يحسم كل المشاكل والوقائع ، ورقيباً يحكم السلوك: سلوك

الفرد والاسرة، وسلوك الحكومة والمجتمع البشرى .

ومن هذه الامة الاسلامية: من يريدون منا أن نولّى وجوهنا شطر البيت الأبيض فى الغرب ، ومنهم من يريدون منا أن نولى وجوهنا شطر البيت الاحمر فى الشرق ، والبيتان كالتوأمين الذين يرتضعان من لبن واحد ، وهو ذخائر الممالك الاسلامية ، و نحن مصرّون على إستقبال بيت الله الحرام و إستدبار ما سواه . «وحيث ما كنتم فولّوا وجوهكم شطره ـ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب» البقرة : ١٤٤ ـ ١٧٧) .

انهم يريدون منا أن نتمزّق شيعاً و نتفرّق أحزاباً . . . و نحن مصرّون على الاعتصام بحبل الله المبين وسيرة أهل بيت النبى الكريم صلوات الله عليهم أجمعين ، وتوحيد صفوفنا تحت لواء التوحيد : توحيد الكلمة و كلمة التوحيد

انهم يريدون منا أن نرجع القهقرى ، ونعود إلى جاهليتنا الاولى : ننادى بقطعة أرض خطّها الاستعمار ،ونتعصّب للنعرات القومية والعنصرية و العشائرية والطائفية . . . و نحن مصرّون على أن نظلّ يداً واحدة ، و ملة واحدة ، و امة واحدة . . . أكرمنا عندالله تعالى أتقانا .

انهم يريدون منا أن نتآخى مع أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود : «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا» المائدة : ٨٢) .

«يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء» الممتحنة :١).

وأن نعادى من شدتنا إليهم وشيجة العقيدة ، وجمعتنا بهم وحدة المبدأ ، وضمتنا معهم وحدة المصير ، وهم إخواننا فى العقيدة المسلمون من غير العرب. ونحن مصرون أن نظل أشداء على الكفار رحماء بيننا : «محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم» الفتح : ٢٩) .

انهم يريدون منا أن نكون رهباناً فى المساجد الاسلامية أو قروداً راقصة

فى الشوارع أونأكل ونتمتع كما تأكل الانعام... ونحن مصرون على أن نظل مجاهدين فى ساحة الشرف والكرامة؛ وفى ساحة العز والسيادة نحيى سعداء تحت راية القرآن الكريم، أو نلقى الله سبحانه مضمّخين بدمائنا.. شهداء الاسلام...

انهم يريدون منا أن لانتعصّب للاسلام، ونحن مصرون على أن نعضّ عليه بالنواجد ونحيطه بقلوبنا.

وليقولوا عنا: «متعصبين» ولو كان هذا التعصب ذميماً فنحن أول المتعصبين انهم يريدون منا أن لانتشدّد فى رفض الغز والثقافى الكافر.. ونحن مصرّون على وقاية جيلنا، وتحصين حضارتنا من كل دعارة وسقوط وإنهيار...
وليسموننا: «متشدّدين».

و انهم يريدون منا أن نساوم، ولانتصلّب فى حماية ذخائرنا و ثرواتنا و مصالحنا وخيراتنا و حفظ ثغورنا.. ونحن مصرون على إستعادة كامل حقوقنا المغتصبة وأراضينا السليبة، وعلى جميع الاصعدة، وبما يتاح لنا من وسائل مشروعة.

وليسمّوننا «متطرّفين»؛

فيا أيها النا كثون لعهدالله عزوجل: «لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتاً عندالله أن تقولوا مالا تفعلون» الصف: ٢ـ٣).

ويقول رسول الاسلام يوم القيامة: يارب «إن قومى اتخذوا هذاالقرآن مهجوراً» الفرقان: ٣٠).

هجرتم الله عزوجل بترك العمل بكتابه المجيد.

هجرتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بترك العمل بسنته الشريفة

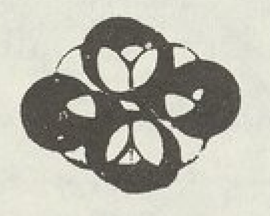
هجرتم أهل بيت الوحى عليهم السلام بترك التولى بهم عليهم السلام.

وهجرتم الاسلام بترك العمل بأحكامه..

وهجمتم على الداعين إلى إقامة نظامه إعداماً أو تشريداً . .

إسمحوا لأنفسكم أن تهاجر إلى الله تعالى لتخشاه وتطيعه ، إسمحوا لاموالكم أن تهاجر إلى الفقراء لكي لا تكون دولة بين الاغنياء منكم ، واسمحوا لاسلحتكم أن تهاجر لتقاتل بيد المجاهدين في معارك الاسلام مع أعدائه . . .

أرأيت الذين يكفرون بالاسلام ويدّعون الايمان ، فاولئك الذين يحتفلون بالهجرة و يهجرون القرآن .



القرآن الكريم واصلاح

نظام المجتمع الانسانى

ولقد جاء القرآن الكريم لاصلاح النظام الانسانى ، وبدأ باصلاح العرب إذ نزل بلسانه ثم نشر الويته فى العالم الانسانى كله ودعاه إلى كلمة التوحيد ، و توحيد الكلمة ، إلى صراط مستقيم وسواء السبيل ، إلى العزة والسعادة ، إلى الكمال والنجاة وإلى وجوب التضامن والالتفاف حول غرض شريف واحد .

إلى أن ليس لاحد وللعالم كله إلاّ إله واحد ، وإلى رسول واحد ليس بعده رسول ، وإلى كتاب واحد ليس وراءه كتاب سماوى آخر ، وإلى كعبة واحدة ، و إلى الاخوة والمحبة والتعاون والامانة . . .

وفى ظل هذه الدعوة خيرهم وصلاحهم حيثما كانوا و كيفما تكلّموا ، أبيض كانوا أم أسود . . . وإلى ان المسلمين امة واحدة ، وان المؤمنين كلهم جسد واحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، ووعدهم بانهم لو استظلّوا هذه الدعوة الالهية ليقذف الله تعالى هيبتهم فى قلوب أعدائهم ، ويمنحهم من القوة والايمان ما يفتحون به أقاصى الدنيا و مجاهل المسكونة ، وليس هذا الوعد عارياً عن الموعود به كما نال به المؤمنون زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

ومن الضرورة ان الوعد ما كان مختصاً بهم ، ولم يتمّ الموعود به ، وان القرآن الكريم دائماً يغرس فى النفوس الاحسان والمحبّة والتعاون والفكرة والحكمة و المداراة و التسليم لامر الله تعالى ، ويجعل ثمرات غرسه بقدر جدّ النفس و

إجتهادها في تنمية الغرس .

وقد كان المسلمون زمن النزول ينمون الغرس ويجبون ثمراته ولن ييبس غرسه إلى يوم القيامة ، ولكن الحرمان لمن لم يغرس في أرض قلبه ، فيحرم من ثمراته ، وان كلمة الحق هي العليا دائماً وان لم يرض عنه الكارهون أو أصم آذانهم المفسدون أو حاول أن يغير مجرى التاريخ من بالتأريخ يستهزؤن و ان شريعة النضال لا تعادلها شريعة ، و ان القلة في جانب الحق لن تهزم لان للحق خصائص يستمد منها الضعفاء قوة ، و يتخذ منها المؤمنون عبرة ، و ان إرادة الشعوب لن تقهر .

وان في الارض عدلاً بين الناس أكثر مما يظنونه ، ولا تخلوا الارض من شياطين كما أن فيها من الملائكة والانسان بينهما ، فلابد لكم أيها الدعاة الاسلامية والقادة الدينية الدعوة فانها تزيد القوى الكامنة في الهيئة الاجتماعية لتثبيت أركان الحكومة الاسلامية ، و تذهب بالاخلاق الفاسدة و بالمساوى البشرية ، و تدفع الامة الاسلامية إلى الامام العادل و القائد الخبير ، و العالم العامل ، و ان المسلم الاسود أخ لاخيه الابيض و العربى أخ للعجمى ، و ان القرآن الكريم ينادى بأعلى صوته : «ياأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندالله اتقاكم» الحجرات : ١٣)

وقد كان قوم يدينون بتلك المبادى الفاضلة الخير ، وكانوا في الخطوة الاولى في قبول الدعوة السماوية والاخذ بها وعقد البيعة مع النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لصيانته وحمايته مما يحمون منه نساؤهم وذراديهم حتى يبلغ رسالة ربه وقال لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «أنتم منى وأنا منكم اسالم من سالمتم واحارب من حاربتم» .

لقد كانت الجاهلية عصبية وتفاخراً بالانساب والاحساب والالوان ، فحاربها الاسلام ، وقضى عليها ، فلا فضل لعربى على أعجمى ، ولا العكس ، ولا لأبيض على أسود ولا العكس ، وانما ملاك الكرامة هو التقوى ، وقد كان في الجاهلية تبرّج

وسفور وزنا وفجور و معاقرة للخمور فأزالها القرآن الكريم بتعاليمه السامية و معارفه الرفيعة ، وحدوده الجامعة المانعة الرادعة ، فأعادت المياه إلى مجاريها حفظ لكل انسان حقه من الاحكام والحياة والحرية فى حدود الانسانية .

وعلينا معاشر المسلمين الرجوع إلى هذا الكتاب السماوى والتدبر فيه ، فى أمر ديننا و دنيانا ، و فى تعاليمنا و أخلاقنا و فى تقاليدنا ونظامنا فى الاسر والاجتماع و فى سياساتنا و اقتصادنا ، وفى جميع شئون حياتنا لمافيه غنية عن المبادىء الوافدة إلينا من الخارج لاشيء فيها مآلاً إلا التحميق والانحطاط والرق . . . وان هذا القرآن الكريم كما فيه صلاح الدين وفيه نظام المجتمع فى كل وقت ومكان والواجب على كل إنسان عامة ، وعلى كل مسلم خاصة أن يدارسه و يتدارسه ثم يجعل من نفسه راعياً لتطبيق النظام الإصلاحى للبشرية جمعاء « كلكم راع و كلكم مسئول عن رعيته »

وان رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم هى التى انقذت العالم والبشرية من الشرك والشكوك والاوهام بالتوجيه الخالص ، والعدل والرحمة قال الله جل وعلا : « و كذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيداً » فلابد أن يكون المؤمنون شهوداً على العالم بأخلاقه وأعماله، وتوزيع الخير والعدل والرحمة بين أفراده وقيادة البشرية إلى مقومات الحياة الاجتماعية:

« ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين »

وان هذا القرآن كتاب وشريعة ، ودين أكرم به من كتاب إلهى سماوى : « لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه » وأكرم بدينه من دين وحد الانسانية بأفضل النظم الالهية ،وأكرم بشريعته المطهرة من دين الشرك والشكوك والاوهام، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتحل الطيبات وتحرم الخبائث . . .

وان هذا الكتاب السماوى قانون خالد أنزله الله تعالى هدى ورحمة للناس

كافة شرع للناس العلم والتقدم والحضارة وأسمى شرائع الحياة .

وان هذا الوحى الالهى يقوم على تنمية المعارف الانسانية ، و ان المقصد الاسمى من مقاصده هو توجيه النفس الانسانية نحو المعرفة المفيدة الجدية التى تتقدم بالانسانية وتسير بها نحو المثل العليا الفاضلة التى يمكن تحققها فى هذا الكون الذى هو ابتداء ، والغاية النهائية فى عالم آخر كما قال تعالى فى بعض مقاصد الرسالة المحمدية : « كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم » الاية . وقال : «هو الذى بعث فى الاميين رسولاً منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم . . . »

دعا هذا الكتاب السماوى كل انسان إلى دراسة أنفسهم وينادى : « و فى أنفسكم أفلا تبصرون » دعاهم إلى التفكير فى هذا الوجود الذى سخر الله تعالى كل ما فيه لابن آدم يدرسه وينصحه و يعلم كل ما فيه ليتمّ له السلطان فيه والسيطرة على هذه الارض بكل قواها من ظواهرها وبواطنها قال الله تعالى : « هو الذى خلق لكم مافى الارض جميعاً » ودعا الانسان إلى التعاون على الخير الشامل للتعاون الاقتصادى والتعاون الاخلاقى والتعاون السياسى والتعاون التهذيبى كل ذلك أسسه الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وهو خاصة القرآن الكريم قال : « كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف . . . »

وانما الامر بالمعروف والنهى عن المنكر مناط خير المسلمين فان قاموا بحقه كانوا خير امة وهو باب التعاون على ايجاد رأى عام مهذب يشجع على الخير ويمنع عن الشر يدفع إلى الفضيلة .

وان الاسلام لايجاد معنى التعاون فى نفوس المسلمين اعتبرهم جسماً واحداً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « المؤمن الوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف » ودعا المسلمين إلى التسامح فى المعاملات المادية لكى لا تكون نفرة بين المسلمين بعضهم مع بعض، بسبب التنابذ المادى والتخاصم حول المال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « رحم الله إمرءاً سمحاً إذا باع سمحاً إذا اشترى سمحاً إذا عامل » .

وتلك ثمرة من ثمرات التواد والتراحم ، ور كن من أركان التعاون ومنع

التزاحم ، وجعل التنافس في سبيل الخير ، وفي وجهة الحق لا للمادة وفي سبيلها ، فان التنافس في نقل الخير خلق فاصل ، والتزاحم على المادة تكالب عليها كما يقدم الوحش إلى لحم الفريسة فأمر المسلمين بالمادة تعاون في طلبها والحصول عليها والايثار فيها بعد الحصول ، وان الرحمة التي يدعو إليها الاسلام في المجتمع البشري ليست هي الشفقة التي لاتبنى عليها مصلحة بل قد تبنى عليها المضرة كل المضرة ، ان الرحمة في الاسلام كرحمة الطبيب على المريض إذ يتناول مبعضه.

فيشق بطنه فيقطع الجزء المتوفى وكرحمة القاضي العادل على المجتمع إذ يحكم بقطع عضو متوفى من جسم الامة ليسلم الباقي من آفاته ، ويدفع عن الجماعة وبلاته فهي رحمة ربانية ، مصلحة لاشفقة مفسدة ، وان التعاون الذى يدعو القرآن الانسان إليه هو التعاون على الخير مع كل من يعمل الخير وتعاون على رفع الآثام مع كل من يعمل على دفعها ، ولذا جاء الامر بالتعاون عاماً فقال: « وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الاثم والعدوان ».

وان هذه الامة كانت خير امة لا لكونهم عرباً ، ولا لكونهم اولى بأس شديد ، ولا لبلاغتهم ولا لفتحهم البلاد ، بل لانهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وهم دعاة الخير والحق والتقوى بعدما تلبسوا بها ، وشعارهم الشجاعة والكرم والنجدة ، وحاكمهم القرآن الكريم ورايتهم ترفرف على أكثر المعمورة . . .

نعم ما قال أمير الشعراء شوقي في ذلك :

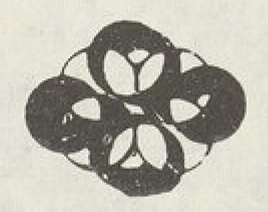
لما اعتلت دولة الاسلام واتسعت	مشت ممالكه في نورها التمم
وعلمت امة بالقفر نازلة	رعى القياصر بعد الشاة والنعم
قد شيّد المصلحون العاملون بها	في الشرق والغرب ملكا باذخ العظم
للعلم والعدل والتمدين ماعزموا	من الامور وما شدوا من الحزم
سرعان ما فتحوا الدنيا لملتهم	وانهلوا الناس من سلسالها الشيم

من أجل ذلك ان العقيدة السماوية الخالدة ، والخلق السمح الكريم والهمة القوية الجبارة هي التي جعلت من رعاة الابل الحفاة الجفاة امة ترعى ملك كسرى وقيصر ولابد أن يمضي ذكرهم إلى الامام ثم إلى الامام هكذا كانوا فيما مضى ، ولابد أن يكونوا كذلك فيما يأتي من الازمان ، وان في القرآن والتاريخ أدلة لاتدع للوهن والكسل واليأس سبيلاً .

وقف الزمان بكم كموقف طارق	اليأس خلف والرجاء امام
الصبر والاقدام فيه اذاهما	قتلا فاقتل منهما الاحجام

ان القرآن الكريم طالب بالايمان بالله وحده ، وحدة الكلمة بين المؤمنين ، و فتح للعقول أبواب العلوم بأسرها على مصراعيها ، و جعل التربية القويمة والتعليم الصحيح هو الذي يصل بالانسان إلى الدين الصادق الصالح لكل انسان ، وفي كل زمان و كل مكان مهما اختلفت البيئات والاجناس والأمزجة . . .

فعليكم بالقرآن والتفكر فيه والعمل به إن كنتم مسلمين كما أن على الناس كافة بالايمان بهذا الوحي السماوي ونبيه الخاتم ﷺ .



حامل القرآن الكريم

و العاملون به و علائمهم

قال الله تعالى : «الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به» البقرة : ١٢١) .

وقال : « ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة و انفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور » فاطر : ٢٩) .

في وسائل الشيعة : بالاسناد عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي جعفر عليه السلام قال : انما شيعة علي عليه السلام الناحلون الشاحبون الذابلون ، ذابلة شفاههم من الصيام - إلى أن قال - : كثيرة صلاتهم ، كثيرة تلاوتهم للقرآن يفرح الناس و يحزنون .

وفي الكافي : باسناده عن عمرو بن جميع عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ان أحق الناس بالتخشع في السر و العلانية لحامل القرآن، و ان أحق الناس في السر والعلانية بالصلاة والصوم لحامل القرآن، ثم نادى بأعلى صوته : يا حامل القرآن تواضع به يرفعك الله ، ولا تعزّز به فيذلّك الله يا حامل القرآن تزيّن به لله يزيّنك الله به ، ولا تزيّن به للناس فيشينك الله به ، من ختم القرآن فكانما ادرجت النبوة بين جنبيه ولكنه لايوحى اليه، ومن جمع القرآن فنوّله لايجهل مع من يجهل عليه ، ولايغضب فيمن يغضب عليه ، ولايحد فيمن يحد ، ولكنه يعفو ويصفح ويغفر ويحلم لتعظيم القرآن ، ومن اوتي القرآن فظن

أحداً من الناس اوتى أفضل مما اوتى فقد عظّم ماحقرالله وحقّر ماعظم الله .

و فى رواية « لا ينبغى لحامل القرآن أن يظن أن أحداً اعطى أفضل مما اعطى لانه لوملك الدنيا بأسرها لكان القرآن أفضل من ملكه » .

و فيها اشعار بأن حامل القرآن الكريم و واعيه غنى بما حمل لانه أفضل مما ملك الدنيا بأسرها ، و بما ان مالك الدنيـا بأسرها غنى فهذا أغنى منه بما حمل وحفظ ووعى إلاّ ان الحق ان الرواية ونحوها ليست بصدد بيان الغنى المادى فى الحياة الدنيا ، بل لبيان فضل القرآن و عظم شأنه وجسامة أجره وثوابه ، كما دلّت عليه الرواية السابقة و ان كانت التلاوة سبباً للغنى الدنيوى كما دلت عليه الروايات السابقة فى باب البيوت التى يقرء فيها القرآن الكريم فراجع .

وعن ابن عباس ، انه قال : ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون ، و بنهاره إذا الناس غافلون ، و ببكائه إذا الناس ضاحكون : وبورعه إذا الناس يطمعون ، وبصمته إذا الناس ويخضون .

و فى رواية ؛ قال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: القرآن أفضل من دون الله ، فمن وقّر القرآن فقد و قّر الله و من لم يوقّر القرآن فقد استخفّ بحق الله ، حرمة القرآن عندالله كحرمة الوالد على ولده، حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبسون نورالله، المعلّمون كلام الله، فمن والاهم فقد والى الله،ومن عاداهم فقد عادى الله، يقول تعالى : ياحملة القرآن استجيبوا الله بتوقير كتابه يزد كم حباً ويحببكم إلى عباده يدفع عن مستمع القرآن بلوى الدنيا ، و يدفع عن تالى القرآن شرّ الآخرة ، و لتالى آية من كتاب الله أفضل مما تحت العرش إلى أسفل النجوم ،وان فى كتاب الله لسورة يدعى صاحبها الشريف عندالله تشفع لصاحبها يوم القيامة بأكثر من ربيعة ومضر (مصر خ) وهى سورة يس .

و فى رواية : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم :ان الله عز وجل قرأ طه و يس قبل أن يخلق الخلق بألف عام ، فلما سمعت الملائكة القرآن قالت : طوبى لامة ينزل عليهم

هذا ، وطوبى لاجواف تحمل هذا وطوبى للالسنة تنطق بهذا .

و في رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لايهو لهم فزع ، و لاينالهم حساب حتى يفرغ مابين الناس : رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عزوجل ، والاخر أمّ به قوماً وهم به رضوان .

وعن بعض الظرفاء : قال : ينبغى لحامل القرآن أن لايكون له إلى أحد حاجة وينبغى أن تكون إليه حوائج الخلق . وقال : حامل القرآن حامل راية الاسلام فلاينبغى له أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولايلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن .

و في الكافي : باسناده عن أبان بن تغلب عن أبي عبدالله عليه السلام قال : الناس أربعة فقلت : جعلت فداك وماهم ؟ فقال : رجل أوتى الايمان ولم يؤت القرآن ، و رجل اوتى القرآن ولم يؤت الايمان ، و رجل اوتى القرآن و اوتى الايمان ، و رجل لم يؤت القرآن و لا الايمان ، قال : قلت : جعلت فداك فسّر لى حالهم ، فقال: أما الذى اوتى الايمان ولم يؤت القرآن فمثله كمثل الثمرة طعمها حلو ولاريح لها ، و أما الذى اوتى القرآن ولم يوت الايمان فمثله كمثل الآس ريحها طيب وطعمها مرّ ، وأمامن اوتى القرآن والايمان فمثله كمثل الاترجة ريحها طيب وطعمها طيب ، وأما الذى لم يوت القرآن ولاالايمان فمثله كمثل الحنظلة طعمها مرّ ولاريح لها .

قال : رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رب تال للقرآن والقرآن يلعنه ، و قال أبوسليمان الداراني : الزبانية أسرع إلى حملة القرآن الذين يعصون الله عزوجل منهم إلى عبدة اوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن .

وعن ابن مسعود انه قال : ينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكيناً ليناً ، ولا ينبغى له أن يكون جافياً ولاممارياً ولاصياحاً ولاصخاباً ولا حديداً .

وعن بعض العلماء : ان العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، و ان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له : ، كيف ذلك ؟

فقال: اذا أحلّ حلالها و حرّم حرامها صلت عليه ، و الاّ لعنته .

وقال بعض العلماء : ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول : « ألا لعنة الله على الظالمين » وهو ظالم لنفسه « الا لعنة الله على الكاذبين » وهو منهم

وقال ابن مسعود : انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملاً إن أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته مايسقط منه حرفاً ، و قد أسقط العمل به .

وفي شرح الحديد : عن الامام أمير المؤمنين على عليه السلام قال : مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الاترجّة ، ريحها طيّب وطعمها طيّب ، و مثل المؤمن الذى لايقرأ القرآن كمثل الثمرة طعمها طيّب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب و طعمها مرّ و مثل الفاجر الذى لايقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مرّ و ريحها منتنة .

وفي أسرار الصلاة : عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : كم من قارىء القرآن و القرآن يلعنه .

﴿ طوائف القراء ﴾

اعلم ان القرّاء في طوال الاعصار على طوائف :

فطائفة منهم : الذين يتخذون القرآن الكريم بضاعة يستجلبون به الملوك، و يستطيلون به على الناس ، و يتزينون به لهم . . .

و طائفة منهم : الذين يحفظون حروفه و يضيّعون حدوده ، و يقيمون إقامة القدح ، و يقرؤن مرتلين غير عاملين به و لا متدبرين فيه . . .

و طائفة منهم : الذين يوضعون دواءه موضع دائهم ، فيسهرون به لياليهم ، و يظمأون به نهارهم ، و يقيمون به في مساجدهم ، و يتجافون به عن فراشهم ، و هم الاعزاء الصالحون ، والسعداء الناجون . . .

في الكافي : عن أبي جعفر عليه السلام قال : قراء القرآن ثلاثة : رجل قرأ القرآن فاتخذه بضاعة ، و استدرّ به الملوك و استطال به على الناس ، و رجل قرأ القرآن فحفظ حروفه و ضيّع حدوده ، و أقامه إقامة القدح فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن ، و رجل قرأ القرآن ، فوضع دواء القرآن على داء قلبه فأسهر به ليله و أظمأ به نهاره وقام به في مساجده وتجافى به عن فراشه ، فباولئك يدفع الله العزيز الجبار البلاء و باولئك يديل الله عزوجل من الاعداء وباولئك ينزّل الله عزوجل الغيث من السماء فوالله لهؤلاء في قرّاء القرآن أعزّ من الكبريت الاحمر .

وفيه : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

يا معاشر قرّاء القرآن اتقوا الله عزوجل فيما حملكم من كتابه ، فانى مسئوول وانكم مسئولون ، انى مسئول عن تبليغ الرسالة ، وأما أنتم فتسألون عما حملتم من كتاب الله و سنتى .

و فى احقاق الحق : عن الامام محمد بن على الباقر عليه السلام قال : إذا رأيتم القارىء يحب الاغنياء فهوصاحب الدنيا ، و إذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لص .

و فى أمالى الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن السكونى عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال : صنفان من امتى إذا صلحا صلحت امتى ، و إذا فسدا فسدت امتى : الامراء والقرّاء .

وفى الخصال : باسناده عن السكونى عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تكلّم النار يوم القيامة ثلاثة : أميراً و قارئاً و ذاثروة من المال فتقول للأمير : يا من وهب الله له سلطاناً فلم يعدل فتزدرده كما يزدرد الطير حب السمسم ، وتقول للقارىء : يا من تزيّن للناس ، و بارزالله بالمعاصى فتزدرده ، وتقول للغنى : يا من وهب الله له دنياً كثيرة واسعة فيضاً وسئله الحقير اليسير قرضاً فأبى إلاّ بخلاً فتزدرده .

وفيه : باسناده عن هشام بن سالم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : القرّاء ثلاثة : قارىء قرء ليستدر به الملوك ، و يستطيل به على الناس ، فذاك من أهل النار ، و قارىء قرأ القرآن فحفظ حروفه و ضيّع حدوده فذاك من أهل النار ، و قارى قرأ فاستتر به تحت برنسه فهو يعمل بمحكمه و يؤمن بمتشابهه ، و يقيم فرائضه و يحلّ حلاله و يحرّم حرامه ، فهذا ممن ينقذه الله من مضلاّت الفتن ، وهو من أهل الجنة ، و يشفّع فيمن شاء .

و فى وسائل الشيعة : بالاسناد عن يعقوب الاحمر عن أبى عبدالله عليه السلام - فى حديث - قال : ان من الناس من يقرأ القرآن ليقال : فلان قارى ، و منهم

يقرأ القرآن ليطلب به الدنيا ولاخير في ذلك ، ومنهم من يقرأ القرآن لينتفع به في صلاته و ليله و نهاره .

و في الفقيه : باسناده عن الحسين بن زيد عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم - في حديث المناهي - قال : من قرأ القرآن ثم شرب عليه حراماً أو آثر عليه حب الدنيا وزينتها إستوجب عليه سخط الله إلاّ أن يتوب ألا وانه إن مات على غير توبة حاجّه يوم القيامة فلايزايله إلاّ مدحوضاً .

وفي تنبيه الخواطر : عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان في جهنم وادياً يستغيث أهل النار كل يوم سبعين ألف مرة منه - إلى أن قال - : فقيل له: لمن يكون هذا العذاب؟ قال : لشارب الخمر من أهل القرآن و تارك الصلاة .

وفي شرح الحديد : عن الحسن : قرّاء القرآن ثلاثة : رجل اتخذه بضاعة فنقله من مصر إلى مصر يطلب به ماعند الناس، و رجل حفظ حروفه وضيّع حدوده و استدرّ به الولاة و استطال به على أهل بلاده ، وقد كثّر الله هذا الضرب من حملة القرآن - لا كثّرهم الله - و رجل قرأ القرآن فبدأ بما يعلم من دواء القرآن ، فوضعه على داء قلبه ، فسهر ليله و انهملت عيناه و تسربل بالخشوع ، و ارتدى بالحزن فبذاك وأمثاله يسقي الناس الغيث ، و ينزل النصر و يدفع البلاء والله لهذا الضرب من حملة القرآن أعزّ و أقل من الكبريت الاحمر .

و في الخصال : باسناده عن سليم بن قيس قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : احذروا على دينكم ثلاثة : رجلاً قرأ القرآن حتى إذا رأيت عليه بهجته اخترط سيفه على جاره و رماه بالشرك ، قلت : يا أمير المؤمنين أيهما أولى بالشرك ؟ قال : الرامي و رجلا استخفته الاحاديث كلما حدثت احدوثة كذب مدّها بأطول منها ، و رجلاً آتاه الله عزوجل سلطاناً فزعم ان طاعته طاعة الله و معصيته معصية الله، و كذب لانه لاطاعة لمخلوق في معصية الخالق لاينبغي للمخلوق إن يكون حبّة لمعصية الله ، فلا طاعة في معصيته ، ولا طاعة لمن عصى الله ،

إنما الطاعة لله ولرسوله ولولاة الامر ، وانما أمر الله عزوجل بطاعة الرسول لانه معصوم مطهّر لا يأمر بمعصية الله ، و انما أمر بطاعة اولى الامر لانهم معصومون مطهرون لايأمرون بمعصيته .

وفيه : باسناده عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام ان علياً عليه السلام قال: ان فى جهنم رحى تطحن أفلا تسئلونى ماطحنها ؟ فقيل له : فما طحنها يا أمير-المؤمنين عليه السلام ؟ قال العلماء الفجرة ، و القرّاء الفسقة ، و الجبابرة الظلمة ، و الوزراء الخونة ، و العرفاء الكذبة . الحديث .

و فى كنز الفوائد : للكراجكى رضوان الله تعالى عليه : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ماآمن بالقرآن من استحلّ محارمه .

وفى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً .

وفى جامع الاخبار : قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى وصيته لعلى عليه السلام : ياعلىّ إن فى جهنم رحى من حديد تطحن بها رؤس القرّاء والعلماء المجرمين .

و فى الاختصاص : باسناده عن طلحة بن زيد عن أبى عبدالله عليه السلام ان أباه كان يقول : من دخل على إمام جائر فقرأ عليه القرآن يريد بذلك عرضاً من عرض الدنيا ، لعن القارىء بكل حرف عشر لعنات ، و لعن المستمع بكل حرف لعنة .

وفى ثواب الاعمال : باسناده عن السكونى عن الصادق عن آبائه عن على صلوات الله عليهم قال : من قرأ القرآن يأكل به الناس جاء يوم القيامة و وجهه عظم لالحم فيه .

وفى مصباح الشريعة : قال الصادق عليه السلام : المقرى بلاعلم كالمعجب بلامال ، ولا ملك يبغض الناس لفقره ، و يبغضونه لعجبه ، فهو أبداً مخاصم للخلق فى غير واجب ومن خاصم الخلق فيما لم يؤمر به ، فقد نازع الخالقية و الربوبية ،

قال الله عزوجل : «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولاهدى ولا كتاب منير ثاني عطفه».

وليس أحد أشدعقاباً ممن لبس قميص النسك بالدعوى بلا حقيقة ولامعنى.

وفيه : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : سيأتي على امتي زمن تسمع فيه باسم الرجل خير من أن تلقاه، و أن تلقاه خير من أن تجرب.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أكثر منافقي امتي قرّاؤها.



في ختم القرآن الكريم
وتلاوته في شهر رمضان المبارك

في الكافي : باسناده عن الزهري قال : قلت لعلي بن الحسين عليهما السلام: أي الاعمال أفضل ؟ قال : الحالّ المرتحل ، قلت : وما الحالّ المرتحل قال :فتح القرآن وختمه ، كلما جاء بأوّله إرتحل في آخره .

قوله عليه السلام: «الحال المرتحل» أي عمله وفي النهاية : قيل:وماذلك ؟ قال الخاتم المفتح هو الذي يختم القرآن بتلاوته ثم يفتتح التلاوة من أوله شبهه بالمسافر يبلغ المنزل فيحلّ فيه ثم يفتتح السير أي يبتدؤه ، و كذلك قراءة أهل مكة إذا ختموا القرآن بالتلاوة ابتدؤا واقرؤا الفاتحة ، وخمس آيات من أول سورة البقرة إلى قوله : «هم المفلحون» ثم يقطعون القراءة ويسمّون فاعل ذلك الحال المرتحل أي انه ختم القرآن وابتدأ بأوله ، ولم يفصل بينهما بزمان .

وفيه : باسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : من ختم القرآن بمكه من جمعة إلى جمعة أو أقلّ من ذلك أو أكثر وختمه في يوم جمعة كتب له من الاجر والحسنات من أوّل جمعة كانت في الدنيا إلى آخر جمعة تكون فيها ، وإن ختمه في سائر الايام فكذلك .

وفيه : عن أبي عبدالله عليه السلام قال : سمعت أبي عليه السلام يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ختم القرآن إلى حيث تعلم .

اقول : يعني ختمه في حقك أن تقرأ كل ما تعلم منه.

وفى عيون الاخبار: باسناده عن إبراهيم بن العباس قال: كان الرضا عليه السلام يختم القرآن فى كل ثلاث، ويقول: لو أردت أن أختمه فى أقلّ من ثلاث لختمته ولكن مامررت بآية قطّ إلاّ فكّرت فيها، وفى أىّ شىء انزلت، وفى أىّ وقت فلذلك صرت اختم ثلاث أيام.

وفى ثواب الاعمال: باسناده عن السكونى عن أبى عبدالله عليه السلام قال: قيل: يا رسول الله أىّ الرجال خير؟ قال: الحال المرتحل، قيل: يارسول الله وما الحال المرتحل؟ قال: الفاتح الخاتم الذى يفتح القرآن و يختمه، فله عندالله دعوة مستجابة.

وفى الكافى: باسناده عن محمد بن عبدالله قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: أقرأ القرآن فى ليلة؟ فقال: لايعجبنى أن تقرأه فى أقلّ من شهر.

وفى عيون الاخبار: باسناده عن إبراهيم بن العباس قال: ما رأيت الرضا عليه السلام سئل عن شىء قطّ إلاّ علمه ولارأيت أعلم منه بماكان فى الزمان الاول إلى وقته و عصره، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شىء فيجيب فيه، وكان كلامه كله وجوابه وتمثّله إنتزاعات من القرآن، وكان يختمه فى كل ثلاث، ويقول: لو أردت أن أختمه فى أقرب من ثلاث لختمت و لكنّى ما مررت بآية قطّ إلاّ فكرت فيها، وفى أىّ شىء انزلت، وفى أىّ وقت، فلذلك صرت اختم فى كل ثلاثة. الحديث.

وفى وسائل الشيعة: عن وهب بن حفص عن أبى عبدالله عليه السلام قال: سئلته الرجل فى كم يقرأ القرآن؟ قال: فى ستّ فصاعداً. قلت: فى شهر رمضان؟ قال: فى ثلاث فصاعداً.

و فى محاسن البرقى: عن أبى جعفر عليه السلام قال: من ختم القرآن بمكة لم يمت حتى يرى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويرى منزله من الجنة.

وفى دعوات الراوندى: روى الرمادى قال: قلت لابى عبدالله عليه السلام: أىّ

الاعمال أفضل ؟ قال : الحال المرتحل ، قلت : و ماهو قال : فتح القرآن و ختمه كلما حلّ بأوّله إرتحل فى آخره .

وفى البحار :سئل رسول‌الله صلى الله عليه وآله أى الناس خير؟ قال :الحال المرتحل، أى الفاتح الخاتم الذى يفتح القرآن ويختمه ، فله عندالله دعوة مستجابة .

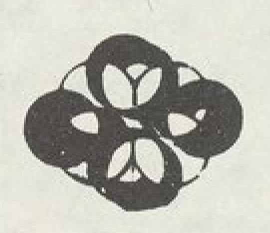
وفى الكافى : باسناده‌عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام قال : لكل شىءربيع وربيع القرآن شهر رمضان .

اقول : وذلك لان‌الله تعالى أنزل‌القرآن الكريم فى زمن شريف وهوشهر رمضان سيّد الشهور ،وفى ليلة القدر خير من ألف شهر ، ولذلك يستحبّ إكثار تلاوة القرآن فيه ،ولانه ابتدىء بنزوله ، و كان جبرئيل عليه السلام يعارض به‌رسول الله صلى الله عليه وآله فيه، فى كل سنة ، ولماكانت‌السنة‌التى توفى فيها عارضه مرتين‌تأكيداً وتثبيتاً .

و فيه : باسناده عن على بن أبى حمزة قال : دخلت على أبى عبدالله عليه السلام فقال له أبوبصير : جعلت فداك أقرأ القرآن فى شهر رمضان فى‌ليلة ؟ فقال : لا قال : ففى ليلتين ؟ قال: لاقال : ففى‌ثلاث؟قال : هاوأشار بيده ، ثم قال : ياأبامحمد إن لرمضان حقاً وحرمةلايشبهه شىء من‌الشهور و كان أصحاب محمد صلى الله عليه وآله يقرأ أحدهم القرآن‌فى شهرأو أقل ، ان القرآن لايقرء هذرمة. ولكن يرتّل ترتيلاً، وإذا مررت بآية فيها ذكرالجنة فقف عندها ، واسئل‌الله عزوجل الجنة ، وإذا مررت بآية فيها ذكر النار فقف عندها وتعوّذ بالله من النار .

وفيه : باسناده عن على بن المغيرة عن أبى الحسن عليه السلام قال قلت له : ان أبى سئل جدّك عن ختم القرآن فى كل ليلة ، فقال له جدك : فى كل ليلة ،فقال له : فى شهررمضان ، فقال له‌جدك : فى شهر رمضان، فقال له أبى : نعم مااستطعت فكان أبى يختمه أربعين ختمة فى شهر رمضان ، ثم ختمته بعد أبى ، فربمازدت، و ربما نقصت على قدر فراغى وشغلى ونشاطى و كسلى ، فاذا كان فى يوم الفطر

جعلت لرسول الله صلى الله عليه وآله ختمة ، ولعلي عليه السلام اخرى ، ولفاطمة عليها السلام اخرى ، ثم للائمة عليهم السلام حتى انتهيت إليك ، فصيرت لك واحدة منذ صرت في هذا الحال ، فأي شيء لي بذلك ؟ قال: لك بذلك أن تكون معهم يوم القيامة ، قلت : الله أكبر فلي بذلك ؟ قال : نعم ثلاث مرات .



﴿القرآن الكريم فى آخر الزمان﴾

فى الدر المنثور : عن ابن عباس قال :قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يأتى على الناس زمان يخلق القرآن فى قلوبهم ، يتهافتون تهافتاً ، قيل : يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : و ماتهافتهم ؟ قال : يقرأ أحدهم ، فلا يجد حلاوة ولذة ، يبدأ أحدهم بالسورة ، و انما معه آخرها ، فان عملوا قالوا : ربنا اغفر لنا ، وان تركوا الفرائض قالوا :لا يعذبنا الله ، ونحن لانشرك به شيئاً ، أمرهم رجاء ولاخوف فيهم «اولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم أفلا يتدبرون القرآن ام على قلوب أقفالها» .

وفيه : عن ابن مسعود قال : ان هذا القرآن سيرفع ، قيل : كيف يرفع وقد اثبته الله فى قلوبنا وأثبتناه فى المصاحف ؟ قال : يسرى عليه فى ليلة واحدة فلا يترك منه آية فى قلب ولامصحف إلاّ رفعت ، فتصبحون ، وليس فيكم منه شىء ثم قرأ : «ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك» .

وفيه : عنه أيضاً قال : اقرؤا القرآن قبل أن يرفع ، فانه لاتقوم الساعة حتى يرفع، قالوا : هذه المصاحف ترفع ؟ فكيف بمافى صدور الناس ؟ قال :يعدى عليه ليلاً فيرفع من صدورهم ؛ فيصبحون ؛ فيقولون لكأنا كنا نعلم شيئاً ثم يقعون فى الشعر .

وفيه : عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يدرس الاسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لايدرى ما صيام ولاصدقة ولانسك ويسرى على كتاب الله فى ليلة فلا يبقى فى الارض منه آية ، ويبقى الشيخ الكبير والعجوز يقولون : ادركنا آباءنا على هذه الكلمة : «لاإله إلاّ الله» فنحن نقولها .

وفيه : عنه أيضاً قال : يوشك أن يدرس الاسلام كما يدرس وشي الثوب و يقرأ الناس القرآن لايجدون له حلاوة . فيبيتون ليلة فيصبحون وقد أسرى بالقرآن وما قبله من كتاب حتى ينتزع من قلب شيخ كبير و عجوز كبيرة ، فلايعرفون وقت صلاة ولاصيام ولانسك حتى يقول القائل منهم : انا سمعنا الناس يقولون : «لاإله إلاالله» فنحن نقول : «لاإله إلا الله» .

وفيه عن الليث بن سعد قال : انما يرفع القرآن حين يقبل الناس على الكتب ويكبّون عليها ، ويتركون القرآن .

وفيه : عن معاذبن جبل قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أطيعوني مادمت بين أظهركم ، فاذا ذهبت ، فعليكم بكتاب الله ! أحلّوا حلاله وحرّموا حرامه ، فانه سيأتي على الناس زمان يسرى على القرآن في ليلة فينسخ من القلوب والمصاحف .

وفيه : عن جابر بن عبدالله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لاتقوم الساعة حتى يرفع الذكر والقرآن .

وفيه : عن إبن عباس وإبن عمر قالا : خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا أيها الناس ! ما هذه الكتب التي بلغني انكم تكتبونها مع كتاب الله يوشك ان يغضب الله لكتابه فيسرى عليه ليلاً لاتترك في قلب ، ولاورق منه حرفاً إلاّ ذهب به ، فقيل: يا رسول الله فكيف بالمؤمنين والمؤمنات ؟ قال : من أراد الله به خيراً أبقى من قلبه لاإله إلاّ الله .

وفي روح البيان : عن إبن مسعود قال: إن أول ماتفقدون من دينكم الامانة، وآخر ما تفقدون الصلاة ، وليصلين قوم ولادين لهم ، وان هذا القرآن تصبحون يوماً وما فيكم منه شيء ، فقال رجل: كيف ذلك وقد أثبتناه في قلوبنا ، وأثبتناه في مصاحفنا نعلّم أبناءنا ويعلّم أبناؤنا أبناءهم ! فقال: يسرى عليه فيصبح الناس منه فقرأ ترفع المصاحف وينزع ما في القلوب .

﴿ القرآن الكريم وقاريه يوم القيامة ﴾

فى الكافى : باسناده عن منهال القصّاب عن أبى عبدالله عليه السلام قال : من قرأ القرآن وهو شابٌ مؤمن إختلط القرآن بلحمه ودمه ، وجعله الله مع السفرة الكرام البررة ، وكان القرآن حجيزاً عنه (يرفع جحيماً عنه خ) يوم القيامة ، يقول : يارب ان كل عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملى ، فبلّغ به أكرم عطائك (عطاياك خ) قال : فيكسوه الله العزيز الجبار حلّتين من حلل الجنة ويوضع على رأسه تاج الكرامة ثم يقال له : هل أرضيناك فيه ؟ فيقول القرآن :

يارب قد كنت أرغب له فيما هو أفضل من هذا قال : فيعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره ، ثم يدخل الجنة فيقال له : إقرأ آية فاصعد درجة ، ثم يقال له : هل بلغنا به وأرضيناك ؟ فيقول : نعم قال : ومن قرأه كثيراً وتعاهده بمشقّة من شدة حفظه أعطاه الله عزوجل أجر هذا مرتين .

وفيه : باسناده عن الفضيل بن يسار عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تعلّموا القرآن فانه يأتى يوم القيامة صاحبه فى صورة شابٍّ جميل شاحب اللون فيقول له : أنا القرآن الذى كنت أسهرت ليلك وأظمأت هواجرك ، وأجففت ريقك ، وأسبلت دمعتك - إلى أن قال - : فابشر فيؤتى بتاج فيوضع على رأسه ، ويعطى الأمان بيمينه والخلد فى الجنان بيساره ويكسى حلتين ثم يقال له : إقرأ وارقأ (وارق خ) فكلما قرأ آية صعد درجة ويكسا أبواه حلتين إن كانا مؤمنين ثم يقال لهما: هذالما علّمتماه القرآن .

وفيه : باسناده عن إسحق بن غالب قال : قال أبوعبدالله عليه السلام : إذا جمع الله عزوجل الاولين والاخرين إذاهم بشخص قد أقبل لم يرقطّ أحسن صورة منه، فاذا نظر إليه المؤمنون وهو القرآن قالوا : هذا منا ، هذا أحسن شيء رأينا فاذا انتهى اليهم جازهم ـ إلى أن قال ـ : حتى يقف عن يمين العرش فيقول الجبار عزوجل : وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لاكرمنّ اليوم من أكرمك ولاهيننّ من أهانك .

وفيه : باسناده عن أبي الجارود قال : قال أبوجعفر عليه السلام : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنا أول وافد على العزيز الجبار يوم القيامة وكتابه وأهل بيتي ثم امتي ، ثم أسئلهم ما فعلتم بكتاب الله وأهل بيتي .

وفيه : باسناده عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام قال : يا سعد تعلّموا القرآن فان القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق ـ إلى أن قال ـ : حتى ينتهي إلى رب العزة فيناديه تبارك وتعالى ياحجتي في الارض و كلامي الصادق الناطق إرفع رأسك وسل تعط واشفع تشفّع ، كيف رأيت عبادي؟ فيقول : يارب منهم من صانني وحافظ عليّ ولم يضيّع شيئاً ، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بحقي وكذب بي وأنا حجتك على جميع خلقك ، فيقول الله عزوجل : وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لاثيبنّ اليوم عليك أحسن الثواب ، ولاعاقبنّ عليك اليوم أليم العقاب ـ إلى أن قال ـ : فيأتي الرجل من شيعتنا فيقول : ما تعرفني أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأنصبت عيشك ، فينطلق به إلى رب العزة فيقول :

يا رب عبدك قد كان نصبابي ، مواظباً عليّ يعادي بسببي ويحبّ فيّ و يبغض فيقول الله عزوجل : ادخلوا عبدي جنتي ، واكسوه حلّة من حلل الجنة ، وتوّجوه بتاج ، فاذا فعل ذلك به عرض على القرآن فيقال له : هل رضيت بماصنع بوليّك ؟فيقول : يارب اني استقلّ هذا له فزده مزيد الخير كله ، فيقول : وعزتي

وجلالي وعلوّي وارتفاع مكاني لانحلنّ له اليوم خمسة أشياء مع المزيد له و لمن كان بمنزلته ألا إنهم شباب لايهرمون وأصحّاء لايسقمون ، وأغنياء لايفتقرون، وفرحون لايحزنون ، و أحياء لايموتون . الخبر .

وفيه : باسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : يجيىء القرآن يوم القيامة فـي أحسن منظور إليه صورة - إلى أن قال - : حتى ينتهي إلى رب العزة فيقول : يارب فلان بن فلان أظمأت هواجره ، وأسهرت ليله في دار الدنيا ، وفلان بن فلان لم أظم هواجره و لم اسهره ليله ، فيقول تبارك وتعالى : ادخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن : إقرأ وارقه ، قال : فيقرأ ويرقى حتى يبلغ كل رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها .

وفيه : عن يونس بن عمار قال : قـال أبـو عبدالله عليه السلام - فـي حديث - : يدعى ابن آدم المؤمن للحساب فيتقدّم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يارب أنا القرآن وهذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي ، ويطيل ليله بترتيلي وتفيض عيناه إذا تهجّد فارضه كما أرضاني قال : فيقول العزيز الجبار : عبدي أبسط يمينك ، فأملأها من رضوان الله ، ويملأ شماله من رحمة الله ثم يقال: هذه الجنة مباحة لك فاقرأ و اصعد فاذا قرأ آية صعد درجة .

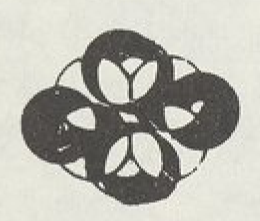
وفيه : باسناده عن يعقوب الاحمر قال : قلت لابي عبدالله عليه السلام : ان على ديناً كثيراً وقد دخلني ما كان القرآن يتفلّت مني ، فقال أبو عبدالله عليه السلام : القرآن القرآن ان الاية من القرآن والسور لتجيء يوم القيامة حتى تصعد ألف درجة - يعني في الجنة - فيقول : لو حفظتني لبلغت بك ههنا .

وفيه : باسناده عن إبن أبي يعفور قـال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : ان الرجل إذا كان يعلّم السورة ثم نسيها أو تركها ، ودخل الجنة أشرفت عليه من فوق في أحسن صورة ، فتقول : تعرفني ؟ فيقول : لافتقول : أنا سورة كذا و كذا لم تعمل بي وتركتني أما والله لو عملت بي لبلغت بك هذه الدرجة وأشارت بيدها

إلى فوقها .

قيل : للمؤمن خمس فرحات دائمة في الجنة: فرحة الايمان ، وفرحة القرآن ، و فرحة الجنان، و فرحة رؤية الاخوان ، وفرحة قبول شهر رمضان، فلايعرض الغم على المؤمن إذا دخل في الجنة وهو مكرم وعزيز عندالله تعالى ، ولايعرض الحزن عليه عند شكاية القرآن على ما خانه في الدنيا ، ولايعرض عليه الملال إذامهدت له نعم الجنان ، ولايعرض عليه التأسف إذا رأى اخوانه المؤمنين على سرور و فرح ، ولايندم حين يندم الناس بترك نعمة شهر رمضان ، فيشكى لدى الله تعالى من خيانتهم وعدم إنتفاعهم به .

فعليكم أيها المسلمون عامة والعلماء خاصة بقراءة هذا الوحي السماوي و التدبر فيه والعمل به و قد قال الله عزوجل : «قد جاء كم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه و من عمى فعليها وما أنا عليكم بحفيظ » الانعام : ١٠٤) .



﴿ كلمات قصار حول القرآن الكريم ﴾

غرر حكم ودرر كلم عن مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه وعلى أولاده المعصومين صلوات الله وملائكته والناس أجمعين و لعنة الله على أعدائهم ومعانديهم إلى يوم الدين حول القرآن الكريم نشير إلى ما يسعه المقام :

١- قال الامام على عليه السلام : «أهل القرآن أهل الله وخاصته» .

٢- وقال عليه السلام : «تعلموا القرآن فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور» .

٣- وقال عليه السلام : «ليس لأحد بعد القرآن من فاقة ولا لأحد قبل القرآن غنى» .

٤- وقال عليه السلام : «لقاح الايمان تلاوة القرآن» .

٥- وقال عليه السلام «أحسنوا تلاوة القرآن فانه أحسن القصص واستشفوا به فانه شفاء الصدور واتبعوا النور الذى لايطفى ، والوجه الذى لايبلى واستسلموا لأمره فانكم لن تضلّوا مع التسليم» .

٦- وقال عليه السلام : «تدبّروا آيات القرآن واعتبروا به فانه أبلغ العبر» .

٧- وقال عليه السلام : «من آنس بتلاوة القرآن لم توحشه مفارقة الاخوان» .

٨- وقال عليه السلام : «ما جالس أحد هذا القرآن إلاّ قام بزيادة أو نقصان زيادة فى هدى أو نقصان فى عمى» .

٩- وقال عليه السلام : «لاتستشفين بغير القرآن ، فانه من كل داء شفاء» .

١٠- وقال عليه السلام : «القرآن أفضل الهدايتين» .

١١- وقال عليه السلام: «أفضل الذكر القرآن به تشرح الصدور وتستنير السرائر»

١٢- وقال عليه السلام : «كفى بالقرآن داعياً» .

١٣- وقال عليه السلام : «ليكن سميرك القرآن» .

١٤- وقال عليه السلام - فى وصف المؤمن تابع القرآن - : «يعطف الرأى على القرآن إذا عطفوا القرآن على الرأى» .

١٥- وقال عليه السلام : «تمسك بحبل القرآن وانتصحه وحلل حلاله و حرم حرامه ، واعمل بعزائمه» .

١٦- وقال عليه السلام : «عليكم بهذا القرآن أحلوا حلاله وحرموا حرامه و اعملوا بمحكمه وردوا متشابهه إلى عالمه ، فانه شاهد عليكم وأفضل ما به توسلتم» .

١٧- وقال عليه السلام : «ما آمن بما حرمه القرآن من استحله» .

١٨- وقال عليه السلام: «فى القرآن نبأ ماقبلكم وخبر مابعدكم وحكم مابينكم»

١٩- وقال عليه السلام : «لن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذى نقضه»

٢٠- وقال عليه السلام : «ان القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق لاتفنى عجائبه، ولاتنقضى غرائبه ، ولاتكشف الظلمات إلا به» .

٢١- وقال عليه السلام: «ان هذا القرآن هو الناصح الذى لايغش والهادى الذى لايضل ، والمحدث الذى لايكذب» .

٢٢- وقال عليه السلام - في ذكر القرآن- : «نور لمن استضاه به و شاهد لمن خاصم به ، و فلج لمن حاج به وحلم لمن وعى ، وحكم لمن قضى» .

٢٣- وقال عليه السلام فى وصف القرآن - :«هو الذى لاتزيغ به الاهواء ولايلتبس به الشبه والآراء» .

٢٤- وقال عليه السلام:لايفنى عجائبه ولاينقضى غرائبه ولاينجلى الشبهات إلا به»

٢٥ - وقال عليه السلام : «سلونى قبل أن تفقدونى فوالله ما فى القرآن آية إلا و

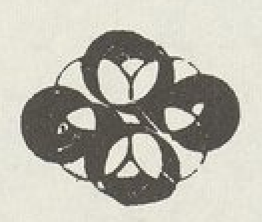
أنا أعلم فيمن نزلت وأين نزلت في سهل أوفي جبل، وإن ربي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً ناطقاً» .

٢٦- وقال عليه السلام في وصف القرآن - : «هو الفصل ليس بالهزل، هو الناطق بالسنة العدل ، والآمر بالفضل، هو حبل الله المتين، والذكر الحكيم ، هو وحى الله الامين، وحبله المتين ، وهو ربيع القلوب و ينابيع العلم وهو الصراط ، هو هدى لمن ائتم به، وزينة لمن تحلى به ، وعصمة لمن اعتصم به وحبل لمن تمسّك»

٢٧- وقال عليه السلام : « والذي فلق الحبة و برء النسمة ليظهرنّ عليكم قوم يضربون الهام على تأويل القرآن كما بدأكم محمد صلى الله عليه وآله على تنزيله ، حكم من الرحمن عليكم في آخر الزمان» .

٢٨- وقال عليه السلام : « يأتي على الناس زمان لايبقى من القرآن إلاّ رسمه ومن الاسلام إلاّ إسمه، مساجدهم يومئذ عامرة من البناء ، خالية من الهدى » .

٢٩- وقال عليه السلام : «من شفع فيه القرآن يوم القيامة شفّع فيه ومن محل به صدّق عليه» .



﴿القرآن الكريم والقرض﴾

قال الله جل وعلا : «وأقرضوا الله قرضاً حسناً» المزمل : ٢٠) .

واعلم أن كلمة القرض المصطلح الشرعى هى أول مرة جائت فى هذه السورة، وهى السورة الرابعة نزولاً بعد الامر باقامة الصلاة وايتاء الزكاة على صيغة الامر ثم تكررت فى خمس آيات على صيغ اخرى فى أربع سور على الترتيب التالى نزولاً :

١- البقرة فى قوله عز وجل : «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة والله يقبض ويبصط وإليه ترجعون» : ٢٤٥) .

٢- الحديد فى قوله تعالى : «من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم - ان المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم و لهم أجر كريم» : ١١-١٧) .

٣- التغابن فى قوله سبحانه : «إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم و يغفر لكم والله شكور حليم» : ١٧) .

٤- المائدة فى قوله جل وعلا : «وأقرضتم الله قرضاً حسناً لا كفرنّ عنكم سيئاتكم و لادخلنكم جنات تجرى من تحتها الانهار» : ١٢) .

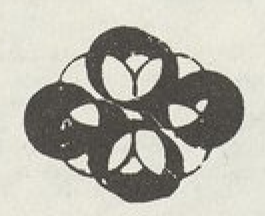
ولأهميّة الامر بالقرض فى هذه السورة لابد لنا من البحث فيه ههنا على طريق الاختصار ، ولما بين القرض والدين من الفرق ينبغى لكل فقيه باحث خبير متأمل أن يجعل لكل باباً . ونحن نذكر معنى القرض قبل الخوض فى أبحاثه :

القرض ـ بفتح القاف و كسرها ـ : قطع جزء من المال بالاعطاء بشرط الرد عيناً أو مثلاً وقتاً آخر ،والاسم من «أقرض يقرض» : القرض ، فسمى القرض قرضاً لان المقرض يقطعه من ماله ويدفعه إلى المقروض،والقرض: القطع، ومنه المقراض. ويجوز أن يقال :انه سمى قرضاً لتساوى ما يأخذ و مايرد ، والعرب تقول :تقارض الرجلان الثناء : إذا اثنى كل واحد منهما على صاحبه .

واما الفرق بين القرض والدين فان القرض يستعمل في العين والورق غالباً، وهو أن تأخذ من مال الرجل درهماً لترد عليه بدله درهماً ، فيبقى ديناً عليك إلى أن ترده ، فكل قرض دين ، ولكن ليس كل دين قرضاً .

وذلك ان أثمان ما يشترى بالنسأ ديون وليست بقروض ، فالقرض يكون من جنس ما اقترض ، وليس الدين كذلك .

وان الفرق بين القرض والفرض : ان القرض ما يلزم إعطاؤه ، وأما الفرض فما لايلزم إعطائه ، ويقال : ما عنده قرض ولافرض أى ما عنده خير لمن يلزمه أمره ولا لمن لايلزمه أمره .



﴿ في فضل القرض الحسن و ثوابه ﴾

ان القرض الحسن هو قرض المحتاجين ذوي الاعراض المحترمة إبتغاء لوجه الله تعالى بطيب النفس من غير كدورة ولا كسل ، وبغير من ولا أذى ، ولهذا القرض فضل عظيم وثواب كثير ، و ان الدرهم منه بثمانية عشر درهماً مع أن درهم الصدقة بعشرة وذلك لامور :

احدها - ان الصدقة تقع في يد المحتاج وغيره ، وأما القرض فلايقع إلا في يد المحتاج غالباً ، ولايتحمل ذل الاستقراض إلا المحتاج .

ثانيها - ان القرض سبب لحفظ عرض المقروض ، والسائل الذي يأخذ الصدقة في عرضة هتك عرضه بالسؤال غالباً ، و من هنا لا يأخذ المقروض صدقة لحفظ عرضه ، بخلاف السائل .

ثالثها - ان درهم القرض يعود دائماً ، فيقرض ثانياً ، ودرهم الصدقة لايعود فينقطع . ان الله تعالى قد نسب بعض ما يجرى على عباده إلى نفسه لغاية أهميته عنده عز وجل ، ومنه القرض الذي فيه روح التعاون وبقاء المجتمع . . . إذ قال : « وأقرضوا الله قرضاً حسناً » المزمل : ٢٠)

مع كونه تعالى غنياً عن ما سواه ، ولكن لغاية أهمية القرض الحسن في المجتمع البشرى نسبه إلى نفسه كأنه سبحانه يستقرض من عباده ففيه من الحث والتحريض على الاقراض مالا يصل إليه غيره ، كما نسب إشباع الجائع و تكسية العارى إلى نفسه مع تنزهه عن الشبع والجوع ، والكسوة والعراء .

فكأن من يشبع بطناً جائعاً ، فقد أشبع الله سبحانه ، و من يكسو عراة ، فكأنه أكسى الله سبحانه لغاية العناية فى ذلك ، و لعمرى لو جرت هذه الاحكام والتعاونات فى الامة الاسلامية ، و عملوا بدستورات القرآن الكريم لما وجد فقير محتاج ، ولاعارىء ضعيف ، ولامقروض مغتمّ . .

وقد وردت روايات كثيرة فى المقام عن طريق أئمتنا المعصومين أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين نشير إلى نبذة منها .

١- فى الكافى باسناده عن إسحق بن عمار عن أبى عبدالله عليه السلام قال: مكتوب على باب الجنة : الصدقة بعشرة والقرض بثمانية عشر .

وفى رواية اخرى : بخمسة عشر .

٢- وفيه : باسناده عن فضيل بن يسار قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : ما من مؤمن أقرض مؤمناً يلتمس به وجه الله إلاّ حسب الله له أجره بحساب الصدقة حتى يرجع إليه ماله .

٣- وفيه : باسناده عن إبراهيم بن عبد الحميد عن أبى عبد الله عليه السلام فى قوله تعالى : « لاخير فى كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف » قال: يعنى بالمعروف القرض .

٤- و فيه : باسناده عن عقبة بن خالد قال : دخلت أنا والمعلّى و عثمان بن عمران على أبى عبدالله عليه السلام فلما رآنا قال : مرحباً مرحباً بكم وجوه تحبّنا ونحبها جعلكم الله معنا فى الدنيا والآخرة ، فقال له عثمان : جعلت فداك ! فقال له أبو عبدالله عليه السلام: نعم مه قال : إنى رجل موسر ، فقال له : بارك الله لك فى يسارك ، قال : ويجيىء الرجل فيسئلنى الشيء وليس هو إبّان زكاتى .

فقال له أبو عبدالله عليه السلام : القرض عندنا بثمانية عشر والصدقة بعشرة ، وماذا عليك إذا كنت كما تقول موسراً أعطيته ، فاذا كان إبّان زكاتك احتسبت بها من الزكاة ، يا عثمان لاتردّه فان ردّه عندالله عظيم ، ياعثمان إنك لو علمت ما منزلة

المؤمن من ربه ماتوانيت في حاجته ، ومن أدخل على مؤمن سروراً فقد أدخل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و قضاء حاجة المؤمن يدفع الجنون والجذام والبرص .

قوله عليه السلام : « مه » أي ما مطلبك ، والهاء للسكت وأصله : « فما » أي فما تريد . وقوله عليه السلام : « إبّان زكاتي » أي وقتها .

٤ ـ وفيه : باسناده عن إبراهيم بن السندي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قرض المؤمن غنيمة ، وتعجيل خير ، إن أيسر أدّاه ، وإن مات احتسب من الزكاة .

٥ـ في نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام في خطبة ـ : « واغتنم من استقرضك في حال غناك ليجعل قضاءه لك في يوم عسرتك » الخطبة .

٦ـ وفي رواية : قال الله تعالى : « انى جعلت الدنيا بين عبادى قرضاً ، فمن أقرضني منها قرضاً أعطيته بكل واحدة عشراً إلى سبعمأة ضعف ، و ما شئت من ذلك ، ومن لم يقرضني منها قرضاً ، فأخذت منه شيئاً قسراً ... الرواية .

٧ـ في قرب الاسناد باسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال : جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سائل يسئله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل عند أحد سلف؟ فقام رجل من الانصار فقال : عندي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : أعط هذا السائل أربعة أوساق من تمر ، قال : فأعطاه قال : ثم جاء الانصاري بعد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم متقاضياً له، فقال: يكون إن شاء الله ، ثم عاد إليه، فقال : يكون إن شاء الله ، ثم عاد إليه الثالثة فقال : يكون إن شاء الله ، فقال : قد أكثرت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قول: يكون إن شاء الله قال : فضحك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : هل من رجل عنده سلف؟ قال: فقام رجل فقال : عندي يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كم عندك ؟ قال : ما شئت ، قال : فأعط هذا ثمانية أوسق من تمر ، فقال الانصاري إنما لي أربعة يا رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأربعة أيضاً .

٨ـ فی الفقيه : محمد بن علی بن الحسين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : الصدقة بعشرة ، والقرض بثمانية عشر ، وصلة الاخوان بعشرين ، و صلة الرحم بأربعة وعشرين .

٩ـ فی وسائل الشيعة :ـ فی حديث ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ومن أقرض أخاه المسلم كان له بكل درهم أقرضه وزن جبل احد من جبال رضوی و طور سيناء حسنات ، وإن رفق به فی طلبه تعدّی (جاز) به علی الصراط كالبرق الخاطف اللامع بغير حساب ولاعذاب ؛ ومن شكی إليه أخوه المسلم ، فلم يقرضه حرّم الله عزوجل عليه الجنة يوم يجزی المحسنين .

١٠ـ فی فقه القرآن لقطب الدين الراوندی: قال أبوجعفر عليه السلام :من أقرض قرضاً إلی ميسرة كان ماله فی زكاة ، وكان هو فی صلاة من الملائكة حتی يقضيه .

١١ـ فی ثواب الاعمال : باسناده عن جابر عن أبی عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من أقرض مؤمناً قرضاً ينتظر به ميسوره كان ماله فی زكاة ،و كان هو فی صلاة من الملائكة حتی يؤدّيه إليه .

١٢ـ وفيه : باسناده عن محمدبن أبی عمير عن بهشم الصيرفی و غيره عن أبی عبدالله عليه السلام قال : القرض الواحد بثمانية عشر ، و إن مات احتسب بها من الزكاة .

١٣ـ و فيه : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبی عبدالله عليه السلام قال : قال النبی صلى الله عليه وآله وسلم : ألف درهم أقرضها مرتين أحب إلیّ من أن أتصدق بها مرة،و كما لايحلّ لغريمك أن يمطلك وهوموسر، فكذلك لايحلّ أن تعسره إذا علمت انه معسر .

١٤ـ وفيه : باسناده عن أبی حمزة الثمالي عن علی بن الحسين عليهما السلام قال: من قضی لأخيه حاجة فبحاجة الله بدأو قضی الله له بها مأة حاجة فی إحداهن الجنة ، ومن نفّس عن أخيه كربه نفّس الله عنه كرب القيامة بالغاً مابلغت ، ومن

أعانه على ظالم له أعانه الله على إجازة الصراط عند دحض الاقدام ، و من سعى له فى حاجة حتى قضاها له فسر بقضائها فكان كادخال السرور على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن سقاه من ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ، ومن أطعمه من جوع أطعمه الله من ثمار الجنة .

ومن كساه من عرى كساه الله من إستبرق وحرير، ومن كساه من غير عرى لم يزل فى ضمان الله مادام على المكسى من الثوب سلك ، ومن كفاه بماهو يمهنه ويكف وجهه ويصل به يديه أخدمه الله الولدان المخلدين ، و من حمله من رحله بعثه الله يوم القيامة إلى الموقف على ناقة من نوق الجنة يباهى به الملائكة ومن كفنه عند موته فكأنما كساه من يوم ولدته امه إلى يوم يموت .

ومن زوجه زوجة يأنس بها و يسكن إليها آنسه الله فى قبره بصورة أحب أهله إليه ، ومن عاده عند مرضه حفته الملائكة تدعوا له حتى ينصرف وتقول : طبت وطابت لك الجنة ، والله لقضاء حاجته أحب إلى الله من صيام شهرين متتابعين باعتكافهما فى الشهر الحرام .



المقروض المعسر، و تعجيل أداء القرض، وكراهته من مستحدث النعمة

وقد وردت روايات كثيرة في الامور الثلاثة: من فضل إنظار المقروض المعسر، و من تعجيل المقروض الموسر في أداء قرضه، ومن كراهة القرض من مستحدث النعمة، فنشير إلى نبذة منها:

١- في الكافي: باسناده عن معاوية بن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أراد أن يظلّه الله يوم لاظلّ إلّا ظلّه- قالها ثلاثاً- فها به الناس أن يسئلوه، فقال: فلينظر معسراً أوليدع له من حقه.

قوله عليه السلام: «فلينظر» الانظار: الامهال والتأخير، و «من» في «من حقه» للتبعيض يعني أو يخفف عنه ليتمكن من أدائه.

٢- وفيه: باسناده عن عبدالرحمن بن أبي عبدالله عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: في يوم حارّ- وحنا كفّه- من أحب أن يستظلّ من فور جهنم- قالها ثلاث مرات- فقال الناس في كل مرة: نحن يا رسول الله؟ فقال: من أنظر غريماً أوترك المعسر، ثم قال لي أبو عبدالله عليه السلام: قال لي عبدالله بن كعب بن مالك: إن أبي أخبرني انه لزم غريماً له في المسجد، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدخل بيته ونحن جالسان ثم خرج في الهاجرة، فكشف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستره وقال: يا كعب ما زلتما جالسين؟ قال: نعم بأبي و امي قال: فأشار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكفه خذ النصف

قال : فقلت : بأبى وامى ثم قال : اتبعه ببقية حقك ، قال : فأخذت النصف و وضعت له النصف .

قوله عليه السلام : « حنا كفه » : لواها وعطفها، و « فور جهنم » : وهجها وغليانها. و « الهاجرة » : شدة الحر نصف النهار .

٣- و فيه : باسناده عن يعقوب بن سالم عن أبى عبدالله عليه السلام قال : خلّوا سبيل المعسر كما خلّاه الله عزوجل .

٤- و فيه : باسناده عن يحيى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن عن أبى عبدالله عليه السلام قال : صعد رسول الله صلى الله عليه وآله المنبر ذات يوم ، فحمدالله وأثنى عليه و صلّى على أنبيائه صلّى الله عليهم ثم قال : أيها الناس ليبلغ الشاهد منكم الغائب، ألا ومن أنظر معسراً كان له على الله عزوجل فى كل يوم صدقة بمثل ماله حتى يستوفيه ، ثم قال أبوعبدالله عليه السلام : « وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة و إن تصدّقوا خير لكم » إن كنتم تعلمون انه معسر ، فتصدّقوا عليه بما لكم عليه ، فهو خير لكم .

٥- فى ثواب الاعمال : باسناده عن محمد بن حباب القماط عن شيخ كان عندنا قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : من أقرض قرضاً وضرب له أجلاً ، فلم يؤت به عند ذلك الأجل كان له من الثواب فى كل يوم يتأخر عن ذلك الأجل بمثل صدقة دينار واحد فى كل يوم .

٦- فى التهذيب : باسناده عن أبى حمزة الثمالى عن أبى جعفر عليه السلام انه قال: من حبس حق امرىء مسلم وهو يقدر على أن يعطيه إياه مخافة انه إذا خرج ذلك الحق من يده أن يفقره كان الله عزوجل أقدر أن يفقره منه على أن يغنى نفسه بحبس ذلك الحق .

٧- فى الخصال : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : الدين على ثلاثة وجوه : رجل كان له فأنظر ، وإذا كان عليه اعطى ولم

يماطل له فذلك له ولاعليه ، و رجل إذاكان له إستوفى ، و إذا كان عليه أو فى فذاك لاله ولاعليه ، و رجل إذا كان له استوفى وإذاكان عليه يمطل (يماطل خ) فذاك عليه ولاله .

٨- فى وسائل الشيعة : بالاسنادعن الحسين بن زيد عن جعفربن محمدعن آبائه عليهم السلام عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم - فى حديث المناهى - انه قال : و من مطله (يبطل خ) على ذى حق حقه وهويقدر على أداء حقه ، فعليه كل يوم خطيئة عشار .

٩- فى روضة الكافى : عن إسمعيل بن جابرعن أبى عبدالله عليه السلام - فى وصية طويلة كتبها إلى أصحابه - قال : وإياكم وإعسار أحد من إخوانكم المسلمين أن تعسروه بالشيء (بشيء خ) يكون لكم قبله ، و هو معسر فان أبانا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول : ليس لمسلم أن يعسر مسلماً ، ومن أنظرمعسراً أظله الله بظله يوم لاظل إلاّ ظله .

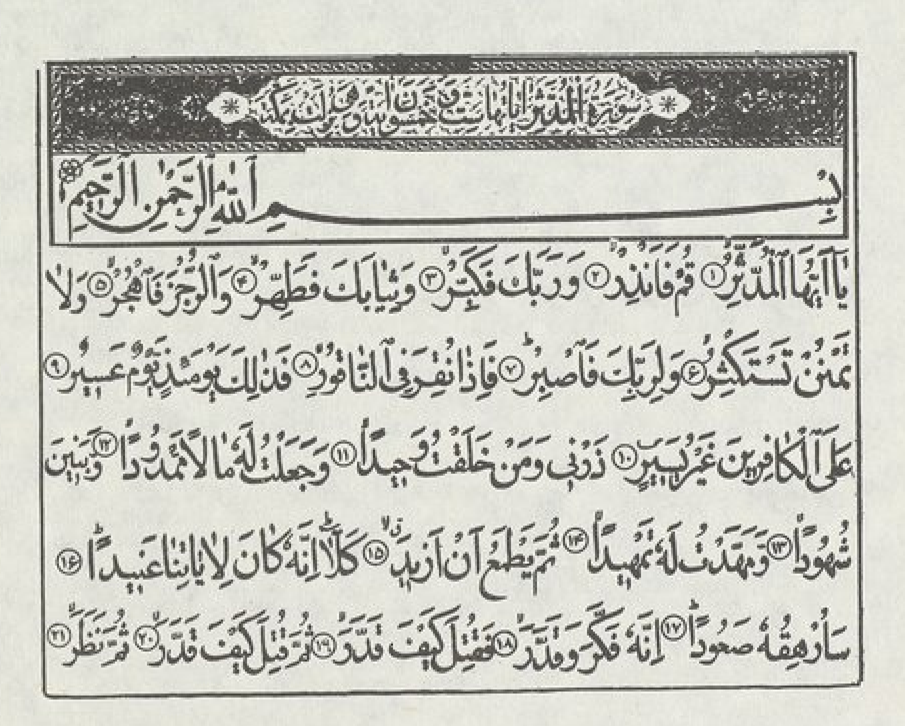
١٠- فى التهذيب : عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : ألف درهم أقرضها مرتين احبّ إلىّ من أن أتصدق بها مرة ،و كما لايحل لغريمك أن يمطلك وهومؤسر فكذلك لايحلّ لك تعسره إذا علمت أنه معسر .

١١- فى ثواب الاعمال : باسناده عن حنان بن سديرعن أبى جعفر عليه السلام قال : يبعث يوم القيامة قوم تحت ظل العرش وجوههم من نوروريا شهم من نورجلوس على كراسى من نور - إلى أن قال - فينادى مناد ! هؤلاء قوم كانوا ييسرون على المؤمنين وينظرون المعسر حتى ييسر .

١٢- فى الفقيه : باسناده عن أبى خديجة عن أبى عبدالله عليه السلام قال : أيما رجل أتى رجلاً ، فاستقرض منه مالاً ، وفى نيته أن لايؤدّيه فذلك اللصّ العادى.

١٣- فى التهذيب : باسناده عن حفص بن البخترى قال : استقرض قهرمان لأبى عبدالله عليه السلام من رجل طعاماً لأبى عبدالله عليه السلام فألحّ فى التقاضى ، فقال له أبوعبدالله عليه السلام : ألم أنهك أن تستقرض ممن لم يكن له فكان .

تمت سورة المزمل والحمد لله رب العالمين
و صلى الله على محمد و آله المعصومين



سورة المدثر آياتها ست وخمسون وهي مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المدثر (١) قم فأنذر (٢) وربك فكبر (٣) وثيابك فطهر (٤) والرجز فاهجر (٥) ولا تمنن تستكثر (٦) ولربك فاصبر (٧) فإذا نقر في الناقور (٨) فذلك يومئذ يوم عسير (٩) على الكافرين غير يسير (١٠) ذرني ومن خلقت وحيدا (١١) وجعلت له مالا ممدودا (١٢) وبنين شهودا (١٣) ومهدت له تمهيدا (١٤) ثم يطمع أن أزيد (١٥) كلا إنه كان لآياتنا عنيدا (١٦) سأرهقه صعودا (١٧) إنه فكر وقدر (١٨) فقتل كيف قدر (١٩) ثم قتل كيف قدر (٢٠) ثم نظر (٢١)

ثم عبس وبسر ﴿٢٢﴾ ثم أدبر واستكبر ﴿٢٣﴾ فقال إن هذا إلا سحر يؤثر ﴿٢٤﴾ إن هذا إلا قول
البشر ﴿٢٥﴾ سأصليه سقر ﴿٢٦﴾ وما أدراك ما سقر ﴿٢٧﴾ لا تبقي ولا تذر ﴿٢٨﴾ لواحة للبشر ﴿٢٩﴾ عليها
تسعة عشر ﴿٣٠﴾ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا
ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب
والمؤمنون وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك
يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر ﴿٣١﴾
كلا والقمر ﴿٣٢﴾ والليل إذ أدبر ﴿٣٣﴾ والصبح إذا أسفر ﴿٣٤﴾ إنها لإحدى الكبر ﴿٣٥﴾ نذيرا للبشر ﴿٣٦﴾ لمن
شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر ﴿٣٧﴾ كل نفس بما كسبت رهينة ﴿٣٨﴾ إلا أصحاب اليمين ﴿٣٩﴾ في جنات يتساءلون ﴿٤٠﴾
عن المجرمين ﴿٤١﴾ ما سلككم في سقر ﴿٤٢﴾ قالوا لم نك من المصلين ﴿٤٣﴾ ولم نك نطعم المسكين ﴿٤٤﴾ و
كنا نخوض مع الخائضين ﴿٤٥﴾ وكنا نكذب بيوم الدين ﴿٤٦﴾ حتى أتانا اليقين ﴿٤٧﴾ فما تنفعهم شفاعة
الشافعين ﴿٤٨﴾ فما لهم عن التذكرة معرضين ﴿٤٩﴾ كأنهم حمر مستنفرة ﴿٥٠﴾ فرت من قسورة ﴿٥١﴾ بل يريد
كل امرئ منهم أن يؤتى صحفا منشرة ﴿٥٢﴾ كلا بل لا يخافون الآخرة ﴿٥٣﴾ كلا إنه تذكرة ﴿٥٤﴾ فمن شاء
ذكره ﴿٥٥﴾ وما يذكرون إلا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة ﴿٥٦﴾

﴿فضلها و خواصها﴾

في ثواب الاعمال: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد الباقر عليه السلام قال: من قرأ في الفريضة سورة «المدثر» كان حقاً على الله عزوجل أن يجعله مع محمد صلى الله عليه وآله وسلم في درجته، و لا تدركه (لايدركه خ) في الحياة الدنيا شقاء أبداً إن شاء الله.

رواه الطبرسي في المجمع، والشيخ المحدث الحر العاملي في وسائل الشيعة، والبحراني في تفسير البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار.

اقول: و ذلك من قرأ السورة متدبراً فيما تحويه ـ من تبعة استكبار الاغنياء المكذبين، وغباوة مرضى القلوب المنافقين، و عناد أصحاب الجرائم الكافرين، وخوض المردة مع الخائضين وإعراض كلهم عن الحق والصواب، عن الايمان و الاهتداء، عن السعادة و النجاة، وعن صراط مستقيم وسبيل السواء... من دخولهم في سقر و عذابهم وخلودهم فيها ـ وآمن بالله تعالى وبرسوله وباليوم الاخر من غير إرتياب و تذكر بما يتلوه من آيات الله جل وعلا و اهتدى، فاذاً هو من أهل التقوى و أهل المغفرة لايضل و لا يشقى، و من كان كذلك فهو مع الانبياء والمرسلين و الشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقاً من غير شك ولامراء

قال الله تعالى: «فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هدى فلايضل و لا يشقى» طه: ١٢٣).

وقال: ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين

والصديقين و الشهداء و الصالحين و حسن اولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله و كفى بالله عليماً » النساء : ٦٩ - ٧٠) .

و في المجمع : أبيّ ابن كعب عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قـال : ومن قرأ سورة « المدثر » اعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم و كذب به بمكة .

اقول : ان الرواية غير مقبولة عندنا سنداً لمكان أُبي ، و لكنها مقبولة متناً لعدم خلافها مع الرواية الصحيحة السابقة فتدبر جيداً .

و في البرهان : روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم انه قال : من قرأ هذه السورة اعطى من الاجر بعدد من صدق بمحمد و بعدد من كذب به عشر مرات ، ومن أدمن في قرائتها وسئل الله لي آخرها حفظ القرآن لم يمت حتى يشرح الله قلبه و يحفظه .

وفيه : وقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم : من أدمن قرائتها كان له أجر عظيم ، ومن طلب من الله ختم كل سورة أن يحفظه من القرآن لم يمت حتى يحفظه .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : من أدمن في قرائتها و سئل الله في آخرها حفظه لم يمت حتى يحفظه ولو سأله أكثر من ذلك قضاه الله تعالى له . والله أعلم .

اقول : ومن غير بعيد أن يكون ذلك من خواص السورة .

﴿الغرض﴾

غرض السورة تقرير لقيام النبى الكريم ﷺ بمهمته فى دعـوة الناس إلى الله تعالى والاتصال بهم و انذارهم ، و رسم الخطة التى يجب عليـه ﷺ اتباعها فى ذلك من الظهور بالمظهر الطاهر النظيف واللسان العفيف والتواضع والثبات عليها كل ذلك على طريق الامر ، و هـذه خطة رائعة ، جليلة الشأن ، فالله تعالى هو اكبر من كل شيء و كل ما سواه حقير صغير ، فلا ينبغى أن يعتبر غيره كبيراً مرهوباً ، و يجب أن يكون التعظيم له وحده ، والصبر والثبات فى المهمة كافلان للنجاح فيها ، والداعى إلى الله جل وعلا و مكارم الاخلاق يجب أن يكون القدوة الصالحة لمن يدعوهم فى الاستغراق فى الله تعالى ، ومكارم الاخلاق و فعل الخير من غير منّ و استكثار و انتظار جزاء ومقابلة ، والطهارة والبعد عن كل فحش و إثم و بذاءة و مظهر مستنكر .

والتزم النبى الكريم ﷺ هذه الخطة ، وكانت هى من أقوى وسائل نجاح دعوته ، و تفانى أصحابه السابقين إلى الايمان به فى تأييده والالتفاف حوله ، و تهيب غير المؤمنين له ، وتقديرهم اياه و عدم انكارهم مزاياه الخلقية ، وفضائله النفسانية . . .

و هذه الخطة و إن كانت قد سمت للنبى الكريم ﷺ و لكنها تحوى تلقيناً موجهاً إلى كل صاحب دعوة اصلاح و معروف ، و إلى كل صاحب شأن ممن يتولون فى الامة المسلمة الزعامة والتوجيه والارشاد والاصلاح .

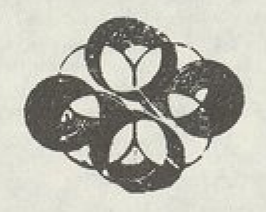
وفي السورة : انذار للكفار والمكذبين بيوم القيامة ، و تنديد بمن وقف من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن المجيد موقف الهزء والانكار والاعراض والتحدي.

و فيها : إشارة إلى الموقف العصيب العسير الذي سوف يواجهه الكافرون حينما يبعث الناس إلى يوم القيامة ، والحياة الاخرى .

و فيها : تثبيت وتطمين وتأكيد له صلى الله عليه وآله وسلم فعليه الصبر على موقف المعاندين الجاحدين لرسالته الذين سوف يكون حسابهم عسيراً يوم الجزاء الاخروي .

وتصوير لصورة أحد الزعماء الاغنياء المغترين بوفرة المال و كثرة البنين، والتمكن، وقد كان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم يلقى منذ بدء بعثته صداً و عناداً منهم ، و ان التشاد أخذ يستمر بينه و بينهم منذ عهد مبكر ثم استمر .

و إشارة إلى استمرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في اتصاله بمختلف طبقات قريش و زعمائهم بسبيل مهمته ، و على عدم قطعه الصلة بالمرة بينه صلى الله عليه وآله وسلم و بينهم .



﴿النزول﴾

سورة المدثر مكية نزلت بعد سورة المزمل وقبل سورة المسد، وهي السورة الخامسة نزولاً على التحقيق، والرابعة والسبعون مصحفاً.

وتشتمل على ست و خمسين آية، سبقت عليها/٩٨ آية نزولاً و/٥٤٩٥ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على/٢٥٥ كلمة، و ١٠١٠ حرفاً على مافي بعض التفاسير.

في السيرة النبوية لابن هشام: ان أشد مالقي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قريش انه خرج يوماً فلم يلقه أحد من الناس إلا كذبه وآذاه، لاحر ولاعبد، فرجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى منزله، فتدثر من شدة ماأصابه، فأنزل الله تعالى عليه: «ياأيها المدثر قم فانذر».

في اسباب النزول للواحدي النيسابوري باسناده عن يحيى بن أبي كثير قال: سمعت أباسلمة عن جابر قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي فلم أر أحداً، ثم نوديت فرفعت رأسي فاذا هو على العرش في الهواء يعني جبرئيل عليه السلام فقلت: دثروني دثروني، فصبوا علي ماء فانزل الله عزوجل: «ياأيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر».

وفي اسباب النزول للسيوطي عن ابن عباس: ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاماً فلما أكلوا قال: ماتقولون في هذا الرجل؟ فقال بعضهم: ساحر وقال بعضهم:

ليس بساحر، وقال بعضهم : كاهن، وقال بعضهم : ليس بكاهن ، وقال بعضهم : شاعر، وقال بعضهم: ليس بشاعر ، وقال بعضهم سحر يؤثر ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحزن وقنع رأسه وتدثر ، فأنزل الله : «ياأيها المدثر قم فانذر - إلى قوله تعالى - ولربك فاصبر» .

وفي الدر المنثور : عن يحيى بن أبي كثير قال: سئلت أباسلمة بن عبدالرحمن عن أول مانزل من القرآن ، فقال : «ياأيها المدثر» قلت : يقولون : «اقرأ باسم ربك الذي خلق» ؟ فقال أبوسلمة : سألت جابر بن عبدالله عن ذلك قلت له مثل ماقلت ، قال جابر : لاأحدثك الا ماحدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : جاورت بحراء فلماقضيت جواري نوديت ، فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً ، و نظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فاذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والارض ، فجئت منه رعباً فرجعت فقلت : دثروني دثروني ، فنزلت : «ياأيها المدثر قم فانذر - إلى قوله - والرجز فاهجر» .

أقول : ان الحديث يعارض بماورد: ان سورة العلق هي أول مانزل من القرآن كما ان هذاهو المستفاد من سياق سورة العلق ، مع أن قوله: فاذا الملك الذي جاءني بحراء» يشعر بنزول الوحي عليه قبلاً .

وفيه : عن أبي هريرة : قلنا : يا رسول الله كيف نقول اذادخلنا في الصلاة ؟ فانزل الله «وربك فكبّر» فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نفتتح الصلاة بالتكبير .

أقول: وهذا مردود فان أباهريرة ممن آمن بعدالهجرة بكثير، وان السورة ممانزل في أول البعثة فأين كان أبوهريرة أوالصحابة يومئذ ؟!

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «فاذا نقر في الناقور - إلى قوله - ومن خلقت وحيداً» فانها نزلت في الوليدبن المغيرة ، وكان شيخاً كبيراً مجرّباً من دهاة العرب ، وكان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقعد في الحجرة ويقرء القرآن ، فاجتمعت قريش إلى الوليدبن المغيرة فقالوا : ياأبا

عبد شمس ماهذا الذى يقول محمد ؟ أشعر هو أم كهانة أم خطب ؟ فقال : دعونى أسمع كلامه ، فدنا من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يا محمد أنشدنى من شعرك قال : ماهو شعر ولكنه كلام الله الذى ارتضاه ملائكته (لملائكته خ) وأنبيائه ورسله فقال : اتل علىّ منه شيئاً ! .

فقرأ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « حم السجدة » فلما بلغ قوله : « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود » قال : فاقشعرّ الوليد ، وقامت كل شعرة فى رأسه و لحيته ، ومرّ إلى بيته و لم يرجع إلى قريش من ذلك ، فمشوا إلى أبى جهل ، فقالوا : يا أبا الحكم ان أبا عبد شمس صبا إلى دين محمد أما تراه لايرجع (لم يرجع خ) إلينا فغدا أبوجهل إلى الوليد فقال : يا عم نكست رؤسنا وفضحتنا و أشمتّ بنا عدونا ، و صبوت إلى دين محمد ؟ فقال : ماصبوت إلى دينه و لكنى سمعت كلاماً صعباً تقشعرّ منه الجلود ، فقال له أبوجهل : أخطب هو ؟ .

قال : لا ، ان الخطب كلام متصل ، وهذا كلام منثور ولايشبه بعضه بعضاً، قال : أفشعر هو ؟ قال : لا أما إنى لقد سمعت أشعار العرب بسيطها و مديدها و رملها وزجرها (رجزها خ) ، وماهو بشعر ، قال : فما هو؟ قال : دعنى افكّر فيه

فلما كان من الغد قالوا له : يا أباعبد شمس ماتقول فيما قلناه ؟ قال : قولوا : هو سحر فانه آخذ بقلوب الناس ، فأنزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى ذلك : « ذرنى و من خلقت وحيداً » و انما سمّى وحيداً لانه قال لقريش : أنا أتوحّد لكسوة البيت سنة و عليكم فى جماعتكم سنة ، و كان له مال كثير و حدائق ، و كان له عشر بنين بمكة ، و كان له عشرة عبيد عند كل عبد ألف دينار يتّجر بها و تلك القنطار فى ذلك الزمان ، و يقال : إن القنطار جلد ثور مملوّ ذهباً .

وقيل: اجتمع أبولهب و أبوسفيان و الوليد بن المغيرة و النضر بن الحرث و امية بن خلف والعاص بن وائل و مطعم بن عدىّ وقالوا : قداجتمعت وفود العرب

فى أيام الحج و هم يتساءلون عن أمر محمد ، و قد اختلفتم فى الاخبار عنه ، فمن قائل يقول : مجنون ، و آخر يقول : كاهن ، و آخر يقول : شاعر ، و تعلم العرب ان هذا كله لايجتمع فى رجل واحد، فسمّوا محمداً باسم واحد يجتمعون عليه و تسميه العرب به ، فقام منهم رجل فقال : شاعر فقال الوليد : سمعت كلام ابن الابرص وامية بن أبى الصلت ، و ما يشبه كلام محمد كلام واحد منهما فقالوا : كاهن .

فقال : الكاهن يصدق و يكذب و ما كذب محمد قط ، فقام آخر فقال : مجنون فقال الوليد : المجنون يخنق الناس وماخنق محمد قط، و انصرف الوليد إلى بيته ، فقالوا : صبأ الوليد بن المغيرة ، فدخل عليه أبوجهل وقال : مالك يا أبا عبد شمس ! هذه قريش تجمع لك شيئاً يعطونكه ، زعموا انك قد احتجت و صبأت ، فقال الوليد : مالى إلى ذلك حاجة ، و لكنى فكرت فى محمد ، فقلت: ما يكون من الساحر ؟

فقيل : يفرق بين الاب و ابنه ، وبين الاخ وأخيه ، و بين المرأة و زوجها، فقلت : انه ساحر ، شاع هذا فى الناس و صاحوا يقولون : ان محمداً ساحر ، و رجع رسول ﷺ إلى بيته محزوناً فتدثر بقطيفة ونزلت : « يا أيها المدثر » .

و فى البحار : كان رسول الله ﷺ لا يكف عن عيب آلهة المشركين، ويقرأ عليهم القرآن ، وكان الوليدبن المغيرة من حكّام العرب يتحاكمون اليه فى الامور ، و كان له عبيد عشرة عند كل عبد ألف دينار يتجر بها، وملك القنطار وكان عم أبى جهل، فقالوا له : يا أباعبد شمس ماهذا الذى يقول محمد؟ أسحر؟ أم كهانة ؟ أم خطب ؟ فقال : دعونى أسمع كلامه ، فدنا من رسول الله ﷺ وهوجالس فى الحجر فقال: يا محمد أنشدنى شعرك ، فقال : ما هو بشعر، ولكنه كلام الله الذى بعث أنبياءه و رسله به فقال: اتل، فقرأ : «بسم الله الرحمن الرحيم» فلما سمع الرحمن استهزأ منه و قال : تدعو إلى رجل باليمامة بسم الرحمن ؟ !

قال : لا ولكنى أدعو إلى الله وهو الرحمن الرحيم ، ثم افتتح «حم السجدة» فلما بلغ إلى « فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد و ثمود » وسمعه اقشعرّ جلده و قامت كل شعرة فى بدنه ، و قام و مشى إلى بيته ، و لم يرجع إلى قريش ، فقالوا : صبأ أبو عبد شمس إلى دين محمد ، فاغتمّت قريش وغدا عليه أبوجهل، فقال: فضحتنا يا عم ، قال : يا ابن أخ ما ذاك وانى على دين قومى، ولكنى سمعت كلاماً صعباً تقشعر منه الجلود ، قال : أفشعر هو ؟ قال : ماهو بشعر ، قال : فخطب ؟ قال : لا ان الخطب كلام متصل ، وهذا كلام منثور لايشبه بعضه بعضاً ، له طلاوة ، قال : فكهانة هو ؟ قال : لا قال : فما هو ؟ قال :

دعنى افكّر فيه ، فلما كان من الغد قالوا يا أبا عبد شمس ما تقول: قال: قولوا : هوسحر فانه آخذ بقلوب الناس فانزل الله تعالى فيه : « ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً و بنين شهوداً ـ إلى قوله ـ عليها تسعة عشر » .

اقول : رواه ابن شهر آشوب قدس سره فى المناقب على طريق الاختصار .

و فى السيرة النبوية لابن هشام قال : ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذاسن فيهم ، وقد حضر الموسم فقال لهم: يامعشر قريش انه قد حضر هذا الموسم، و ان وفود العرب ستقدم عليكم فيه ، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا ، فاجمعوا فيه رأياً واحداً و لا تختلفوا فيكذّب بعضكم بعضاً ، و يردّ قولكم بعضه بعضاً قالوا : فأنت يا أبا عبد شمس ، فقل و أقم لنا رأياً نقول (نقلخ) به ، قال : بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا : نقول كاهن ، قال: لا والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهّان فما هو بزمزمة الكاهن ولاسجعه ، قالوا : فنقول: مجنون قال : ما هو بمجنون ، لقد رأينا الجنون و عرفناه فما هو بخنقه و لا تخالجه و لا وسوسته قالوا :

فنقول : شاعر ، قال : ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه و هزجه و قريضه ومقبوضه ومبسوطه ، فما هو بالشعر قالوا : فنقول : ساحر قال : ما هو

بساحر ، لقد رأينا السحّار وسحرهم ، فما هو بنفثهم ولاعقدهم قالوا : فما تقول يا أباعبد شمس؟ قال: والله ان لقوله لحلاوة ، و ان أصله لغدق و ان فرعه لجناة ، و ما انتم بقائلين من هذا شيئاً الا عرف انه باطل ، و ان أقرب القول فيه لان تقولوا ساحر جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء و أبيه وبين المرء و اخيه ، و بين المرء و زوجته ، و بين المرء و عشيرته ، فتفرّقوا عنه بذلك ، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لايمر بهم أحد الاّ حذّروه اياه وذكروا لهم أمره .

فانزل الله تعالى فى الوليد بن المغيرة و فى ذلك من قوله : « ذرنى و من خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً ـ إلى قوله ـ انه كان لآياتنا عنيداً » أى خصيماً.

و فى الدر المنثور : عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة جاء إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقرأ عليه القرآن فكأنه رقّ له فبلغ ذلك أباجهل ، فأتاه فقال : يا عمّ ان قومك يريدون أن يجعلوا لك مالاً ليعطوه لك، فانك أتيت محمداً لتصيب مما عنده ، قال : قد علمت قريش أنى من أكثرها مالاً .

قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك انك منكر أو انك كاره له ، قال: و ماذا أقول، فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى لابرجزه ولابقصيده ولابأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئاً من هذا ، و والله ان لقوله الذى يقوله حلاوة و ان عليه لطلاوة ، و انه لمثمر أعلاه و مغدق أسفله ، و انه ليعلو ولا يعلى ، وانه ليحطم ماتحته . قال: لايرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال : دعنى حتى افكّر فلما فكّر قال: ماهو الاّ سحر يؤثر يأثره عن غيره فنزلت : « ذرنى و من خلقت وحيداً » .

و فى اسباب النزول للسيوطى : عن البراء ان رهطاً من اليهود سألوا رجلاً من أصحاب النبى صلى الله عليه وآله وسلم عن خزنة جهنم ، فجاء فأخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم فنزل عليه ساعتئذ : « عليها تسعة عشر » .

وفيه : عن ابن اسحق قال : قال أبو جهل يوماً : يامعشر قريش يزعم محمد ان جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر وانتم أكثر الناس عدداً أفيعجز مأة رجل منكم عن رجل منهم فانزل الله : « وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة » الاية .

وفيه : عن السدى قال : لما نزلت : « عليها تسعة عشر » قال رجل من قريش يدعى أبا الاشد : يا معشر قريش لايهولنكم التسعة عشر ، أنا أدفع عنكم بمنكبي الايمن عشرة ، وبمنكبي الأيسر التسعة، فأنزل الله : « وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة »

وفي تفسير الطبري : عن قتادة في قوله : « عليها تسعة عشر » ان أبا جهل حين انزلت هذه الاية قال : يامعشر قريش ما يستطيع كل عشرة منكم أن يغلبوا واحداً من خزنة النار ، وأنتم الدهم فصاحبكم يحدثكم ان عليها تسعة عشر .

وورد : انه لما نزلت : « عليها تسعة عشر » قال أبو جهل لقريش : ثكلتكم امهاتكم ، قال ابن أبي كبشة : ان خزنة النار تسعة عشر، و أنتم الجمع العظيم أيضجر كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم ، فقال أبو الاشد (ابو الاسود خ) بن اسيد بن كلدة ، وكان شديد البطش انا اكفيكم سبعة عشر وا كفوني انتم اثنين. فلما قال ذلك أبو جهل وأبو الأشد أو ابو الاسود قال المسلمون ، و يحكم لاتقاس الملائكة بالحدادين أي السجانين ، فنزلت : « وماجعلنا أصحاب النار » الخ .

و قال بعض المفسرين: ان قوله تعالى : « وليقول الذين في قلوبهم مرض ... » الاية نزلت بالمدينة إذ ماكان أصحاب النفاق بمكة.

اقول : ان جمهور المحققين ، وجل المفسرين يتفقون على مكية السورة كلها ، وان فيها اخباراً عما سيحدث من المغيبات بعد الهجرة ، ومنها النفاق ، وتشير اليه الاية ، وذلك ان رسول الله ﷺ ومن آمن به لم يكونوا قبل الهجرة من القوة والنفوذ والسعة بحيث يهابهم الناس أو يرجى منهم خير حتى يتقوهم

يظهروا لهم الايمان ، ويلحقوا بجمعهم مع ابطان الكفر بخلاف حالهم بالمدينة بعد الهجرة .

ولكن التحقيق : ان علل النفاق لم تكن مقصورة في المخافة والاتقاء والاستدرار من خير معجّل بل كان للنفاق علل كثيرة .

منها : الطمع ولو في نفع مؤجل من نيل المال أو الجاه والمقام و تصدّى الخلافة وإن كانت فلتة كما اعترف بها عمر بن الخطاب على ما ورد عن طريق العامة ، ذكرناه في محله من هذا التفسير .

ومنها : الحمية الجاهلية والعصبية العمياء كما يشير إليها قوله تعالى : « افائن مات اوقتل انقلبتم على أعقابكم » آل عمران : ١٤٤)

و منها : استقرار العادة ، وغير ذلك من العلل . ولا دليل على انتفاء جمع علل النفاق عن جميع من آمن ظاهراً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمكة قبل الهجرة ،وقد ورد كثيراً ان بعضهم آمن ثم رجع او آمن عن ريب ثم صلح مع قوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله ـ وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » العنكبوت : ١٠ ـ ١١)

مكية اجماعاً ، وينطق بوجود النفاق في أهلها قبل الهجرة ، وان نفس الاية الكريمة تدل على مكيتها مع الغض عن كون السورة مكية لاشتمال الاية على حديث الايذاء والفتنة اذ ما كان بالمدينة ايذاء ولا فتنة وأما اشتمالها على قوله : « ولئن جاء نصر ربك » فلا يدل على نزولها بالمدينة لتعدد مصاديق النصر غير الفتح المعجل ، واحتمال أن يكون المراد بالفتنة ما وقعت بمكة بعد الهجرة غير ضائر فان هؤلاء المفتونين بمكة بعد الهجرة انما كانوا من الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الهجرة ، وإن اوذوا بعدها .

وفي الدر المنثور : عن أبي صالح قال : قالوا ـ قريش ـ : إن كان محمد صادقاً فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنته من النار فنزلت:

« بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة »

اقول : رواه فى أسباب النزول عن السدى مع يسير من الاختلاف.

وفيه : عن مجاهد فى قوله تعالى : « بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة » قال : إلى فلان بن فلان من رب العالمين يصبح عند رأس كل رجل صحيفة موضوعة يقرؤها .

وفيه : عن قتادة فى قوله تعالى : « بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة» قال : قد قال قائلون من الناس لمحمد صلى الله عليه وآله وسلم : إن سرك أن نتابعك فأتنا بكتاب خاصة يأمرنا باتباعك .



«القراءة»

قرأحفص و أبو جعفر « الرجز » بضم الراء على أنه إسم صنم ، والباقون بكسرها على أنه إسم للعذاب .

و قرأ نافع وحفص وحمزة « إذأدبر » باسكان الذال بلا ألف ، و « أدبر » بهمزة مفتوحة وإسكان الدال من الادبار ، والباقون « إذا » و « دبر » من الدبور.

و قرأ أبو جعفر ونافع و إبن عامر : « مستنفرة » بفتح الفاء أى منفورة مذعورة ، والباقون بكسرها أى نافرة .

وقرأ نافع « تذكرون » بتاء الخطاب والباقون بياء الغيبة .

﴿الوقف والوصل﴾

« المدثر لا » و « فانذرلا » و « فكبّرلا » و « فطهّرلا » و « فاهجر لا » و « تستكثرلا » كل ذلك لاتصال الكلام بالعطف والخطاب . و « فاصبر ط » لتمام الكلام ، و « فى الناقور لا » لمكان الفاء التالية ، و «عسير لا » للمتعلق الآتى و « يسيرى » علامة توضع عند انتهاء عشرآيات .

« وحيداً لا » و« ممدوداً لا » و « شهوداً لا » و « تمهيداً لا » و « أن أزيد ق لا » كل ذلك لاتصال الكلام بالعطف والردع التالى ، وان قال بعض العلماءفى الاخيربالوقف. و « كلاط» لتمام الكلام واستيناف التالى . و «عنيداً ط »و«صعوداً ط »كالمتقدم .

« وقدّرلا » و « كيفقدّرلا » كلاهما ، و «نظرلا » و « بسرلا » و«استكبر لا » و « يؤثرلا » لاتصال الجمل بحرفى العطف : الفاء وثم ، وتكرير حرف النفى التالى . و « البشرط » لتمام الكلام ، و حرف التنفيس التالى ، و « ما سقرط » لتناهى الاستفهام ، و «لاتذرج » لان التقدير : هى لواحة مع اتحاد الغرض و « للبشرج » لتمام الكلام ، ولان مابعده من تمام المقصود .

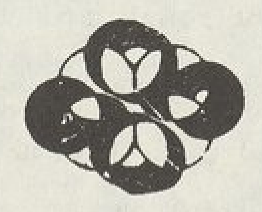
« عشر ط » لتمام الكلام و « ملائكة ص » لاتفاق الجملتين مع استقلال كل منهما بنفى واستثناء و « كفروا لا » لتعلق اللام و « المؤمنون لا »لما تقدم و « مثلا ط » لطول الكلام ، وإستيناف التالى ، و « من يشاء ط » كما سبق، و«الا هوط » لابتداء التالى ، و « للبشر ط ع » وقد يوصل على جعل « كلا » ردعاً ،

لكن الوقف هوالصواب لان « كلا » تأكيد القسم بعدها.

« القمر لا » و « أدبرلا» و « أسفر لا » و « الكبرلا » و « للبشر لا »لاتصال الكلام بالعطف والحال والتعلق ، و « يتأخر ط » لابتداء الكلام التالى،و«رهينة لا » لمكان الاستثناء ، و« اليمين ط » لفرض الاستيناف التالى ، و « فى جنات ط » على تقدير : هم فى جنات، و « يتساءلون لا » لمتعلق التالى و«المجرمين لا»لمكان الاستفهام ، و « المصلين لا » و « المسكين لا » و « الخائضين لا » و « الدين لا» لاتصال الكلام بالعطف والغاية .

و « اليقين ط » لتمام الكلام ، و « الشافعين ط » للابتداء بالاستفهام به ،و « معرضين لا » لان مابعده صفتهم ، و « مستنفرة لاى »كالمتقدم ، و « قسورة ط » لتمام الكلام ، وإضراب التالى ، و « منشرة لا » لان « كلاً » للردع عن الارادة ،و « كلا ط » لتمام الكلام بالردع ، وإضراب التالى .

و« الاخرة ط » على جعل« كلا » بمعنى حقاً ، و « تذكرة ج »لمكان الفاء والشرط ، و « ذكره ط »لتمام الكلام وإبتداء التالى ، و « يشاء الله ط »كالمتقدم.



﴿ اللغة ﴾

٤- الدثر - ٤٦٣

دثر الرسم يدثر دثوراً -من باب نصر- : قدم و درس و بلى ومحى فهو داثر ، ودثر الثوب : وسخ ، ودثر الرجل فرسه : وثب عليه فركبه ، ورجل دثور : خامل مستتر ، والداثر : الهالك والغافل ، ورجل داثر : لايعبأ بالزينة ، و سيف داثر : بعيد العهد بالصقال ، ومنه يقال للمنزل الدارس : داثر لزوال أعلامه بأن تهب الرياح على المنزل فيغشى رسومه الرمل ويغطيه .

وفى حديث أبى الدرداء : «ان القلب يدثر كما يدثر السيف فجلاؤه ذكر الله تعالى» أى يصدأ كما يصدأ السيف ، وفى الحديث : «حادثوا هذه القلوب بذكر الله فانها سريعة الدثور» يعنى أجلوها و غسلوا الرين والطبع الذى علاها بذكر الله تعالى . ودثور النفس : سرعة نسيانها ، ودثر الرجل : إذا علته كبرة واستسنان. الدثور : الكسلان والبطىء الثقيل الذى لايكاد يبرح مكانه الدثار : الثوب الذى فوق الشعار ، وفى حديث الانصار : «أنتم الشعار والناس الدثار» يعنى أنتم الخاصة والناس العامة .

تدثر يتدثر تدثراً - من باب التفعل - :لبس الدثار وهو ما فوق الشعار ويقال : إدثر يدثر فهو مدثر على طريق الادغام ، وتدثر بالثوب : اشتمل به داخلا فيه وتلفف فيه .

قال الله تعالى : «ياأيها المدثر» المدثر :١) أى اللابس الدثار وهو يتغطى به النائم .

ودثر الطائر : أصلح عشه ، و دثر النائم : غطاه بالدثار ، ومنه الحديث : «كان اذا نزل عليه صلى الله عليه وآله وسلم الوحى يقول : دثرونى دثرونى» أى غطونى بماأدفأ به . ودثر القوم: اهلكهم .

الدثر - بفتح الدال وسكون الثاء - :المال الكثير يطلق على الواحد والاثنين والجمع ، ويقال : مال دثر ، ومالان دثر ، واموال دثر . وقد يجمع فيقال :دثور، ومنه: ذهب أهل الدثور بالاجور ، وقيل : الكثير من كل شيء.والدثر -بالكسر ثم السكون- : الذى يحسن القيام على المال ، والدثر بفتح الدال والثاء- : الوسخ، يقال : من ثوبه دثر أى وسخ ، وعسكر دثر : كثير - ودثر القوم : أهلكهم .

٧٨ - النقر - ١٥٥٣

نقر ينقر نقراً - مع باب نصر - : وضع لسانه فوق الثنايا مما يلى الحنك فصوت، ونقر العود والدف: ضربه ليصوت .والنقر : قرع الشيء المفضى الى النقب. ونقر في البوق : نفخ فيه ، فأحدث صوتاً . وأصل ذلك ان النقر يقال لقرع الحجر ونحوه فيكون عنه صوت .

قال الله تعالى : «فاذا نقر في الناقور» المدثر : ٨) .

الناقور : آلة كالبوق ينفخ فيها فتصوت، وذكر الناقور في القرآن الكريم حيث يذكر الصور الذى ينفخ فيه الملك قبل القيامة ، وجمع الناقور : نواقير

ونقر فلان : قرع الابهام على الوسطى وصوت ،ونقر فلاناً : عابه ووقع فيه وذكر ما يسوئه.ونقر الطائر البيضة عن الفرخ: نقبها ،ونقر في الحر: كجتب ، ونقر الطائر الحب : التقطه من ههنا وههنا ، ونقر الخشب : نقبه و حفره ، ونقر فلان

فلان في صلاته نقر الديك أى أسرع فيها وخفف ولم يتم الركوع والسجود ، و في الحديث : «نهى عن نقرة الغراب» يريد تخفيف السجود و انه لايمكث فيه الا قدر وضع الغراب منقاره فيما يريد أكله . وفي حديث أبي ذر : «فلما فرغوا جعل ينقر شيئاً من طعامهم» أى يأخذ منه باصبعه.

المنقار: حديدة كالفأس ينقر بها الرحى، منقار الدجاجة والغراب مايلتقط به الحب . ، ونقر الطائر في الموضع : سهّله ليبيض فيه . وعبر به عن البحث يقال: نقرت عن الامـر أى بحثت فيه ، واستعير للاغتياب ، ومنه الحديث : «فنقّر عنه» أى بحث واستقصى. النقار ـ مبالغة ـ بحاث ، يقال : رجل نقار في الاخبار والامور.

النقير : النقطة التى فى وسط ظهر النواة كالثقبة فيها ، ومنها تنبت النخلة سميت بذلك اذ كانت النواة كأنما نقرت فى هذا الموطن وثقبت مـن قولهم : نقر الخشب : ثقبه بالمنقار ، ويضرب النقير مثلا فى القلة ، وفى الشيء التافه لايؤبه له ، تقول : فلان لايملك نقيراً أى ما يساوى نقيراً ، ويقال للبخيل لايبذل فقيراً ، وهؤلاء القوم ليسوا من الناس فى نقيراً وليسوا منهم فى شيء .

قال الله تعالى : «فاذاً لايؤتون الناس نقيراً ـ ولايظلمون نقيـراً» النسـاء : ٥٣ ـ ١٢٤) النقير : النكتة فى ظهر النواة ، يقال : فليس الناس بعدك فـى نقير أى ليسوا بعدك فى شيء ، ويضرب به المثل فى الشيء الطفيف .

الانتقار :الاختصاص يقال :نقر باسم فلان، وانتقر اذا سماه من بين الجماعة، يقال : انتقر القوم: دعا بعضهم دون بعض أى دعوهم دعوة خاصة ، ويقال : نقرت الرجل : اذا خصصته بالدعوة كأنك نقرت له بلسانك مشيراً اليه ويقال لتلك الدعوة: النقرى ، و انتقره : إختاره . ونقر القوم : دعاهم خاصة .

نقر عليه ينقر نقراً ـ من باب علم ـ: غضب عليه و نقرت الشاة ؛ أصابتها النقرة ، ونقر فلان ؛ ذهب ماله .

وفى الحديث : «أعوذ بالله من العقر والنقر» أى الزمانة وذهاب المال .

والنقرة - بالضم والسكون - : القطعة المذابة من الذهب والفضة يعنى السبيكة وفى حديث الزكاة : «ليس فى النقر زكاة» يريد به ماليس بمضروب من الذهب والفضة .

والنقرة أيضاً : قبة يبقى فيها ماء السيل فى الجبال . والنقرة إيضاً : الوهدة المستديرة فى الارض ، وداء يصيب الغنم والبقر فى أرجلها ، وهو إلتواء العقوبين. والنقرة : حفرة صغيرة فى الارض ومنه الحديث : «الحجامة فى النقرة تورث النسيان» يريد نقرة الرأس التى تضرب من أصل الرقبة .

النقر - بكسر النون والسكون - : النكتة فى ظهر النواة . ونقر - ككتف - : الغضبان .

المنقر - كمكرم - : اللبن الحامض جداً ، ومنقّرها أى غائرها ناقره : راجعه فى الكلام وحاجه و نازعه ، يقال : بينهما مناقرة : منازعة ومراجعة فى الكلام .

الناقرة : الداهية والحجة المصيبة جمعها نواقر .

٣٤ - البسر - ١١٨

بسره يبسر بسراً وبسوراً - من باب نصر - : أعجله ، وأظهر العبوس قبل أوانه، و فى غير وقته .

قال الله تعالى : «ثم عبس وبسر» المدثر : ٢٢) أى نظر بكراهة شديدة ، وأظهر شدة عبوسه أو كلح وتغيّر فهو باسر وهى باسرة .

قال الله تعالى : «ووجوه يومئذ باسرة» القيامة : ٢٤) أى كالحة متغيّرة قبل دخولهم فى النار كما يدل عليه قوله تعالى : «تظن أن يفعل بها فاقرة» القيامة: ٢٥).

البسر : الاستعجال بالشيء قبل أوانه ، نحو بسر الرجل الحاجة : طلبها في غير أوانها ، وبسر الغريم : تقاضاه قبل الأجل ، وبسر الدمل : عصره قبل نضجه، وبسر الفحل الناقة .ضربها قبل الضبعة أى قبل أن تطلب ، وبسر النخلة وابتسرها: لقحها قبل أوان التلقيح ؛ وتبسّر : طلب النبات أى حفر عنه قبل أن يخرج، و منه قيل كما لم يدرك من التمر : بسره .

وماء بسر : متناول من غيره قبل سكونه ، والبسر : الماء البارد ، والغض من كل شيء وروضات باسرات أى لينات طريات .

وبسر بالامر، إبتدأ، ومنه الحديث : «اللهم بك ابتسرت» أى إبتدأت سفرى، والبسرة : الشمس في أول طلوعها .

الباسور : علة تحدث في المقعد جمعه البواسير . . .

٥٦- سقر- ٧١٥

سقرته الشمس تسقره سقراً - من باب نصر - : لوّحته و أذابته ، وآلمت دماغه بحرّها . وسقرات الشمس : شدة وقعها ، مفردها : السقرة ، ويوم مسمقر: شديد الحر .

و سقر : علم لجهنم و لذلك لاينصرف للعجمة و التعريف . قال الله تعالى : « ساصليه سقر » المدثر : ٢٦)

قيل : سقر إسم لنار الاخرة ، سميت بسقر لانها تذيب الاجسام و الارواح كما تذيب النار الدهن ، من سقرته الشمس إذا أذابته ، فلا ينصرف للتانيث و التعريف . وقيل : إسم واد في جهنم شديد الحر، سئل الله تعالى أن يتنفس فتنفس فاحرق جهنم فهو غير منصرف للعجمة و التعريف

الساقور : الحر الشديد ، والحديدة تحمى على النار، ويكوى بها الحمار .

السقر : الدبس ، و السقر من جوارح الطير ، معروف لغة في الصقر ، و

السقر : القيادة على الحرم .

السقّار : الكافر و اللعّان لغير المستحقين ، و في الحديث : « و يظهر فيهم السقارون قالوا : وما السقارون يا رسول الله ؟ قال : نشء يكونون في آخر الزمان تحيتهم إذا إلتقوا التلاعن » .

٧٢ - الحمار و الحمر - ٣٦٠

حمر الرجل يحمر حمراً - بفتح الحاء و الميم - من باب علم - : صار كالحمار بلادة ، و حمر الفرس : سنق من أكل الشعير .

الحمرة : لون معروف ، و الشيء أحمر ، وهي حمراء ، ويجمعان على حمر - بالضم والسكون - قال الله تعالى: « ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها» فاطر : ٢٧) .

الحمار : حيوان أهليّ معروف ، و منه وحشيّ جمعه : حمير و حمر و أحمرة . و يعبّر عن الجاهل و العالم بلا عمل بالحمار .

قال الله تعالى : « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً » الجمعة : ٥) وقال : « كأنهم حمر مستنفرة » المدثر : ٥٠) .

و ذو الحمار : لقب الاسود العنسي الذي إدعى النبوة باليمن لانه علّم حماره أن يقول له : اسجد لربك فيسجد، ويقول له : ابرك فيبرك . وقيل له : أسود لعلاط أسود كان في عنقه .

الحمارة : الأتان، والحمارة : الصخرة العظيم ، والحجارة التي تنصب حول الحوض لئلا يسيل مائه ، وحول بيت الصائد أيضاً .

حمر السير يحمر حمراً - من باب ضرب - : قشره ، وحمر الشاة : سلخها ، وحمر الرأس ، حلقه .

وحمارة القدم : ما أشرف فوق أصابعها ، وقيل : ما أشرف بين مفصلها و

أصابعها من فوق. ومنه الحديث: «يقطع السارق من حمارة القدم». الحمراء السنة الشديدة، وشدة الحر.

إحمر الشيء إحمراراً: صار أحمر. وإحمار الشيء إحميراراً: صار أحمر، وفرّق بعضهم بينهما، فجعل الاول لما يحمر مرة واحدة نحو إحمر الثوب، و الثاني لما يحمر على التدريج نحو إحمار البسر تمييزاً للثابت من الالوان عن العارض. وقيل: إحمر الشيء فيما لزم لونه فلم يتغير من حال إلى حال، وإحمار إذا كان عرضاً حادثاً لا يثبت.

والاحمر: اللون الابيض، ومنه الحديث: «بعثت إلى الاحمر والاسود» أي إلى العجم والعرب، وقيل: أراد بالاحمر: الابيض مطلقا لان العرب تقول: إمرأة حمراء أي بيضاء.

وفي حديث الامام الحسن بن علي عليه السلام لاخيه الامام الحسين بن علي عليه السلام: «واعلم انه سيصيبني من الحميراء ما يعلم الناس من صنيعها وعداوتها لله ولرسوله» أراد بالحميراء عائشة بنت أبي بكر، سميت بذلك لبياضها وصنيعها ركوبها على بغلة، ونهيهم عن دفن الحسن بن علي عليه السلام سبط المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم كما صنعت في يوم الجمل. وفي حديث يعقوب السراج قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام و هو واقف على رأس أبي الحسن موسى عليه السلام وهو في المهد فجعل يساره فجلست حتى فرغ، فقمت إليه فقال لي: أدن من مولاك فسلم عليه فسلم عليه فرد على السلام بلسان فصيح ثم قال لي: إذهب فغيّر إسم ابنتك التي سميتها امس فانه اسم يبغضه الله و كان ولد لي ابنة سميتها بالحميراء فقال لي أبو عبدالله عليه السلام: انته إلى أمره ترشده فغيرت إسمها.

قوله عليه السلام: «فجعل يساره» أي يناجيه.

وقيل. اريد بالاحمر والاسود: العجم والعرب باعتبار غالب الوانهم. و

قيل: اريد بالاسود العرب لان الغالب على ألوان العرب السمرة والادمة، وبالاحمر العجم لان الغالب على ألوان العجم البياض والحمرة. وقيل: اريد بالاحمر والاسود الانس والجن باعتبار دم الانس وإستتار الجن.

والاحمر أيضاً: الذهب، والزعفران، واللحم والخمر، والموت الاحمر: القتل كناية عن سفك الدماء، و ربما كنوا به عن الموت الشديد. وفي الخبر: «الفقر هو الموت الاحمر» لما فيه من حمرة الدم أو لشدته. وفي الخبر «ستلقى امتي موتاً أحمر» أي شدة ومنه «سنة حمراء».

المحمّر - بصيغة إسم الفاعل والمفعول -: الناقة التي يلتوي في بطنها ولدها فلا يخرج حتى تموت. والمحمّر: الفرس الهجين المشبه بلادته ببلادة الحمار.

والحمر - بفتح الحاء والميم -: داء يعتري الدابة من أكل الشعير.

٣٠ - القسورة - ١٢٢٢

قسره على أمر يقسره قسراً - من باب ضرب -: أكرهه عليه، وقهره و غلبه. وفي الحديث: «أخذت شيئاً قسراً» أي قهراً وإكراهاً.

القسورة: الاسد. قال الله تعالى: «فرّت من قسورة» المدثر: ٥١) أي هربت من أسد، وسمي الاسد قسورة لانه يقهر السباع.

القسورة: الغلام القوي الذي إنتهى شبابه، والقسورة: الشديد من الرجال، والشجاع، والعزيز، و القوي الشاب، والرماة من الصيادين، وقيل: كل شديد قسورة.

قسور النبت: كثر، وقسور الرجل: أسنّ. وقسورة: ضرب من الشجر، و القسورة: أول الليل، وقيل: نصفه، وقيل: معظمه، وقيل: من أوله إلى السحر.

القسورة: الابل الضخم الشديد القوى ، و القسورة : نبات سهلى يطول و يعظم يحرص عليه الابل ، وتسمن به .

القيسرى : الرجل القوى ، والكبير الهرم ، وقيل : الضخم المنيع .

الاقتسار: مالاإختيارفيه وفى نهج البلاغة قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام: «مربوبون إقتساراً» أى رباهم الله تعالى من عند كونهم أجنة إلى كبرهم من غير إختيار لهم فى ذلك .



﴿ النحو ﴾

١- (ياأيها المدثر)

«يا» حرف نداء و«أي» وصلة و«ها» تنبيهية و «المدثر» إسم فاعل وقع منادى من باب التفعل، أصله: المتدثر، فابدلت التاء دالاً لتجانسهما وقرب مخرجهما، ثم ادغمت الدال في الدال، وإنما ابدلت التاء دالاً، ولم يعكس لان التاء مهموسة والدال مجهورة، والمجهور أقوى من المهموس، فكان إبدال الاضعف وإدغامه في الاقوى أولى من العكس.

٢- (قم فانذر)

«قم» فعل أمر من قام يقوم على حذف مايتعلق به أي قم من مضجعك أو قم قيام عزم وثبات وتصميم. و«فانذر» الفاء وقعت في جواب الامر بمنزلة الفاء الجزائية، و«أنذر» فعل أمر من باب الافعال على حذف المفعول أي أنذر قومك أو الناس، وقيل: أنذر عشيرتك الاقربين لمناسبته لابتداء الدعوة وقيل: اريد به الامر بالانذار من غير نظر إلى من ينذر والمعنى: إفعل الانذار.

٣- (وربك فكبر)

الواو للعطف، و«ربك» مفعول به قدّم للتخصيص والفاء دخلت على معنى جواب الجزاء أي قم فكبّر ربك وقيل: زائدة ومدخولها فعل أمر من باب التفعيل.

٤- (وثيابك فطهر)

عطف على ماتقدم و«ثيابك» مفعول به، وقيل: على حذف المضاف أي ذا ثيابك

فطهر ، والكلام في الفاء ومدخولها هو الكلام فيما سبق .

٥- (والرجز فاهجر)

«الرجز» مفعول به ، و«اهجر» فعل أمر ثلاثى من الهجر .

٦- (ولاتمنن تستكثر)

الواو للعطف و«لا» ناهية و«تمنن» مجزوم بحرف النهى ، والجملة عطف على ماتقدم ، وفى «تستكثر» وجوه : أحدها ـ مجزوم على أنه جواب أو بدل .

ثانيها ـ مرفوع ، فى موضع نصب على الحال من فاعل «لاتمنن» أى لاتمنن مقدراً الاستكثار أو ولاتمنن مستكثراً من المن . ثالثها ـ منصوب على تقدير لتستكثر أو باضمار لام كى وأن أى لأن تستكثر

٧- (ولربك فاصبر)

الواو للعطف و«لربك» متعلق بمحذوف أى خالصاً لوجه ربك ، و«فاصبر» ان الكلام فى الفاء هو الكلام فيما تقدم ، و«اصبر» فعل أمر ، على حذف مايتعلق به أى فاصبر على مهمتك ومافى طريقها .

٨- (فاذانقر فى الناقور)

الفاء سببية كانه قيل: اصبر على مهمتك، فبين أيدى المشركين والمعاندين يوم عسير يلقون فيه عاقبة عنادهم و كفرهم وطغيانهم ، وأنت تلقى عاقبة صبرك . وقيل : الفاء فصيحية ، تفصح عماينذر به فى يوم القيامة .

و«إذا» شرطية ، ظرف ، والعامل فيه وجوه :أحدها ـ مادلّ عليه «فذلك» لانه إشارة إلى النقر ، و«يومئذ» بدل من «إذا» و «ذلك» مبتداء و «يوم عسير» خبره أى نقر يوم . ثانيها ـ مادلّ عليه عسير أى تعسير ، ولايعمل فيه نفس «عسير» لان الصفة لاتعمل فيماقبلها .

ثالثها ـ أن يكون «إذا» فى موضع رفع على الابتداء ، و «فذلك» خبره على زيادة الفاء .

و «نقر» فعل ماض، مبنى للمفعول، و فى موضع «فى الناقور» وجهان: أحدهما ـ الرفع على أنه فاعل نيابى. ثانيهما ـ النصب على أن المصدر ": مقام الفاعل، فاتصل الفعل به بعد تمام الجملة، فوقع فضله، فكان فى موضع نصب. وا ـة شرطية.

٩- (فذلك يومئذ يوم عسير)

الفاء للجزاء و «ذلك» فى موضع رفع على الابتداء، وفى «يومئذ» وجوه: أحدها ـ فى موضع رفع، بدل من «ذلك» مبنى على ا''' . لاضافته إلى غير متمكن. ثانيها ـ فى موضع رفع، خبر المبتداء إلا أنه بنى على الفتح لما تقدم. ثالثها ـ فى موضع نصب، ظرف لـ «ذلك» أى فذلك يوم عسير فى يوم ينفخ فى الصور، وقيل: على تقدير: فذلك النقر فى ذلك الوقت نقر يوم عسير. رابعها ـ فى موضع رفع على أنه مبتداء و «يوم عسير» خبره والجملة خبر لـ «ذلك» ولا يعمل فى «يومئذ» عسير لان الصفة لاتعمل فيما قبل الموصوف. خامسها ـ فى موضع جر، على تقدير: فذلك فى يومئذ.

اقول: وأوجه الوجوه هو الاول، و «يوم» خبر المبتداء و «عسير» صفة الخبر والجملة جزاء للشرط.

١٠ - (على الكافرين غير يسير)

فى «على الكافرين» وجوه: أحدها ـ أن يكون متعلقاً بـ «عسير» ثانيها ـ متعلق بمحذوف وهو نعت من «عسير» أى ثابت على الكافرين. ثالثها ـ فى موضع نصب، حال من ضمير فى «عسير» رابعها ـ متعلق بـ «يسير» قيل: وهذا لايجوز لان ما يعمل فيه المضاف إليه لايتقدم على المضاف، وان «غير» فى حكم حرف النفى، فيجوز أن يعمل مابعده فيما قبله نحو: أن تقول: أنت زيداً غير ضارب، ولايجوز أن تقول: أنت زيداً مثل ضارب، فتعمل ضارباً فى زيد، وإنما أجازوا أنت زيداً غير ضارب حملاً على أنت زيداً لاضارب.

اقول: والاول هو الاوجه. و «غير يسير» نعت من «عسير» أو تأكيد له.

١١- (ذرنى ومن خلقت وحيداً)

«ذر» فى «أمرودنى» النون للوقاية، والياء للتكلم وحده وفى الواو وجهان: أحدهما - معيّة . ثانيهما - عاطفة ، فـ «من» عطف على ضمير التكلم ، و«من» موصولة فى موضع نصب ، مفعول به ، و«خلقت» صلتها على حذف العائد أى خلقته .

وفى «وحيداً» وجوه : أحدها - حال من التاء فى «خلقت» أى انى إنفردت بخلقه ولم يشركنى فيه أحد . ثانيها - حال من الضمير المحذوف أى خلقته وحده لامال ولا ولد له . ثالثها - حال من «من» أى دعنى «من خلقته حال كونه وحيداً لامال ولا بنون له . رابعها - حال من ياء التكلم فى «ذرنى» والمعنى دعنى «من خلقته حال كونى وحيداً لايشاركنى فى خلقه أحد . خامسها - منصوب على الذم أى أذم وحيداً ، وسمى وحيداً لانه الذى لايعرف أبوه وكان معروفاً بانه دعى كما اشير فى قوله تعالى : «عتل بعد ذلك زنيم» القلم : ١٣) وهوصفة الوليد . سادسها - منصوب على أنه مفعول ثان . ولايخفى ان «وحيداً» على الاول والرابع صفة من الله تعالى ، وعلى الوجوه الاخر صفة من المخلوق .

١٢- (وجعلت له مالاً ممدوداً)

الواو للعطف و«جعلت» فعل ماض للتكلم وحده ، و«له» متعلق بفعل الجعل ، و«مالاً» مفعول به ، و«ممدوداً» نعت من «مالاً» .

١٣- (وبنين شهوداً)

عطف على «مالاً» و «بنين» جمع إبن ، و «شهوداً» جمع شاهد ، نعت من « بنين » .

١٤- (ومهدت له تمهيداً)

عطف على «خلقت» و «مهدت» فعل ماض للتكلم وحده من باب التفعيل ، و «له» متعلق بفعل التمهيد ، و «تمهيداً» منصوب على المصدرية .

١٥ - (ثم يطمع ان ازيد)

« ثم » حرف عطف اريد بها التعجب والاستبعاد و « يطمع » فعل مضارع ،

فاعله ، ضمير مستتر فيه ، راجع إلى «من» و « أن » حرف ناصب و «أزيد» فعل مضارع للتكلم وحده ، منصوب بحرف الناصب على حذف المفعول والمتعلق أو التمييز أي أن أزيده في المال والبنين و ما مهدته له أو أن أزيده مالاً وبنين، و على أيّ التقديرين فالجملة في موضع نصب ، مفعول به لفعل الطمع .

١٦ - (كلا انه كان لاياتنا عنيداً)

« كلا » حرف ردع و زجر يوقف عليها ويبتدأ بما بعدها ، والمعنى ههنا: لا أزيده فيما يطمعه و « انه » حرف تأكيد ، والضمير في موضع نصب ، إسمها راجع إلى « من » و « كان » فعل ناقص ، إسمه ضمير فيه ، راجع إلى « من » و « لآياتنا » متعلق بـ « عنيداً » وهو خبر لـ « كان » والجملة في موضع رفع، خبر لحرف التأكيد .

١٧ - (سارهقه صعوداً)

السين للتسويف و « ارهق » فعل مضارع للتكلم وحده من باب الافعال ، والضمير الغائب المتصل في موضع نصب ، مفعول به ، و « صعوداً » حال من ضمير التكلم أي حال كوني مصعداً به من شدة إلى أشد منها ، و قيل : حال من ضمير الغائب أي حال كونه صاعداً الشدة حالاً بعد حال .

١٨ - (انه فكر و قدر)

«فكر» فعل ماض من باب التفعيل ، في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، و « قدر » كـ « فكر » عطف عليه . و في الكلام حذف أي فكر في نفسه و قدّر لديه كلاماً .

١٩ - (فقتل كيف قدر)

الفاء للعاقبة ، ومدخولها فعل ماض ، مبني للمفعول ، و « كيف» في موضع نصب على الحال ، اريد به التعجب والاستعظام . أي على أيّ قدر .

٢٠ - (ثم قتل كيف قدر)

عطف على ماتقدم وجيىء بحرف « ثم » لتأكيد الدعاء السابق ، واستمرار الدعاء و قيل : « ثم » للتراخى أى فقتل بضرب من العقوبة ، ثم قتل بضرب آخر من العقوبة

٢١ - ٢٣ - (ثم نظر ثم عبس و بسر ثم أدبر و استكبر)

ثمّات الثلاث للمهلة ، و «أدبر» فعل ماض من باب الافعال ، و « استكبر » فعل ماض من باب الاستفعال .

٢٤ - (فقال ان هذا الا سحر يؤثر)

ألفاء للتفريع ، و « إن » حرف نفى ، و « هذا » مبتداء و « إلاّ » حرف استثناء و « سحر » خبر المبتداء و «يؤثر» فعل مضارع ، مبنيّ للمفعول من الاثر أو من الايثار ، فى موضع رفع ، نعت من « سحر » .

٢٥ - (ان هذا الا قول البشر)

تركيب الاية ظاهر من الاية المتقدمة .

٢٦ - (ساصليه سقر)

السين للستويف و مدخولها فعل مضارع للتكلم وحده ، والضمير الغائب فى موضع نصب ، مفعول أول ، و « سقر » مفعول ثان ، و قيل : منصوب بنزع الخافض أى فى سقر ، و « سقر » غير منصرف للعجمة والعلمية ، والجملة بيان أو بدل من قوله تعالى : « سارهقه صعوداً » .

٢٧ - (و ما أدراك ما سقر)

« ما » إستفهامية ، فى موضع رفع ، مبتداء و « أدراك » فعل ماض من باب الافعال والكاف فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة خبر المبتداء ، و «ما» مبتداء و « سقر » خبره .

٢٨ - (لا تبقى و لا تذر)

فى موضع « لا تبقى » وجوه . أحدها - رفع ، صفة من « سقر » ثانيها -

نصب ، حال من « سقر » والعامل فيها معنى التعظيم . ثالثها ـ مستأنف أى هى لا تبقى . رابعها ـ خبر بعد خبر ا « ما » .

أقول : والاول هو الا وجه ، وعلى أى تقدير «لاتبقى» فعل مضارع لغيبة التأنيث باعتبار « سقر » من باب الافعال ، منفى بحرف النفى ، و « لاتذر » عطف على « لا تبقى » .

٢٩ ـ (لواحة للبشر)

« لوّاحة » صيغة مبالغة كعلاّمة ، بالرفع خبر لمحذوف أى هى لواحة ، والجملة نعت من « سقر » وقيل: « لواحة » بمفردها صفة ثالثة ا «سقر» وبالنصب على الاختصاص للتهويل ، و قيل : حال من الضمير فى « لا تبقى » و « للبشر » متعلق بـ« لواحة » .

٣٠ ـ (عليها تسعة عشر)

« عليها » متعلق بمحذوف ، و هو خبر مقدم ، و « تسعة عشر » فى موضع رفع، مبتداء مؤخر ، وبنى « تسعة عشر » لتضمنه معنى الحرف، وهو واو العطف لان الاصل فيه : تسعة وعشر . ولماحذفت الواو تضمنا معنى الحرف فبنيا لذلك ، و بنيا على حركة تمييزاً لهما عما بنى ، وليس له حالة إعراب ، وبنيا على الفتح لانه أخف الحركات .

وحذف المميز والتقدير : تسعة عشر ملكاً وهم خزنتها والجملة فى موضع رفع ، نعت رابع من « سقر » .

٣١ ـ (وماجعلنا أصحاب النار الا ملائكة وماجعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب و يزداد الذين آمنوا ايماناً ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض و الكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وما يعلم جنود ربك الا هو و ما هى الا ذكرى للبشر) .

الواو للاستيناف ، و « ما » نافية و « جعلنا » فعل ماض للتكلم مع غيره و «أصحاب» جمع صاحب اضيف إلى «النار» مفعول أول و « الا » حرف استثناء و « ملائكة » مفعول ثان ، والواو الثانية عاطفة و «عدتهم» مفعول أول ، وضمير الجمع راجع إلى « أصحاب النار » و « فتنة » مفعول ثان ، و « للذين » متعلق بمحذوف و هو نعت من « فتنة » و « كفروا » صلة الموصول .

« ليستيقن » اللام للغاية و هي تفيد التعليل ، و مدخولها فعل مضارع من باب الاستفعال ، منصوب بأن مقدرة و « الذين » موصولة في موضع رفع ، فاعل الفعل ، و « اوتوا » فعل ماض لجمع الغائب المذكر ، مبنى للمفعول من باب الافعال ، صلة للموصول ، و « الكتاب » مفعول ثان اقيم مقام المفعول الاول ، « ويزداد » الواو للعطف ، و مدخولها فعل مضارع ، منصوب بـ « أن » مقدرة عطفاً على « ليستيقن » و « الذين » فاعل الفعل ، و « آمنوا » صلة الموصول فعل ماض من باب الافعال ، و « ايماناً » مفعول به لـ « يزداد » و قيل : منصوب على المصدرية .

« و لا يرتاب » الواو للعطف و « لا » للنفي و « يرتاب » فعل مضارع من باب الافتعال أصله : يرتيب ، فنقلت الكسرة على الياء ، فحذفت الكسرة و إنقلبت الياء ألفاً لكونها في موضع الحركة و فتح ما قبلها و « يرتاب » منصوب بـ «أن» مقدرة عطفاً على « ليستيقن » و « الذين » فاعل الفعل ، و « المؤمنون » عطف على « الذين » .

«وليقول» الواو للعطف واللام للعاقبة، وقيل: هي للغاية كاللام في «ليستيقن» ولكنه ليس بشيء للفرق بين الغاية والعاقبة ، وذلك لان قوله تعالى حكاية عنهم: «ماذا أراد الله بهذا مثلاً» تحقير وتهكم وهو كفر لايعد غاية لفعله تعالى إلا بالعرض بخلاف الاستيقان الذي هو من الايمان ، ولعل إختلاف المعنيين هو الموجب لاعادة اللام في «ليقول» وهو منصوب بأن مقدرة ، و «الذين» في موضع رفع ، فاعل

الفعل ، و«في قلوبهم» متعلق بمحذوف ، وهو خبر مقدم ، و«مرض» مبتداء مؤخر ، والجملة صلة الموصول ، و«الكافرون» عطف على «الذين» .

«ماذا» «ما» إسمية إستفهامية ، متضمنة معنى الحرف ، ومعناها : أي شيء ، في موضع نصب ، مفعول به لـ«يقول» ويحتمل أن يكون في موضع رفع ، مبتداء و «ذا» خبره ، و«أراد» فعل ماض من باب الافعال ، و «الله» فاعل الفعل . قيل٠٠ ان الجملة في موضع رفع ، خبر لـ«ما» و «بهذا» متعلق بفعل الارادة و «مثلاً» منصوب على التمييز ، وقيل : مفعول به لفعل الارادة « كذلك » في موضع نصب أي مثل ذلك المذكور من الاضلال والهدى ، يضل و يهدى ، و قيل : إشارة إلى مضمون قوله تعالى : «وماجعلنا عدتهم إلافتنة» الخ و«يضل» فعل مضارع من باب الافعال و «الله» فاعل الفعل و«من» موصولة في موضع نصب ، مفعول به و«يشاء» صلتها على حذف العائد أي يشائه ، و«يهدى» عطف على «يضل» والكلام في «من يشاء» ظاهر مما تقدم .

«وما يعلم» الواو للاستيناف و«ما» نافية و«يعلم» فعل مضارع و«جنود» جمع جند اضيف إلى «ربك» مفعول به ، و«إلاّ» حرف إستثناء و «هو» فاعل الفعل ، قدّم المفعول على الفاعل ليعود الضمير إلى مذكور ، وهذا من مواضع يجب تقديم المفعول على الفاعل .

«و ماهي إلاّ ذكرى للبشر» الواو للاستيناف و «ما» نافية ، و «هي» مبتداء وفي إرجاعه وجوه : أحدها ـ راجع الى «سقر» ثانيها ـ راجع إلى الايات المتقدمة . ثالثها ـ راجع إلى «عدة» في قوله تعالى : «وما جعلنا عدتهم» أي ان هذه العدة هي موضع ذكرى وعبرة للناس ، رابعها ـ راجع إلى ما تقدم من قوله تعالى : «عليها تسعة عشر» وتأنيث الضمير باعتبار الخبر أي ان الاخبار بعدد خزنة النار من تسعة عشر ذكرى لهم . خامسها ـ راجع إلى «جنود ربك» سادسها ـ راجع إلى هذه السورة . سابعها ـ راجع إلى نار الدنيا . و «ذكرى» خبر المبتداء و «للبشر» متعلق بذكرى ، وقيل : متعلق بمحذوف وهو نعت من «ذكرى» و الجملة نعت

خامس من «سقر» .

٣٢ - (كلا والقمر)

« كلا» استفتاحية بمعنى «ألا» والوا وقسمية و «القمر» مجرور بها . وقيل: «كلا» صلة للقسم والتقدير: أي والقمر . وقيل : معناها «حقا» تاكيد للقسم التالي وعلى أي التقادير الثلاث فلا يوقف عليها. وقيل :ردع لما تقدم لانهم لايتذكرون ما جعله الله تعالى ذكرى لهم . وقيل : ردع لما يأتي حيث ينكرون ماهي إحدى الكبر نذيراً للبشر . وعلى هذين التقديرين فيوقف عليها .

٣٣- (والليل اذا أدبر)

الوا وللعطف ، و «الليل» مجرور ، عطفا على « القمر » و«إذ» بمنزلة «إذا للاستقبال و«أدبر» فعل ماض من باب الافعال .

٣٤- (والصبح اذا أسفر)

«إذا» شرطية للاستقبال ، والباقي ظاهر .

٣٥ - (انها لاحدى الكبر)

حرف تأكيد ، والضمير في موضع نصب إسمها ، راجع إلى «سقر» أي ان سقر التي جرى ذكرها لاحدى البلايا العظام والدواهي التي لايعادلها غيرها من الدواهي . وقيل : إن الضمير راجع إلى تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم وماجاء بهم .وقيل: راجع إلى قيام الساعة . و«لاحدى الكبر» اللام للتأكيد ، ومدخولها خبر لحرف التأكيد «ان» اضيف إلى «الكبر» و هي جمع الكبرى ، والجملة جواب للقسم

وقيل : « كلا» ردع لقوله في القرآن : «إن هو إلا سحر يؤثر ان هذا قول البشر» فالضمير في «انها» راجع إلى القرآن باعتبار إشتماله الايات الكريمة أو باعتبار تأنيث الخبر والمعنى : ليس كما قال اقسم بكذا و كذا ان آيات القرآن لاحدى الايات الالهية الكبرى . و قيل : إن جملة «انها لاحدى الكبر» تعليل

للردع ، والقسم معترض للتأكيد لاجواب له ، أو جوابه مقدر يدلّ عليه «كلا»

٣٦ - (نذيراً للبشر)

في نصب «نذيراً» وجوه : أحدها - حال من ضمير الفاعل في «قم» في أول السورة أي قم منذراً للبشر فانذر ، فالكلام متصل بأول السورة . ثانيها - حال من الضمير في «فانذر» حال مؤكدة ، فالنذير بمعنى الانذار أي فانذر إنذاراً للبشر. وقيل : نصب على المصدرية ، وذلك لانه لما قال : «انها لاحدى الكبر» دلّ على أنه أنذرهم بها إنذاراً . وقيل : «نذيراً» مصدر بمعنى الانذار كالنكير بمعنى الانكار، ولذلك يوصف به المؤنث .

ثالثها - حال من الضمير في «إحدى الكبر» الذي يعود الى الهاء في «انها» وهي كناية عن النار ، والمعنى : انها لكبيرة في حال الانذار ، وإنما ذكره لان معناه معنى العذاب ، ويجوز أن يكون التذكير على قولهم : «إمرأة طالق» أي ذات طلاق ، وكذلك نذير بمعنى ذات إنذار على معنى النسب . رابعها - حال من نفس «إحدى». خامسها - حال من «الكبر» وقيل : حال من الضمير في «الكبر» سادسها - حال من إسم «ان» . سابعها - على تقدير : انها لاحدى الكبر لانذار البشر . فمنصوب بنزع الخافض .

ثامنها - حال مما دلت عليه الجملة تقدير : عظمت عليه نذيراً . تاسعها - حال من الفاعل في «وما جعلنا أصحاب النار» أي منذراً بذلك البشر . عاشرها - حال من «هو» في قوله تعالى : «الاهو» . الحاديعشر - منصوب باضمار فعل أي صيرها الله نذيراً أي ذات إنذار ، وقيل : على تقدير أعني نذيراً للبشر .

الثاني عشر - تمييز من إحدى الكبر أي انها لاحدى الدواهي إنذاراً كما تقول : هي إحدى النساء عفافاً . أي ان سقر هي إحدى الكبر من جهة الانذار و التخويف بها .

٣٧- (لمن شاء منكم ان يتقدم أو يتأخر)

«لمن شاء» بدل من «للبشر» باعادة الجار، فالجار والمجرور متعلق بـ«نذيراً» والمعنى: انها منذرة للذين إن شاؤا تقدموا . . . و «أن يتقدم» فعل مضارع من باب التفعل، في موضع نصب، مفعول به لـ«شاء» و«يتأخر» عطف على «يتقدم» بحرف التخيير، وقيل: «لمن» متعلق بمحذوف وهو الخبر المقدم، و «أن يتقدم» بعد إنسباكه إلى المصدر، مبتدأ مؤخر، كقولك: لمن توضأ أن يصلي.

٣٨ - (كل نفس بما كسبت رهينة)

«كل نفس» مبتداء و«بما» متعلق بـ«رهينة» و «ما» موصولة و «كسبت» صلتها على حذف المفعول أي كسبته، وتأنيث الفعل باعتبار تأنيث النفس، «رهينة» خبر المبتداء. قال النحويون: ان التاء في «رهينة» ليست للتأنيث لان فعيلاً بمعنى مفعول، يستوي فيه المذكر والمؤنث: و إنما هي إسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم، فلو قصدت الصفة لقيل: رهين. وقيل: إن التاء للمبالغة.

٣٩ - (الا أصحاب اليمين)

«الا» حرف استثناء و «أصحاب» جمع صاحب من جموع القلة، اضيف إلى «اليمين» منصوب بالاستثناء على تقدير: استثنى من كل نفس، أصحاب اليمين. ولو كانوا هم من متوسطي المؤمنين الذين يؤتون كتابهم بأيمانهم يوم القيامة فالاستثناء متصل، وإن كانوا هم المقربين فالاستثناء منقطع فانهم لا يحاسبون يومئذ.

٤٠ - (في جنات يتساءلون)

في «في جنات» وجوه: أحدها ـ متعلق بمحذوف، وهو الخبر، على حذف المبتداء أي هم كائنون في جنات. ثانيها ـ حال من «أصحاب اليمين» أي حال كون أصحاب اليمين مستقرين في جنات. ثالثها ـ حال من الضمير في «يتساءلون» أي حال كونهم ثابتين في جنات. و«يتساءلون» فعل مضارع لجمع الغائب المذكر من باب التفاعل أي يتساءلون بينهم. و قيل: ان الجملة في موضع نصب حال من

«أصحاب اليمين» وقيل : نعت منهم .

٤١ - (عن المجرمين)

متعلق بـ«يتساءلون» .

٤٢ - (ما سلككم فى سقر)

«ما» اسم إستفهام،فى موضع رفع،مبتداء ،و«سلككم» فعل ماض وضمير الجمع المخاطب فى موضع نصب، مفعول به ؛ والجملة خبر المبتداء ، و «فى سقر»متعلق بـ«سلك» .

٤٣ - (قالوا لم نك من المصلين)

«قالوا» فعل ماض لجمع الغائب المذكر، و «لم» حرف جحد و «نك» فعل مضارع ناقص للتكلم مع الغير مجزوم بحرف الجحد،مع حذف النون ، أصله : لم نكن فحذفت لعدم ضمير الوصل والسكون بعدها ، وإسمها ضمير مستتر فيه لزوماً ، و «من المصلين» خبرها ، والجملة مقولة القول ،وهى جواب عن السئوال .قيل: ان الجملة سدت مسد الفاعل .

٤٤ - (ولم نك نطعم المسكين)

عطف على ما تقدم ، و «نطعم»فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب الافعال، فى موضع نصب ، خبر لفعل الناقص ، و «المسكين» مفعول به .

٤٥ - (وكنا نخوض مع الخائضين)

الواو للعطف و «كنا» فعل ماض للتكلم مع الغير عطف على «لم نك» من عطف المثبت على المنفى و«نخوض» فعل مضارع للتكلم مع الغير فى موضع نصب، خبر لفعل الناقص ، و «مع الخائضين» متعلق بـ«نخوض» ، و «الخائضين» جمع الخائض إسم فاعل .

٤٦ - (وكنا نكذب بيوم الدين)

عطف على ما قبله، و «نكذّب» فعل مضارع للتكلم مع الغير فى موضع نصب،

خبر لفعل الناقص ، و «بيوم الدين» متعلق بـ «نكذب» .

٤٧ - (حتى أتانا اليقين)

«حتى» للغاية و «أتى» فعل ماض ثلاثيّ ، و «نا» ضمير تكلم مع الغير، في موضع نصب ، مفعول به ، و «اليقين» فاعل الفعل .

٤٨ - (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)

الفاء للغاية ،وقيل : للعاقبة ، ومدخولها حرف نفي ، و «تنفع» فعل مضارع، و تأنيثه باعتبار تأنيث فاعله ، وضمير الجمع الغائب في موضع نصب ، مفعول به ، و «شفاعة» فاعل الفعل ، اضيف إلى «الشافعين» إسم فاعل ، جمع الشافع .

٤٩ - (فمالهم عن التذكرة معرضين)

الفاء للتفريع ، و «ما» إسم إستفهام ، في موضع رفع ، مبتداء و «لهم» متعلق بمحذوف وهو الخبر ، و «عن التذكرة» متعلق بـ «معرضين» و «تذكرة» مصدر لباب التفعيل كالتبصرة ، و «معرضين» حال من الضمير في «لهم» و العامل مافي اللام من معنى الفعل، فانتصب الحال على معنى الفعل نحو : مالك قائماً .والمعنى: أيّ شيء ثبت لهم معرضين عن التذكرة .

٥٠ - (كأنهم حمر مستنفرة)

«كأن» من حروف مشبهة بالفعل ، وضمير الجمع في موضع نصب ، إسمها، و «حمر» جمع حمار ، خبرها و «مستنفرة» إسم فاعل من باب الاستفعال ؛ نعت من «حمر» وتاء التأنيث باعتبار جماعة الحمار ، والجملة في موضع نصب حال بعد حال من الضمير في «لهم» أي، شابهبن حمراً . وقيل : حال من «معرضين» فالجملة حال من حال . وقيل : بدل من «معرضين»

٥١ - (فرت من قسورة)

«فرّت» فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى جماعة الحمار و

«من قسورة» جمع قسور ،متعلق بـ«فرت» والجملة في موضع رفع ، نعت ثان من «حمر» وقيل ، في موضع نصب حال على تقدير : وقد. وقيل : خبر بعد خبر ا «حمر» .

٥٢ - (بل يريد كل امرى منهم ان يؤتى صحفا منشرة)

«بل» إضرابية و«يريد» فعل مضارع من باب الافعال ، و «كل» اضيف إلى «امرىء» فاعل الفعل : و «منهم» متعلق بـ«يريد» و «أن» حرف ناصب و «يؤتى» فعل مضارع ، محله النصب بحرف الناصب ، من باب الافعال ، مبنى للمفعول ، و «صحفاً» جمع صحيفة، مفعول ثان ، قام مقام المفعول الاول ، و «منشرة» إسم مفعول من باب التفعيل ، نعت من «صحفاً» وتاء التأنيث باعتبار جماعة الصحف ، والجملة في موضع نصب ، مفعول به لفعل الارادة .

٥٣ - (كلا بل لايخافون الاخرة)

« كلا» حرف ردع و زجر ، يوقف عليها ، ويبتدأ الكلام بعدها ، و «بل» للاضراب و«لا» حرف نفى و «يخافون» فعل مضارع لجمع الغائب المذكر ،منفى بحرف النفى ، و «الاخرة» مفعول به .

٥٤ - (كلا انه تذكرة)

« كلا» إستفتاحية بمعنى «ألا» وقيل : بمعنى «حقاً» أى حقاً ان القرآن عظة بليغة وتذكر شاف. وقيل :حرف ردع .و«انه» حرف تأكيد ، والضمير في موضع نصب ، إسمها راجع إلى القرآن ، و «تذكرة» خبرها .

٥٥- (فمن شاء ذكره)

الفاء للتفريع، ومدخولها إسم شرط و «شاء» فعل الشرط و «ذكره» جزائه والضمير في موضع نصب ، مفعول به .

٥٦ - (وما يذكرون الا أن يشاءالله هو أهل التقوى واهل المغفرة)

الواو للاستيناف ، و«ما» حرف نفي، و«يذ كرون» فعل مضارع لجمع الغائب المذكر ، على حذف المفعول ، أي ولايذ كرونه ، و«إلاّ» حرف استثناء و «أن» حرف ناصب ، و «يشاء» فعل مضارع منصوب بـ «أن» و «الله» فاعل الفعل ، و «هو» مبتداء و «أهل التقوى» خبره ، و «أهل المغفرة» عطف على «أهل التقوى».



﴿البيان﴾

١- (يا أيها المدثر)

خطاب تلاطف و تأنيس من الله جل وعلا إلى حبيبه صلى الله عليه وآله وسلم إذ ناداه بحاله و عبّر عنه بصفته ، ولم يقل : يامحمد ويا أيها الرسول ؛ ويا أيها النبي . . .ليستشعر اللين و الملاطفة من ربه ، فنودى باسم مشتق من صفة كان عليها تأنيساً له بعد إتهامه :انه مسحور .

ومن عادة العرب إذاقصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هوفيها كقول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم لامير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام وقدترب جنبه : قم أباتراب .

فلو ناداه صلى الله عليه وآله وسلم الله تعالى وهو صلى الله عليه وآله وسلم فى تلك الحال من الكرب باسمه أ بالامر المجرد من هذه الملاطفة لهاله ذلك ، ولكن لمابدىء بيا أيها المدثر أنس وعلم أن ربه راض عنه ، ألاتراه كيف قال صلى الله عليه وآله وسلم عند مالقى من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب مالقى : « رب إن لم يكن بك غضب علىّ فلا ابالى . . . . الدعاء » فكان مطلوبه رضاربه ، و به كانت تهون عليه الشدائد .

ان تسئل : كيف ينتظم : « يا أيها المدثر » مع « قم فانذر » وماالرابط بين المعنيين حتى يلتئما في قانون البلاغة ، ويتشا كلافى حكم الفصاحة ؟

نجيب : ان من صفة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ماوصف به نفسه إذ قال . « أنا النذير العريان » و هذا مثل معروف عند العرب ، يقال لمن أنذر بقرب العدو و

بالغ فى الانذار : هو النذير العريان . وذلك ان النذير الجاد يجرد ثوبه ، وهو يشير به إذا خاف أن يسبق العدو صوته . و قدقيل : إن أصل المثل لرجل من خثعم ، سلبه العدو ثوبه ، و قطعوايده ، فانطلق إلى قومه نذيراً على تلك الحال .

فقول رسول الله ﷺ : «أنا النذير العريان» أى مثلى مثل ذلك ، والنذير بالثياب مضاد للتعرى ، فكان فى قوله : «ياأيها المدثر» مع قوله : «قم فانذر» و النذير الجاد يسمى العريان تشاكل بين و التئام بديع ، و سياقه فى المعنى و جزالة فى اللفظ .

و يصح أن يكون المدثر كناية عن مستريح الفارغ لانه فى أول البعثة كانه يقول له : قد مضى زمن الراحة وجاء تلك المتاعب والتكاليف وهداية الناس ويؤيده قوله تعالى: «انا سنلقى عليك قولاً ثقيلا» المزمل: ٥)وهذا لاينافى إرادة الحقيقة و أمر التلطف و التأنيس ، وجد الامر . فتأمل واغتنم جداً .

٢- (قم فانذر)

أول أمر صريح للنبى الكريم ﷺ بالقيام بمهمة دعوة عامة الناس وإنذارهم ، ورسم الخطة التى يجب عليه ﷺ اتباعها فى ذلك ، فالمراد بالامر هو الامر بالانذار من غير نظر إلى من ينذر ، فالمعنى : إفعل الانذار . وإن كان فى حذف المفعول دلالة على عموم رسالته ﷺ فترك لئلايتوهم باختصاصها بقوم دون قوم كمازعم بعض الامراء المستكبرين ، والاغنياء المترفين . ولم يذكر التبشير مع الانذار مع أنهما كالمتلازمين فى تمام الدعوة لان السورة ممانزل فى إبتداء الدعوة والانذار هو الغالب إذ ذاك .

٣- (وربك فكبر)

فى إضافة الرب إلى ضمير الخطاب للنبى الكريم ﷺ دلالة على أن التكبير من شئون التربية كما أن الصبر فى قوله تعالى : «ولربك فاصبر» المدثر : ٧) كذلك ، وإشعار إلى تأييده تعالى ﷺ على مهمته ، وتطييب لنفسه بانه فى حمايته

و كفائته فلايدعه وشأنه .

وفى تقديم المفعول دلالة على الانحصار ، كما أن فى الفعل من التفعيل دلالة على التكثير والمداومة ، وهذا تنزيهه جل وعلا من أن يعادله شيء ولاوصف يحدّه ، فلايشاركه شيء . وقيل : إن التعبير عنه تعالى بـ«ربك» مشعر بأن توحيده تعالى يومئذ كان يختص برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وهذا غير وجيه ، إذ من غير مراء ان علياً عليه السلام وخديجة زوجة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كانا يعبدان الله تعالى وحده ، ولايشركان به شيئاً ، من غير فصل زمان بين النبوة وايمانهما ، وإنما كان قبل نزول هذه السورة بلاريب .

ولايخفى ان الفرق بين التكبير «الله اكبر» والتسبيح «سبحان الله» إن الاول تنزيه مطلق له تعالى عن كل وصف نصفه به ، سواء كان عدمياً أم وجودياً حتى من نفس هذا الوصف لما أن كل مفهوم محدود فى نفسه لا يتعدى إلى غيره من المفاهيم و ان الله جل وعلا لا يحيط بحدّ ، و الثانى تنزيه له تعالى عن كل وصف عدمى مبنىّ على النقص كالموت و العجز و الجهل و ما إليها من صفات النقص .

٤- (وثيابك فطهر)

قيل : إن الثياب ههنا كناية عن النفس أو الافعال الراجعة إلى النفس ، يقال : فلان طاهر الثياب أى طاهر النفس أو طاهر الافعال ، فكأنه تعالى قال : ونفسك أو أفعالك فطهر . على أن العمل بمنزلة الثياب للنفس بمالها من الاعتقاد فالظاهر عنوان الباطن ، وكثيراً ما يكنّى فى كلامهم عن صلاح الافعال بطهارة الثوب و عن إصلاحها بتطهيره . و لكن حمل لفظى الثياب والتطهير على ظاهره مؤيد بظاهر السياق و بالروايات الواردة .

٥ - (والرجز فاهجر)

تأكيد لماقبله على تأويله بتزكية النفس وإصلاح الاعمال .. وان الخطاب

و ان كان متوجهاً بدءاً إلى النبى الكريم ﷺ ولكن المقصود منه امته وخاصة دعاة دينه و قادة المسلمين .

٦ - (و لا تمنن تستكثر)

وهذا من أجمل الاخلاق و أشرف الآداب الاسلامية ، يجب أن يكون قدوة لدعاة الدين و حماة الاسلام من غير منّ فى مهمتهم ولا إستكثار ، و هذه الخطة و إن كانت قد رسمت للنبى ﷺ ولكنها متوجهة إلى كل صاحب دعوة إصلاح وصاحب شأن ممن يتولون فى الامة الاسلامية الزعامة والتوجيه والارشاد والاصلاح.

٧ - (و لربك فاصبر)

فى اللام ، و ايثار كلمة « رب » و إضافتها إلى ضمير الخطاب للنبى ﷺ وتقديمها على متعلقها دلالة على الحصر والاختصاص ، وان الصبر من شئون القريبة وان النبى ﷺ فى حمايته جل وعلا و كفائته، فيجب أن يختص بدافع رضا الرب، فلا يصبر لنفسه لانها تستحيله، ولا لغيره فيسترضيه، إنما هو لربه وحده ليرضاه لانه ربه

والفاء للسببية فكأنه قال : اصبر على مهمتك ، وفى طريقها أذى المعاندين فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم ، وتلقى أنت عاقبة صبرك على أمرك، و ان الصبر والثبات فى المهمة كافلان للنجاح فيها ، و لابد للدعاة منهما ، ومن البعد عن كل فحش و إثم و بذاءة و مظهر مستنكر ، ولا بدلهم من إلتزام هذه الخطة ، فانها من أقوى وسائل نجاح الدعوة الاسلامية .

٨ - (فاذا نقر فى الناقور)

الفاء تعقيبية جائت عقيب أمر الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ بالصبر الذى كان فى معرض التثبيت والتطمين ، و مؤكدة له ، فعليه ﷺ الصبر على موقف المعاندين والمكذبين برسالته الذين سوف يكون حسابهم عسيراً يوم الجزاء الاخروى . و قيل : الفاء للتسبيب ، و قيل : فصيحية و يراد بما بعدها الافصاح عما تضمنه الكلام قبلها من إشارات و تلميحات ، فجاء قوله تعالى : « فاذا نقر-

إلى- غير يسير» مفصحاً عما ينذر به من يوم القيامة ، وما يلقى فيه أهل الضلال والتكذيب ، أهل الباطل والعصيان ، و أهل الفساد و الطغيان . . . من أهوال و شدائد . . .

و ان العامل فى «إذا» ما دلّ عليه قوله تعالى : « فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين» فانمعناه عسر الامرعلى الكافرين. وان النقر فى الناقور كناية عن بعث الموتى وإحضارهم لفصل القضاء يوم الجزاء ، يوم الموقف العصيب العسير الذى سوف يواجهه المكذبون حينما يبعث الناس يوم القيامة .

٩ - (فذلك يومئذ يوم عسير)

إشارة إلى وقت النقر وموقف المعاندين ، ومعنى البعد فيها مع قرب العهد بالمشار إليه ايذان ببعد منزلته فى الهول والفظاعة .

١٠ - (على الكافرين غير يسير)

فيه من تعليق الحكم على الوصف ما لا يخفى ، و ذكره بعد الاية السابقة رفع توهم أن يراد بعسير ، عسير يرجى تيسيره كما يرجى تيسير العسير من الامور الدنياوية كقوله تعالى : « إن مع العسر يسراً » .

«غير يسير» وصف ثان ليوم مؤكد لعسره على الكافرين ، و يفيد ان اليوم عسير عليهم من كل وجه لا من وجه دون وجه ، و يشعر بيسره على المؤمنين .

١١ - (ذرنى و من خلقت وحيداً)

تثبيت للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فليترك لله تعالى هذا الجاحد العنيد ، فانه جل وعلا هو الكفيل بالنكال والبلاء عليه، وتهديد و وعيد شديد لهذا المغتر المتمرد الطاغى الذى لانسب له و لا يعرف له أب ، و تسلية للنبى صلى الله عليه وآله وسلم .

وفى الاية وتاليها :تصوير لاحد الزعماء المغترين ، والاغنياء المترفين بوفرة المال و كثرة البنين والتمكن ، وهوطامع بأن يجد عندالله تعالى المزيد من ذلك مع عناده لآيات الله جل وعلا رغم ما أغدقه عليه من نعمه تعالى فلايكون

له ذلك و لا يجد إلاّ الصعاب والمشاق . . .

و إنما خصّه بالذكر طعناً عليه في نسبه كما في قوله تعالى : « عتل بعد ذلك زنيم » القلم : ١٣) والوحيد الذي لا أب له .

و فيها : دلالة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ يلقى منذ بدء البعثة صداً و عناداً من زعماء قريش و أثريائهم ، و ان التشاد أخـذ يستمر بينه و بينهم منذ عهد مبكر ثم إستمر ، ودلالة على إستمرار النبي صلى الله عليه وآله وسلم في إتصاله بمختلف طبقات قريش و زعمائهم بسبيل مهمته ، و عدم قطعه الصلة بالمرة بينه و بينهم .

و فيها : تلقين مستمر المدى فالانسان الذي يسبغ الله عليه نعمه الكثيرة فيقويه ويغنيه ويعلي جاهه وشأنه حري بأن يكون أولى الناس بالاعتراف بجميله والقيام بما يأمره به من واجبات نحوه و نحو خلقه .

١٤ - ١٢ - (وجعلت له مالاً ممدوداً وبنين وشهوداً ومهدت له تمهيداً)

تهديد لهذا المغتر الطاغي بذهاب هـذا المال و فقـد هـؤلاء الابناء كما ذهبت أموال كثيرين و مات أبناء كثيرين . . .

١٥ - (ثم يطمع ان ازيد)

إستبعاد وتعجب من حرص هذا المغتر الباغي على الزيادة بعد أن لم يعرف حق بعض ماأوتي ولا حق المنعم ، و إستنكار لطمعه ، إمالانه لامزيد على ماأوتي سعه و كثيرة ، وإما لانه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم .

١٦- (كلا انه كان لاياتنا عنيداً)

ردع وزجر لهذا المغتر المكذب بآيات الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم عن طمعه الفارغ ، و تيائيس عن تكالبه على جمع حطام الدنيا ، و قطع لرجائه الخائب ، و رد على امنياته وتوقعاته بان يزداد مالاً و بنين ، بل ان مامعه سيأخذ منذ اليوم في النقصان . كما قيل: مازال الوليد بعد نزول هذه الاية في نقصان من ماله و ولده حتى ذهب كل ماله ، وهلك جميع ولده وهو يرى ذلك فيتقطع قلبه حسرة و كمداً . و قد

رأينا فى أيامنا كثيراً من الاغنياء المترفين ، والاثرياء المغترين كيف تقطعت قلوبهم حسرة و كمداً بذهاب أموالهم ، و تشتت جمعهم و حيرة أسرهم و هلاك أنفسهم . . . عصمنا الله تعالى و ذريتنا من تلك الذلـة والحيران ، و هذا الشقاء والخسران بحق محمد وأهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين.

قوله تعالى : « انه كان لآياتنا عنيداً » مستأنف بيانى، سيق لتعليل الردع على وجه الاستيناف التحقيقى إذ معاندة آيات المنعم مع وضوحها و كفران نعمته مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية ، و إنما أوتى ما اوتى إستدراجاً . فكأنه قيل : لم لا يزداد ؟ فقيل لعناده و تصميمه على ما هو عليه الموجب لسلب النعمة فكيف الزيادة .

و فى الجملة : ايماء بانه كان مصمماً بالعناد مع كونه عارفاً بانها حق نزل من الله تعالى و كان كفره كفر عناد ولجاج، فانه كان يعرف الحق بقلبه وينكره بلسانه ، و هذا أقبح أنواع الكفر ، فمن كان كذلك و يعاند الحق ، فجدير بزوال النعم ، وايماء على إستمرار المعاند على عناده، فانه خلقه و ديدنه، ولشدة عناده وصفه الله تعالى به و فى تقديم «لآياتنا» دلالة على أن عناده كان مختصاً بآيات الله وان كان تاركاً للعناد فى سائر الامور وفى جمع الايات ايماء الى أنه كان منكراً للتوحيد والنبوة والبعث و غير ذلك من دلائل الدين و معجزاته .

ان تسئل : لم زجر عن طلب المزيد ؟ و ما وجه عدم لياقته ؟

تجيب : انه كان معانداً لايات المنعم ، وهذا يوجب الزجر وسلب اللياقية .

۱۷ - (سارهقه صعوداً)

بدل ما يطعمه من الزيادة أو الجنة عقبة شاقة المصعد ، وهو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذى لا يطاق .

فالاية وعيد شديد بما يفعل بهذا المكذب المغتر الطاغى المستكبر يوم القيامة من شديد العذاب الذى لايطاق أو بما سيلقاه فى الحياة الدنيا من ذهاب المال و هلاك البنين ، و حيرة الاسرة ، و ما يسوق إليه من المصائب و أنواع

المشاق شبيهاً بمن كلف صعود الجبال الوعرة الشاقة .

١٨ - (انه فكر و قدر)

تعليل للوعيد و إستحقاقه ، وبيان لكيفية عناده ، وتقرير لمعارضته بالقرآن الكريم أى فكر ماذا يقول فى شأن الايات الكريمة ، و قدر فى نفسه ما يقوله ، مع كونه تعليلاً لكيفية تعذيبه بارهاق الصعود .

وان الاية وتاليها- إلى- إن هذا إلا قول البشر » تصف موقف ذلك المكذب المعاند الذى اشير إليه فى الايات السابقة ، فهو حينما سمع ما يتلوه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من القرآن فكر فى نفسه ، و استنتج فعرف مصدره فعبس فى وجه النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتجهم ثم أدبر منه مستكبراً مستخفاً قائلاً: ان هذا هو من أعمال السحرة و أقوالهم المعروفة ، فليس بجديد ، و انه من كلام البشر . و لا يخفى ان فى اسلوب تلك الايات تنديداً وتقريعاً وتوصيف العنيد بما يرى به القارىء موقف الكافر .

١٩ - (فقتل كيف قدر)

دعاء على هذا المفتر المكذب بالقتل ، و تعجيب من تقديره حيث بلغ غاية الكفر وهو تكذيب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم والطعن فيما جاء به ، وإصابته فيه الغرض الذى كان ينتحيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء أو حكاية لما كرروه من قولهم: قيل كيف قدر تهكماً بهم وباعجابهم بتقديره وإستعظامهم لقوله.

فهذا اسلوب يراد به التعجب والثناء على المحدث عنه تقول العرب: فلان قاتله الله ما أشجعه و أخزاه الله ما أشعره يريدون انه قد بلغ المبلغ الذى هو حقيق بأن يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك كقوله تعالى: « قاتلهم الله انى يؤفكون » حيث ان التعجيب من قوة خاطره و إصابته الغرض الذى كانت ترمى إليه قريش ما الطعن الشديد فى القرآن ، فقوله جاء وفق ماكانت قريش تريد وطبق ماكانت تتمنى من القدح فى القرآن و فيمن جاء به .

٢٠ ـ (ثم قتل كيف قدر)

تكرير للمبالغة والتأكيد للدعاء عليه بالقتل ، و للتعجب من توقف هذا المعاند المفتر المكذب بعد تفكيره عن أن يقول قولة الحق في آيات الله جل و علا ، إذ كيف يسوغ لمن فكر في الوحي السماوي أن يقيم ميزاناً لأي كلام مع كلمات الله ؟

و في حرف « ثم » دلالة على أن الثانية أبلغ من الاولى ، و فيما بعد على أصلها من التراخي الزماني .

٢١ ـ (ثم نظر)

عطف على معناها الوضعي ، و هو التراخي الزماني مع مهلة أي ثم فكر في أمر القرآن مرة بعد مرة . و هذا تمثيل لحال هذا المفتر المكذب بعد بيان تفكيره وتقديره ، و وصف بأحوال ظاهره بعد وصف أحوال قلبه ، وهو من ألطف التمثيل و أبلغه .

و في الاية و تاليها : دلالة على أنه كان مصدقاً بقلبه حقية القرآن الكريم و صدق محمد صلى الله عليه وآله وسلم و انه جاء من عند الله جل و علا ، و أرسل من جانب الله تعالى ، و لكنه ينكره عناداً فانه لو كان يعتقد صدق ما يقول لفرح باستنباط ما استنبط ، و إدراك ما أدرك ، فما ظهرت على وجهه العبوسة وسواد الوجه إذ قبض وجهه و أظهر التكره منه بعد ما نظر .

٢٢ ـ (ثم عبس و بسر)

كشف عن حركات نفسية تغدو و تروح و تقبل و تدبر في صدر هذا المعاند المكذب ، هذا المفتر السفيه ، و هذا العنيد الشقي الذي يموج بهذه المشاعر المتضاربة و « بسر » تأكيد لما قبله مع ابداء التكره على تقطيب الوجه .

٢٣ـ (ثم أدبر واستكبر)

رتب الادبار و الاستكبار اللذان من الاحوال الروحية في التمثيل على

النظر و العبوس و البسور التى هى من الاحوال الصورية المحسوسة لظهورهما بقوله : «إن هذا إلاّ سحر» ولذا عطف قوله تعالى : «فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر» بالفاء دون «ثم» .

٢٤- (فقال ان هذا الاسحر يؤثر)

فى الفاء دلالة على أن هذا القول لما خطر ببال هذا المفتر العنيد والمكذب الشقى تفوه به من غير تلعثم وتلبث ، فهى للتعقيب من غير مهلة ، فهذه الترهات و الاباطيل من إستنباطاته بعد ما نظر ولم يجد طريقاً فى طعن القرآن الكريم إلاّ أن يقول : إلا هذا إلاّ سحر يؤثر . وهذا أوّل مرة نسب الكفار السحر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

٢٥- (ان هذا الا قول البشر)

تأكيد لما قبله ، و لذلك اخلى عن العاطف ، و فى الاية دلالة على جرأة هذا المفتر العنيد ، و المكذب الشقى على الحق فانه بعد أن قال خائفاً : «إن هذا إلاّ سحر يؤثر» رافعاً قدره عن أن يكون من كلام البشر ، فيخطو خطوة اخرى نحو الضّلال ، فقال : «إن هذا إلاّ قول البشر» انه مجرد كلام لا يصل إلى أن يكون سحراً . وهذا من طبيعة الحق إذ يكشف بسطوته و قوته عن جبن أعدائه حتى و هم - فى ظاهر الامر - غالبون منتصرون .

ولا يخفى على القارىء الخبير ان اسلوب الايات الثمان من (١٨-إلى-٢٥) تنديدى و تقريعى و وصفى معاً ، و الوصف قوى يكاد القارىء يرى منه موقف الكافر العنيد ماثلاً بارزاً ، وصورة من ردود على دعوى نبوته صلى الله عليه وآله وسلم وصلته بالله جل وعلا .

٢٦- (ساصليه سقر)

تقرير لما يلقاه هذا المفتر المكذب من الجزاء الا خروى على سوء صنيعه وفظيع عمله من غير عطف يفصل بينه وبين جزاءه ، بعد بيان الجزاء الدنيوى فى

قوله تعالى : «سارهقه صعوداً» .

وفي الاية من التهديد والوعيد الشديد لهذا العنيد الشقى، والانذار الرباني بانه سيصليه النار الشديدة التي توصف بالتالي مالايخفى .

وقيل : ان الاية بدل من «سارهقه صعوداً» .

٢٧- (وما أدراك ماسقر)

مبالغة في وصف سقر وتعظيم لشأنها وتأكيد و تهويل ، وذلك لان العرب إذاأرادت المبالغة تقول: ماأدراك ما كذا إستفهام يراد به الاشارة إلى أن المستفهم عنه شيء مهول لايمكن وصفه لانه ممالم يقع في حياة الناس ولامثيل لها في الدنيا حتى يقاس بهافهذا تهويل بتجهيل سقر .

٢٨- (لاتبقى ولاتذر)

تقرير لفعل سقر، وبيان لوصفها وحالها، وإنجاز للوعد الضمني الذي يلوح به. وفي أمثال العرب: كالجرادلايبقي ولايذر. يضرب في إشتدادالامر وإستئصال القوم.

وفي الوصف ما يحدث الفزع في النفوس ، ويحفز إلى الارعواء ، وقصد منه الانذار الشديد للكافر العنيد بانه سيصليه النار الشديدة التي لاتبقى ولاتذر الحارقة للجلود و الموجعة للعظام والمؤثرة في الفؤاد .

ان تسئل :ان معنى الفعلين واحد فما فائدة التكرار ؟

تجيب : جاء للتأكيد و المبالغة . و قيل : غير ذلك سيأتيك في تحقيق الاقوال فانتظر .

٢٩- (لواحة للبشر)

نعت ثان لـ«سقر» مفزع مهول ، بصيغة المبالغة بانها كثيرة الظهور والبروز على البشر .

٣٠- (عليها تسعة عشر)

نعت ثالث على طريق الاخبار من الله تعالى بان القائمين على سقر وحراسها

تسعة عشر من ملائكة الله جل وعلا» .

ان تسئل : لم كان عليها تسعة عشر حارساً لاأقل ولا أكثر ؟

تجيب : لعل ذلك يشير إلى مايوجب فساد النفس بان سبب فساد النفس الانسانية فى قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية و الطبيعية .

أما القوى الحيوانية فهى إثنتاعشر قوة : خمسة منها ظاهرة ، وخمسة منها باطنة ، و ثنتان اخريان : هما الشهوة والغضب . وأما القوى الطبيعية فهى سبع: الجاذبة ، والماسكة ، والهاضمة ، والدافعة ، والغازية ، والنامية ، والمولدة، فهذه تسعة عشر ، فلما كان منشأ الافات والفساد ، و طغيان النفس فلا جرم كان عدد الزبانية وخزنة النار هكذا .

٣١- (وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وماجعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ومايعلم جنود ربك الا هو وماهى الا ذكرى للبشر)

رد على ما أحدثه قوله تعالى : «عليها تسعة عشر» من سخرية الساخرين و إستهزاء المشركين ، حينما يقول بعضهم : أنا أكفيكم سبعة عشر ، و اكفونى أنتم أنتم الاثنين !!!

وتعليل لحصر العدد ، وتقرير لحكمة إختيار هذا العدد القليل بانه فتنة و مثار حيرة للكافرين ، و وسيلة لاستيقان الكتابيين من صحة الدعوة النبوية و صدقها ، وسبباً لازدياد ايمان المؤمنين .

وذلك لان سياق الايات يلهمنا بأن الكفار و مرضى القلوب قابلوا ذكر عدد الذين يتولون النار من الملائكة بالا ستخفاف والاستهزاء فردت عليهم بأن فى ذلك إمتحان ربانى لفرق أربع يتألف منها أهل بيئة الرسول ﷺ :

الفرقة الاولى : المؤمنون وهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصلته بالله تعالى و تلقوا الخبر بالتصديق و التسليم ، و بذلك يزدادون ايماناً و يقيناً .

الفرقة الثانية : الكتابيون فانهم مفروض فيهم ان يعرفوا ان الله تعالى ملائكة يقومون بالمهام التى يكلفهم بها ، و انه ليس مما هو خارج عن حدود قدرة الله تعالى أن يكون مثل هذا العدد منهم كافياً لتولى أمر النار فهم يستيقنون من صحة الرسالة المحمدية التى تأتى بما يتسق مع ما عندهم .

الفرقة الثالثة : الكافرون وهم فى موقف من الانكار والاستخفاف والتكذيب و الاستهزاء .

الفرقة الرابعة : المنافقون و هم الذين عبر عنهم بمرضى القلوب وهم فى موقف الشك و الارتياب من غير علم و عقيدة و ايمان .

فذوات الملائكة وعدتهم القليلة و عددهم الناقصة فتنة للكافرين وأذنابهم، و استيقان لاهل الكتاب و ازدياد لايمان المؤمنين ، و ان هذا العدد بالذات كسائر الاعداد مما يثير رغبة السؤال عنه و الجدال للجاهل المتعنت فى قلوب مقلوبة و نفوس مرضية :

لماذا الزبانية تسعة عشر ؟ لماذا هذه القلة القليلة ؟ فبامكاننا نحن الاشداء الا قوياء أن ندفعهم كما يقول أبوجهل و أضرابه . . . كما يعترض الجاهل الغبى قائلاً : لماذا السموات سبع ؟ و لماذا الصلوات اليومية سبع عشر ركعة ، ولماذا حمل الجنين بين ستة أشهر و تسعة ؟ و لماذا ؟؟؟ .

فلو جعل الله تعالى عدد الزبانيه تسعة عشر ألفاً أو مليوناً أو مازاد لقالوا لماذا لم يجعل أقل أو أكثر من ذلك .

قوله تعالى : « وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة » رد على الكافرين و أذنابهم بان خزنة النار الذين يتولون لتعذيب الكفار و المنافقين فيها ليسوا من البشر حتى يرجوا أن يقاوموهم و يطيقوهم .

وقوله تعالى : « وماجعلنا عدتهم إلاّ فتنة للذين كفروا » بيان بسبب حصر العدد أى وما جعلنا عددهم إلاّ العدد الذى تسبب لافتتانهم و هو التسعة عشر، فعبّر بالاثر عن المؤثر تنبيهاً على التلازم بينهما ، و ليس المراد جعل عددهم ذلك العدد المعين فى نفس الامر بل جعله فى القرآن الكريم أيضاً كذلك و هو الحكم بان عليها تسعة عشر إذ بذلك يتحقق إفتتانهم باستقلالهم له و استبعادهم لتولى هذا العدد لتعذيب عصاة الثقلين .

وقوله تعالى: «ليستيقن الذين اوتوا الكتاب و يزداد الذين آمنوا ايماناً» تعليلان للفتنة ، و هذا أوّل مرة ذكر أهل الكتاب فى القرآن الكريم : و إشارة إلى أن أهل الكتاب قد وجدوا أن ماأخبر به القرآن عن عدة أصحاب النار من الملائكة مطابق لما عندهم من الكتب السماوية كما أن المؤمنين سيزدادون ايماناً بماجاءهم من عندالله جل وعلا مصدقاً لما فى الكتب السابقة .

وفى التعبير بالاستيقان فى جانب أهل الكتاب، و بازدياد الأيمان فى جانب المؤمنين ، مراعاة لمقتضى الحال فى كل من الفريقين . . فأهل الكتاب و هم اولوا العلم منهم الذين سلموا من الهوى المضل الذى أفسد على كثير من علمائهم دينهم - بعد ما نشر فيهم هذاالخبر الجديد الذى جاء به القرآن علمواواستقينوا بأى ما يتلقاه محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو وحى سماوى لماكان عندهم من علم بهذاالنبى صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به فى كتبهم و المبينة صفاته فيها . .

و أماالمؤمنون فهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل نزول هذه الايات و بعده ... و لكنهم يزدادون ايماناً كلماتلقوا من آيات الله جديداً يثبّت ايمانهم و يزيدهم قوة إستبصار لمعالم الحق ، و هؤلاءالمؤمنون هم الذين آمنوا ايماناً خالصاً من شوائب الشك و الارتياب .

وقوله تعالى : « ولا يرتاب الذين اوتواالكتاب و المؤمنون » تقرير و تأكيد لقوله تعالى: « ليستيقن الذين الخ » من الاستيقان وإزديادالايمان، ونفى

لما قديعتري المستيقن من شبهة ما، وإنما لم ينظم المؤمنون في سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل : ولا يرتابوا تنبيهاً على تباين النفيين حالاً فان إنتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ، ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه الايمان ، فشتان بينهما .

وفي التعبير عن المؤمنين باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث ايذان بثباتهم على الايمان بعد إزدياده ورسوخهم في ذلك .

وهذا إخبار بأمر لا يعلمه إلاّ الله تعالى وتعريض بغيرهم ممن في قلبه شك من المنافقين . وقيل : لا إرتياب في الحقيقة من المؤمنين ولكنه تعريض بغيرهم ممن في قلبه شك من مرضى القلوب .

ومن غير بعيد أن يكون تعليلا ثالثاً مستقلا للفتنة على أن المراد بالذين اوتوا الكتاب هنا هم مطلق اليهود والنصارى غير الذين ذكروا من قبل ، وهم خاصة علماء أهل الكتاب ، وكذلك المؤمنون هنا هم الذين لم يقع الايمان بعد موقعاً متمكناً من قلوبهم ، وأما المؤمنون السابقون فهم الذين ما كان من شأنهم الارتياب بعد ما جاءهم في أبناء الغيب عن عدة أصحاب النار .

وقوله تعالى : «وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون» يدل على أن الذين كانوا يقفون من النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم موقف العناد واللجاج، وموقف التكذيب والتشكيك فريقان: مرضى القلوب وهم المنافقون، والكفار ، فلابد من الفرق بين الفريقين .

وقال بعض المفسرين: ان في هذا تلميحاً للمنافقين الذين ظهروا فيما بعد في المدينة بعد الهجرة النبوية .

اقول : ولا دليل له على ذلك ، فان الاية الكريمة مكية كما يدل صدرها و ذيلها على ذلك ، وهي تحكي مواقف الفريقين بعد ما حكت مواقف المؤمنين و أهل الكتاب ، وكان الفريقان بمكة :

فريق كان يكذب الرسول ﷺ في دعواه بكل شدة ويقف موقف العناد و المكابرة والصد والأذى بدون هوادة.

وفريق لم يكن في هذه الشدة، وإنما كان مترددا متشككا يقنع نفسه بالاعذار الواهية أو يخجل من الناس اوالزعماء اويخشى شرهم وهو المنافق.

وقوله تعالى حكاية عنهم: «ماذا أراد الله بهذا مثلا» يدل على أنهم أرادوا بذلك تحقيراً وتهكماً أشاروا بهذا إلى قوله تعالى: «عليها تسعة عشر» وفي إفراد الاشارة بالتعليل مع كونه من باب فتنهم إشعار باستقلاله في الشناعة.

ان تسئل: كيف حكى الله تعالى عنهم: «ماذا أراد الله بهذا مثلا» يعني حصر عدد الخزنة في تسعة عشر وذلك ليس مثلا؟

تجيب: ان هذه إستعارة من المثل المضروب مما وقع غريباً وبديعاً في الكلام إستغراباً منهم لهذا العدد وإستبداعاً له، والمعنى: أي شيء أراد الله بهذا العدد العجيب؟ وأي حكمة قصد في جعل الخزنة تسعة عشر لاعشرين.

ويحتمل أن يكون المثل هنا بمعنى الصفة كما في قوله تعالى: «مثل الجنة التي وعد المتقون» الرعد: ٣٥) والمعنى: ماذا أراد الله بهذا العدد صفة للخزنة.

وقوله تعالى: «كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء» تقرير بأن إمتحان الله تعالى الناس يؤدي إلى إهتداء من حسنت سريرته، وإستنار قلبه بنور الله تعالى وإلى ضلال من كان قاسي قلبه وسائت طويته وقصده، فليست بسبيل تقرير أزلية تقدير الهدى والضلال على الناس باعيانهم أو تقرير كون هدى الناس وضلالهم هو تقدير رباني حتمي لاخيرة لهم فيه.

ويؤيد ماذكرناه قوله تعالى: «كذلك» إشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية، ومحل الكاف نصب على أنها صفة لمصدر محذوف على تقدير: يضل الله من يشاء إضلالاً، ويهدي من يشاء هداية كائنين مثل ماذكر من الاضلال والهداية، ثم حذف المصدر واقيم صفته مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر، فصار النظم

مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله من يشاء إضلاله لصرف إختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق ، ويهدى من يشاء هدايته لصرف إختياره عند مشاهدة تلك الايات إلى جانب الهدى .

ويؤيد هذا المعنى كثير من الايات القرآنية . . . حيث تقرر ان من استهدى فهداه الله تعالى ،وان من استنار قلبه نور الله جل وعلا قلبه ، وان من تمرّد فأضله الله تعالى ومن أفسد ، تركه الله على حاله . وليس فى القرآن الكريم آية واحدة تنفى قابلية الانسان لاختيار الهدى والضلال ، و مسئوليته عن إختياره ، و ليست فيه آية واحدة تشير إلى أن الله تعالى قدر الهدى والضلال على اناس بأعيانهم تقديراً حتمياً لادخل لارادتهم واختيارهم و كسبهم وأفعالهم فيه .

نعم من غلب عليه هواه ، ولم يعرف أهداف الكتاب السماوى ، وحكمة إرسال الرسل ، وانذار الناس وتبشيرهم يتوهم بما برىء منه القرآن الكريم وصاحبه .

وقوله تعالى : «وما يعلم جنود ربك إلا هو» رد لتوهم إنحصار جنود الله تعالى بتسعة عشر ، ورد على إستهزاء المستهزئين ، وسخرية الساخرين ،بكون الخزنة تسعة عشر جهلا منهم وجه الحكمة فى ذلك . ان الله تعالى علّق العلم المنفى بالجنود ـ وهى الجموع الغليظة التى خلقهم وسائط لاجراء أوامره ـ لابخصوص عدتهم ، فأفاد باطلاقه ان العلم بحقيقتهم وخصوصيات خلقتهم وعدتهم ومايعملونه من عمل ودقائق الحكمة فى جميع ذلك يختص به تعالى لايشاركه فيه أحد ، فليس لاحد أن يستقلّ عدتهم أو يستكثر أو يطعن فى شىء مما يرجع إلى صفاتهم وهو جاهل بها .

وقوله تعالى :«وما هى إلا ذكرى للبشر» وفيه دلالة على أن القرآن الكريم نزل لهداية عامة .

وفى الاية تثبيت للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وتنويه بالمؤمنين واستشهاد بوثوق

النتيجة با لكتابيين ، وإنذار الكفار والمنافقين ، وتنديد بهم وانهم فى عرضة الامتحان الربانى .

وقيل : وفيها دلالة على أنه تعالى جعل إفتتان الكافر بعدد الزبانية سبباً لاربعة امور : أحدها ـ «ليستيقن» ثانيها ـ «ويزداد» ثالثها ـ «ولا يرتاب» رابعها ـ «وليقول» .

وقيل: ان الله تعالى وضع فتنة موضع تسعة عشر ، تعبيراً عن المؤثر باللفظ الدال على الاثر ، تنبيهاً على أن هذا الاثر من لوازم ذلك المؤثر .

٣٢- (كلا والقمر)

إستفتاحية مؤكدة للقسم بعدها ، ان الله تعالى اقسم بالقمر لعظم منافعه و لما فيه من آثار القدرة الالهية فى إضائته وفى طلوعه وغروبه ، وفى زيادته ونقصانه وفى آثاره فى تنمية الاشياء ،وتكامل الانسان إطلاقاً . . . وقد جاء القسم بالقمر مطلقاً من غير ذكر حال من أحواله أوصفة من صفاته . . انه القمر ،والقمر لا يسمى قمراً إلاّ مع تمامه و كماله فى نفسه وفى آثاره . . .

وان الاية وتاليها ـ إلى ـ نذيراً للبشر» تنزيه للقرآن الكريم عما رموه من السحر وتسجيل بانه إحدى الايات الالهية الكبرى فيه إنذار البشر كافة .

٣٣-٣٤- (والليل اذ أدبر والصبح اذا أسفر)

قسم بعد قسم معطوفان على «القمر» ومقسم بهمامعه . . اقسم الله تعالى بادبار الليل وإسفار الصبح لانهما وقت التجلى ووقت صلاة الفجر ، أقسم بالليل حين ينقضى ويولى ، والصبح حين يسفر بان تلك الايات الكريمة وما ينذر به الكفار والمنافقون حقيقة وليست وهماً .

فهنا أقسام ثلاثة : بالقمر مطلقاً ، و بالليل مقيداً بظرف خاص وهو إدباره و تولّيه ، و بالصبح حال انجلائه وظهوره وانكشافه .

و فى تلخيص البيان للسيد الشريف الرضى رضوان الله تعالى عليه فى

قوله تعالى : « والصبح اذا أسفر » قال : وهذه إستعارة والمراد بها إنكشاف الصبح بعد إستتاره ، ووضوحه بعد إلتباسه تشبيهاً بالرجل المسفر الذى قد حط لثامه فظهرت مجالى وجهه ومعالم صورته . إنتهى كلامه ورفع مقامه .

وقيل : فرّق النظم القرآنى المعجز بين الحالين : حال إدبار الليل،وحال إسفار الصبح . . انها لحظة واحدة يلتقى عندها إدبار الليل واسفار الصبح، وقدوزّع النظم القرآنى هذه اللحظة ، فجعل بعضاً منها يذهب مع الليل الذاهب ، وبعضاً منها يتراءى خلف الصبح المقبل . . .ولهذا جاء لفظ « إذ » مع إدبار الليل ،وهذا يعنى الزمن الماضى من تلك اللحظة .. فلقد أدبر الليل ومضى وذهب سلطانه الذى كان قائماً على تلك الرقعة المبسوط عليها من هذا العالم . . أما الصبح فهو وليد جديد يخطو خطواته نحو المستقبل ، فهو زمن ممتدّ ، ولهذا جاء الظرف المتلبس به بلفظ « إذا » التى تدل على الزمن المستقبل فقال : « والصبح إذا أسفر » .

ان تسئل : ماذا وراء الجمع بين هذه الاقسام الثلاثة : القمر المطلق ، والليل المدبر والصبح المسفر ؟ وان القرآن الكريم لايجمع بين هذه العوالم وهو يشير من هذا الجمع إلى ملحظ ،فيه عبرة وعظة . . . فماذا يكون هذا الملحظ؟

تجيب : ان فى القسم بالقمر والليل المدبر والصبح المسفر إشارة إلى مبعث النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و إلى ما بين يدى مبعثه وما خلفه من مجريات الاحداث التى تظل على الناس . .

على أن فى القمر المطلق إشارة الى الرسالات السماوية التى سبقت عصر النبوة المحمدية . . . فقد كانت تلك الرسالات هى النور المطلق الذى يشعّ فى وسط هذا الظلام المخيم على العالم الارضى كله بآفاقها المختلفة فى الطول و القصر . . . و ان نور هذا القمر لايمنح الناس رؤية كاشفة ، و ان أراهم مواقع أقدامهم ، وألقى فى قلوبهم شيئاً من الطمأنينة والانس ، ثم انه لايلبس أن يختفى ويتحول عن الناس .

وفي إسفار الصبح ايذان بمبعث النبى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ، وانه الشمس التى ستشرق على هذا الوجود ، وان أضواء شمس النبوة قد أزاحت ظلمة الليل عن هذا الوجود وانه سرعان ماتطلع الشمس فتملأ الوجود ضياءاً وتكسو العالم حلة من بهاء وجلال ، حيث تنكشف حقائق الاشياء ، وتسفر عن وجهها لكل ذى بصر يبصر ، ومن شمس النبوة المحمدية استمدّت الرسالات السابقة نورها من ضوء هذه الشمس ، قبل أن يستقبل الوجود مطلع هذه الشمس ، فلما طلعت محت بضوئها آية القمر ، وكان على من يريدون أن يسيروا على هدى و نور أن يستقبلوا هذا النور ، وأن يملؤا أعينهم به .

٣٥- (انها لاحدى الكبر)

جواب للقسم أى ان سقر ونعوتها لاحدى البلايا العظام التى لاتعادلها بلاياء وهى إحدى منازل الكفار و مرضى القلوب . و قيل : تعليل لـ « كلا » فالقسم معترض جاء للتأكيد لاجواب له أوجوابه مقدّر يدل عليه « كلا » .

ان تسئل: إذا كانت سقر ونعوتها إحدى الكبر فماهى الكبر التى سقر احداها؟

تجيب : ان دركات النار سبعة وهى : جهنم ولظى وسقر والسعير والجحيم والحطمة والهاوية .

قال الله تعالى : « وان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » الحجر : ٤٣ - ٤٤) أعاذنا الله تعالى منها بحق محمد و أهل بيته المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين .

٣٦- (نذيراً للبشر)

تميز أى ان سقر وفعالها لاحدى الكبر إنذاراً وتخويفاً ، و من شأنها أن تهزّ النفوس من أقطارها ، وأن تبعث فى القلوب الخشية والفزع من لقاء تلك الاهوال التى تطلع بها جهنم على أهلها ، وفى هذا أبلغ نذير لمن يبصر النذر و ينتفع بها . .

أوحال ممادلت عليه الجملة أى كبرت منذرة . وانها ذكرت لتكون نذيراً لجميع البشر حتى يكونوا على بينة من أمرهم .

٣٧- (لمن شاء منكم أن يتقدم او يتأخر)

تعميم للانذار ، بدل من « للبشر » أى نذيراً لكل من شاء منكم أن يسبق إلى الخير فيهديه الله تعالى ، أو يتأخر عنه فيضله الله جل وعلا .

وتقرير ـ بعد أن أكدت الايات السابقة لها حقيقة الحياة الاخروية و ما سوف يلقاه الكافرون من النار والعذاب ـ لقابلية التمييز عند الناس و قدرتهم على الاختيار ، ولكون مهمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هي الانذار والتبليغ وفى الترديد وعيد و تهديد شديد .

٣٨- (كل نفس بما كسبت رهينة)

تتمة للاية السابقة لها وتعقيب عليها بسبيل تقرير كون مصير كل نفس رهناً بما كسبته ، وشاءته من تقدم نحو الهدى أو تأخر عنه .

تقرير قرآنى حاسم بمسئولية الناس عن أعمالهم وقابليتهم للكسب والاختيار وإستحقاقهم للجزاء وفاقاً لذلك .

وهذا التقرير بهذا الاسلوب ذو خطورة تلقينية عظمى فى صدد أعمال الناس وتصرفاتهم وتربية نفوسهم وأخلاقهم ، والمؤمن إذا تيقن من هذا و سعى ليكون من نفسه على نفسه رقيب ، وحسب حساب عاقبة كل ما يقدم عليه مما فيه الوازع الذاتي الذى يزعه عن الاثم والشر والحافز الذاتى الذى يحفزه إلى الخير والصلاح والهدى .

٣٩- (الاأصحاب اليمين)

إستثناء منقطع ، بناء على أن أصحاب اليمين هم الذين يدخلون الجنة بغير حساب وهم غير الذين يؤتى كتابهم بأيمانهم فيحاسبون حساباً يسيراً .

ويحتمل أن يكون متصلاً فاستثنى من حكم شامل لجميع الناس مؤمنين

وغير مؤمنين حيث ترتهن كل نفس بما عملت .

وعلى أى تقدير : تعبير قرآنى عن الناجين يوم القيامة باسلوب إستدراكى ان أصحاب اليمين لهم الجنات فى الاخرة ، إذ قد يسوغ هذا القول إن تعبير أصحاب اليمين قد قصد به الناجون يوم القيامة بأيمانهم وأعمالهم الصالحة . . .

ويجوز أن يكون تعبيراً مجازياً حيث ان العرب كانوا يتفاءلون بالجهة اليمنى ويعتبرونها مباركة ويتشاءمون باليسرى ، و يعتبرونها منحوسة ، فتعبير أصحاب اليمين وأصحاب الشمال بالمقابلة هو تعبير مقتبس مما فى أذهان العرب الذين يسمعون القرآن ومفهوماتهم وأساليب خطابهم للتقريب والتشبيه والتمثيل والتأثير .

٤٠- (فى جنات يتساءلون)

تقرير لمآل أصحاب اليمين ، و بيان لحال من أحوال المؤمنين فى الجنة على طريق التعظيم . قيل : سؤال تبكيت وتجهيل وتخجيل .

٤١- (عن المجرمين)

على حذف المسئول عنه لكون المسئول والمسئول عنه واحداً ، فالتقدير : عن أحوال المجرمين يوم القيامة .

٤٢- (ما سلككم فى سقر)

حوار مقدّر بين أصحاب اليمين والمجرمين ، فيسئل الاولون الاخيرين سؤال تعجب وشماتة وتوبيخ عما جعلهم فى عداد أهل النار .

ان تسئل : كيف طابق قوله تعالى : « ما سلككم » وهو سؤال للمجرمين قوله : « يتساءلون عن المجرمين » وهو سؤال عنهم ، وإنما كان يتطابق ذلك لو قيل : يتساءلون المجرمين : ما سلككم ؟

تجيب: قوله : « ما سلككم » ليس ببيان للتساؤل عنهم من بيان الجملة بالجملة كما زعم بعض ، و إنما هو حكاية قول المسئولين عنهم لان المسئولين

يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم و بين المجرمين ، فيقولون : قلنالهم : ما سلككم .

وان تسئل : لما ذا يسئل أصحاب اليمين المجرمين ، وهم عالمون بفعالهم وأحوالهم . قال الله تعالى : « وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون » التوبة : ١٠٥) ؟

تجيب: هذا سئوال توبيخ وتحسير لهم ، وليكون حكاية الله تعالى ذلك فى كتابه تذكرة للسامعين .

٤٣- (قالوا لم نك من المصلين)

جواب أجاب به أصحاب النار أصحاب الجنة عن تساؤلهم عنهم: « ماسلككم فى سقر »؟ بذكر سبب دخولهم فى سقر وملازمتهم لها وان السبب أربعة : الاولى ترك الصلاة وفى الاية دلالة على أن الكفار مكلفون بالفروع كما أنهم مكلفون بالاصول... وهم يؤاخذون بهما .

٤٤- (ولم نك نطعم المسكين)

بيان لسبب ثان من دخولهم فى سقر وهو ترك إطعام المسكين ، على معنى إستمرار نفى الاطعام لا على نفى إستمرار الاطعام .

قيل : إطعام المسكين إشارة إلى حق الناس عملاً كما أن الصلاة إشارة إلى حق الله تعالى كذلك .

٤٦- (وكنا نخوض مع الخائضين)

سبب ثالث لتلازمهم سقر وهو خبطهم وتورطهم من غير علم وحق أو إندماجهم فى الباطل مع كل جماعة ضالة وعلى كل مورد آثم . . .

٤٧- (وكنا نكذب بيوم الدين)

سبب رابع ، وهو تكذيبهم بيوم الحساب والجزاء ، و هذا أصل من الاصول

الدينية الاعتقادية . وفى تأخير الاصل على الفرع دلالة على أنه أعظم الذنوب أى انهم بعد ذلك كله يكذبون بهذا الاصل . ويحتمل أن يكون التأخير باعتبار انه آخر الاصول ، فان أولها هو المبدأ وآخرها المعاد ، أو أراد أن يرتب عليه قوله: « حتى أتانا اليقين » وهو آخر حالات المكلف ، فلو قدّم لم يحسن معنى ولا لفظاً لوقوع الفصل بين المعطوفات .

وتلك الخصال الاربع الرذيلة من طبع الكفار والمجرمين أن يبتلوا بها غالباً، فتصح نسبة الجميع إلى جميعهم ، وإن كان الشاذ منهم مبتلى ببعضها دون بعض .

٤٧- (حتى أتانا اليقين)

« اليقين » كناية عن الموت و إنقضاء الحياة الدنيوية ، فهم كانوا يكذبون بيوم الجزاء إلى أن إنقضت حياتهم ، وصاروا إلى الحقيقة واليقين من أمرهم وحقت عليهم كلمة العذاب الذى اوعدوا به و لم يصدقوه .

وفى الاية دلالة على أنهم ظلوا متلبسين فى حياتهم بتلك المآثم حتى أتاهم الموت ، فماتوا على ماهم عليه من ضلال و كفران وتكذيب و طغيان ، فلم تختم حياتهم بالتوبة والايمان وصالح الاعمال . . .

وسمى الموت يقيناً لان المحتضر يعاين عند الموت حقيقة ماكان يكذب به من امور الاخرة وأهوالها وحسابها وجزائها ، فالموت يرد الانسان مورد الحق.

٤٨- (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)

تعقيب على سابقها ، و قد تضمنت تقريراً لغاية خسرانهم ، و بأن الكفار والمجرمين لن تنفعهم يوم القيامة شفاعة الشفعاء فتحول دون صيرورتهم إلى المصير الرهيب الذى إستحقوه بكسبهم .

وان الاخبار بعدم نفع الشفاعة بهم كناية عن عدم إستشفاع الشافعين لهم .

وفى الاية تنبيه للكفار والمجرمين إلى أن المرء إنما ينفعه فى الدرجة

الاولى ايمانه وصالح عمله ، وحملهم على الارعواء من ضلالهم وعدم الاركان إلى شفاعة الشافعين .

و فيها : تلقين مستمر المدى بضلال الاعتماد على شفاعة الشافعين إذا لم يكن المرء من الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، و بأن الشافعين مهما علت مرتبتهم عند الله تعالى لا يمكن أن يشفعوا وهم لا يشفعون إلا لمن حاز مبدئياً رضاء الله تعالى و آمن به واتقاه ، وفي هذا مافيه من الوازع والحافز .

وفيها: دليل على أن غيرهم تنفعهم شفاعة الشافعين .

٤٩- (فمالهم عن التذكرة معرضين)

الفاء لترتيب إنكار إعراضهم عن القرآن الكريم بغير سبب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه ، والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ، تساؤل عن سبب إعراضهم عن الدعوة النبوية ، وفرارهم منها كما تفر الحمر الوحشية من السبع حين يبدو لها على طريق الاستفهام الانكارى يوبخ الكفار على إعراضهم عن التذكرة وهو القرآن الكريم الذى يذكرهم بالله تعالى ، ويكشف لهم الطريق إليه، وهذا الاستفهام فى مقام غير المقام الذى كان فيه هؤلاء الكافرون فى جهنم .

والمعنى : فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شىء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضده موجبات الاقبال عليه و تآخذ الدواعى إلى الايمان به .

٥٠- (كأنهم حمر مستنفرة)

تقرير لحال من أحوال المعرضين بطريق التداخل أى مشبهين بحمر نافرة، وفيه ايماء إلى أن إعراضهم عن القرآن الكريم بلا سبب ظاهر ، وتهجين لحالهم وشهادة عليهم بالبلادة والغباوة والبله ، و نداء عليهم بذلك و بعدم تأثرهم من مواعظ القرآن بل صارما هو سبب لاطمئنان القلوب موجباً لنفرتهم ، فالمعنى

انهم شديد النفارة كأنهم تطلبون النفار من أنفسهم .ففى تشبيههم بالحمر المستنفرة مذمة ظاهرة وباطنة .

ولاترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها فى العدو إذا هى خافت من شىء إذ من طبعها الوحشة والنفار من كل متحرك وساكن، فكيف بقسورة: من أسد أوصائد، فتأخذ الاستنفار فى كل إتجاه حين تسمع زئير الاسد أوحين تراه .وفى تشبيههم بالحمر المستنفرة من بين سائر الحيوانات التى اذا رأت الاسد فرّت من وجهه لان الحمار يمثل الغباء والبلادة من بين سائر الحيوان وبه يضرب المثل فى هذا كقوله تعالى : «مثلهم كمثل الحمار يحمل أسفاراً» الجمعة : ٥) .

وفى إسناد الاستنفار إلى تلك الحمرة فى «مستنفرة» - بصيغة الفاعل - بدلا من أن يسند الاستنفار إلى من استنفرها «مستنفرة» - بصيغة المفعول - إشارة إلى أن ذلك طبيعة غالبة عليها ، وان من شأنها النفور دائماً من غير أن يكون هناك سبب لنفارها . . انها ذات طبيعة وحشية لاتأنس من ظل من سكينة أبداً .

وفى وصف الحمر بالاستنفار دون النفار إشارة أخرى إلى أنها تستدعى هذه الطبيعة الكامنة منها ، و تهيجها وتحركها من غير سبب يدعو إليها كما أن بعض هذه الحمر يستدعى بعضاً إلى هذه النفور ، فتمضى فى طريقها عليه من غير دافع إلا هذا التقليد الاعمى .

وهذه حال تمثل أهل الضلال أصدق تمثيل ، انهم وهذه الحمر المستنفرة على سواء . . . ففى طبيعتهم بسبب صميمهم على الكفر والمعصية نفور ملازم كل دعوة إلى خير، وهم دائماً يتبعون أول ناعق يدعوهم إلى النفور من وجه الحق . .

٥١- (فرت من قسورة)

ذم وتهجين لحالهم على طريق الوصف ، وشبّه القرآن الكريم اما للقسورة من هيبة تملأ القلوب ، وتملك المشاعر ثم هو إلى مهابته وسطوته بعيد الدنايا،

عفّ عن القذر، لا يأكل الميتة ولو مات جوعاً. ولم يسمّ القرآن الكريم الاسد باسمه المعروف وهو الاسد، وإنما سماه «قسورة» ليكسوه بهذا الاسم ذى الجرس القوى هيبة الى هيبة، وعظمة الى عظمة، الامر الذى لايحققه لفظ أسد، الضامر المبتذل على الافواه لكثرة ترداده.

والمعنى: ان الحمر الانسية تفرّ عن التذكرة السماوية الناصحة التى تذكرهم بربهم ومصيرهم كالحمر الوحشية التى تفرّ عن القسورة. وأين حمر من حمر؟ و قسورة من قسورة؟؟

٥٢- (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة)

إضراب عما تقدم، و بيان لعلة العناد والفرار، وتعقيب إستدراكى و تنديدى بهم إذ بلغوا فى العناد حداً لايقبله عقل ولايستسيغه ذو نفس حساسة وفلا يتركون الاعراض عن القرآن حتى يكون لهم منه ذكر وموعظة، على طريق العطف على مقدر يقتضيه المقام، كأنه قيل: لايكتفون بتلك التذكرة ولايرضون بها، وليس إعراضهم عنها لمجرد النفرة بل يريد كل واحد منهم أن يؤتيه قراطيس تنشر وتقرأ من عندالله تعالى فتشتمل لما يشتمل عليه القرآن الكريم.

وذلك انهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: لن نتبعك حتى تأتى كل واحدمنا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك، قال الله تعالى حكاية عنهم: «لن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه» الاسراء: ٩٣).

وان هذه النسبة إليهم كناية عن إستكبارهم على الله تعالى انهم إنما يقبلون دعوته ولايردّونها لودعا كل واحد منهم بانزال كتاب سماوى إليه مستقلا، وأما الدعوة من طريق الرسالة فليسوا يستجيبونها، وإن كانت حجة مؤيدة بالايات البيّنة. وهذا أول مرة يذكر تحدى الجاحدين إذ طلبوا إنزال كتب إليهم فيها تأييد لصحة رسالة النبى صلى الله عليه وآله وسلم وأمر باتباعه ولصدق دعواه ودعوته كما تحتمل الاية أن

تكون في معرض التنديد بشدة عنادهم حتى لكأنهم يريدون ليؤمنوا و يصدقوا أن ينزل على كل واحد منهم كتاب خاص من السماء .

٥٣- (كلابل لايخافون الاخرة)

ردع وزجر لهم على تلك الجراءة ، وتوبيخ على اقتراحهم لتلك الصحف المنشرة مما يريدون من نزول كتاب سماوي على كل واحد منهم . فان دعوة الرسالة مؤيدة بآيات بينة وحجج قاطعة لاتدع ريباً لمرتاب ، فالحجة تامة قائمة على الرسول ﷺ و غيره على حدّ سواء من غير حاجة إلى أن يؤتى كل واحد من الناس المدعو ين صحفاً منشّرة ، على أن الرسالة تحتاج من طهارة الذات و صلاحية النفس إلى ما يفقده نفوس سائر الناس .

وتقرير لسبب هذا التعنت والاقتراح ولواقع الحال من أمرهم ، وبيان لسبب إعراضهم عن التذكرة ،وعدم إستجابتهم باسلوب الزجر والاستدراك بانه ليس عدم نزول الصحف المكرمة إليهم سبباً لاعراضهم عنها ، وانما الباعث الذي يحثهم على الانكار والاعراض عن التذكرة ، والسبب الذي يفرّون به عنها هو عدم خوفهم عن الاخرة والغفلة عن المحاسبة فيها وجزائها .

وردّ عليهم بان موقفهم في الاعراض في حقيقته راجع إلى جحودهم بالاخرة، و موقفهم في التكذيب بالدعوة انهم لايخافون الاخرة ، ولو خافوها لآمنوا ولم يقترحوا آية بعد قيام الحجة بظهور الايات البينات ، فالذي لايخاف الاخرة لايأبه كثيراً للحق والخير في شتى ساحاتهما ولايندفع فيهما إندفاعاً ذاتياً وجدانياً إذا لم يأمل في مقابلة وجزاء في الدنيا ، ولايتورع عن الاثم والمنكر إذا ماتيقن الخلاص من العقوبة .

وان الاية تنطوي أيضاً تقريراً لأثر الايمان بالاخرة في سلوك الناس ، وانها تلهم انها بسبيل تسلية النبي ﷺ .

٥٤- (كلا انه تذكرة)

إستفتاحية تنبيهية تؤكد لما بعدها، ووصف للقرآن الكريم بانه موعظة بليغة وتذكر شاف، وفيه رد على تحدّيهم وشدة عنادهم في صورة تقرير لمهمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي هي تذكير وتبليغ للناس، وتوبيخ عليهم على إعراضهم عن التذكرة تلويحاً. وقيل: ردع ثان لاقتراحهم نزول كتاب سماوي لكل امرىء منهم.

٥٥- (فمن شاء ذكره)

بيانٌ لنتيجة كون القرآن الكريم تذكرة، وفيه تركهم لاختيارهم و مشيئتهم في الاستجابة إليها، وانه أمر مرده إلى الانسان نفسه، وإلى إقباله على ذكر الله تعالى أو إعراضه عنه، ولو كان الامر على سبيل القهر والالزام لما كان ثمة إمتحان وإبتلاء تنكشف به أحوال الناس، وتختلف فيه منازلهم ولكانوا جميعاً على منزلة سواء.

٥٦- (ومايذكرون الا أن يشاء الله هو اهل التقوى واهل المغفرة)

دفع لما قد يقع من مفهوم خاطىء لقوله تعالى: «فمن شاء ذكره» حيث اطلق مشيئة الانسان، ومشيئة الانسان ليست مطلقة بل هي مقيدة بمشيئة الله تعالى، فلا يذكرون بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله جل وعلا: «فمن شاء ذكره» إذلا تأثير لمشيئة العبد وإرادته في عقيدته وأفعاله مالم تستعد نفسه للقبول، فلايذكره الانسان ولايذكر الله تعالى في أيّ حال كان بل لابد من إستعداد النفس للتذكر حتى تتذكر.

وقوله تعالى: «الاّ أن يشاء الله» استثناء مفرغ من اعم العلل أو من أعم الاحوال، فالمعنى: ومايذكرون بعلة من العلل أو في حال من الاحوال إلاّ أن يشاء الله ولا يشاء الله إلا بعد مهمدة النفس بالتزكية بسبب التوبة و الاستغفار و الايمان للتذكر.

وقوله تعالى : «هو أهل التقوى وأهل المغفرة» تعليل للاستثناء فهو أهل التقوى لايحبّ إلاّ المتقين ، وأهل المغفرة لايحبّ إلاّ المستغفرين .

وفي الجملة ما ينبىء عن كمال الهيبة «أهل التقوى» وهو صفة القهر الذي بسببه يجب أن يتقى ، ومن كمال الرحمة «أهل المغفرة» وهو صفة اللطف الذي به يجب أن يرجى .



الاعجاز

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم هو تفضيحه المتآمرين و ضرب رؤس المعاندين :

وذلك ان القرآن كلما قالوا فيه قولة أوقالوا في الذى انزل عليه حكاها عنهم وأذاعها في الملأ . . . إستهزاءاً بهم وسخرية منهم ، وإستخفافاً بقولهم . . . و كأنه - إسصغاراً لهم وإمعاناً منه في هذا الاستصغار - لم يكتف بما يقولون فيه، ويذيعون عنه ، فجعل هو يردّد أقوالهم و يذيعها . فكأنه يقول للدينا : إسمعي سخف هؤلاء الاغبياء السفهاء الذين يزعمون انهم سادة الناس . . . واسمعي ماتحمل أجسامهم الفارهة من عقول فارغة . و أين انفتهم ؟ و أين حميتهم ؟ و هم أهل الانفة والحمية ، ليردوا على القرآن قوله ، وليد فعوا يده التي تلطمهم ،على مرأى ومسمع من العالمين ؟

ولم يقف القرآن الكريم عند هذا الاستهزاء بقريش وزعمائهم ، والتسخيف الجماعي لها في موقفها من القرآن وحملها حملاً على الاحتكاك به وهدم ماتستطيع هدمه منه - لم يقف القرآن المجيد عند هذه الاثارة الجماعية التى ربماتوزّعت معرتها بين أفراد الجماعة ، فخفّ أثرها حين ينظر بعضهم إلى بعض ، فاذا هم في هذا البلاء على سواء . . . بل عمد إلى الاثارة الفردية فتخير النفر الذين تراهم قريش سادتهم ووجوههم فجاء بهم على الملأ حفاة يمرغهم في التراب ، ويلطخهم بالوحل والطين .

وهذا«فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلا قول البشر» المدثر : ٢٤ـ٢٥)

قول الوليد بن المغيرة حكاه الله تعالى للتفضيح والضرب ، والوليد سيد من سادات القوم ، تدعوه قريش إلى لقاء محمد ﷺ ليعرض عليه أن يترك هذا الذى هو فيه، والذى أوقع به ما أوقع بينه وبين قومه من خلاف وشقاق ، وأن يبذل له الوليد باسم قريش ما يريد من جاه أو سلطان . . . فكيف ذهب الوليد وكيف عاد ؟ وقد ذكر الكلام فى النزول فراجع .

ولم يكن الوليد ليقول هذه القولة عن القرآن : ـ انه سحر أو هو قول البشر ـ إلا ليرضى من قومه عاطفة أرادوه عليها، وإلا ليفتح لهم باباً من الرأى أعياهم فتحه، وإلا ليجدوا زوراً من القول له وجه ، إن كان للزور وجه !

ولقد رضى القوم عن الوليد ، وحمدوا له رأيه الذى رأى ، والذى جعلوه كلمتهم التى يلقون بها أهل الموسم فى «محمد» وفى القرآن الذى يخرج عليهم به ، وانفض مجلس القوم على هذا الوجه . . . وحسبوا ان هذا الذى انتهوا اليه لن يذكره أحد . . . ولكن ها هى ذى آيات القرآن الكريم تتنزل هادرة ، تذيع فى الناس فضيحة هذا السفير الذى خانته شجاعته ومروءته ، فكذب نفسه وخادع حسه ليرضى من قومه كبراً زائفاً وغروراً فارغاً . . . فجاءت الايات الكريمة ممسكة به متلبساً بهذا الخزى . . . فقال الحق جل وعلا :

«ذرنى ومن خلقت وحيداً ـ إلى قوله ـ عليها تسعة عشر» المدثر : ١١ ـ ٣٠)

ان السورة لم تذكر إسم الوليد صراحة ، ولكن دلائل الحال كلها والروايات الواردة تشير إليه انه لا يسمع هذه الايات حتى يتأكد له انه هو ذلك الذى تذكره السورة ، تفضح أمره فترصد له العذاب الصعب فى الدنيا و سقر فى الاخرة . . . و كذلك لا يسمع أحد من قريش هذه الايات حتى يعلم عن يقين انها تعنى الوليد بن المغيرة دون سواه ، فهو الذى كان بالامس رأس الندى وصاحب الدعوة إليه، وصاحب الرأى الذى بيتته القوم و أصبحوا عليه .

ولا ينبغي لاحد من القرّاء المتدبرين أن يمضى من غير أن يقف قليلاً عند هذه الايات مع جلال سلطانها وعظمة مقامها ، يقف عند اللفظ وحده عارياً مجرداً من معناه و يرتلّ الايات على أنها أصوات لامدلول لها إلاّ ماتحمل ألحانها و نغمها من مشاعر وعواطف . ، فماذا يجد لهذه الكلمات على اذنه وفي قلبه ؟

فاقرء الايات أيها القارى الخبير ورتّلها ترتيلاً .

انها قطعة معجزة من رائع النغم ومتساوق اللحن . . . تنساب منها الانغام علوية في قوة آسرة . . . كأنها نشيد حرب ، يدقّ به الجنود أبواب المعركة !

إن من يستمع إلى هذه الايات ممن لايحسن العربية يطرب لها طربه إلى ألحان وأنغام ، ويستشعر منها نذر التهديد والوعيد شرف من عل لتخطف من تتجه إليه بهذا النذير .

أما إذا أنت عدت إلى تلك الايات ترتلها ترتيل من يفهم العربية ، ويدرك أسرارها ،فانك واجد نفسك أما حكمة الحكيم وتدبير العزيز العليم الذى يعلم خائنة الاعين و ما تخفى الصدور .

إقرأ وتدبر :

«انه فكر و قدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم أدبر واستكبر فقال إن هذا إلا سحر يؤثر إن هذا إلاّ قول البشر» .

أتستطيع أدوات التسجيل كلها و صور الاعلام جميعها ، أن تخرج جانباً من جوانب هذه الصورة التى سجلتها تلك الكلمات القليلة ، البعيدة عن الزخرف المجردة من الالوان والاصباغ ـ على مثل هذا الوضوح والقوة ؟

أتستطيع أدوات التصوير ، و وسائل الاعلام أن تلتقط المشاعر وتستخرج خلجات النفوس ؟ و أنى لأجهزة التسجيل و أدوات الاعلام أن تندس بين مشاعر الناس ، و تغوص في أعماقهم ، وتترصد مسارب خواطرهم ؟ وهل في الناس وفيما اخترع الناس قدرة على كشف مافي السرائر و ما تخفى الصدور ؟ إن ذلك لم

يكن ولن يكون !

ولكن الكلمات - وهن كلمات الله جل وعلا - قد اصطدن خطرات النفس و أمسكن خلجات الضمير !

«انه فكّر وقدر . . . ثم نظر . . ثم عبس وبسر . . ثم أدبر واستكبر . .»

فهذا الصراع النفسي الذي يذهب بصاحبه كل مذهب ، والذي يطوّح به من حال إلى حال - هذا الصراع ومسيره خطوة خطوة ، وتنقله في كيان صاحبه حالا حالا ، قد حملته تلك الكلمات في وضوح أوضح ما يحسّ به صاحبه ، وأصدق مما يقع في ادراكه .

و في هذه الآيات صورة معجزة مع صور البيان القرآني ، الذي تعجز أدق ألوان البيان مجتمعة أن تتعلق بأذياله . . .

فبالكلمة شعراً ونثراً ، وبالصورة المتحركة والساكنة والناطقة والصامتة ، وبالنغم ألحاناً مفردة ومجتمعة . . و بكل ما عرفت الانسانية من ألوان الابانة والتعبير - لا يمكن أن تجيء ولو من بعيد - بمثل هذه الصورة القرآنية التي صوّر بها هذا الانسان الشقي العنيد ظاهراً و باطناً ، فلم تدع الصورة خلجة من خلجات ضميره أو مسرباً من مسارب تفكيره أو همسة من همسات خاطره الا ألقت بها على قسمات وجهه ، ونظرات عينيه وحركات شفتيه ، فكانت شخوصاً ماثلة للعيان . .

ونعود إلى حديثنا . . فنقول : ان القرآن الكريم قد استدعى إليه رأساً من رؤس قريش وتحرش بهم لينازلوه ولينالوا منه إن استطاعوا ، وذلك بعد أن تحداهم مجتمعين ، ودفع كلّ منكبه في منكب صاحبه و كأنه يقول له : قم أجب صاحبك ، فان محمداً يدعوك ويتحداك بقرآنه !! فهلمّ إليه ، وأرنا ما عندك له!! وها هو ذا قد استدعى الوليد بن المغيرة ، و ها هو ذا قد أدمى جبهته و قدع أنفه ، و ساقه إلى جهنم سوقاً ، ليصلى عذابها الاليم في الدنيا ، ولعذاب الآخرة أنكى وأشد .

فماذا فعل الوليد ليثأر لنفسه وليعيد بعض كرامته الضائعة وستره المهتوك لاشيء . . بل انه قد استخزى أن يعيد هذا القول المنكر فى القرآن مرة اخرى.
وأكثر من هذا فان هذا الخزى قد تجسد فى كيان الوليد ، وسكن فى مشاعره و أصبح خاطراً مزعجاً يطل عليه كل حين بالصغار والذلة . . حتى لقد كان يوم «بدر» وكان العهد بالوليد أن يتقدم المعركة ويؤجج نارها ضد «محمد» وأنصار محمد ليثأر لنفسه ، وليزيح هذا الخزى الذى جثم على شخصه . . ولكن الوليد كان أكثر قريش ترددا فى خوض هذه المعركة وأشدها نفرة منها ، وكان رأيه الذى نادى به فى قومه أن يدعوا محمداً للعرب ، فان ظفرا به كان فى ذلك ماتريد قريش وإن ظفر هو بالعرب كان عزه عزاً لقريش ونصره نصراً لها !

كان هذا هو رأى الوليد يوم «بدر» ولكن قومه هاجوه وأبوا عليه أن يخذ لهم فى هذا الموقف ، وأن يفضحهم بين العرب ، حين يشيع فى القبائل أن صناديد قريش قد خاروا وجبنوا عن لقاء «محمد» فى ميدان القتال ، بعد أن انهزموا أمامه فى ميدان الفصاحة والبيان .

وشارك الرجل فى الحرب مكرهاً وقاتل متكرهاً . ، بنفس منكسرة متخاذلة فلم يلبث حتى كان فى القتلى . . ولا تعجب من فعل هذه الايات فى نفس الوليد إلى هذا الحد الذى يذهب بشخصيته ويضيع معالم وجوده فى قومه . . فلقد ملأت أنغام هذه الايات الجزيرة العربية كلها ، بعد أن ذاعت فى الناس وترددت على الافواه وأصبحت حديثاً موصولاً فى كل مكان ومجال !
فها هى ذى على كل لسان . . تنشدها الجماعات نشيداً عالياً منغماً ، و يحدو ، و بها الحداة غناء سارياً مع الليل فى متسع الصحراء !

انها شعر . . وليست من الشعر ! وانها سحر . . وماهى من السحر !

اقرأ مرتلاً :

ذرنى ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً ممدوداً

و بنين و شهوداً
و مهّدت له تمهيداً
ثم يطمع أن أزيد
كلّا
انه كان لاياتنا عنيداً
سار هقه صعوداً
انه فكر و قدر
فقتل كيف قدر
ثم قتل كيف قدر
ثم نظر
ثم عبس و بسر
ثم ادبر و استكبر
فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر
إن هذا إلاّ قول البشر
ساصليه سقر
و ما أدراك ما سقر
لا تبقى و لا تذر
لوآحة للبشر

عليها تسعة عشر

أورايت نظماً نظيراً في الروع من هذا النظم؟ أو سمعت قولاً آخذاً للقلوب من هذا القول؟ ثم أرايت خيالاً يطول هذه الحقيقة، ويصطاد خواطر النفوس؟ وهل عرفت كلاماً أخف على اللسان وأعلق بالجنان من هذا الكلام؟ و هل رأيت قولاً تنتصب حروفه وتنتظم كلماته، وتتأخى مقاطعه.. وتتسق أساليبه كما اتسقت هذه الايات و توازنت؟

ولقد امتلأت أسماع مكة وما حولها بأنغام هذه الايات، وترددت أصداء هذه الانغام، فطوفت بالجزيرة العربية كلها. . وإذا «الوليد بن المغيرة» و كانه شبح محمول على هذه الاصداء، يسير معها في كل مسير . . يرتفع إلى السماء ثم يهوى إلى الارض؛ ويلتقى بقمة جبل ثم يغوص في أعماق جبّ . . وهكذا كان يطوّف في آفاق الارض مع هذه الايات فتتقطع أنفاسه، وتتمزق أشلاؤه وإذا هو ولا شيء . . سراب يلمع ثم يختفى إلى أن احتواه «القليب» : حفرة في وادعميق ببدر ألقى فيه قتلى قريش» يوم بدر . . جثة هامدة عفنة!

هذا رأس من رؤس قريش قد فضّحته هذه السورة تفضيحاً ولطمته لطماً فحتكته

حتكاً فضيحاً ، وقابلته هذا التحدى بكل ما عنده من قوة وما لديه من طول . . فما رفع رأسه ولافتح فمه إلى أن خر صريعاً تحت أقدام المسلمين يوم بدر !

وان الوليد بن المغيرة قتل يوم بدر . . ولو انه لم يقتل لدخل فى الاسلام يوم الفتح مع الذين دخلوا في دين الله أفواجاً أو لدخل قبل هذا اليوم كما دخل كثير من قريش كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعكرمة بن أبى سفيان . .

وأضرابهم ممن كانوا حرباً على الاسلام لكان قوله تعالى فيه : «ساصليه سقر وما أدراك ما سقر . . » حجة مصدّعة للقرآن ، ذاهبة بكل إحترام له واعتداد به، ووقوف عنده .

فلو دخل الوليد في الاسلام لانطفأت دعوة الاسلام ولقامت الحجّة على القرآن بانه كذب وإفتراء ورجم بالغيب وانه قول البشر ، وماذا يبقى لمحمد بعد ذلك؟ و بأى وجه يلقى الناس بقرآنه هذا الذى يقول عنه : انه من عند الله . أليست هذه معجزة قاهرة للدنيا كلها . . تتحدى الناس والحياة جميعاً ؟ وأىّ معجزة أبهر و أقهر من أمر لايكلّف صاحبه أكثر من كلمة يقولها بلسانه فيبطل بها قول «محمد» كله ويفسد أمره جميعه . . فلو دخل الوليد بن المغيرة فى الاسلام لكان اسلامه هدماً للاسلام كله وحكماً على القرآن كله بانه تخرصات ساحر ، أو تخبطات كاهن ولثبت قوله: انه قول البشر ،حتى ولو دخل فى أى حال وعلى أى وجه فى الاسلام لينقض ما اخبر به محمد ﷺ لثبت حكمه :انه قول البشر ولكن أين الاسلام من الوليد وقد أخبر القرآن الكريم قبل نحو عشرين سنة انه كان لاياتنا عنيداً سارهقه صعوداً ـ ساصليه سقر . وقد قتل يوم بدر عنيداً بآيات الله تعالى فأصلاه سقر .

﴿التكرار﴾

نشير في المقام الى صيغ ست لغات ـ أوردنا معانيها اللغوية على طريق الاستقصاء في بحث اللغة ـ الصيغ التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السور القرآنية :

١ـ جاءت كلمة (المدثر) بصيغتها في القرآن الكريم مرة واحدة : وهي في سورة المدثر : ١) .

٢ـ « « (النقر) « « « « أربع مرات: ١ـ ٢ المدثر : ٨) ٣و ٤ ـ النساء : ٥٣ـ ١٢٣) .

٣ـ « « (البسر) « « « « مرتين : أحدهما ـ المدثر : ٢٢) ثانيهما ـ القيامة : ٢٤) .

٤ـ « « (سقر) « « « « اربع مرات : ١ـ ٣ . المدثر : ٢٦ و٢٧ و ٤٢) ٤ـ سورة القمر : ٤٨) .

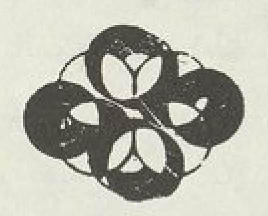
٥ـ « « (الحمار) « « « « ست مرات: ١ سورة المدثر : ٥٠) ٢ـ فاطر : ٢٧) ٣ ـ الجمعة : ٥) ٤ـ لقمان : ١٩) ٥ـ البقرة: ٢٥٩) ٦ـ النحل : ٨) .

٦ـ « « (القسورة) « « « « مرة واحدة وهي في سورة المدثر : ٥١) .

ان الله تعالى أعاد « كيف قدر » مرتين ، وأعاد « قدر » ثلاث مرات لان التقدير :

ان الوليد بن المغيرة فكر في بيان محمد ﷺ و ما أتى به ، وقدر مايمكنه أن يقول فيهما ، فقال الله تعالى : «فقتل كيف قدر» أي القول في محمد ﷺ «ثم قتل كيف قدر» أي القول في القرآن الكريم .

وقال : «كلا انه تذكرة»: ٥٤) أي تذكير ، وعدل إليها للفاصلة ، وقال: «انه تذكرة فمن شاء ذكره» وفي سورة عبس : «انها تذكرة» لان تقدير الاية فيما نحن فيه : ان القرآن تذكرة، وفي سورة عبس :ان آيات القرآن تذكرة . ويحتمل ان تكون التذكرة في سورة عبس متوجهة إلى قصة الاعمى والايات التي نزلت فيها، توجيهاً للمؤمنين إلى وسائل تربية المسلمين ، أما في هذه السورة فالقرآن كله لان المقام مقام الكلام عن الكفر والايمان لا طرائق تربية المسلمين . وقيل : حمل التذكرة على التذكير لانها بمعناه . فتأمل جيداً .



﴿ التناسب ﴾

ان البحث فى المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولاً .

ثانيها ـ التناسب بينها وما قبلها مصحفاً .

ثالثها ـ التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى والثانية فالتناسب بينهما نزولاً ومصحفاً فبامور :

أحدها ـ لمابينهما من التواخى فى الافتتاح بنداء النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : «ياأيها المزمل» و«ياأيها المدثر» وكانت الاولى دعوة لايقاظ النبى صلى الله عليه وآله وسلم وتنبيهه إلى الحياة الجديدة التى سيبدأ رحلتها منذاليوم الذى إلتقى فيه برسول الوحى من قبل فى غار «حراء» وقد أخذ النبى صلى الله عليه وآله وسلم من هذا اللقاء ما أخذه من جزع و قلق حتى لزم بيته و أرخى ستاراً بينه و بين الحياة ، فجاء الوحى ليشرح له الموقف ويبيّن لهمهمته بان الامر الذى تلقاه ليس له أن يقرأ ما يسمع منه فحسب، وانما ذلك هو بدء قراءة دائمة متصلة بينهما ، ثم هو قراءة بين النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبين الناس جميعاً فانه رسول الله إليهم جميعاً ، وانه حامل لرسالة سماوية لابدله أن يؤديها اليهم . . .

وان أداء هذه الرسالة يقضى ان يرفع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هذا الغطاء عنه وأن يستيقظ استيقاظاً كاملاً ، وأن يصحو صحوة لايخالطها فتور حتى يستطيع أن يحمل هذه الرسالة الكبرى ويواجه الناس بها : «انا سنلقى عليك قولاً ثقيلا» . ولقد

استيقظ المزمل، و دفع الغطاء عنه، وقام الليل إلاّ قليلاً، وكان يرتل ما نزل عليه من آيات ربه، و يعيش معها بوجوده كله، حتى يتمثل هذه الايات حرفاً حرفاً و كلمة كلمة، وحتى يكون هو نفسه على مستوى هذه الايات كمالاً وروعة وجلالاً... انه الوعاء الحامل لايات الله تعالى إلى الناس، وان للوعاء و زنه و قدره وأثره فى المادة الحامل لها، وفيما يرى الناظرون إليها منه، ومايقع فى نفوسهم منها.

وقد استيقظ المزمل وأخذ أهبته للمهمة الجديدة التى كلف بها، وتزود لها بالزاد الذى يعينه عليها، و لم يبق إلاّ أن يؤذن له ببدء المسيرة إلى حيث يلتقى بالناس ويؤذّن فيهم برسالة الله المرسل بها إليهم ـ إذيصل الامر إلى هذا الحدفها هوذا رسول الوحى، يطرق الباب على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ثم يدخل عليه، فيجده متدثراً فى ثيابه قائماً فى محراب ذكره لله، وترتيله آيات الله جل وعلا فيهتف به بقوله تعالى: «ياأيها المدثر قم فانذر» انها دعوة إلى قيام غير القيام الاول الذى دعى اليه فى قوله تعالى: «ياأيها المزمل قم الليل الاقليلا» وان المزمل غير المدثر، فالمزمل نائم متعب مجهد... والمدثر متلفف فى ثيابه فى حال قيام أوقعود وان لم يكن مشمراً للعمل، وان المدثر ليقوم الآن لينذر ويبلغ رسالة ربه إلى الناس و ليخلع الاردية المتدثر بها وليلبس ثوب العمل و التبليغ، و لقد بدأت اذاً الرحلة الجديدة... فليقم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وليشدّ رحاله، والله تعالى معه يعينه ويثبت أقدامه...

ثانيها ـ لمانرى من المناسبة أيضاً فى مطلعى السورتين إذفى مطلع الاولى إعداد للنبى صلى الله عليه وآله وسلم لمهمته النفسية العظمى، وفى مطلع الثانية له خطة حينماأمر بدعوة الناس وإنذارهم بل ان التساوق بين مطليعهما أيضاً ملحوظ إذاماأمعن القارى النظر ففى سورة المزمل إعداد لنفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للنهوض بالتبعة الكبرى و مواجهة قريش بعدذلك بالدعوة جهاراً وكافة ممايترتب عليه مشاق كثيرة متنوعة

تحتاج مواجهتها إلى إعداد نفسي سابق ، و ان سورة المدثر لابراز عداد النفس لذلك فقال : «ياأيها المدثر قم فانذر» واستعن بالله تعالى فى هذا الامر العظيم و قال : «وربك فكبر»

فالاولى بدئت بالامر بقيام الليل وتلاوة القرآن الكريم لتكميل نفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم وبدئت الثانية بالامر بانذار غيره لتكميل المجتمع البشرى .

ثالثها ـ ان الله تعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم فى آخر السورة السابقة بالصلاة وغيرها أمره صلى الله عليه وآله وسلم فى مفتتح هذه السورة بالانذار فكأنه أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يبدأ بنفسه ثم بالناس .

رابعها ـ ان الله تعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم بقيام الليل وترتيل القرآن و بالصبر على مايقول المشركون من غير ذكر مقالتهم ، وتهديد الاغنياء المكذبين فى السورة السابقة ، وأشار فيها إلى يوم القيامة وأهوالها وأحوالهم إجمالاً ، وإلى أن الانسان مختار فى اتخاذه إلى ربه سبيلاً أمره صلى الله عليه وآله وسلم فى هذه السورة بان التكبير لابد وأن يكون للرب وحده ، وأن يكون الصبر لوجه الله جل وعلا ، وأشار إلى مقالة المشركين ، وهدد رؤسهم مع ذكر سبب التكذيب و الطغيان بالعناد و عدم خوفهم الآخرة مع الاشارة إليها وأحوالهم فيها تفصيلاً ، وإلى أن الانسان مالم تستعد نفسه للاتخاذ لايتخذ إلى ربه سبيلاً .

واما الثالثة : فلما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم برفع الدثار تلويحاً والقيام بانذار الناس تصريحاً أمره بما يخالف المشركين عملاً و قلباً وقولاً من التكبير للرب وحده وتطهير الثياب وترك ماكانوا يعبدون من الاوثان من غير أن يطلب منهم أجراً أو يمنّ على أحد فى مهمته ، ثم أمره بالصبر على هذه المهمة وعلى مايقولون فيه وينسبون إليه .

ثم أخذ بذكر مايوجب الايمان وهو القيامة وأهوالها وتبعتها على الكافرين عامة ثم أخذ بتهديد رؤسهم وعناده وما عليه فى الحياة الدنيا و مايؤول أمره إليه

فى الاخرة مع الاشارة إلى مافيه فتنة للكافرين و ، إستيقان لاهل الكتاب ، وزيادة ايمان للمؤمنين ، و يتلجلج فيه المنافقون والكافرون ، وإلى سبب ذكر ذلك .

ثم أشار إلى أحوال الفريقين : من أهل الايمان والكفر فى الاخرة ، إلى سبب إعراض المجرمين عن التذكرة ، وفقدهم مايوجب التذكر باختيار . فتدبر و اغتنم جداً .



«الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه»

قيل : إن قوله تعالى : «ذرني ومن خلقت وحيداً» المدثر : ١١) منسوخ بآية السيف وهي قوله تعالى : «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم . . .» التوبة :٥)

أقول : إن الاية الاولى بصدد التهديد والوعيد الشديد فأين هذا من النسخ؟

و قيل : ان قوله تعالى: «فمن شاء ذكره» المدثر : ٥٥) منسوخ بقوله تعالى: «وما يذكرون إلاّ أن يشاء الله» المدثر : ٥٦)

أقول : ان الاية الاولى بصدد نفي الاكراه والاجبار في الدين عقيدة و إخلاصاً بعد وضوح الحق وإن الانسان مختار في قبوله .

وأما الاية الثانية فاخبار عن عدم ايمانهم وهذا لايصلح ناسخاً .

وقيل : ان الاية الاولى منسوخة بآية السيف .

أقول : وماجاءت الاية بصدده ظاهر لايخفى على القارىء المتدبر ، فأين هذا من النسخ أيضاً ؟

وقد سئل الامام جعفر بن محمد الصادق عليه‌السلام عن الايات المتشابهات :

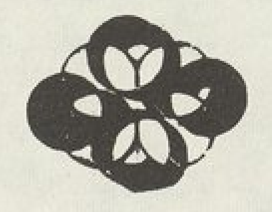
منها : قوله تعالى : «وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء» المدثر : ٣١)

فأجاب الامام عليه‌السلام : «فكان تركهم إتباع الدليل الذي أقام الله لهم ضلالة لهم ، فصار ذلك كأنه منسوب اليه تعالى ، لما خالفوا أمره في إتباع الامام ثم افترقوا واختلفوا ولعن بعضهم بعضاً ، واستحل بعضهم دماء بعض ، فماذا بعد الحق

إلاّ الضلال ، فأنى تؤفكون» .

وقدزعم بعض المفسرين ان قوله تعالى : «ومايذكرون إلاّ أن يشاء الله» المدثر : ٥٦) من الايات المتشابهة .

اقول : وسيأتى فى التفسير والتأويل وفى بحث مذهبى مايدفع هذا الزعم فانتظر .



﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١ - (يا أيها المدثر)

فى الاية أقوال : ١ - عن قتادة و إبن عباس : أى يا أيها النائم فى ثيابه . وقيل له : ذلك حين هو صلى الله عليه وآله وسلم متدثر بقطيفة . والمعنى : يا أيها المتدثر بثيابك عند نومك والمتّزر به .

٢ - عن عكرمة : أى يا أيها المتدثر بالنبوة و أثقالها . والمعنى : يا من تلبس ثياب النبوة ، انها ثياب جهاد فى سبيل الله ، و لبوس حرب و قتال لاعداء الله جل و علا . ٣ - قيل : أى يا أيها المستريح الفارغ ، فقد انقضى زمن الراحة ، و أقبل زمن متاعب التكاليف و هداية الناس . ٤ - أى يا ذا الذى قد تدثر بثيابه أى يتغطى بها لينام .

٥ - قيل : أى يا من اعتزلت و غبت عن النظر ، على أنه خطاب له صلى الله عليه وآله وسلم بماكان عليه من غار حراء . ٦ - قيل: أى يا من تلبّس بالنبوة تشبيهاً لها بلباس يتحلى به و يتزيّن . ٧ - قيل: أى يا من تلفف بدثاره أو غطائه والدثار إسم لما يتدثر به . ٨ - قيل : أى يا من تدثر بثيابه رعباً و فرقاً من رؤية الملك عند نزول الوحى أو مرّة تدثر من دقعة الوحى المفاجىء الثقيل .

اقول : ولكل وجه ولكن الاوجه هو الاول، مع تداخل البعض فى البعض الاخر من غير تناف فيها .

٢ - (قم فأنذر)

في متعلق القيام و معمول الانذار أقوال : ١- عن الفراء : أي قم من قعودك فصل وأمر الناس بالصلاة. ٢ - قيل : أي قم من مضجعك و نومك ، فأنذر قومك وعشيرتك الذين أشركوا بالله سبحانه و عبدوا غيره ، أنذرهم من عذاب الله تعالى في الحياة الدنيا بالدمار والهلاك و في الآخرة بالنار والعذاب . و ذلك لمناسبته لابتداء الدعوة لقوله تعالى : «و أنذر عشيرتك الاقربين» الشعراء : ٢١٤) .

٣ - قيل: أي قم يامحمد قيام عزم وتصميم فأنذر كافة الناس من تبعة الكفر والطغيان ، و بشرهم بعاقبة الطاعة والايمان لقوله تعالى : «و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً و نذيراً» سباء : ٢٨) .

فالمراد بالقيام هو الجد في أمر الرسالة والقيام بما أرسل به، وترك الهوينا فيه . فكأنه قيل له : لاتنم عما أمرتك به ، وهذا كما تقول العرب: فلان لاينام في أمره إذا وصف بالجد والانكماش و صدق العزيمة ، و كأنهم يحظرون النوم على ذي الحاجة حتى يبلغ حاجته .

٤ - قيل : أي قم للانذار والدعوة والتبليغ ، على أن المراد بقيام الانذار الامر بالانذار من غير نظر إلى من ينظر، فالمعنى: إفعل الانذار . ٥- عن قتادة : أي قم يا محمد فانذر أهل مكة عذاب الله تعالى إن لم يسلموا ، و خوفهم من وقائعه تعالى في الامم السابقة و حذرهم من شدة نقمته إن لم يؤمنوا ، و ادعهم إلى الحق والصواب و إلى الايمان والعبادة لله وحده لينجوا من هول عذاب يوم عظيم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت . ٦ - قيل : أي قم من القعود و أعلم الناس بنبوتك . فالانذار هو الاعلام بالنبوة لانه مقدمة الرسالة .

٧ - قيل: أي قم يامحمد فادع المشركين إلى التوحيد . فالمراد بالانذار هو الدعاء إلى التوحيد لانه المقصود بالرسالة . ٨ - قيل : أي يا أيها الطالب صرف الأذى بالدثار اطلبه بالانذار و خوف قومك بالنار إن لم يؤمنوا .

٩ - قيل : أي ليس بك ما تخافه من الشيطان، إنما أنت نبي مرسل، فانذر

الناس و ادعهم إلى التوحيد . قيل : و فى هذا ما فيه لان الله تعالى لايوحى إلى رسوله إلاّ بالبراهين النيرة والايات البينة الدالة على أن ما يوحى إليه إنما هو من الله تعالى ، فلا يحتاج إلى شيء سواها و لا يفزع و لا يفرق .

اقول : والثالث هو المؤيد بقوله تعالى : « و ما هى إلا ذكرى للبشر ـ نذيراً للبشر » المدثر : (٣١ ـ ٣٦) فانه يدل على عموم الانذار لكافة الناس .

٣ ـ (و ربك فكبر)

فى الاية أقوال : ١ـ قيل : أى عظّم ربك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم مما يقوله عبدة الاوثان من الشركاء والاضداد والانداد ومشابهة الممكنات والمحدثات . والمعنى: اختص التكبير بربك أو اختص ربك بالتكبير فكبّره وحده ونزهه من الشرك

٢ـ عن مقاتل: انه لما نزل قوله تعالى: « و ربك فكبّر » قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال: « الله اكبر » فكبرت خديجة وفرحت وعلمت أنه الوحى المنزل من الله تعالى .

٣ـ قيل: أى فكبّره تعالى عن كل لغو و عبث . ٤ ـ قيل : اريد بالتكبير تكبيرات فى الصلوات من تكبيرة الاحرام وعند الركوع والسجود والقيام والسلام، وفى غير الصلاة . والمعنى: مهما كان من شيء فلا تدع تكبيره فكبّره فى كل حال.

٥ ـ قيل : أى و سيدك و مالكك و مصلح أمرك فعظم ، وصفه بانه أكبر من أن يكون له صاحبة أو ولد أو كفؤ . فالمراد بالتكبير: هو التقديس والتنزيه بخلع الانداد والاصنام دونه ، فلا تتخذ ولياً غيره ، ولا تعبد سواه ، ولا ترى نعمة الآ منه تعالى . ٦ـ قيل: أى فكبره عن أن لاينتقم من الكافرين بكفرهم، و من العاصين بعصيانهم ، ومن الطغاة بطغيانهم .

٧ ـ قيل : اريد بالتكبير ما يفتتح به الصلاة من تكبيرة الاحرام أى قل: « الله أكبر » عند الدخول فى الصلاة . و قد ورد : ان أباسفيان قال يوم احد : اعل هبل . فقال النبى صلى الله عليه وآله وسلم قولوا : الله أعلى و أجل . ثم صار هذا اللفظ بعرف الشرع فى تكبير العبادات كلها أذاناً و صلاة و ذكراً بقوله : « الله أكبر » .

٨- قيل: أي عظم ربك مما يقوله المشركون و عبدة الاصنام من الله سبحانه أمرك بالانذار من غير حكمة و صلاح عام. ٩ - قيل: أي فعظّم ربك يا محمد بعبادته والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والانداد. ١٠ - قيل: أي عظّمه و نزّهه عما لا يليق به.

١١ - قيل: ان المراد بالتكبير هو لزام الايمان بربوبيته و تنزيهه عما لا يليق بساحة قدس، وليس تكبيره قول: «الله أكبر» مجرداً عن الايمان بواقعه إذ كثير من الناس يقولونه ولايكبرونه واقعاً، فتكبير الرب غير التكبير لفظياً للرب و إن كان يشمله قول: «الله أكبر».

أقول: و على الاول أكثر المفسرين و قريب منه الاخير من غير تناف بينهما و بين أكثر الاقوال الاخر.

٤ - (و ثيابك فطهر)

في الاية أقوال: ١ - عن ابن عباس و عكرمة و قتادة و ابراهيم والضحاك و عطاء: أي لا تلبس ثيابك على معصية و لا على غدرة و لا على فجرة و لا على لباس شهر ولا على هزء تطهيراً لك عن التعرض للبهت والغيبة. عن عكرمة عن إبن عباس قال: أتاه رجل، و أنا جالس، فقال: أرأيت قول الله: «و ثيابك فطهر»؟ قال: لا تلبسها على معصية و لا على غدرة.

٢ - عن مجاهد و إبن زيد والسدي: أي أصلح عملك و طاعتك. و ذلك لان العرب تقول لرجل خبيث العمل: انه خبيث الثياب و لرجل حسن العمل: انه طاهر الثياب. و تقول في الرجل إذا نكث و لم يف بعهده: انه دنس الثياب، و إذا وفي و أصلح: انه مطهر الثياب. فتطهير الثياب كناية عن إصلاح العمل على أن العمل بمنزلة الثياب للنفس بما لها من الاعتقاد، فالظاهر عنوان الباطن، و كثيراً ما يكنّى في كلام العرب عن صلاح العمل بطهارة الثوب.

٢ - عن إبن عباس أيضاً: أي لاتلبس ثيابك من مكسب غير طيب ولاتكون

من الحرام كالسرقة والخيانة والبخس وما إليها من وجوه الحرام . . .

٣- عن مجاهد أيضاً : أى لست بكاهن ولا ساحر ، فاعرض عما يقول فيك المشركون بعد إظهارك الرسالة .

٤- عن إبن سيرين وإبن زيد والزجاج : أى وثيابك فطهّر من النجاسة و اغسله بالماء ، لان المشركين لايتطهرون ثيابهم ، فأمره الله تعالى أن يتطهر ثيابه.

٥- قيل :أى و ثيابك فانق . ٦- عن الزجاج أيضاً و طاوس : أى وثيابك فشمّر و قصّر ، فان تقصير الثياب أبعد من النجاسة ، فاذا انجرّت على الارض لم يؤمن أن يصيبها ما ينجّسها . فالثياب حقيقة فى معناه ، والتطهير كناية عن التقصير لان العرب كانوا يطولون ثيابهم ، ويجرّون أذيالهم وقال الامام على عليه السلام :قصّر ثيابك فانه انقى وأبقى وأنقى . ٧- قيل : ان المراد بتطهير الثوب تعويضه السابق ، ولان طهارة الثوب تذهب الحزن و الهم .

٨- قيل : الثياب : العمل ، و الطهارة التطهير : الاخلاص . و المعنى : و عملك فطهر بالاخلاص . ٩- عن إبن عباس وقتادة أيضاً وسعيد بن جبير : أى و قلبك فطهر بالايمان والاخلاص عن الغدارة والحيلة والخداع، وعن الآثام والمعاصى. قال القفال : ان المشركين لما لقبوا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بالساحر شق عليه ذلك فرجع إلى بيته ، وتدثر فكان ذلك إظهار جزع وقلة صبر ، فأمر بحسن الخلق وتهذيب الاخلاق . . . أى طهّر قلبك عن الصفات الذميمة كقطع الرحم ، وعزم الانتقام و السآمة من الدعوة إلى دين الله لأجل أذى القوم . وهذا بعد مناسبته لخطابه بالمدثر مجاز مستعمل يقال : فلان طاهر الجيب نقيّ الذيل إذا كان بريئاً من المثالب ، و يقال : المجد فى ثوبيه ، و الكرم فى برديه . وذلك ان الثوب كالشيء الملازم للانسان فجعل طهارته كطهارته ، ولان الغالب ان من طهر باطنه طهر ظاهره

١٠- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة أيضاً : الثياب النفس ، والمعنى : فطهر نفسك مما يستقذر من العقائد الباطلة و الآراء الواهية والافعال الفاسدة ، ومن

المعائب ومدانس الاخلاق . . . فان طهارة النفس وشرفها وبعدها عن كل ريبةو تزكيتها بالايمان والصفات الجميلة والاخلاق الفاضلة وبعدها عن الغل والحقد و المكر والخبث ، وتنزيهها عن الذنوب والمعاصي . . . هي تطهير الثياب .

١١- قيل : أي فطهر جسمك، فعبّر عن الجسد بالثياب لاشتماله على النفس وكانت العرب لايتنظفون وقت الاستنجاء فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتنظيف .

١٢- عن أبي مسلم : أي فطهر أهلك . فاريد بالثياب الازواج قال الله تعالى: «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» واللباس والثياب بمعنى واحد . فكأنه تعالى أمره صلى الله عليه وآله وسلم أن يستطهر النساء أي يختارهن طاهرات من دنس الكفر ودرن العيب لا نهن مظان الاستيلاد ومضمام الاولاد . والمعنى : ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف ، وطهرهن من الخطايا بالوعظ والتأديب . والعرب تسمي الاهل ثوباً و لباساً وإزاراً . وقيل: فطهرهن في الاستمتاع بهن في القبل دون الدبر ، وفي الطهر لافي الحيض .

١٣- قيل : أي ودينك فطهر . على أن الثياب لايختص بالبدن ، بل لكل إنسان ثلاثة أثواب: ثوب الجسد المتصل به ، شعاراً ودثاراً . ثوب المنفصل عنه وهو زوجته التي اعتبرت لباساً كالعكس «هن لباس لكم وأنتم لباس لهن» وثوب الروح وهو الدين والتقوى قال الله تعالى: «يابني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير» (الاعراف : ٢٧) .

١٤- عن الحسن : أي وأخلاقك فطهّر وحسّنها بفضائلها ، وذلك لان خلق الانسان مشتمل على أحواله إشتمال ثيابه على نفسه .

١٥- عن عكرمة أيضاً قال : يعني بطهارة ثيابهم سلامتهم من الدناءات ،و يعني بغرة وجوههم تنزيههم من المحرمات أوجهالتهم في الخلقة أو كليهما .

١٦- قيل : اريد بتطهير الثياب الاعلام بان الصلاة لاتجوز إلاّ في ثياب طاهرة من الانجاس والاقذار . . فترك لفظي الثياب والتطهير على ظاهره .

اقول : والسادس هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر وقريب منه السادس عشر . كمايظهر هذا من قوله تعالى : «والرجز فاهجر» فتدبر جيداً .

٥- (والرجز فاهجر)

فى الايه أقوال: ١-عن إبن عباس ومجاهد وإبن زيد والزهرى: أى والاوثان فاترك عبادتها وخدمتها . وقال قتادة : الرجز إساف ونائلة وهما صنمان كانا عند البيت . ٢- عن إبن عباس أيضاً والضحاك والحسن : أى و اجتنب عن المعاصى و المآثم و اتركها . ٣- قيل : الرجز كلما يؤدّى إلى النار والعذاب من المآثم القلبية والقولية والفعلية ... ٤- قيل: الرجز النجاسة والقذارة الظاهرة والباطنية...

٥- قيل : الرجز سوء الاخلاق . . . ٦- قيل : الرجز طهارة النفس من الآثام ورذائل الاخلاق . . . وان النفس متى طهرت منها كانت مستعدة للافاضة على غيرها واقبلت باصغاء وشوق إلى سماع ما يقول الداعى .

٧- قيل : أى الفحش والمعصية والاوثان والاثم والبذاءة والمظهر المستنكر

٨- قيل : أى اخرج حبّ الدنيا من قلبك لانه رأس كل خطيئة . ٩- عن الجبائى : أى جانب الفعل القبيح و الخلق الذميم . ١٠ - عن السدى : الرجز - بالنصب - : الوعيد . ١١- قيل : الرجز العذاب على تقدير المضاف والمعنى : و عمل الرجز فاهجر . أو العمل المؤدى إلى العذاب . و أصل الرجز : العذاب . قال الله تعالى : «لئن كشفت عن الرجز لنومنن لك» وقال : «فارسلنا عليهم رجزاً من السماء» فسميت الاوثان رجزاً لانها تؤدّى إلى العذاب .

١٢- عن أبى العالية والربيع والكسائى: الرجز- بالضم- : الصنم، وبالكسر: النجاسة والمعصية . وقال الكسائى أيضاً - بالضم - : الوثن - وبالكسر-: العذاب.

اقول : والاول هو المروى .

٦- (ولاتمنن تستكثر)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس وعكرمة و قتادة و الضحاك ومجاهد و

النخعي : أي ولا تعط يامحمد ﷺ عطية لتعطى أكثر منها ، فتلتمس بها أفضل منها بالهدايا ونحوها . . . فكأنه أمر بأن تكون عطاياه لله تعالى لا لإقتراب ثواب من الخلق عليها . وقيل : وهذا للنبي ﷺ خاصة لانه ﷺ هو المأمور باجمل الاخلاق وأشرف الآداب . . . فالمعنى : ولاتمنن بعطائك على الناس مستكثراً ما اعطيته ،فان متاع الدينا قليل ، ولان المن يكدر الصنيعة .

٢- عن الحسن و ربيع بن أنس : أي ولاتمنن عملك الصالح و حسناتك على ربك تستكثرها ، فينقصك ذلك عند الله تعالى . ٣- عن مجاهد أيضاً : أي لاتضعف أن تستكثر في الخير ، ولاتضعف في عملك مستكثراً لطاعاتك التى امرت بها قبل هذه الاية . من قولك : حبل متين إذاكان ضعيفاً . ٤- قيل ،أي لاتمنن على ربك بما تتحمله من أثقال النبوة كالذى يستكثر ما يتحمله بسبب الغير .

٥- عن إبن زيد : أي لاتمنن بالنبوة والقرآن الكريم على الناس ، فتأخذ عليه منهم أجراً ، فتستكثر بهقال الله تعالى : «قل لاأسئلكم عليه أجراً إلاّ المودة في القربى» : ٦- قيل : أي لاتمنن منة على من أعطيته من المال ، فاذالم تفعل ذلك فيزيد الله تعالى على إعطاءك كما قال تعالى : «فمن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها» بلامنّ . ٧- قيل : ان المراد بالمن تكدير الصنيعة بذكرها للمنعم عليه كمافي قوله تعالى: «لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى» البقرة : ٢٦٤) وقوله تعالى: «يمنّون عليك أن أسلموا» الحجرات : ١٧) والمراد بالاستكثار رؤية الشيء وحسبانه كثيراً لا طلب الكثرة .

والمعنى : لاتمنن إمتثالك لهذه الاوامر وقيامك بالانذار وتكبيرك ربك و تطهيرك ثيابك وهجرك الرجز، حالكونك ترى ذلك كثيراً وتعجبه - فانما أنت عبد لاتملك من نفسك شيئاً إلاّ ما ملّكك الله وأقدرك عليه وهو المالك لماملّكك والقادر على ما عليه أقدرك ، فله الامر وعليك الامتثال .

٧- عن مجاهد أيضاً والربيع : أي لاتعظم عملك في عينك أن تستكثر من الخير ،فانه

مما أنعم الله عليك . ٨- عن إبن كيسان : أى لا تستكثر عملك فتراه من نفسك إنما عملك منّة من الله تعالى عليك إذ جعل الله لك سبيلاً الى عبادته .

٩ - عن مجاهد أيضاً و القرظى : أى لا تعط مالك مصانعة ، رجاءاً لأفضل منه من الثواب فى الدنيا ، فلا تفعل الخير لترائى به الناس .

١٠ - عن زيد بن أسلم : إذا أعطيت عطية فاعطها لربك ، و اصبر حتى يكون هو الذى يثيبك عليها . ١١ - قيل : أى لا تقل : دعوت فلم يستجب لى . ١٢ - قيل : أى لا تعمل طاعة و تطلب ثوابها و لكن اصبر حتى يكون الله تعالى هو الذى يثيبك عليها . ١٣ - عن أبى مسلم : ان هذا نهى عن الربا المحرم أى لا تعط شيئاً طالباً أن تعطى أكثر مما أعطيت . ١٤ - عن الجبائى : أى لا تمنن بابلاغ الرسالة على امتك . ولا على أصحابك بماعلمتهم وبلغتهم من الوحى مستكثراً ذلك عليهم .

اقول : والرابع عشر هو المستفاد من الرواية الآتية .

٧ - (ولربك فاصبر) .

فى الاية أقوال : ١ - عن مجاهد : أى فاصبر على ما اوذيت من المشركين. ٢ - قيل : أى فاصبر لوجه الله تعالى أو لأمره على الطاعة و تبليغ الرسالة . ٣ - عن مقاتل : أى فاصبر على مالقيت فيه من المكروه و الاذى و التكذيب فى أمر رسالتك . فالمعنى : فاصبر على ما أمرك الله تعالى به من أداء الرسالة و تعظيم الشريعة ، وعلى ماينالك من التكذيب و الاذى لتنال الفوز والذخر ، فلا تجزع من أذى من خالفك ، فان طريقك إلى قومك المشركين و إلى الناس كافة ملأ بألوان من المساءات و السفاهات و الأذى التى يرصدونها لك . . . و لمن هذا الصبر على المكاره ؟ انه لله تعالى وحده و فى سبيله وحده .

٤ - قيل : اى فاصبر على فراق الاهل و ترك الاوطان بالهجرة . ٥ - عن إبن زيد : أى حملت أمراً عظيماً شاقاً من محاربة العرب و العجم فاصبر

عليه لله تعالى وحده . ٦ـ عن إبراهيم : أى فاصبر على عطيتك وآدم على ذلك لله تعالى فان الخير فى إدامة صالح العمل . ٧ـ قيل : فاصبر عن المعاصى ، وعلى الطاعات وعند المصائب ، على أن الصبر مطلق يشمل الصبر عند المصيبة ، والصبر على الطاعة و الصبر عن المعصية .

٨ـ قيل: أى لوجه ربك فاصبر على طاعته و فرائضه و رضائه ، فاصبر حتى تثاب . و قيل : لسيدك ومالكك فاصبر على أداء فرائضه و عبادته، ٩ـ قيل : أى فاصبر تحت موارد قضاء الله تعالى لأجله . ١٠ـ قيل : أى فاصبر على البلوى لانه يمتحن اوليائه و أصفيائه . . . ١١ـ قيل : أى فاصبر على الاوامر والنواهى . .

اقول : و السابع هو المستفاد من ظاهر الاطلاق ، وهو الجامع للأقوال...

٨ـ (فاذا نقر فى الناقور) .

فى الاية أقوال : ١ـ عن إبن عباس و قتادة و الحسن و عكرمة و الضحاك والربيع و إبن زيد ومجاهد : أى إذا نفخ فى الصور وهى كهيئة البوق . ٢ـ قيل: ان ذلك فى النفخة الاولى وهو أول الشدة الهائلة العامة التى عندها تحيى الاموات و يبعث من فى القبور . ٣ـ عن الجبائى : انه النفخة الثانية و عندها يحيى الله الخلق ، و تقوم الساعة و هى صيحة الساعة ٤ـ قيل : النـاقور أداة يدق عليها كساطور أو ينفخ فيها لاحداث صوت خاص بدعوة الناس او تنبيههم وهو الصور أو القرن.

و ذلك لما كان الناس قد اعتادوا أن يضربوا الطبول أو ينفخوا بالابواق أو ينقروا على الادوات المصوتة حينما يريدون التجمع لأمرهام ، فقد جاء التعبير بالبوق للتشبيه و التقريب ، لان الله تعالى غنى عن ذلك حينما تقتضى مشيئته بعث الناس للحياة الاخروية ، فهنا نقر فى الناقور وفى آيات اخرى نفخ فى الصور .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين و قريب منه الثانى .

١١ـ (ذرنى ومن خلقت وحيداً) .

فى الاية أقوال : ١ ـ عن مجاهد و قتادة و إبن زيد و الضحـاك : أى كل

يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم إليّ أمر الذى خلقته فى بطن امه وحيداً لاشيء له من مال ولا ولد ولاناصر ولاجاه ومقام . ان الناس وإن كانوا كلهم خلقوا مثله ، ولكنه خص بالذكر لاختصاصه بكفر النعمة وايذاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وكان يسمى وحيداً فى قومه.

٢ ـ قيل : أى دعنى وحدى معه فانى اكفيك فى الانتقام منه عن كل منتقم .

٣ ـ عن مقاتل : أى خلّ بينى و بين محمد صلى الله عليه وآله وسلم فأنا انفرد بهلكته .

و الوحيد هو الوليد بن المغيرة.وخصّ بالذكر لمزيد كفره وعظيم جحوده بنعم الله تعالى . قال إبن عباس : كان الوليد يقول : أنا الوحيد بن الوحيد ليس فى العرب نظير، ولا لأبى المغيرة نظير، وكان يسمىّ وحيداً ، فقال الله تعالى وحيداً بزعمه لاأن الله صدّقه بانه وحيد . ٤ ـ عن أبى سعيد : اريد بالوحيد الذى لايعرف أبوه وهو الوليد بن المغيرة لانه كان دعياً .

٥ـ قيل : أى دعنى ومن خلقته حالكونى وحيداً لايشاركنى فى خلقه أحد ثم دبّرت أمره أحسن التدبير ، وخلّ بينى وبينه فأنا اكفيه .

٦ـ قيل : انه كان وحيداً فى كثرة الاموال والاولاد وكان له عشرة بنين و فى طول العمر والجاه العريض والرياسة وكان يسمى ريحانة قريش .

اقول : والرابع هو المؤيد بما ورد فى النزول ، وأما السياق فيؤيد الاول من غير تناف بينهما .

١٢- (وجعلت له مالاً ممدوداً)

فى المال الممدود أقوال : ١ـ عن مجاهد وسعيد بن جبير : ألف دينار وهو المال الذى له مدد يأتى من الجزء بعد الجزء على الدوام . ٢ـ عن سفيان الثورى و قتادة : هو أربعة آلاف دينار .

٣ـ عن النعمان بن سالم: كان مال الوليد أرضاً واسعة ممتددة . فالمال الممدود بمعنى إمتداد مكانه .

٤ـ عن إبن عباس : كان مال الوليد بن المغيرة ممدوداً ما بين مكة إلى

الطائف من الابل المجتمعة والخيل المسوّمة والغنم المقطعة والبساتين الكثيرة بالطائف والاشجار و الانهار والنقد الكثيرة. وقال عطاء: كان له بين مكة والطائف إبل وحجور ونعم وجنان وعبيد وجوار.

٥- عن عمر بن الخطاب: أى غلة شهر بشهر. ٦- عن مجاهد وسعيد بن جبير وإبن عباس أيضاً: أى غلّة ألف دينار. ٧- قيل: المال المدود كان كثيراً فى المقدار و المساحة وهو المال الذى يمد بالزيادة كالضرع والزرع وأنواع التجارات...

٨- عن قتادة: أى ستة آلاف دينار. ٩- عن سفيان الثورى ايضاً: أى ألف ألف دينار.

١٠- عن مقاتل: كان للوليد بستان وغيره لاينقطع خيره شتاء ولاصيفاً، بل يتو الى كالزرع والضرع والتجارة. وقال مجاهد أيضاً: المال الممدود: الكثير الذى لاتنقطع غلته عنه سنة حتى يدرك غلة سنة اخرى، فهو ممدود على الأيام. وقيل: كان ممدوداً بمدد النماء إذ كان له بستان بالطائف لاينقطع خيره فى الشتاء والصيف وعشرة بنين يشهدون المحافل والمجامع، وكان له مأة ألف دينار.

١١- عن النعمان بن سالم أيضاً: المال الممدود كان أرضا يزرع فيها.

١٢- قيل: كان تسعة آلاف دينار.

أقول: وعلى الرابع أكثر المفسرين و هو الانسب بظاهر التنكير والوصف.

١٣- (وبنين شهوداً)

فى «بنين» أقوال: ١- عن مجاهد وقتادة: هم عشرة. ٢- عن السدى و الضحاك: كانوا هم اثناعشر. قال الضحاك: سبعة منهم ولدوا بمكة، وخمسة آخرون ولدوا بالطائف. ٣- عن سعيد بن جبير: كانوا ثلاثة عشر ولداً.

٣- عن مقاتل: كانوا هم سبعة كلهم رجال: الوليد بن الوليد، وخالد، و عمارة، وهشام، والعاص، وقيس، وعبد شمس. أسلم منهم ثلاثة: خالد وهشام و

الوليد بن الوليد . قيل : عمارة مكان (الوليد بن الوليد) قال مقاتل : فما زال الوليد المغيرة بعد نزول هذه الاية فى نقصان من ماله وولده حتى هلك .

اقول: وليس لنادليل لترجيح أحد الاقوال على غيره لا على تعيينه .

وفى معنى «شهوداً» أقوال : ١- عن ابن عباس : أى اذا ذكر الوليد ذكر أبنائه معه . ٢- عن السدى : أى حضوراً بمكة عنده لايظعنون عنه فى تجارة ولا يغيبون عنه فى تصرف ، فلايفارقونه لاستغنائهم عن الكسب وطلب المعاش ، فهو مستأنس بهم ،محزون بفراقهم ، فهم حاضرون لديه لنصرته ، وقضاء مصالحه لغناهم عن ركوب السفر للتجارة .

٣- قيل : أى قد صاروا مثله فى شهود ماكان يشهده والقيام بماكان يباشره .

٤- قيل : انهم رجال يشهدون معه بمكة فى المجامع والمحافل . . .

٥- قيل : انهم رجال من أهل الشهادات فى الحكومات يسمع قولهم و يعتمد بهم .

اقول: والتعميم غير بعيد من غير تناف بينها .

١٤- (و مهدت له تمهيداً)

فى الاية أقوال : ١- قيل : أى وبسطت له الجاه العريض والرياسة فى قومه ، فأتممت عليه نعمتى المال والجاه ، واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا حتى جعلوه دعاء الخير فيما بينهم قائلين : أدام الله تأييدك وتمهيدك أى بسطتك و تصرفك فى امور الدنيا .

٢- عن ابن عباس ومجاهد : أى وسعت له ما بين اليمن والشام .

٣- قيل : اريد بالتمهيد البسطة فى العيش ، والطول فى العمر ، و كثرة البنين والتمهيد عند العرب التوطئة والتهيئة ، ومنه مهد الصبى . والمعنى : بسطت له فى العيش بسطاً حتى أقام ببلدته مطمئناً مترفها يرجع إلى رأيه ، وطوّلت عمره

فعاش في قومه طويلا ، وجعلت له أبناء كثيرة يتكاثر ويتفاخر بها . .

٤ـ عن مجاهد أيضاً : أى جعلت له مالاً كثيراً بعضه فوق بعض كما يمهد الفراش .

٥ـ قيل : أى سهلت له التصرف فىالامور وانتظامها تسهيلاً ، وهيّأت له حياة رخيّة بالمال والبنين اللذين هما زينة الحياةالدنيا .

عن الحسن : أى بسطت له فىالعيش بسطاً حتى صار مكفى المؤونة من كل وجه حتى صارت أحواله متناسبة .

٧ـ عن مجاهد أيضاً : أى بسطت له المال والولد بسطا . فالاية فى معنى الآيتين السابقتين .

اقول : والثالث هو الانسب من غير تناف بينه و بين غيره على انها من المصاديق . . .

١٥- (ثم يطمع ان أزيد)

فىالاية أقوال : ١ـ عن مقاتل والكلبى : أى أن أزيد فىالدنيا من المال و الولد والمقام والجاه وبسطة العيش من غير شكر تجاه تلكالنعم بل كفر بها ولم يعرف حق بعض ما اوتى . ٢ـ قيل : أى يطمع أن أزيد عليه فى متاع الدنياونعمة الاخرة .

٣ـ عن الحسن : أى يطمع أن أزيد عليه فى نعيم الاخرة كأن يقول : إن كان محمد صادقاً فما خلقت الجنة إلاّ لى حيث ان البسطة فى العيش الدنيوى دليل على السعةفى العيش الاخروى .

٤ـ قيل : أى ثم يطمع أن أنصره على كفره . ٥ـ قيل : أى ثم يطمع أن اترك ذلك فىعقبه، وذلك انه كان يقول : ان محمداً مبتور أى أبتر وينقطع ذكره بموته و كان يظنّ ان مارزق لاينقطع بموته .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

١٦- (كلا انه كان لاياتنا عنيداً)

فى «عنيداً» أقوال : ١- عن مجاهد : أى معانداً للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به . من عند يعندأى خالف ورد الحق وهو يعرفه فهو عنيد وعاند ، والعاند البعير الذى يجوز عن الطريق ، ويعدل عن القصد . والكافر لايستحق المزيد ، و لاسيما اذاكان كفره أفحش أنواعه و هو كفر العناد . والدليل على ان كفره كفر عناد ماورد : الوليد مر برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقرأ «حم السجدة» فرجع و قال لبنى مخزوم : والله لقد سمعت آنفاً من محمد كلاماً ما هو من كلام الانس ، و لامن كلام الجن ، ان له لحلاوة ، وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر ، وان أسفله لمغدوانه يعلو ولايعلى .

ولاريب ان من عرف هذا القدر ثم زعم ان القرآن سحر فانه يكون معانداً. والعنيد هو الذى كان العنادخلقه وديدنه فلشدة عناد الوليد بن المغيرة المخزومى وصفه الله تعالى به حيث انه كان يعاند النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ويباهى بعناده .

٢- عن أبى صالح : أى مباعداً عن آيات الله تعالى من غير أن يعرفها .

٣- عن قتادة وابن عباس : أى جحوداً . ٤- عن مقاتل : أى معرضاً .

٥- عن مجاهد ايضاً : أى مجانباً للحق .٦- قيل : أى انه المجاهر بعدوانه .

اقول : والاول هوالانسب بمعناه اللغوى والباقى من اللوازم والآثار .

١٧- (سارهقه صعوداً)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس : أى سألجئه و «صعوداً» الصعود : جبل من نار يتصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوى به كذلك فيه أبداً .

٢- عن أبى سعيد والكلبى : الصعود صخرة فى جهنم إذا وضع عليها أهلها أيديهم ذابت فاذا رفعوها عادت . فيبلغ أعلاها فى أربعين سنة يجذب أمامه بسلاسل ويضرب من خلفه بمقامع حتى إذا بلغ أعلاها رمى به إلى أسفلها ،فذلك دأبه أبداً .

٣- عن إبن عباس أيضاً والحسن وقتادة ومجاهد : أى سأكلفه مشقة و تعباً من العذاب لاراحة له فيه و «صعوداً» صخرة ملساء يكلف صعودها ، فاذاصار فى أعلاها حدر فى جهنم ، فيقوم يهوى ألف عام من قبلأن يبلغ قرار جهنم ،يحترق فى كل يوم سبعين مرة ثم يعاد خلقاً جديداً .

٤- قيل : انه تصاعد نفسه للنزع ، وإن لم يتعقبه موت ليعذّب من داخل جسده كما يعذّب من خارجه .

اقول: وعلى الثالث أكثر المفسرين .

١٩- (فقتل كيف قدر)

فى الآية أقوال : ١ ـ قيل : أى لعن بما يجرى مجرى القتل . ٢- قيل : أى قتله الله تعالى على ما فكّر وقدّر فى الطعن على القرآن الكريم .

٣- قيل : أى لعن بمافكّر وقدر فى القرآن على أىّ حال قدر من الكلام كما يقال فى الكلام : لاضربنه كيف صنع أى على أىّ حال كان منه .

٤- قيل : أى فقهر و غلب . ٥- عن الزهرى : أى عذب . ٦- عن الجبائى : أى استحق العذاب .

اقول: وعلى الثانى جمهور المفسرين وهو الظاهر .

٢٠- (ثم قتل كيف قدر)

فى الايةأقوال: ١ـ قيل:هذا تكرير للتأكيد والمبالغة فى الدعاء على الوليد بن المغيرة وفى التعجيب من توقفه بعد تفكيره . ٢- قيل : أى ثم لعن كيف قدر فى آياتنا ما قدر مع وضوح الحجة .

٣- قيل : أى ثم عوقب بعقاب آخر كيف قدر فى إبطال الحق تقدير آخر. والمعنى : ثم عوقب فى الاخرة مرة بعد مرة .

٤- قيل : أى فقتل بضرب من العقوبة فى الطعن على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ثم قتل بضرب آخر من العقوبة فى الطعن على القرآن المجيد على أىّ حال قدّر

٥ ـ قيل : أى لعن لعناً بعد لعن .

اقول : و على الاول أكثر المفسرين ، والرابع غير بعيد .

٢١- (ثم نظر)

فى الاية أقوال : ١ ـ قيل : أى تفكّر فى أمر القرآن الكريم . ٢ـ قيل: أى نظر فى ذلك المقدر مما اجتمع له من آراء مختلفة فى القرآن أهذا شعر؟ أم كهانة ؟ أو هذدة جنون ؟ نظر بعدالتفكير والتقدير نظرة من يريد أن يقضى فى أمر سئل أن ينظر فيه .

٣ـ قيل : أى نظر فى وجوه قومه . ٤ـ قيل : أى نظر بأى شىء يردالحق و يدفعه .

اقول : والثانى هو الأنسب بظاهر السياق .

٢٢ - (ثم عبس و بسر)

فى « عبس » أقوال : ١ ـ قيل : أى قطّب بين عينيه فى وجوه المؤمنين . و ذلك انه لما حمل قريشاً على ما حملهم عليه من القول فى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفيما جاء به بانه ساحر وسحر مرّ على جماعة من المسلمين ، فدعوه إلى الاسلام فعبس فى وجوههم . ٢ ـ قيل : أى عبس و بسر على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم حين دعاه . قيل : عبس أى فظهر العبوس فى الوجه بعد المجاورة ٣ ـ قيل : أى قبض وجهه و كلحه ضيقاً بما يقول .

اقول : و على الاخير أكثر المفسرين .

وفى «بسر» أقوال : ١ـ عن قتادة والسدى : أى كلح وجهه و تغيّر لونه . و تقول العرب : وجه باسر بين البسور إذا تغيّر و اسودّ . ٢ ـ قيل : أى ظهر البسور فى الوجه قبل المحاورة ٣ ـ قيل : تأكيد لمعنى « عبس » ٤ ـ قيل: أى تجهم و زاد فى القبض والكلوح .

اقول : والاخير هو الانسب بمعناه اللغوى .

٢٦ - (ساصليه سقر)

في «سقر» أقوال : ١- قيل : سقر إسم من أسماء جهنم . ٢ - قيل : دركة من دركات جهنم . قال إبن عباس : هي الطبق السادس من جهنم . ٣ - قيل: باب من أبواب جهنم . ٤ - قيل : واد من جهنم . ٥ - قيل : إسم نار من جهنم .

أقول : والرابع هو المروي عن أئمة أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين .

٢٨ - (لا تبقي و لا تذر)

في الآية أقوال : ١- عن الجبائي : أي لاتبقي سقر شيئاً الا أحرقته ظاهره و واقعه ، فلا تدع الجسم والروح إلا أحرقتهما، فلاتبقي عليهم بل يبلغ مجهودهم في أنواع العذاب بخلاف نار الدنيا التي تحرق الظواهر ، و لا تحرق الواقع .

٢ - عن إبن عباس و مجاهد والسدي و عطاء : أي لا تبقي لهم لحماً و لا تدع لهم عظماً فاذا اعيد أهلها خلقاً جديداً ، فلا تذرهم بل تعيد إحراقهم كرة اخرى قال الله تعالى: « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب »

٣ - قيل : ان معنى اللفظين واحد أي لا تبقي و لا تذر للكفار من لحم ولا عصب إلا أهلكته ثم يعود كما كان . فكرّر اللفظ معنى للتأكيد والمبالغة .

٤ - عن مجاهد أيضاً : أي لا تبقيهم احياءاً و لا تذرهم أمواتاً . ٥ - قيل : ان قوله تعالى: « لواحة للبشر » تفسير لقوله : « لا تبقي و لا تذر » .

٦ - قيل : أي لا تبقي أحداً من المستحقين للعذاب إلا أخذته ثم لا تذر من لحوم اولئك شيئاً إلا أكلته أهلكته و استعملته لشدة قوتها ، فتكنس أهلها كنساً و تمحوهم محواً فلا يقف لها شيء على حاله . ٧ - قيل : لكل شيء ملال و فترة إلا جهنم ليس لها ملال و لا فترة ، فهي لا تبقي عليهم و لا تذرهم .

أقول : و لكل وجه من غير تناف بينها .

٢٩ - (لواحة للبشر)

في الآية أقوال : ١- عن مجاهد و أبي رزين : أي مغيرة للجلد حتى تجعله

أسود من لاحه إذا غيّره . تقول العرب : لاحه البرد والحر والسقم و الحزن : إذا غيّره . والمعنى : تلفح سقر وجوه المستكبرين لفحة تدعها أشد سواداً من الليل . ٢ ـ قيل : أى محرقة للجلد . ٣ ـ عن الحسن و إبن كيسان : أى تلوح لهم جهنم حتى يروها عياناً كقوله تعالى : « و برزت الجحيم للغاوين » .

٤ ـ عن مجاهد أيضاً وقتادة والاخفش: أى ان سقر معطّشة للبشر أى لاهلها. فالمراد بالبشر الانس . و ان اللوح : شدة العطش ، ويقال : لاحه العطش ولوّحه أى غيّره أى تلوح للبشر من مسيرة خمسمأة عام . ٥ ـ عن إبن عباس وإبن زيد والضحاك وزيد بن أسلم : أى تلوّح أجسادهم عليها، فاسودت. والمراد من «للبشر» جمع بشرة و هى جلدة الانسان الظاهرة .

أقول : والاول هو الانسب بمعناه اللغوى و ظاهر السياق .

٣٠ ـ (عليها تسعة عشر)

فى الاية أقوال : ١ ـ قيل : أى على سقر تسعة عشر ملكاً يتسلطون على أهل النار وهم خزنتها ، و هم يلون أمرها ، و يلقون فيها أهلها . ٢ ـ قيل : أى على جملة النار تسعة عشر صنفاً بأعيانهم ٣ ـ قيل : أى تسعة عشر صفاً . ٤ ـ قيل : أى تسعة عشر قوة من قوى الانسان الظاهرية والباطنية . ٥ ـ قيل : أى تسعة عشر نقيباً .

أقول : و على الاول أكثر المفسرين .

٣١ ـ (و ما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة و ما جعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب و المؤمنون و ليقول الذين فى قلوبهم مرض و الكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ومايعلم جنود ربك الاهو وما هى الاذكرى للبشر) .

في قوله تعالى : «وما جعلنا عدتهم إلاّ فتنة للذين كفروا» أقوال: ١ ـ قيل: أي وما جعلنا عدة خزنة النار تسعة عشر إلا ضلالة للذين كفروا يريد أبا جهل و ذويه .

٢ ـ قيل : أي وما جعلنا عدتهم إلاّ عذاباً للكافرين كلهم كما قال تعالى : «يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم» أي جعلنا ذلك سبب كفرهم و سبب العذاب .

٣ ـ قيل : أي بلية لهم . ٣ ـ قيل : أي محنة لهم .

اقول : و على الثالث جمهور المفسرين و قريب منه الرابع وأما النزول فمورده ليس بمخصص فتأمل جيداً .

و في «ليستيقن الذين اوتوا الكتاب» أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و قتادة و الضحاك و مجاهد : أي ليستيقن بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما أخبرهم مايوافق كتبهم في عدد خزنة النار ، و المعنى : ليوقن الذين اعطوا التوراة و الانجيل ان عدد خزنة جهنم موافقة لما عندهم . ويحتمل انه يريد الذين آمنوا منهم كعبدالله بن سلام و يحتمل أن يريد الكل .

٢ ـ قيل : أي ليستيقن من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و من آمن به صحة نبوته إذا تدبروا و تفكروا . ٣ ـ قيل : أي ليستيقن الذين اوتوا الكتاب وهم اليهود الذين صدقوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكون خزنة النار تسعة عشر موافقاً لما في كتابهم التوراة .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين .

وقوله تعالى : «ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب و المؤمنون» في متعلق الارتياب أقوال : ١ ـ قيل : أي و لا يشك اليهود والنصارى والذين آمنوا بالله تعالى من امة محمد صلى الله عليه وآله وسلم في حقيقة ذلك العدد ٢ ـ قيل : على تقدير : و لئلا يشك هؤلاء في عدد خزنة النار ٣ ـ قيل : أي لا يرتابون في الدين . ٤ ـ قيل: أي لا يرتابون في ايمانهم بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم وفي تصديقهم بصحة نبوته .

اقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق .

وفي قوله تعالى : « وليقول الذين في قلوبهم مرض » أقوال : ١- قيل : هم المنافقون . إن تسئل : ان النفاق ظهر بالمدينة والسورة مكية فما وجه ذلك ؟ تجيب : اريد بالمنافق الذين يظهرون في المستقبل بالمدينة . والمعنى : وليقول الذين في صدورهم نفاق من منافقي أهل المدينة الذين ينجمون في مستقبل الزمان بعد الهجرة .

٢- قيل : هم المنافقون الذين كانوا بمكة ولكنهم ما تمكنوا باظهار ما في قلوبهم من النفاق بمكة ، إذ كان في قلوب بعض المهاجرين مرض النفاق من غير مراء ، ولم يظهروا إلا بعد ما وجدوا من وافقهم وتمكنوا باظهاره في المدينة .

٣- قيل : اريد بالمرض والارتياب وكان الشك في قلوب أهل مكة إذ كان أكثرهم شاكين وبعضهم قاطعين بالكذب . ٤- عن الحسين بن الفضل : ان السورة مكية ، ولم يكن بمكة نفاق ، فالمرض في هذه الاية الخلاف .

اقول : وعلى الثاني إجماع المفسرين ويؤيده كثير من الايات القرآنية مع أن السورة مكية بالاجماع على قسميه ، وأما القول بان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين ماكانوا من القوة ونفوذ الامر وسعة الطول قبل الهجرة بحيث يها بهم الناس أو يرجى منهم خير حتى يتقوهم و يظهروا لهم الايمان ويلحقوا بجمعهم مع إبطان الكفر وهذا بخلاف حالهم بالمدينة بعد الهجرة فمردود بكثير من الايات الكريمة والروايات الواردة و إجماع المفسرين ، مع أن علل النفاق ليست تنحصر في المخافة والاتقاء أو الاستدرار من خير معجل ، فمن علله الطمع ولو في نفع مؤجل ومنها العصبية والحمية ، ومنها إستقرار العادة وغير ذلك من العلل التي سبق ذكرها في تفسير سورة المنافقون فراجع ، فلا دليل على إنتفاء جميع علل النفاق عن جميع الذين آمنوا بالنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بمكة قبل الهجرة ، وقد ورد عن بعضهم انه من آمن ثم رجع أو آمن عن ريب ثم صلح .

وفي « الكافرون » أقوال : ١. قيل : اريد بهم اليهود والنصارى . ٢- قيل:

هم مشركو العرب . ٣- قيل : اريد بهم كل من كفر بالله تعالى وجحد بآياته و كذّب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول : والاخير هو الانسب بظاهر الاطلاق .

وفي قوله تعالى : «كذلك يضل الله من يشاء الخ» أقوال : ١- قيل : أى كاضلال الله تعالى أباجهل ، وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم يخزى و يعمى ٢- قيل : أى كذلك يضل الله المنافقين والكافرين عن طريق الجنة . ٣- قيل : أى مثل ما جعلنا خزنة أصحاب النارملائكة ذوى عدد محنة وإختباراً نكلف الخلق ليظهر الضلال والهدى .

اقول : والاخير هوالانسب بظاهر السياق للاشارة إلى مضمون قوله تعالى : «وما جعلنا عدتهم إلاّ فتنة الخ» .

وفي قوله تعالى : «وما يعلم جنود ربك إلاّ هو» أقوال : ١- قيل :الجنود هم الملائكة أجمعون. ٢- قيل : اريد بالجنود الخلق كلهم فان كل شيء مخلوق لله تعالى فهوجنود له جل وعلا .

٣- قيل : ان المخلوقات الموجودة و غيرها ممن يخلق بعد إذاشا كلها جنود لله تعالى حيث انه جل وعلا إذا أراد تعذيب خلق سلط عليه شعر بدنه أو سلط عليه ألم أوسلط عليه عرق من عروق بدنه ، فجنود الله تعالى غير متناهية ، و إن كانت الموجودات متناهية لان مقدوراته غيرمتناهية .

٤- عن مقاتل : هذا جواب أبى جهل حين قال : مالمحمد أعوان خزنة النار إلاّ تسعة عشر . ٥- عن عطاء :أى ومايعلم عدة الملائكة الذين خلقهم الله لتعذيب أهل النار إلاّ الله تعالى . ٦- قيل : ان التسعة عشرهم خزنة النار ولهم من الاعوان والجنود ما يعلمه إلاّ الله سبحانه .

اقول : والاول هوالانسب بظاهر السياق وإن كان لكل وجه .

وفي قوله تعالى : «وماهي إلاّ ذكرى للبشر» أقوال : ١- قيل: أى ماسقر

وصفتها إلاّ تذكرة للبشر . ٢ـ قيل : أى ماعدة خزنة النار تسعة عشر إلاّ ذكر للبشر وإلاّ لا يعلم عدد جنود الله تعالى الاّ هو . ٣ـ قيل : أى ليست تلك الدلائل والحجج التى أنزلناها فى القرآن إلاتذكرة للبشر . ٤ـ قيل : أى ليست النار التى ذكرناها سابقاً إلاّعظة للخلق .

٥ـ عن الزجاج : أى ليست نارالدنيا إلاّ تذكرة لنارالاخرة . ٦ـ قيل : أى ماهذه السورة إلاّ تذكرة للناس . ٧ـ قيل : أى ليست سقرو عدة خزنتها والايات الناطقة باحوالها الاّ تذكرة للبشر . ٨ ـ ماالجنود التى من جملتها تسعة عشرالاّ تذكرة للبشر .

اقول : وعلى الثانى أكثرالمحققين .

٣٢ (كلا والقمر)

فى « كلا » أقوال : ١ـ قيل: أىلاسبيل لأحد إلى إنكارعدد الخزنة ولاإلى وجود سقر ، ولاسبيللاحد إلى العلم بجنود الله تعالى ولا إلى حقيقة سقرلتظاهر الادلة القاطعة والبراهين الواضحة عليها . ٢ـ قيل : ردع لقول أبىجهل و أذنابه انهم يقدرون على مقاومة خزنة النار . والمعنى : ليس القول كما يقول من زعم انه يكفى أصحابه المشركين خزنة جهنم حتى يجهضهم عنها ويغلبهم .

٣ـ قيل : إنكارلان يكون ماذكر ذكرى للكفار لانهملا يتذكرون .

٤ـ قيل : ردع لمن ينكرأن تكون إحدى الكبر نذيراً . ٥ـ قيل : ردع لهم عن الاستهزاء والسخرية بالعدة المخصوصة . ٦ـ قيل : « كلا » بمعنى « حقا » تأكيد للقسم بعده . ٧ـ عن الفراء : ان « كلا » ههنا إستفتاحية بمعنى « ألا » صلةللقسم أى ألا والقمر . . .

٨ـ قيل : زجر للذين لم يجدوا فى تلك الايات التى تحذرهم من النار و تخوفهم من جنودها ذكرى وموعظة لهم . والمعنى : انها ليست لمعظم البشر إذ كان أكثرالناس على ضلال ، وقليل منهم المهتدون .

٩ ـ قيل : ردع و تنديد شديد بما تقدم من أوهام خابطة وأقاويل حابطة ان القرآن سحر يؤثر و انه قول البشر ، وان الزبانية تسعة عشر هراء اسطوريه ، وان سقر خيال يؤثر عن أساطير الاولين . والمعنى : ليس كما يزعمه الزاعمون و يتقوله القوّالون . . .

أقول : والسابع هو الانسب بظاهر السياق .

٣٣- (والليل اذ أدبر) .

في «إذ أدبر» أقوال : ١ ـ عن قتادة : أي إذا ولى وذهب . ٢ ـ عن إبن عباس: أي أقبل من قول العرب : دبر فلان إذا جاء من خلفي . ٣ ـ قيل : أدبر : إذا جاء الليل بعد غيره ، وأدبر إذا ولى مدبراً، فعل هذ ايكون المعنى في إذ أدبر إذا جاء الليل في أثر النهار ، وفي إذا أدبر إذا ولى الليل، فجاء الصبح عقيبه . وعلى القول الاول فهما لغتان معناهما ولى وانقضى .

أقول : والاول هو الانسب بذكر القمر وإتصاله باسفار الصبح .

٣٤- (والصبح اذا أسفر) .

في معنى «أسفر» أقوال : ١ ـ عن قتادة : أي إذا أضاء و أنار . ٢ ـ قيل: أي إذا إنجلى و أشرق . ٣ ـ قيل : أي إذا كشف الظلام وأضاء الاشخاص .

٤ ـ قيل : على تقدير: اقسم برب القمر و الليل والصبح إذ لا يكون اليمين إلاّ بالله تعالى .

أقول : والمعان الثلاث الاول متقاربة ولاحاجة إلى تقدير الرابع .

٣٥- (انها لاحدى الكبرى) .

في الاية أقوال : ١ ـ عن مجاهد و إبن زيد وقتادة وإبن عباس و الضحاك : أي ان جهنم و نارها لاحدى الامور العظام . ٢ ـ عن إبن عباس ومجاهد و قتادة أيضاً: أي ان سقر التي جرى ذكرها لاحدى الدواهي أو البلايا الكبيرة حيث ان البلايا أو الدواهي الكبر كثيرة، وسقر إحداهن لانظير لها ولا يعادلها غيرها من الدواهي

أو البلايا . فقوله : « كلا» ردع لمن ينكر أن تكون إحدى الدواهي الكبر، وهي من بين الدواهي واحدة لامثيل لها نذيراً . و المعنى : اقسم بكذا و كذا ان سقر لاحدى الدواهي الكبر أكبرها إنذاراً للبشر .

٣ ـ عن مقاتل : ان الكبر إسم من أسماء جهنم . ٤ ـ عن إبن عباس أيضاً : ان تكذيب المشركين و ايذاءهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاحدى الكبائر أي ذنب من كبائر الذنوب . ٥ ـ قيل : أي ان قيام الساعة لاحدى الكبر ، و الكبر هي العظائم من العقوبات

٦ ـ قيل : ان الكبر دركات جهنم و أبوابها و هي سبع : جهنم و لظى و الحطمة وسعير و سقر و الجحيم و الهاوية ، فعلى هذا معنى كون سقر إحداهن ظاهر . ٧ ـ قيل : أي ان عدة خزنة النار لاحدى البلايا الكبار والدواهي العظام . ٨ ـ قيل : أي ان آيات القرآن لاحدى الايات الكريمة الكبرى في الوعيد و الانذار للبشر . فقوله : « كلا » ردع لمن أنكر أن يكون القرآن تذكرة للبشر .

٩ ـ قيل : ان الجملة تعليل للردع و القسم معترض للتأكيد لا جواب له أو جوابه مقدر يدل عليه « كلا» . ١٠ ـ ان القرآن الكريم وتسعة عشر من خزنة النار ، و سقر كلها لايات الله الكبرى .

اقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين و قريب منه السادس .

٣٦- (نذيراً للبشر) .

في « نذيراً » أقوال : ١ ـ عن إبن زيد و أبي على الفارسي : صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على تقدير : قم نذيراً للبشر فانذر و خوّفهم . أي منذراً و مخوفاً معلماً مواضع المخافة والنذير الحكيم بالتحذير عماينبغي أن يحذر منه ، فكل بني نذير لانه حكيم بتحذيره عقاب الله تعالى على معاصيه . ٢ ـ قيل : انه صفة جهنم . ٣ ـ عن الزجاج و الحسن : أي ان هذه النار الموصوفة حال كونها نذيراً للبشر.

ومعناه معنى العذاب . ٤ ـ قيل : على تقدير ذات إنذار على معنى النسب كقولهم: إمرأة طالق و إمرأة طاهر .

٥ ـ عن إبن رزين : انه صفة الله تعالى لقوله : «أنا لكم منها نذير فاتقوها» «نذيراً» على هذا نصب على الحال أي «وماجعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة» منذراً بذلك البشر . وقيل : حال من «هو» في قوله : «ومايعلم جنود ربك إلاّ هو» .
٦ـ قيل : منصوب بفعل مقدر . ٧ ـ صفة القرآن على تقدير : ان القرآن نذير للبشر لما تضمنه من الوعد و الوعيد .

٨ ـ قيل : «نذيراً» تمييز من «إحدى الكبر» أي انها لاحدى الكبر إنذاراً لبني آدم كما تقول : هي احدى النساء عفافاً . و قيل : حال أي كبرت و عظمت حال كونها منذرة .

أقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

٣٧- (لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر) .

في الاية أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و قتادة : أي لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم إلى الخير والطاعة ، أو يتأخر عنها إلى الشر والمعصية . و قال إبن عباس: هذا تهديد و إعلام بأن من تقدم إلى الطاعة والايمان بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلّم جوزي بثواب لاينقطع أبداً ، ومن تأخر عن الطاعة والايمان فكذب محمداً صلّى الله عليه وآله وسلّم عوقب عقاباً لاينقطع أبداً .

وقيل : ان الله تعالى : عبّر عن الايمان و الطاعة بالتقدم لان صاحبه متقدم في العقول و الدرجات . . . و عبّر عن الكفر و المعصية بالتأخر لانه متأخر في العقول و الدرجات . . .

٢ ـ قيل : أي لمن شاء أن يقبل النذر أو يتولى عنها و يردّها . ٣ ـ عن السدي : أي أن يتقدم إلى النار المتقدم ذكرها بالكفر و العصيان أو يتأخر عنها إلى الجنة بالطاعة و الايمان .

٤- قيل : أي لمن شاء الله منكم أن يتقدم أو يتأخر فالمشيئة متصلة بالله سبحانه ، والتقدم هو الايمان والتأخر هو الكفر .

اقول : والثاني هو المستفاد من ظاهر السياق وفي معناه الاول .

٣٨- (كل نفس بما كسبت رهينة)

في الاية أقوال : ١- عن إبن عباس وقتادة و مجاهد وإبن زيد والضحاك : أي كل نفس مأمورة منهية بما عملت من معصية الله تعالى في الدنيا رهينة في جهنم إلاّ أصحاب اليمين فانهم غير مرتهنين إذلا يحاسبون، ويغفر الله تعالى لهم لو كان لهم صغائر الذنوب .

٢- قيل :أي كل نفس مؤمنة كانت أم كافرة ، مطيعة كانت أم عاصية مرتهنة بعملها ، محبوسة به مطالبة بما كسبته من طاعة أومعصية ، مجزية بالخير خيراً و بالشر شراً . فان الرهن هو أخذ الشيء بأمر على أن لايرد إلاّ بالخروج منه. وان الكافرين فقداخذ وابرهن لافكاك لهوالكسب هو كل مايجتلب به نفع يدفع به ضرر ، ويدخل فيه الفعل والترك .

٣- عن مقاتل : أي كل نفس كافرة عاصية بما كسبت من الكفر والعصيان مرهونة في النار، فلايفك رهنها حتى تؤدّي ماعليها من العقوبات ومنها مايحبس في سقر أبد الآبدين و دهر الداهرين. فالاية راجعة إلى الكفار المكذبين الذين يؤاخذون بعملها في النار .

٤- قيل : ان الله تعالى على كل نفس حق العبودية بالايمان والطاعة وصالح الاعمال فهي رهينة محفوظة محبوسة عندالله تعالى حتى توفّي دينه وتؤدّي حقه جل وعلا ، فان آمنت وصلحت فكّت واطاقت، وإن كفرت وعصت وماتت على ذلك كانت رهينة محبوسة دائماً ، وهذا غير كونها رهين عملها ملازمة لما اكتسبت من خير وشر كماتقدم في قوله تعالى : « كل امرىء بما كسب رهين» الطور :٢١) فنزّل الله تعالى تكليفه على عباده منزلة الدين عليهم ، و نفوسهم تحت إستيلائه

وقهره فمن وفى دينه الذى كلّف به، فقد خلص نفسه من حبسه الذى نزل منزلة إغلاق الرهن وهو أخذه فى الدين ومن لم يوف حبس.

٥- قيل: أى كل نفس مرهونة بأعمالها، فتعمّ جميع المكلفين: المؤمنين والكافرين إلاّ أصحاب اليمين من المؤمنين على أن النفوس ثلاث: نفس مرتهنة بما كسبت غير منفكة، وهى النفس الكافرة الطاغية، ونفس مرهونة منفكة بسبب الايمان والطاعة وصالح الاعمال، ونفس غير مرتهنة، وهى أصحاب اليمين وهى النفس العالية، رفيعة الدرجات...

فالاستثناء منقطع مفرغ كقوله تعالى: «كل شيء هالك إلاّ وجهه» حيث ان الشيّ لايشمل ذات الله تعالى لقوله جل وعلا: «ليس كمثله شيء»

و هناك نفس أخرى فوق النفوس الثلاث، و هى نفس قدسيّة غير مرتهنة حيث أصبحت خيراً فى ذاتها ولايقدر جزائها بأعمالها، فالنفوس كلها: خيرتها وشريرتها رهينة بمكاسبها إلاّ أصحاب اليمين والسابقين المقربين.

اقول: والخامس هو المستفاد من آيات سورة الواقعة.

٣٩- (الا اصحاب اليمين)

فى الاية أقوال: ١- قيل: هم أطفال المسلمين، وسموا بأصحاب اليمين إما لانهم يمر بهم على يمين آدم، وإما لا نهم يسلك بهم الطريق الايمن على الصراط، فان فى الصراط طريقين: يمنى ويسرى، فاليمنى لاهل الجنة واليسرى لاهل النار.

وقيل: سموا بأصحاب اليمين لانهم على ميامين على أنفسهم أو لانهم يأخذون كتابهم بأيمانهم. قيل: والاخير بعيد لان الطفل لم يكتسب عليه شيء، ولاشك ان هؤلاء ليسوا فى رهن التكليف، فصحّ إستثناؤهم، فانهم لم يكتسبوا، فيرتهنوا بكسبهم.

قال الفراء: هذا القول أشبه بالصواب لان الولدان لم يكتسبوا إثماً يرتهنون

به ولانه تعالى ذكر فيهم انهم يتساءلون عن حال المجرمين، و هذا إنما يليق بالولدان الذين لايعرفون موجب دخول النار.

٢- عن إبن عباس: هم الملائكة. ٣- عن الضحاك وإبن جريج والحسن و إبن كيسان ومجاهد: هم المؤمنون المخلصون الذين لايحاسبون ولايحضرون للحساب والجزاء، وهم الذين سبقت لهم من الله تعالى الحسنى، وانهم لايرتهنون بأعمالهم لانهم أدّوا ماكان عليهم و هم المؤمنون الذين هم لاماناتهم و عهدهم راعون. وهم شيعة الامام مولى الموحدين امير المؤمنين على عليه السلام.

٤- عن مقاتل والكلبى: هم أصحاب الجنة الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق حين قال الله تعالى لهم: هؤلاء فى الجنة و لاابالى.

٥- عن إبن زيد: هم الذين لايرتهنون بذنوبهم فان حسناتهم تكفّر سيئاتهم، و يغفرها الله تعالى لهم. قال إبن عباس: هم المسلمون الذين يرتكبون صغائر الذنوب ثم يتوبون.

٦- قيل: هم الذين يعطون كتابهم بأيمانهم، وهم الذين فكّوا رقابهم بحسن أعمالهم كما يخلّص الراهن رهنه بأداء الحق الذى وجب عليه. قيل: ويلزم على هذا أن لا يكونوا فى رهن التكليف. اجيب عنه: بانهم ليسوا فى رهن يغلق عليهم بالعذاب لان تعذيب المكلفين هو مشبه بغلق الرهن، فلما كانوا لا يعذبون فكأن الرهن ما اخذ فى الدين فينتفى عنهم الرهن المغلق لا أصل الرهن.

٧- قيل: هم أصحاب الحق وأهل الايمان. ٨- عن الحكم: هم الذين إختارهم الله تعالى لخدمته، فلم يدخلوا فى الرهن لانهم خدام الله جل وعلا وصفوته وكسبهم لم يضرّهم.

٩- عن الحسن: هم المؤمنون المستحقون للثواب، و هم الناجون يوم القيامة.

١٠ - قيل : أي كل نفس مأخوذة بكسبها من خير أو شر ، من طاعة أو معصية و من ايمان أو كفر إلاّ من اعتمد على فضل الله تعالى و رحمته ، دون الكسب و الخدمة ، فكل من إعتمد على الكسب فهو مرهون ، و كل من إعتمد على الفضل و الرحمة فهو غير مأخوذ به . على أن كل نفس ترتهن بما عملت ، ثم يعود الله تعالى بفضله على المؤمنين ، وهم أصحاب اليمين ، فيدخلهم الجنة ، ولو أن دخول الجنة كان مرتهناً بالاعمال لما دخل أحد الجنة ، ولكن الايمان بالله تعالى وصالح الاعمال في ظل الايمان من شأنه ان يجعل المؤمن أهلاً لاحسان الله جل وعلا إليه، و دعوته إلى الجنة يتبوّ أمنها حيث يشاء .

١١ - عن قتادة : هم الذين لاذنب لهم فهم ميامين على أنفسهم، فغلق الناس كلهم إلاّ أصحاب اليمين .

أقول : والثالث هو المروى وفي معناه بعض الاقوال الاخر فتدبر جيداً .

٤٥- (وكنا نخوض مع الخائضين) .

في الاية أقوال : ١ - عن إبن زيد : أى و كنا نخوض مع الخائضين في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونقول فيه: هو كاهن مجنون شاعر ساحر من غير علم وحق . ٢-قيل: أى و كنا نأخذ بالاباطيل مع اهلها و نخالطهم في باطلهم كايذاء الحق ، و كل مالا يعني المسلم ، و ما يكرهه الله تعالى ، و كنا نلوّث أنفسنا بـالمرود في الباطل كتلويث الرجل بالخوض ، فلما كان هؤلاء يجرون مع من يكذب بالحق مشيعين لهم في القول كانوا خائضين معهم .

٣ - عن السدى : أى و كنا نكذب مع المكذبين . ٤ - قيل : أى و كنا أتباعاً ولم نكن متبوعين . ٥ - قيل : أى وانهم يخوضون مع الخائضين فلم يتأثموا من مكر و لم يتحرّجوا من فاحشة بل كانوا مع كل جمـاعة ضالة ، و على كل مورد آثم . . . ولانبالي . ٦ - عن قتادة : أى كلما غوى غاو بالدخول في الباطل غوينا معه .

اقول : والثانى هو الأعم والانسب بظاهر الاطلاق .

٤٧- (حتى أتانا اليقين)

فى الاية أقوال : ١- قيل : أىحتى أتانا الموت الموقن به على هذهالحالة، فالموت يقين يقطع ريب الكافر المكذب فى البعث والحساب والجزاء ، فانه يرى بالموت ماكان يكذّبه . وقيل : سمى الموت باليقين لكونه ممالاشك فيه .

٢ - قيل : أى حتى أتانا اليقين الحاصل بالموت ، فالموت ليس بيقين و إنما يحصل بالموت ، و ان اليقين يعم علم اليقين وعين اليقين الحاصلين بالموت والبعث ، إذ يرى بالموت الحياة البرزخية ، وبالبعث الحياة الاخروية بالعيان .

٣- قيل : أى حتى جاءنا العلم اليقين من ذلك بان عايناما كنا نكذبه من البعث والرجوع إلى الله تعالى والحساب والجزاء من النار وعذابها .

اقول : وعلى الاول أكثر المفسرين ولكن الانسب بظاهر السياق هو الاخير فتأمل جيداً .

٤٨- (فما تنفعهم شفاعة الشافعين)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس : أى فما تنفع المكذبين شفاعة الملائكة والنبيين كما تنفع الموحدين .٢- عن الحسن : أى لاتنفعهم شفاعة ملك ولاشهيد ولامؤمن إذلايسقط عقاب الكفر بالشفاعة ، فالكافرون يبقون فى جهنم ولاشفيع لهم.

٣- قيل : أى لاشفاعة لهم أصلاًوهم متصفون بتلك الصفات الذميمة لتسجيل دخولهم فى النار حين فارقوا الدنيا إذلاشفيع للكافرين على حين ان عصاة المؤمنين الذين لم يخرجوا عن الاسلام بالذنوب يشفع لهم من رضى الله تعالى عنه و ارتضى شفاعته فيمن يشفع له من الملائكة والنبيين والائمة أهل البيت عليهم السلام والشهداء والصالحين .

اقول : والمعانى متقارب .

٤٩- (فمالهم عن التذكرة معرضين)

في « التذكرة » أقوال : ١- قيل : هي القرآن الكريم وان الاعراض عن القرآن على وجهين : أحدهما - الجحود والانكار . ثانيهما - ترك العمل به . ٢- قيل : أي ما يذكرهم النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من النصائح والمواعظ ، و ما يكشف لهم الطريق القويم إلى الله تعالى .

٣- قيل : التذكرة : كناية عن الدعوة النبويّة والهداية الالهية . ٤- قيل : التذكرة ما ذكر في هذه السورة .

اقول : وعلى الاول جمهور المفسرين .

٥٠- (كأنهم حمر مستنفرة)

في « حمر مستنفرة » أقوال : ١- عن إبن عباس : أي حمر وحشية . ٢- عن أبي عبيد وأبي حاتم : أي منفّرة مذعورة . وهذا على قراءة فتح الفاء . ٣- قيل : أي نافرة . و هذا على قراءة كسر الفاء بمعنى شديدة النفار كأنها تطلب النفار من نفوسها .

وقد حكي : ان واعظاً كان يعظ الناس في مسجد جامع ، و حوله جماعة كثيرة ، فرآى ذلك رجل من البله وكان قد فقد حماره ، فنادى في المجلس ، و قال : اني فقدت حماراً فاسئل هذه الجماعة لعل واحداً منهم رآه فقال له الواعظ: اقعد مكانك حتى أدلك عليه ، فقعد الرجل ، فاذاً واحد من أهل المجلس الذي يتنفّر عن الوعظ ، ويتوقّع الفرار قام وأخذ في أن يذهب ، فقال الواعظ للرجل : خذ هذا فانه حمارك لانه فرّ من تذكرة الملك العلاّم .

اقول : ولكل وجه والاخير هو الاوجه .

٥١- (فرت من قسورة)

في « قسورة » أقوال : ١- عن إبن عباس وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وإبن كيسان : أي جماعة من الرماة الصيادين . ٢- عن مجاهد وإبن عباس وسعيد بن جبير والضحاك أيضاً ومقاتل : أي رجال القنص أي عصبة

قناص من الرماة ٣- عن إبن عباس ايضاً : أى جمال الرجال .

٤- عن إبن عباس أيضاً : هى ركز الناس وأصواتهم . وقيل : أصوات الرجال خاصة . ٥- عن إبن عباس أيضاً وزيد بن أسلم وإبن زيد وعطاء والكلبى: القسودة الاسد . و ذلك لان الحمار الوحشية إذا عاينت الاسد هربت ، فكذلك هؤلاء المشركون إذا سمعوا النبى صلى الله عليه وآله وسلم يقرأ القرآن هربوا منه ، و شبههم بالحمر فى البله والبلادة .

٦- عن زيد بن أسلم أيضاً : أى فرت من رجال أقوياء ، و كل ضخم شديد عند العرب قسورة وقسور . ٧- عن عكرمة أيضاً : القسورة شدة ظلمة أول الليل، ولا يقال فى ظلمة آخر الليل : قسورة .

٨- قيل : القسورة حبال الصيادين يشدون بها مصيدهم . ٩- عن قتادة أيضاً : القسورة : النبل .

أقول : وعلى الخامس أكثر المفسرين وإن كان الاول غير بعيد .

٥٢- (بل يريد كل امرى منهم أن يؤتى صحفاً منشرة)

فى الآية أقوال : ١- عن مجاهد : أرادوا أن ينزل على كل واحد منهم كتاب فيه من الله تعالى إلى فلان بن فلان . والمعنى : أن يريد كل واحد منهم أن ينزل كتاباً مستقلاً غير الكتاب الذى ينزل على الاخر حتى يؤمن كل من نزل عليه الكتاب مستقلاً .

٢- قيل : أى بل يريد كل امرىء منهم أن ينزل عليه كتاب من عند الله تعالى مشتمل على ما تشتمل عليه دعوة القرآن . ٣- قيل : أى أن ينزل على جميعهم كتاب واحد حتى يؤمنوا كلهم بما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

٤- عن الحسن وقتادة وإبن زيد : أى أن تنزل كتب من السماء إليهم كان فيها أسماؤهم فرادى أن آمنوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم و بكتابه . وذلك ان كفار قريش

يقولون لرسول الله ﷺ : ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشـور من عند الله بانك رسوله ، فنؤمر فيه باتباعك . و كان أبو جهل و جماعة من قريش قالوا : يا محمد ائتنا بكتب من رب العالمين مكتوب فيها : انى ارسلت إليكـم محمداً .

٥- عن قتادة : أى أرادوا أن يعطوا من غير عمل ، ويثابوا بلايمان . ٦- عن إبن عباس : كان المشر كون يقولون : ان كان محمد صادقاً فليصبح عند كل رجل مناصحيفةفيها براءته وأمنه من النار . ٧- قيل : ان الاية فى معنى قوله تعالى حكاية عنهم : «ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه» الاسراء : ٩٣) وذلك انهم بلغوا فى العناد حداً لاتجدى معهم فيه التذكرة حداً لايتقبله عقل ولا يستسيغه أو نفس حساسة بل يريد كل امرىء منهم أن ينزل عليه صحفا منشرة مفتوحة من السماء كما أنزل على محمد ﷺ .

٨- قيل : انهم أرادوا أن تنزل عليهم كتاب من السماء بالبراءة من العقوبة والعذاب وإسباغ النعمة حتى يؤمنوا وإلا بقوا على كفرهم . ٩- عـن الكلبى : ان المشر كين كانوا يقولون : يا محمد بلغنا ان الرجل مـن بنى اسرائيل كان يصبح وعند رأسه مكتوب ذنبه و كفارته فأتنا بمثل ذلك .

١٠- قيل : يريد كل واحد منهم أن يكون رسولاً يـوحى إليه متبوعاً و أنف من أن يكون تابعاً .

١١ - قيل : أى أن يذكر بذكر جميل ، فجعلت الصحف موضع الذكر مجازاً . ١٢- قيل : أى قالوا : إذاكانت ذنوب الانسان تكتب عليه فما بالنا لانرى ذلك . ١٣- قيل : أى أن تؤتى قراطيس منشرة كسائر الصحف ، منشرة على أيدى الملائكة انزلت ساعة كتبت قبل أن تطوى .

أقول : والتاسع هو المروى من غير تناف بينه و بين بعض الأقوال الاخر فتأمل جيداً .

٥٦- (وما يذكرون الا أن يشاء اللههوأهل التقوى وأهل المغفرة)

فى الاية أقوال : ١- قيل : أى ان هؤلاء المكذبين لايذكرون الله إلا أن يجبرهم الله جل وعلا على ذلك .وذلك ان هذهالمشيئة غير الاولىإذلو كانت واحدة لتناقض ، فالاولى مشيئة إختيار، والثانية مشيئة إكراه واجبار . فهناك مشيئتان.

وعن قتادة : أى هوالله تعالى أهل التقوى بأن يتقى محارمه ، و هـو أهل المغفرة بأن يغفرذنوب من استغفر وتاب وآمن .

قيل : أى هوأهل المغفرة لمن تاب إليه تعالى من كبائر الذنوب . . .

وقيل : أى هوأهل المغفرة لصغائر الذنوب واجتناب الكبائر . . .

٢- قيل : أى وما يذكر الناس إلاّ أن يشاء الله من حيث أمروا به و نهوا عن تر كه و وعدوا الثواب على فعله و أوعدوا بالعقاب إن يفعلوه فكانت مشيئته سابقة أى لايشاؤن إلاّوالله قد شاء ذلك ، وأنا أهل أن يتقينى عبدى فان لم يفعل كنت أهلاً أن اغفر له وأرحمه وأنا الغفورالرحيم .

قيل : أى هوحقيق بأن يتقيه عباده ويخافوا عقابه ، فيؤمنوا به ويطيعوه و هوحقيق بأن يغفرلهم ما سلف من كفرهم وذنوبهم .

٣- قيل : ان الناس انمايشاؤن بقوة المشيّة التى خلقها الله تعالى فيهمفلو لاذلك لما استطاعوا أن يشاؤا ، وهو تعالى يقول : أنا أهل ان اتقى فمناتقانىفلم يجعل معى إلهاً ، فأنا أهل أن اغفر له .

اقول : وعلى الاول أكثرالمحققين وقريب منه الثانى .

﴿التفسير والتأويل﴾

١- (يا ايها المدثر)

يا من تدثر بثيابك وتغطى بها تريد النوم ، دفعاً لهم الايذاء والسخرية و الاستهزاء ، وغم التكذيب والانكار والأعراض والاقاويل السخيفة ، وتخفيفاً من ثقل الرسالة السماوية ، ووقعة الوحى ، فليس لك النوم والراحة كسائر الناس ، كيف وأنت حامل الرسالة وعباءة النبوة ، وبيدك راية القادة . . . فعليك القيام و الانذار ودعوة الناس إلى الله جل وعلا ، الى التوحيد : كلمة التوحيد و توحيد الكلمة ، إلى الايمان والعبادة والاخلاص ، إلى الكمال والنجاة ، وإلى الفلاح و سعادين الدارين . .

خطاب للنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وقدكان على هذه الحال ، فخوطب بوصف مأخوذ من حاله تأنيساً و ملاطفة نظير قوله تعالى : «ياأيها المزمل» المزمل :١) .

٢- (قم فانذر)

قم يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد مضى وقت النوم والدثار والقعود والراحة ، وحان زمن القيام والانذار ودعوة الناس ، فاقم وجهك للدين حنيفاً ، فانذر قومك، و كافة الناس بما أنزلنا إليك من القرآن الكريم ، وقل اوحى إلى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ واستقم كما امرت من غير إلتفات الى عناد المعاندين ولا متهيب كبر المستكبرين . . .

قال الله تعالى : «فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم» الروم : ٣٠) .

وقال ﷺ : «واوحى إليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ - وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى ومن حولها» الانعام : ١٩-٩٢) .

و قـال : « كتاب انزل إليك فلايكن فـى صدرك حرج منه لتنذر بـه » الاعراف : ٢) .

وقـال : «تبارك الذى نزّل الفرقان على عبده ليكون للعـالمين نذيـراً» الفرقان : ١) .

وقال : «إن هو إلا ذكر وقرآن مبين لينذر من كان حياً» يس : ٦٩-٧٠) .

وقال : «فلذلك فادع واستقم كما امرت ولاتتبع أهواءهم و قل آمنت بما أنزل الله من كتاب و امرت لأعدل بينكم» الشورى : ١٥) وما ورد فى المقام فمن باب التأويل.

٤- (وربك فكبر)

وربك وحده فكبّر يـا محمد ﷺ وعظّمه ، فانه جل و علا وحده هو الكبير المتعال الذى يستحق التكبير دون سواه ، فانه الذى أكبر من أن يوصف، أكبر من كل وصف نصفه إذ كل شيء سواه حقير صغير ، فلا ينبغى أن يعتبر غيره كبيراً مرهوباً ،فيجب أن يكون التكبير له وحده ، فليذكر هذا دائماً فانه إذا ذكر الانسان كبرياء الله تعالى بالاعتقاد والقول والعمل تضاءلت أمام عينيه كبرياء كل كبير إذ لاشيء يشاركه فى كبريائه وعظمته ، ولايماثله فى مجده وجلاله ، ولايعارضه عارض ولايمانعه مانع ولايغالبه أحد . . .

فان كبريائه من ذاته لم يسبقه صغار ، وكل شيء سواه يصغر بجنبه لان الصغر من ذات ما سواه ، وهذا هو التوحيد الاسلامي الذى يفوق على ما نجده من معنى التوحيد فى سائر الشرائع السماوية لمادسّ فيها من جانب الدساسين . . .

فعظّمه يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند الجاهلين به، و مجّده لدى المعاندين و الناكرين له تكبيراً في عقولهم بياناً للواقع، تكبيراً يليق بساحة قدسه، تكبيراً في ضمائرهم جدير بذاته وجلاله، تكبيراً في فطرهم وفكرهم وواقع كيانهم من تفكيرهم وتصرفاتهم...

وعلينا أن نكبّر ربنا جل جلاله قلباً وقولاً وعملاً تكبيراً يليق بساحة قدسه وحده.

قال الله تعالى: «وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولى من الذل و كبّره تكبيراً» الاسراء: ١١١).

وقال: «ان الله كان علياً كبيراً» النساء: ٣٤).

وقال: «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» الشورى: ١١).

و قال: «و له الكبرياء في السموات و الارض وهو العزيز الحكيم» الجاثية: ٣٧).

وقال: «عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال» الرعد: ٩).

وقال: «لتكبّروا الله على ما هداكم وبشر المحسنين ـ وان الله هو العلي الكبير» الحج: ٣٧ـ ٦٢).

٤- (وثيابك فطهر)

و ثيابك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقصّر لئلا تنجرّ على الارض فان تقصير الثياب أبعد من النجاسة وذلك لان العرب كانوا يطولون ثيابهم ويجرّون على الارض أذيالهم ولايبالون بما يصيبهم من النجاسة والقذارة، مضافاً إلى أن الثياب التى تجرّ الارض تخلق في أصحابها الخيلاء والكبر...

٥- (والرجز فاهجر)

واجتنب من الاوثان وعبادتها، ولاتدع مع الله إلهاً غيره وان الاية في معنى قوله تعالى: «ولايصدنك عن آيات الله بعد إذ انزلت اليك وادع إلى ربك ولاتكونن

من المشركين ولاتدع مع الله إلهاً آخر لاإله إلاّ هو» القصص : ٨٧-٨٨) .

وقوله : «فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين» الشعراء :٢١٣).

وقوله«قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لااتبع أهواءكم قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين» الانعام : ٥٦) .

وقوله : «وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولاتكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالاينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك إذاً من الظالمين » يونس : ١٠٥-١٠٦) .

والخطاب للرسول المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم لايلزم تلبسه بشيء من ذلك كقوله تعالى: يا ايها النبي اتق الله ولاتطع الكافرين والمنافقين» الاحزاب : ١) .

٦- (ولاتمنن تستكثر)

ولاتمنن في مهمتك على الله تعالى ولاعلى عباده ، مستكثراً بها عليهم ،فان الرسالة والوحي السماوي رحمة الهية ونعمة ربانية عليك ، فعلى من تمن؟ على الله جل وعلا وهو المنعم ؟ أم على عباده وانت لهم رحمة بهذه الرسالة وإبلاغها ؟ ولله تعالى المنة عليك وعلى عباده إذ أنعم عليك بالرسالة وعليهم بالهداية.فينبغي للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من أول الامر انه رحمة مهداة من الله تعالى إلى عباده كضوء الشمس ونور القمر وماء السحب . . . فكيف المنة على الله تعالى الذي هو المنعم؟ وانه مما يكدر هذه النعمة أن يرى الناس منه أجراً أواستعلاء أوتطاولاً بتلك المنن التي سيقت إليهم على يده . . فانه حامل هذه الرحمة وموصل هذا الفضل إليهم ، وهذا وإن كان بنفسه رحمة له صلى الله عليه وآله وسلم ولكن له صلى الله عليه وآله وسلم أجر من الله تعالى. كما انه ليس لهم أن يمنوا عليك بالايمان .

قال الله تعالى : «يمنون عليك أن أسلموا قل لاتمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين» الحجرات :١٧) .

وقال : «وقالت لهم رسلهم إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمنّ على من

من عباده» ابراهيم : ١١) .

وقال :«أفبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون - فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون - ان إبراهيم كان امة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه إجتباه وهداه إلى صراط مستقيم» النحل : ٧٢ - ٨٢ و٨٣ و١٢٠ و١٢١) .

وقال : «اليوم اكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً» المائدة : ٣) .

وقال : «اولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم» مريم :٥٨).

وقال : «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين قل إنما يوحى إلي إنما الهكم إله واحد فهل أنتم مسلمون» الانبياء : ١٠٧-١٠٨) .

وقال : «وما كنت ترجوا أن يلقى اليك الكتاب إلا رحمة من ربك» القصص : ٨٦) .

وقال : «وأما بنعمة ربك فحدث» الضحى :١١) .

٧- (ولربك فاصبر)

ولوجه الله تعالى ورضائه فاصبر على ما يقولون فيك ، ولاتحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون فانك بأعيننا ، فلا تتألم من أذى المشركين وتكذيب المعاندين واعراض الكافرين وإستهزاء المخالفين، فان المأمور بالتبليغ لايخلوا عن أذى الناس ، و بالصبر يستحيل المر حلواً وبالتمرن والتمرين يحصل الذوق، فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل على ما كذبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ، فاصبر حتى يأتيك نصرنا ويحكم الله تعالى بينك وبينهم، واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى . فلابد لك من الصبر عند القيام بالانذار والامتثال في وجهة هذه الاوامر من تغيير العقائد السخيفة والاوضاع الفاسدة الاجتماعية ومن حسم مواد الفساد وتضييع حقوق الناس والملاعبة باموال الناس وبأنفسهم كما كان يفعل

ذلك كفار قريش خاصة والممالك الامبراطورية عامة ، وجاء محمد ﷺ لتغيير الفساد المطلق ومطلق الفساد ، فلاجرم يواجه المصائب لايمكن التقدم الاّ بالصبر في وجهتها .

قال الله تعالى : «فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبّح وأطراف النهار لعلك ترضى، ولاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير و أبقى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها» طه : ١٣٠- ١٣٢) .

وقال : «واصبر وما صبرك إلاّ بالله ولاتحزن عليهم ولاتـك في ضيق ممـا يمكرون» النحل : ١٢٨) .

وقال : «واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم» الطور : ٤٨-٤٩) .

وقال: «فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل» الاحقاف : ٣٥) .

وقال : «ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا واوذوا حتى أتاهم نصرنا ولامبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نباء المرسلين وإن كـان كبر عليك إعراضهم» الانعام : ٣٤-٣٥) .

وقال : «واتبع مايوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين» يونس : ١٠٩) .

وقال : «إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً فاصبر لحكم ربك ولاتطع منهم آثماً أو كفوراً واذكر إسم ربك بكرة وأصيلاً ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلاً طويلاً» الانسان : ٢٣-٢٧) .

وقال : «فاعبده واصطبر لعبادته» مريم : ٦٥) .

وقال : «واتل ما اوحى إليك من كتاب ربك لامبدّل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحداً واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداوة والعشيّ يريدون وجهه

ولاتعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا و اتبع هواه وكان أمره فرطاً» الكهف : ٢٧ ـ ٢٨)

٨- (فاذا نقرفى الناقور)

فاذانفخ فى الصور وقت الساعة نفخة ثانية لبعث الموتى، وإحضارهم للحساب والجزاء .

قال الله تعالى : « فاذانفخ فى الصور نفخة واحدة وحملت الارض والجبال فد كتا د كة واحدة فيومئذ وقعت الواقعة» الحاقة : ١٣ ـ ١٥)

وقال : «ماينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصّمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون و نفخ فى الصور فاذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون» يس : ٤٩ ـ ٥١)

و قال : «ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات و من فى الارض إلاّ من شاء الله ثم نفخ فيه اخرى فاذاهم قيام ينظرون» الزمر : ٦٨)

وقال : «ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً» الكهف :٩٩) «ماورد فى المقام فمن باب الجرى والانطباق فتأمل جيداً .

٩-١٠- (فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير)

فذلك اليوم يوم شديد على الذين كفروا بالله تعالى و كذّبوا بآياته ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وجحدوا اليوم الاخر و عصوا ، شديد عليهم غير سهل ولاهيّن كيف لاو وجوههم مسودة ترهقهم الذلة تكلم أيديهم وتشهد عليهم أرجلهم ، يوم يكشف ساق عن ساق ويدعون إلى السجود فلايستطيعون ، ويرى المجرمون يومئذ مقرنين فى الاصفاد ، لاخلة لهم ولامفرّ ، وهم عن رحمة ربهم لمحجوبون .

وأما المؤمنون فوجوههم مبيضّة، وهم من فزع يومئذ آمنون يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وهم فرحون .

قال الله تعالى : «يقول الكافرون هذا يوم عسر» القمر : ٨)

وقال : «يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ـ وكان يوماً على الكافرين عسيراً» الفرقان : ٢٢ ـ ٢٦)

وقال : «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم» آل عمران :١٠٦)

وقال : «ويوم القيامة هم من المقبوحين» القصص :٤٢)

وقال : «وأنذرهم يوم الآزفة إذالقلوب لدى الحناجر كاظمين» غافر :١٨)

وقال : «اليوم نختم على أفواههم وتكلّمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بماكانوا يكسبون» يس : ٦٥)

وقال : «يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلّة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» المعارج : ٤٣ ـ٤٤)

وقال: «يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون»القلم: ٤٢)

وقال : «وترى المجرمين يومئذ مقرّنين فى الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد وليذكروا اولوا الالباب » ابراهيم :٤٩ـ٥٢)

وقال : « يوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً يتخافتون بينهم إن لبثتم إلاّ عشراً» طه : ١٠٢ـ١٠٣)

وقال : «وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذّبون» الصافات: ٢٠ ـ ٢١)

وقال : «الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوّ إلاّ المتقين» الزخرف : ٦٧)

وقال : «يقول الانسان يومئذ أين المفرّ» القيامة :١٠)

وقال : « كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» المطففين :١٥)

أوليس يوم البعث والحساب والجزاء يوم عسير على الكافرين والمجرمين غير

يسير ؟ !

وأما المؤمنون يومئذ فقال الله تعالى فيهم : «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» عبس :٣٨ ـ٣٩)

وقال : « يوم تبيض وجوه ـ وأما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله » آل عمران : ١٠٦ ـ ١٠٧)

وقال : «لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة» الانبياء :١٠٣)

وقال : «وهم من فزع يومئذ آمنون» النمل : ٨٩)

وقال : «ياعبادلا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين» الزخرف : ٦٨ـ ٦٩)

وقال : «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشرا كم اليوم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هوالفوز العظيم» الحديد :١٢)

١١- (ذرنى ومن خلقت وحيداً)

دعني ومن خلقته وحيداً لاشىء له من مال ولابنين ، ولاجاه ولامقام ،فكل أمره إلىّ فانى اكفيك من شره وايذائه ، ومن تكذيبه وعناده ، وهو الوليد بن المغيرة الذى لايعرف له أب ، وكان معروفاً بانه دعىّ .

قال الله تعالى فيه : «عتل بعد ذلك زنيم» القلم : ١٣) وفيه طعن فى نسبه و نظير الاية فى التهديد والوعيد الشديد على المغترين بالحياة الدنيا و زخارفها ، وعلى المكذبين بآيات الله تعالى قوله سبحانه : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً و غرتهم الحياة الدنيا وذكّر بهأن تبسل نفس بما كسبت ليس لهامن دون الله ولى ولاشفيع وإن تعدل كل عدل لايؤخذ منها اولئك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون» الانعام : ٧٠)

وقال : «ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون» الحجر :٣)

وقال : «فذرني ومن يكذّب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لايعلمون واملي لهم ان كيدي متين» القلم : ٤٤-٤٥)

وقال: «وذرني والمكذبين اولى النعمة ومهّلهم قليلاً ان لدينا أنكالاً وجحيماً وطعاماً ذاغصّة وعذاباً أليماً» المزمل : ١١ - ١٣)

١٢- (وجعلت له مالاً ممدوداً)

وجعلت هذا المكذب العنيد ذامال الكثير من الانعام والزرع والبساتين والعيون الجارية والعبيد والتجارة والنقود الكثيرة ولم يعلم ان تبعة المال الممدود هو العذاب الممدود إذا كفر بمن أنعمه عليه .

وهذا هو دأب الاغنياء المغترين وذى الثراة المترفين فيجمعون أموالاً ويعددونها من غير أن تكون من طريق الحلال أو الحرام ، ويحسبون أنها تخلدهم من غير شعور انها لاتغنى عنهم إذا تردّوا .

ولاينبغى لنا المؤمنين أن نمدّ أعيننا إلى مامتعوا هؤلاء به من زهرة الحياة الدنيا فنغترّ بها كما اغترّوا .

قال الله تعالى: «أن كان ذامال وبنين إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين سنسمه على الخرطوم» القلم : ١٤ - ١٦)

وقال: «الذى جمع مالاً وعدّده يحسب ان ماله أخلده كلا لينبذن في الحطمة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة» الهمزة : ٢ -٩)

وقال : «وأما من بخل و استغنى و كذّب بالحسنى فسنيسّره للعسرى وما يغنى عنه ماله إذا تردّى» الليل : ٨ - ١١)

وقال : « ماأغنى ماليه هلك عنى سلطانيه خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلّوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه انه كان لايؤمن بالله العظيم ولايحض على طعام المسكين» الحاقة : ٢٨ -٣٤)

وقال : « أيحسبون انما نمد هم به من مال و بنين نسارع لهم في الخيرات

بل لا يشعرون » المؤمنون : ٥٥ ـ ٥٦) .

وقال : «ولا تمدن عينيك إلى مامتعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه » طه : ١٣١) .

وقال : « أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لاوتين مالاً وولداً ـ كلا سنكتب مايقول ونمد له من العذاب مداً ونرثه مايقول ويأتينا فرداً» مريم:٧٧ ـ ٨٠) .

وقال : « فلاتعجبك أموالهم ولاأولادهم إنما يريدالله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون » التوبة : ٥٥)

١٢- (وبنين شهوداً) .

و جعلت لهذا الوحيد العنيد بنين حاضرين ، يشاهدهم و يتأيدبهم ، وهم لايغيبون عنه فى تصرف، ولايفارقونه لقضاء مصالحه، وهم يشهدون معه فى المجامع و المحافل و القضايا و الحكومات . . .

١٣- (و مهدت له تمهيداً) .

وبسطت له فى العيش ، و الجاه و المقام و انتظام الامور، و الطول فى العمر و كثرة البنين بسطة كان عليه الشكر و الايمان ، ولكنه قابلهما بالكفر والطغيان وبالتكذيب و العصيان .

١٥- (ثم يطمع ان ازيد) .

ومن العجيب ان هذا الضلال العنيد يطمع بعدهذا كله أن أزيده مالاً وولداً وبسطة فى العيش و الجاه و إنتظام الامور ... وفى طول العمر .

وهذا عجيب من حرص الوليد كحرص اليهود عبدة العجل على حياة الدنيا و متاعها .

قال الله تعالى : « ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لويعمر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر » البقرة : ٩٦) .

١٦- (كلا انه كان لآياتنا عنيداً) .

لانجمع لهذا الضال العنيد بين الكفر و المزيد من النعم فلايكون له كما طمع ، ولاأزيده مع كفره و كفرانه . ولم يزل الوليدبن المغيرة فى نقصان حالاً بعد حال بعد قوله : «كلا» حتى افتقر ومات فقيراً و نفسه تتقطع حسرة على ماذهب من ماله و ولده .

لانه كان معانداً للقرآن الكريم، و مكذباً برسولنا صلى الله عليه وآله وسلم وجاحداً بحججنا فينكرها مع أنه يعرف انها حق وصدق ، فكيف أزيد على من ينكر نعم منعمه ، و يقابل الشكر بالكفران ، والتصديق بالتكذيب ، و الطاعة بالطغيان ، والهداية بالضلالة . . .

١٧- (سارهقه صعوداً) .

سأتعبه و أكلفه بدل ما يطمع فيه من الزيادة عقبة شاقة المصعد و هو مثل لما يلقى من العذاب الصعب الذى لايطاق، عذاب لاراحة منه وتعباً لاخلاص فيه، و قدجعل الله تعالى مايسرق إليه من المصائب و أنواع المشاق شبيهاً بمن يكلّف صعود الجبال الوعرة الشاقة كقوله تعالى : «ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً» الجن : ١٧) .

١٨- (انه فكر و قدر) .

ان الوليد بن المغيرة رأس الكفرة الفجرة، هذا الضال العنيد فكّر فى القرآن الكريم ومايتلى عليه من آيات الله تعالى ، و تروّى ماذا يقول فى تكذيبه ، وبما ذا يصفه به حين سئل عن ذلك، أيقول : هذا شعر أم كهانة أو هذرة جنون أم اسطورة؟؟ فلم يجد كلاماً يقاس بكلام أحد ، فكّر ليحتال به للباطل لانه لو فكّر على وجه طلب الرشاد ، لوفكّر للاهتداء و الايمان ، و لوفكّر لكشف الحق وتمييز الباطل لكان خيراً ممدوحاً ، و لكنه زوّر فى نفسه ، وقدّر كلاماً فى الطعن فى القرآن ، ومايختلق فيه من المقال من نسبة السحر إليه ومن كونه من قول البشر فانه يفرّق بين المرء و أخيه ، و امه و أبيه و صاحبته و بنيه ، و أهله و مواليه . . . فأصاب

ما فى نفوس قريش و ما به وافق غرضهم .

١٩- (فقتل كيف قدر) .

فقتل الله تعالى هذا اللعين الضال العنيد كيف زوّر فى نفسه كلاماً فى الطعن على القرآن الكريم وفق ما تمنى قريش من القدح والطعن الشديد فى القرآن وفى من جاء به على أى حال كان تقديره .

دعاء على الوليد رأس الكفرة الفجرة كالدعاء عليهم عامة ، وعلى اليهود الجحود ومن إليهم وأذنابهم المنافقين خصوصاً .

قال الله تعالى: «قتل الخراصون الذين هم فى غمرة ساهون» الذاريات:١٠-١١)

وقال : « قتل الانسان ما أكفره » عبس : ١٧) .

وقال : «وقالت اليهود عزير ابن الله - قاتلهم الله أنى يؤفكون» :التوبة:٣٠) .

وقال : «ان المنافقين لكاذبون - هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون» المنافقون : ١ - ٤) .

٢٠- (ثم قتل كيف قدر) .

ثم قتل الله جل وعلا الوليد العنيد على أىّ حال كان تقديره فى الطعن على القرآن الكريم و من جاء به .

٢١- (ثم نظر) .

ثم نظر الوليد فيما اجتمع له من آراء مختلفة أن يقدح به فى القرآن الكريم مرة بعد اخرى لعله يجول بخاطره ما يحبونه ، ويصل إلى ما يرجونه .

٢٢- (ثم عبس و بسر) .

ثم قبض وجهه لما لم يجد فيه مطعناً حين ضاقت به الحيل . ولم يدر ماذا يقول و أظهر العبوس قبل أوانه ، وفى غير وقته لان البسر الاستعجال بالشىء ، و منه بسر الرجل لحاجة طلبها فى غير أوانها و زاد فى القبض و الكلوح .

٢٣- (ثم أدبر و استكبر) .

ثم أدبر هذا الضال العنيد عن الحق و صرف وجهه عن رسول الحق صلى الله عليه وآله وسلم و

رجع القهقرى مستكبراً من الانقياد لديه ، و الاقرار به إذ لم يجد سبيلاً آخر غير ذلك .

قال الله تعالى : « و إذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كان لم يسمعها كان في اذنيه و قراً فبشّره بعذاب أليم » لقمان : ٧) .

وقال : « ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصرّ مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم » الجاثية : ٧ ـ ٨) .

٢٤- (فقال ان هذا الا سحر يؤثر) .

فقال الوليد ليس ماجاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ سحر يؤثر ، يروى عن السحرة. سحر ينقله محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن غيره ممن كان قبله من السحرة ، تؤثره النفوس و تختاره لحلاوته فيها ، و تبعه الذين كانوا في صميم على الكفر والطغيان ويقولون ما قال .

قال الله تعالى : « و لو نزّلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين » الانعام : ٧) .

وقال : « ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وانا به كافرون » الزخرف : ٣٠)

٢٥- (ان هذا الا قول البشر) .

ليس هذا الكلام الذى يدعيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم انه يكون من كلام الله الذى أرسله إليه إلاّ قول البشر يختدع به القلوب كما تختدع بالسحر .

قال الله تعالى : « ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر » النحل : ١٠٣) .

٢٦- (ساصليه سقر) .

سادخل هذا الضال العنيد وادياً في جهنم و ألزمه إياها ولا ينفصل عذابها عنه بحال أبداً ، و انما سميت سقر من سقرته الشمس إذا أذابته أحرقته جلدة وجهه وفي هذا الوادى يجتمع المستكبرون كي يصلّوا حرّها وهي قرارهم وبئس القرار .

قال الله تعالى : « يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر » القمر ٤٨) .

٢٧ - (و ما أدراك ما سقر)

و ما أعلمك أيها السامع أي شيء سقر في شدة حرها و هو لها وضيقها مع أنها قد بلغت في الوصف حداً لا يمكن معرفته ، ولايتوصل إلى ادراك حقيقته إذ لامثيل لها في الحياة الدنيا حتى يقاس بها .

وفي الاية من التفخيم والتهويل نظيرقوله تعالى: « وماأدراك ما القارعة - و ما أدراك ماهيه نار حامية » القارعة : ٣ - ١١) .

و قوله تعالى : « و ما أدراك ما الحطمة » الهمزة : ٥) .

٢٨ - (لا تبقى و لا تذر)

لا تبقى سقر إنساناً مستكبراً القى فيها إلاّ أحرقته ظاهره وباطنه ، جسمه و روحه ولاتدعه حياً ولاتتركه ميتاً ، و هي ساحقة ماحقة ، و فيها أشد العذاب و أبقاه . قال الله تعالى : « تدعوا من أدبر و تولى » المعارج : ١٧) .

و قال : « نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة انها عليهم مؤصدة في عمد ممددة » الهمزة: ٧ - ٩) .

و قال : « الذي يصلى النار الكبرى ثم لا يموت فيها و لا يحيى » الاعلى : ١٢ - ١٣) .

و قال : « انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولايحيى - و لعذاب الاخرة أشد و أبقى » طه : ٧٤ - ١٢٧) .

و قال : « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء : ٥٦) .

و قال : « مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيراً » الاسراء : ٩٧) .

وقال : « و أما الذين فسقوا فمأواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها اعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون » السجدة : ٢٠).

٢٩ - (لواحة للبشر)

تلفح الجلد لفحة تدعه أشد سواداً من الليل ، فتحرق الجلد وبشرة الانسان و غيرتها و ألوانها إلى لون الفحم بما تلفح به وجوههم من لهيبها .

قال الله تعالى : « كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعـوا من أدبر و تولى » المعارج : ١٥ - ١٧) .

وقال: « تلفح وجوههم النار و هم فيها كالحون ألم تكن آياتى تتلى عليكم فكنتم بها تكذّبون » المؤمنون : ١٠٤ - ١٠٥) .

٣٠ - (عليها تسعة عشر)

على سقر تسعة عشر ملكاً يقومون على حراستها ، و يتولون أمر عذاب المستكبرين، وهم خزنتها غلاظ شداد لايعصون الله تعالى، ويفعلون ما يؤمرون.

قال الله تعالى : « و سيق الذين كفـروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى » الزمر : ٧١) .

و قال : « عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » التحريم : ٦) .

٣١ - (وماجعلنا أصحاب النار الا ملائكة وماجعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب و يزداد الذين آمنوا ايماناً ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا كذلك يضل الله من يشاء و يهدى من يشاء و ما يعلم جنود ربك الا هو و ما هى الا ذكرى للبشر)

وماجعلنا خزنة النار إلاّ ملائكة يحرسون النار، ويحفظون لها ويمسكون أهلها فيها و يتولون بعذاب المستكبرين و هم قادرون على ما امروا به من غير أن يطيقهم غيرهم من الجن والانس ، لانهم أقوى الخلق وأشدهم بأساً و أقومهم بحق الله تعالى والغضب له جل و علا ، فالملائكة ليسوا مجرد عدد ، و إنما هم

ملائكة لاتحرقهم النارفانهم نورلاتحرقه النار وهم حفاظ لها وزبانية لاهلها ، و جعلنا شهوتهم فى تعذيب أهل النار .

وقوله تعالى : « وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا » و لم نجعل عدة الملائكة تسعة عشر إلا إبتلاءاً و إختباراً للذين كفروا نعم الله تعالى و جحدوا وحدانيته حتى يتفكروا فيعلموا ان الله تعالى حكيم لايفعل إلاماهو حكمة، ويعلموا انه جل وعلا قادر على أن يزيد فى قواهم مايقدرون به على تعذيب الطغاة المستكبرين ولوراجع الكفار عقولهم لعلموا ان من سلطه ملكا واحداً على كافة بنى آدم لقبض أرواحهم ، فلا يغلبونه فهو قادر على سوق بعضهم إلى النار وجعلهم تسعة عشر كل واحد منهم أقوى من جميع الانس والجن وأطوع لامر الله تعالى ، من غير رأفة لهم بالثقلين لمخالفتهم إياهم فى الجنس ، فلايرقّوا لهم ولايستروحوا إليهم .

و لم نجعلهم من بنى آدم كما تعهدون أنتم فتطيقونهم كما جعلنا الانبياء والمرسلين من جنس امتهم ليكونوا بهم رؤفاً رحيماً .

و لو كانوا من جنس الانسان ليطمع الانسان النجاة من تعذيبهم بالجزع مثلاً أو يأخذهم الرأفة ويغلبهم ، وأما غير جنسهم فلاطمع فيه كما ان حيواناً من الحيوانات إذاغلب على الانسان فلايطمع الانسان فى النجاة منه إلا بمجيىء الانسان الآخر فينجيه فليسواهم من البشر حتى يرحموهم أو يقاومهم البشر فى دفع العذاب ولم نجعلهم انساً فتتعاطون مغالبتهم ولان الجنسية مظنة الرأفة والرحمة

قال الله تعالى : « فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم » محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٢٧)

وقال : « ولوترى إذالظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق و كنتم عن آياته تستكبرون » الانعام : ٩٣)

وقال : « لقد استكبروا فى أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً يوم يرون الملائكة لا

بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً » الفرقان : ٢١-٢٢)

و قال : « عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون » التحريم : ٦)

وقوله تعالى : « ليستيقن الذين اوتوا الكتاب » جعل الله تعالى عدة خزنة جهنم تسعة عشر وأخبر بها في القرآن الكريم ليحصل اليقين لليهود والنصارى بانه حق نزل من عندالله وان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم صادق لما شاهدوا مافيه موافقا لما في كتابهم التوراة والانجيل من الاخبار بمجيىء النبي الامي العربي ، والاخبار بكون عدة خزنة النار تسعة عشر .

ومن أهل الكتاب الذين آمنوا بما جاء محمد صلى الله عليه وآله وسلم به ومنهم الذين كفروا به وإن كانوا يعرفون انه الحق وان محمداً صلى الله عليه وآله وسلم صادق .

قال الله تعالى : « يا أهل الكتاب قدجاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير قدجاءكم من الله نور و كتاب مبين » المائدة : ١٥)

و قال : « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق » الانعام : ١١٤)

وقال : « و كذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون » العنكبوت : ٤٧)

وقال : « وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا و كانوا بآياتنا يوقنون » السجدة : ٢٤)

وقال : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم و ان فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » البقرة : ١٤٦)

فأهل الكتاب مفروض فيهم أن يعرفوا ان لله ملائكة يقومون بالمهام التي يكلفهم بها ، وانه ليس مما هو خارج عن حدود قدرة الله جل وعلا أن يكون مثل

هذا العدد منهم كافياً لتولى أمر النار فيستيقنوا من صحة الرسالة المحمدية التى تأتى بما يتسق مع ما عندهم.

ولقد تكرر ذكر أهل الكتاب فى القرآن الكريم بأساليب متنوعة ومواضع عديدة فى مناسبات شتى، و فى بعضها مايلهم وجود فريق من النصارى واليهود بمكة المكرمة، و قد استشهدبهم فى آيات كثيرة على صحة النبوة المحمدية و أسس الدعوة القرآنية، و وحدة المصدر الذى صدرت عنه هذه الدعوة والاديان الكتابية السابقة واسلوب الاستشهادبهم يلهم ان شهادتهم فى جانب النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم هى المنتظرة، بل وفى آيات مكية عديدة مايفيد انهم شهدوا وصدقوا و آمنوا به:

كقوله تعالى: «الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون و إذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين» القصص:٥١-٥٢)

و قوله تعالى: «والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل إليك» الرعد: ٣٦)

وذلك لان كثيراً من صفات النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم كانت مذكورة فى التوراة والانجيل المتداولين فى أيدى اليهود والنصارى كما اشير فى قوله تعالى: «الذين يتبعون الرسول الامى الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم» الاعراف: ١٥٧)

و من الايات القرآنية تلهم ان كثرة اليهود كانت فى يثرب، و أن أكثر الكتابيين فى مكة من النصارى، و ان كثيراً من هؤلاء كانوا جاليات غير عربية جاءت من البلاد المجاورة واسلوب الايات المكية إجمالاً يتسم بالعطف، والود نحو أهل الكتاب، وقد طرأ على هذا الاسلوب بعض استبدل فى القرآن المدنى بسبب تبدل موقفهم وخاصة اليهود العنود من الدعوة المحمدية.

وقوله تعالى: «ويزداد الذين آمنوا ايماناً» يزدادون ايماناً بما رأوا من

تسليم أهل الكتاب و تصديقهم بما أخبره رسول الله ﷺ بعد دخزنة جهنم و انه كذلك وبصحة نبوة محمد ﷺ ، فازداد ايمانهم بما فى كتاب الله تعالى وبالنبى ﷺ فالمؤمنون هم الذين آمنوا بمحمد ﷺ وصلته بالله جل وعلا قبل نزول هذه الايات وبعد نزولها ولكنهم يزدادون ايماناً كلما تلقوا من آيات الله تعالى جديداً يثبت ايمانهم ويزيدهم قوة إستبصار لمعالم الحق ايماناً خالصاً من شوائب الشك والارتياب كما يزدادون ايماناً إذا تليت عليهم آيات الله تعالى وهم المؤمنون حقاً.

قال الله تعالى : « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم و إذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً و على ربهم يتوكلون ـ اولئك هم المؤمنون حقاً » الانفال : ٢ ـ ٤)

وقال : « وإذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايماناً فاما الذين آمنوا فزادتهم ايماناً وهم يستبشرون » التوبة : ١٢٤)

وقوله تعالى : « ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون » ولا يرتاب الذين اوتوا الكتاب من اليهود والنصارى الذين يتلون القرآن الكريم حق تلاوته فانهم يعلمون انه الحق من ربهم فلا يرتابون فيما أخبر به النبى الكريم ﷺ من عدة خزنة جهنم ولا فيما جاء به محمد ﷺ ولا يرتاب الذين آمنوا بمحمد ﷺ وما جاءهم به فى ايمانهم ولافى صحة نبوتهم ولافى كتابهم.

قال الله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته اولئك يؤمنون به ـ وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون انه الحق من ربهم » البقرة : ١٢١-١٤٤)

وقال : « وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم » الحج : ٥٤)

و قال : « و يرى الذين اوتوا العلم الذى انزل إليك من ربك هو الحق و يهدى إلى صراط العزيز الحميد » سباء : ٦)

وقال : « انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا

بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون » الحجرات : ١٥)

وقوله تعالى : « و ليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذامثلاً » وليقول الذين في قلوبهم مرض النفاق الذين كانوا بمكة ، وإن لم يكونوا قادرين على إظهار النفاق في مكة ثم أظهروا ما في صدورهم بالمدينة بعد الهجرة لما وجدوا من وافقهم فيه فيها .

وفي الجملة مايدل على كون مرض النفاق في صدور بعض المهاجرين الذين آمنوا ظاهراً وأبطنوا الكفر .وقد حكت آيات كثيرة مكية مواقف المنافقين في مكة منها قوله تعالى : « ومن الناس من يقول آمنا بالله فاذا اوذى في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جاء نصر من ربك ليقولن انا كنا معكم أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين » العنكبوت : ١٠ ـ ١١)

وليقول الذين كفروا بما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم من أهل الكتاب والمشركين أي شيء أراد الله بهذا العدد المستغرب إستغراب المثل الذي ذكره حديثاً .

قال الله تعالى : « كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ـ وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب » الشورى : ١٣ ـ ١٤)

وقال : « فأما الذين آمنوا فيعلمون انه الحق من ربهم و أما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً » البقرة : ٢٦) .

قوله تعالى : « كذلك يضل الله من يشاء و يهدى من يشاء » بمثل تلك الامثال التي يضر بها الله تعالى للناس يضلّ بها من نظر إليها بقلب مريض وصدر ضيق ، و سمع مختوم وبصر زائغ ولم ير وجه الحق والخير ، وجه الهداية والصواب، طريق السعادة والنجاة فيها ، فيرتد إلى الوراء مرتكساً في متاهات الغواية والضلال ، والباطل والخطاء ، ويهدى بها من جاء اليها بقلب سليم وصدر منشرح و عين منفتح و عقل محرّر من الهوى فرآى الطريق القويم إلى الله جل وعلا فسلكه واستقام

قال الله تعالى : « وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون » الحشر : ٢١)
وقال : « وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها إلاّ العالمون » العنكبوت : ٤٣)
وقال : « كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم كبر مقتاً عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار » غافر : ٣٤ ـ ٣٥)
وقال : « والله لايهدى القوم الكافرين ـ وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبيّن لهم ما يتقون » التوبة : ٣٧ ـ ١١٥)
وقال : « وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدى به كثيراً وما يضل به إلاّ الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون » البقرة : ٢٦ ـ ٢٧)

وقوله تعالى : « وما يعلم جنود ربك إلاّ هو » لاتقصر جنود ربك فى تسعة عشر من خزنة النار ، وإنما اقتضت الحكمة الالهية بأن يجعل عدتها كذلك و أما جنود ربك من الملائكة فلايعلمهم لكثرتها وخفائها عن الابصار إلاّ هو جل وعلا ، وهم وجودات خفية طيبة لها صلة بالله تعالى وهم جنود لله تعالى فى السموات والارض لاسبيل لاحد إلى حصرها ولا الوقوف على حقائها و صفاتها ولو إجمالاً فضلاً عن الاطلاع على تفاصيلها كماً و كيفاً ونسبة ، إذلا تدركهم عقولنا التى يعنيها إدراك كثير من قوى الكون ونواميس الوجود . . .

قال الله تعالى : « ثم أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين و أنزل جنوداً لم تروها وعذّب الذين كفروا ـ ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيّده بجنود لم تروها » التوبة : ٢٦ ـ ٤٠)

و قال : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فارسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً إذ جاؤكم من

فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر » الاحزاب : ٩ - ١٠)

وقال : « هو الذى أنزل السكينة فى قلوب المؤمنين ليزدادوا ايماناً مع ايمانهم ولله جنود السموات والارض » الفتح : ٤)

وقوله تعالى : « وماهى الا ذكرى للبشر » وليست هذه العدة القليلة من خزنة النار إلا تذكرة لكافة الناس ،ولخاصة أهل الكتاب إذ علموا منها مطابقة ما جاء فى القرآن الكريم لما فى كتبهم ، وإلتزام هذه الكتب هذا العدد من غير تبديل ولا تحريف إذ لا مصلحة لهم فى هذا التبديل والتحريف ، ولحفظه حتى يشهد لصحة هذا القرآن ، فليست التسعة عشر تنبىء عن عجز الله تعالى كما ان أصل الجنود لا تنبىء عن حاجته جل وعلا إليها ، وإنما ذكرت هذه العدة تذكرة لعامة البشر فمن شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً .

قال الله تعالى : « ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً» المزمل : ١٩) وما ورد فى الاية الكريمة فمن باب التأويل فتدبر جيداً .

٣٢- (كلا والقمر)

ألا يا أيها الناس اقسم بالقمر . على أن « كلا» إستفتاحية تنبيهية تشير إلى ما يليها كقوله تعالى : « كلا إذا بلغت التراقى و قيل من راق و ظن انه الفراق والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق » القيامة : ٢٦ - ٣٠)

و قوله : « كلا ان كتاب الفجار لفى سجين - كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » المطففين : ٧ - ١٥)

وقوله : « كلا إذا دكت الارض دكاً دكاً » الفجر : ٢١)

ان الله تعالى اقسم بالقمر لما فيه من القدرة الكاملة الالهية والايات العجيبة الدالة على حكمة خالقه ووحدانيته فى طلوعه ونوره وفى غروبه وإختفائه ، و فى إتساقه ومسيره ، وفى زيادته ونقصانه . . .

كقوله تعالى : « والقمر إذا اتسق » الانشقاق : ١٨)

وقوله : « والقمر إذا تلاها » الشمس : ٢)

٣٣- (والليل اذ أدبر)

واقسم بالليل حين ينقضي ويذهب ويمضي والاية في معنى قوله تعالى : « والليل إذا يسر » الفجر : ٤)

وقوله تعالى : « والليل إذا عسعس » التكوير : ١٧)

ان الله تعالى أقسم بالليل حين إدباره لما فيه من آيات وعبرة لاولي الابصار.

قال الله تعالى : « قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون » القصص : ٧١)

و قال : « يقلّب الله الليل والنهار ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار » النور : ٤٤)

٣٤- (والصبح اذا أسفر)

واقسم بالصبح إذا أخذ بالانجلاء والاضائة ، بالانكشاف والاشراق .

والاية في معنى قوله تعالى : « والصبح إذا تنفس » التكوير : ١٨)

ان الله تعالى أقسم بوقت الصباح لماله من فضل كثير على غيره من سائر الاوقات . . .

قال الله تعالى: «والفجر » الفجر : ١) وقال : « فلاأقسم بالشفق» الانشقاق:١٦) وقال : « وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً » الاسراء : ٧٨) أي و صلاة الصبح ان صلاته كان مشهوداً حيث تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار . و في فضل الصبح روايات كثيرة أوردناها في محلها فراجع .

٣٥- (انها لاحدى الكبر)

ألا يا أيها الناس : اني اقسم بكذا و كذا ان سقر التي جرى ذكرها لاحدى البلايا والدواهي لا مثيل لها في الشدة والعذاب ، وهي دركة من دركات جهنم

وهى سبع ، و لكل باب يدخل منه أهلها فيها ، و ان سقر مثوى لأشقى الاشقياء والمتكبرين .

قال الله تعالى : « و ان جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » الحجر : ٤٣ ـ ٤٤)

وقال : « ويتجنبها الاشقى الذى يصلى النار الكبرى » الاعلى : ١١ـ ١٢)

وقال : « وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها و قال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و ينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى و لكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين » الزمر : ٧١ ـ ٧٢)

٣٦- (نذيراً للبشر)

ان سقر ونارها وخزنتها ذكرت إنذاراً لجميع البشر حتى يكونوا على بينة من أمرهم ومن شأنها أن تهز النفوس من أقطارها ، وأن تبعث فى القلوب الخشية والفزع من لقاء تلك الاهوال التى تطلع بها جهنم على أهلها ، و فى هذا أبلغ نذير لمن يبصر النذر وينتفع بها ، وإن لم تغن عن القوم الكافرين الذين فى صميم على البقاء على الكفر والطغيان .

قال الله تعالى : «ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغن النذر » القمر : ٤ ـ ٥)

وقال : « وما تغنى الايات والنذر عن قوم لايؤمنون » يونس : ١٠١)

٣٧- (لمن شاء منكم أن يتقدم او يتاخر)

ان سقر ونارها وخزنتها هى نذير لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم لنجاة نفسه وسعادتها ، أن يتقدم إلى صراط مستقيم، وإلى سواء السبيل ، وأن يتقدم لفعل الخير والطاعة ، فيتبع الحق ، ويؤمن بالله تعالى ورسوله وبكتابه وباليوم الاخر كما انها نذير لمن شاء منكم أن يتاخر عنها ، فيعرض عن طريق الهدى والصواب ،

عن طريق النجاة والسعادة ، فيكفر بالله جل وعلا و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاءهم به و باليوم الاخر ، فيرتد عن عقيبه ، و يغيب فـي متاهات الكفر والضلال والشر والطغيان . . .

فذكر سقر ونارها وخزنتها إنذار لجميع البشر سواء آمنوا أم كفروا المافي وسعهم على الكفر والايمان ، على الطاعة والطغيان ، على السعادة والشقاء ، على إتباع الحق والباطل ، وعلى الخير والشر ، وعلى الذهاب إلى الجنة و نعيمها و إلى سقر و نارها . . . فالانسان بما هو إنسان مخيّر في ذلك كله و إن كان على التوحيد والايمان والطاعة والخير . . . حسب الفطرة ولا يرضى خالقه له الكفر والطغيان ورضى له الاسلام ديناً .

قال الله تعالى : « ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » المزمل : ١٩)

و قال : « و قل الحق من ربكم فمـن شاء فليؤمن و من شاء فليكفر » الكهف : ٢٩)

وقال : « فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » الروم : ٣٠)

وقال حكاية عن حبيب النجار المؤمن : « ومالي لا اعبد الذى فطرنى و إليه ترجعون » يس : ٢٢)

وقال : « ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضاه لكم » الزمر : ٧)

وقال : « و رضيت لكم الاسلام ديناً ـ يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام » المائدة : ٣ ـ ١٦)

٣٨ـ (كل نفس بما كسبت رهينة)

كل نفس بما كسبت مرتهنة ، مسئولة بما عملت ، مأخوذة بعملها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت تجد خيرها و شرها سواء ، فتجزى بهما على سواء .

قال الله تعالى : « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً و ما عملت

من سوء» آل عمران : ٣٠)

وقال : « لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت » البقرة : ٢٨٦)

وقال : « كل امرىء بما كسب رهين » الطور : ٢١)

٣٩- (الا أصحاب اليمين)

هم أصحاب العقائد الحقة والاعمال الصالحة من متوسطى المؤمنين الذين يؤتيهم كتابهم بأيمانهم يوم القيامة، فيحاسبون حساباً يسيراً و ينقلبون إلى أهلهم مسرورين.

قال الله تعالى : « يوم ندعوا كل اناس بامامهم فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم ولا يظلمون فتيلاً » الاسراء : ٧١)

وقال : « فأما من اوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً و ينقلب إلى أهله مسروراً » الانشقاق : ٧ - ٩)

وقال : « ثم كان من الذين آمنوا وتوا صوابالصبر وتواصوا بالرحمة اولئك أصحاب الميمنة : » البلد ١٧ - ١٨)

٤٠- (فى جنات يتساءلون)

هم فى جنات لايدرك وصفها ولا يقدر قدرها يتساءلون بينهم سؤال تعجب وشماتة، وتساؤل صاحب شأن مفوض فى موقف ليسمع الجواب من فى الموقف.

٤١- (عن المجرمين)

عن أحوال المجرمين الضالين المضلّين الذين كفروا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و كذّبوا بآيات الله تعالى واليوم الاخر ويستهزؤن بآيات الله جل وكانوا من الذين آمنوا يضحكون.

قال الله تعالى : «وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين وإذا قيل ان وعدالله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندرى ماالساعة إن نظن إلاّ ظناًوما نحن بمستيقنين وبدالهم سيئات ما عملوا وحاق بهم

ماكانوا به يستهزؤن» الجاثية : ٣١ ـ ٣٣)

وقال : «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام ـ هذه جهنم التي يكذّب بها المجرمون» الرحمن : ٤١ ـ ٤٣)

وقال : «ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذامرّوا بهم يتغامزون وإذاانقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذارأوهم قالوا ان هؤلاء لضالون ـ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الارائك ينظرون هل ثوّب الكفار ماكانوا يفعلون» المطففين : ٢٩ ـ ٣٦)

وقال : « ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار ان قدوجدنا ماوعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً قالوانعم فأذّن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغونها عوجاًوهم بالآخرة كافرون» الاعراف: ٤٤-٤٥)

كماتسئلهم خزنة جهنم حين يلقون فيها سؤال تخجيل وشماتة عماجعلهم من أصحاب النار .

قال الله تعالى : «وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذاالقوا فيها سمعوا لهاشهيقاً وهي تفور تكاد تميّز من الغيظ كلما القى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجاءنا نذير فكذبنا وقلنا مانزّل الله من شئ» الملك : ٦ ـ ٩)

و كذلك المجرمون يقبل بعضهم بعضاًفيتساءلون عماجعلهم من أصحاب سقر.

قال الله تعالى : «وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا انكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوماًطاغين فحق علينا قول ربنا انالذائقون فاغويناكم انا كنا غاوين فانهم يومئذ في العذاب مشتركون انا كذلك نفعل بالمجرمين انهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنالتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون» الصافات: ٢٧-٣٦)

٤٢- (ماسلككم في سقر)

ماأوقعكم فى هذه الدركة من دركات جهنم؟ وماأدخلكم فيها من الذنوب والاستكبار، من الكفر والطغيان، ومن الضلالة والعصيان؟ وأى شيء جعلكم فى عداد أصحاب النار؟ ومانظم جمعكم فيها وشدّكم إليها كما يشد الخرز فى سلكه؟؟؟

٤٣- (قالوا لم نك من المصلين)

قال المجرمون - جواباً عن سؤال أصحاب اليمين - : ان سبب دخولنا فى سقر اننا تركنا ما لاجله خلقنا الله تعالى وهو العبادة، وإليها كانت دعوة الانبياء والمرسلين صلوات الله عليهم أجمعين فما كنا من المصلين إذلم نك من المؤمنين لانالو كنا من المؤمنين لكنا من المصلين.

قال الله تعالى: «وما خلقت الجن والانس إلاّ ليعبدون» الذاريات: ٥٦)

وقال: « إذجاءتهم الرسل من بين أيديهم و من خلفهم ألاّ تعبدوا إلاّ الله » فصلت: ١٤)

وقال: «وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى وهذا صراط مستقيم» يس: ٥٩ - ٦١)

وقد اكتفى المجرمون عن خروجهم من زمرة المؤمنين بالخروج عن زمرة المصلين حيث ان الصلاة هى مظهر الايمان، ولذلك نجدها مع ايتاء الزكاة من شروط قبول توبة المشركين.

قال الله تعالى: «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم - فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم فى الدين» التوبة: ٥ - ١١)

فالخروج عن الشرك والطغيان، والدخول فى الاخوة الدينية هما مرتبطان باقام الصلاة وايتاء الزكاة.

قال الله تعالى: «قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية» ابراهيم: ٣١).

٤٤- (ولم نك نطعم المسكين)

وما كنا نخرج زكاة أموالنا الواجبة التى وجب دفعها إلى ذوى الحاجات ومنهم المساكين بخلاً ومنعاً من حقهم.

قال الله تعالى : «وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه» يس : ٤٧)

وقال : «ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة» آل عمران : ١٨٠) .

٤٥- (وكنا نخوض مع الخائضين)

ومع ذلك كله كنا نخوض فى الباطل مع الخائضين فيه، و نقول فى أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير علم وحق ، ونخالطهم فى إيذاء المؤمنين ، وفى استهزاء الايات القرآنية ، وكنا مع كل جماعة ضالة ، وعلى كل مورد آثم ولا نبالى ، ونشتغل بالحياة الدنيا ، ونلعب بمتاعها ، وكنا عن الاخرة وحسابها وجزائها غافلين .

قال الله تعالى : « فويل يومئذ للمكذبين الذين هم فى خوض يلعبون» الطور: ١١ـ١٢)

وقال : «ساصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانو عنها غافلين» الاعراف : ١٤٦)

وقال : «وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره- ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون» الانعام ٦٨ ـ ٩١)

و قال : « فذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون » لزخرف : ٨٣)

وقال: «يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون» الروم:٧)

وقال : «الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم

كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون» الاعراف : ٥١)

٤٦- (وكنا نكذب بيوم الدين)

ولم نكتف بذلك بل أثرت المجالسة والمخالطة معهم فينا بحيث وافقناهم في تكذيب البعث والحساب والجزاء ، فكنا نكذب بذلك وما كنا له بمستيقنين.

قال الله تعالى : «وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوماً مجرمين وإذا قيل إن وعدالله حق والساعة لاريب فيها قلتم ماندري ماالساعة إن نظن الا ظناً وما نحن بمستيقنين» الجاثية : ٣١ ـ ٣٢)

٤٧- (حتى أتانا اليقين)

ظلنا متلبسين في حياتنا بتلك المآثم ، واستمرت علينا الحال إلى أن انقضت حياتنا فجأة ، فرأينا ماتكذبه من البعث والحساب والجزاء بالعيان .

قال الله تعالى : «ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون ـ فاصبر ان وعدالله حق ولا يستخفنك الذين لايوقنون» الروم : ٥٥ ـ ٦٠)

وقال : «كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين» التكاثر :٥ ـ٧)

فماكان لهم علم اليقين بيوم الدين ، وأما المؤمنون فهم بالاخرة يوقنون .

قال الله تعالى : «الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل إليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون» البقرة : ٣ ـ ٤)

٤٨- (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) .

فلا تنفع المجرمين المكذبين شفاعة الشافعين من الملائكة و الانبياء و المرسلين و الشهداء و الصالحين ، إذلا يسقط عقاب الكفر بالشفاعة ، فالكافرون يبقون في جهنم فلا شفيع لهم .

ان الاية بصدد تزييف عقيدة المشركين و إفهام أصحابها أنهم على ضلال وخسران .

قال الله تعالى : «أم اتخذوا من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعاً » الزمر : ٤٣ ـ ٤٤) .

و قال : « ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلاّ من شهد بالحق» الزخرف : ٨٦) .

وان كثيراً من الايات الكريمة تلهم ان الشفعاء الذين كانوا يعتقدون بهم و يشركونهم مع الله سبحانه هم الملائكة في الدرجة الاولى على إعتبار أنهم بنات الله و أصحاب الحظوة لديه .

وان المشركين كانوا يشركون بالله سبحانه غيره في العبادة والا تجاه و الدعاء بقصد الاستشفاع لديه على ماجاء في كثير من الايات القرآنية :

منها قوله تعالى : « ويعبدون من دون الله مالا يضرّهم ولا ينفعهم و يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » يونس : ١٨) .

وقوله : « و الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى » الزمر : ٣) .

و قال الله تعالى : «ولم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا وكانوا بشركائهم كافرين» الروم : ١٣) .

نعم ان هناك شفعاء من الملائكة والانبياء و الائمة أهل البيت عليهم السلام و الشهداء والصالحين لا يشفعون إلاّ لمن ارتضى ، وأما الكفار والمنافقون فمحرومون من نيل الشفاعة للكفر ظاهراً و باطناً .

قال الله تعالى : « بل عباد مكرمون ـ ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون » الانبياء : ٢٦ ـ ٢٨) .

وقال : « لا يملكون الشفاعة إلاّ من اتخذ عند الرحمن عهداً» مريم : ٨٧) .

وقال : « ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النـار ولن تجد لهم نصيراً » النساء : ١٤٥) .

وقال : « و ماللظالمين من حميم ولا شفيع يطاع » غافر : ١٨) .

٤٩- (فمالهم عن التذكرة معرضين) .

فأى شيء كان لهؤلاء المكذبين . وما حصل لاولئك المجرمين أعرضوا عن هذاالقرآن الكريم والوحى السماوى، وتولّوا عنه ولم يتذكّروا ولم يؤمنوا به، وقد فتح لهم باب السعادة والنجاة، باب العزة والكمال ، وباب التفكر والحرية على مصراعيه . . سعادة الدارين و النجاة من معيشة الضنك فى الحياة الدنيـا ، ومن الكرب و البلاء فى الاخرة .

وان الاية الكريمة فى معنى قوله تعالى : « ومالكم لاتؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم » الحديد : ٨) .

وقوله : « فمالهم لايؤمنون وإذا قرىء عليهم القرآن لايسجدون بل الذين كفروا يكذّبون » الانشقاق : ٢٠ ـ ٢٢) .

وقوله : «وما منع الناس أن يؤمنوا إذجاءهم الهدى » الكهف : ٥٥) .

وقد اطلق الذكر والتذكرة على القرآن الكريم فى كثير من الايات القرآنية: قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون » الحجر : ٩) .

و قال : « وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون » الانبياء : ٥٠) .

وقال ، « ماأنزلنا عليك القرآن لتشقى إلاّ تذكرة لمن يخشى تنزيلاً ممن خلق الارض و السموات العلى » طه : ٢ ـ ٤) .

وقال : « ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر » القمر : ١٧) .

٥٠- (كأنهم حمر مستنفرة) .

كأن هؤلاء المكذبين المجرمين فى نفارهم عن الذكر، و إنصرافهم عن الحق وبلادتهم فى الفهم حمر مستنفرة : وحشية شاردة غير مستأنسة ، شديدة النفار ، و

لو يتلى عليهم آيات الله تعالى إشمأزت قلوبهم، وما زادتهم إلا نفوراً، و«مستنفرة» بمعنى منفرة ومنه: «أربط حمارك انه مستنفر» أى منفر.

قال الله تعالى: «قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون مستكبرين به سامراً تهجرون ـ ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون» المؤمنون: ٦٦ـ ١٠٥).

وقال: «ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم إلا نفوراً ـ وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولو على أدبارهم نفوراً» الاسراء: ٤١ ـ ٤٦).

وقال: «وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا» الحج: ٧٢).

وقال: «وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفوراً» الفرقان: ٦٩).

و قال: «فلما جاءهم نذير مازادهم إلا نفوراً إستكباراً في الارض» فاطر: ٤٢ ـ ٤٣).

و قال: «وإذا ذكر الله وحده إشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذاهم يستبشرون» الزمر: ٤٥).

و قال: «إن الكافرون إلا في غرور ـ بل لجوا في عتو و نفور» الملك: ٢٠ ـ ٢١)

٥١- (فرت من قسورة)

فكان المجرمون المكذبون يفرون عن الايات القرآنية، والدعوة النبوية فرار الحمر النافرة من السبع حين يبدلها. أو الحمر الوحشية الهاربة من رماة يرمونها ويتعقبونها لصيدها و إفتراسها.

٥٢- (بل يريد كل امرىٔ منهم أن يؤتى صحفاً منشرة)

بل يريد كل امرىٔ من هؤلاء المجرمين المكذبين أن ينزل على كل

واحد منهم صحف منشرة غير ما ينزل على غيره . فكأنهم قالوا : نحن نقبل دعوتك ولا نردّها لو دعا كل واحد منّا بانزال كتاب سماوي إليه مستقلاً ، و أما الدعوة من طريق الرسالة فلسنا ان نستجيبها وان كانت حقة مؤيدة بالايات البينة كما قالت الامم السابقة لرسلهم : « ان انتم الا بشر مثلنا » ابراهيم : ١٠) وقالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « ما انت الا بشر مثلنا » الشعراء : ١٨٦)

كما يقولون : لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية أو تأتينا مثل ما اوتي رسل الله، وهم لا يريدون بذلك الايمان بالله تعالى ورسوله وبكتابه وباليوم الاخر إذ لو نزل عليهم كتاب أو آيات او انزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم آيات اخرى من ربه أو انزل عليهم الملائكة أو كلمهم الموتى لما كانوا بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا بكتابه يؤمنون .

قال الله تعالى : « وقالوا اتخذ الله ولداً سبحانه ـ وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم » البقرة : ١١٦ ـ ١١٨)

وقال : « ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين ـ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة و كلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا ـ وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل اوتي رسل الله » الانعام : ٧ و ١١١ و ١٢٤)

وقال : « وقالوا لولا تاتينا بآية من ربه أو لم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى » طه : ١٣٣)

وقال : « فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى أو لم يكفر بما اوتي موسى من قبل » القصص : ٤٨)

و قال حكاية عنهم : « ولن نؤمن لرقيك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشراً رسولاً » الاسراء : ٩٣ ـ ٩٤)

وقال : « وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه قل انما الايات عندالله و انما أنا نذير مبين أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون » العنكبوت : ۵۰ ـ ۵۱)

۵۳- (كلا بل لا يخافون الاخرة)

ليس الامر على ما أراد هؤلاء المجرمون المكذبون ، و لا يكون كذلك ، فلن نوتيهم الصحف المنشرة إذ ليس غرضهم و تصميمهم انه لو كان الكتاب نازلاً عليهم أن يؤمنوا ، وانما هم في صميم على الكفر والتكذيب . و على المعصية والطغيان ولو أنزلنا عليهم الصحف أو الملائكة من السماء . . . وإنما الباعث لهم في الكفر والطغيان انهم لا يخافون الاخرة لاغترارهم بالحياة الدنيا ومتاعها فلو خافوها لآمنوا بها إذ لا يتذكر بهذا القرآن الكريم ولا يؤمن بالله تعالى و رسوله وباليوم الاخر إلا من خاف الاخرة وعقباه .

قال الله تعالى : « وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر ام القرى و من حولها والذين يؤمنون بالاخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون » الانعام : ۹۲)

وقال : « فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة و هم مستكبرون ـ ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة » النحل : ۲۲ ـ ۱۰۷)

و قال : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون » الروم : ۷)

وقال : « و إذا ذكر الله وحده إشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة » الزمر : ۴۵)

وقال : « كلا بل تحبّون العاجلة وتذرون الآخرة » القيامة : ۲۰ ـ ۲۱)

وقال : « ولا يخاف عقباها » الشمس : ۱۵)

وقال : « نحن أعلم بما يقولون وما أنت عليهم بجبار فذكر بالقرآن من

يخاف وعيد» ق : ٤٥)

وقال : « ان فى ذلك لاية لمن خاف عذاب الاخرة » هود : ١٠٣)

وقال : « وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون » الانعام : ٥١)

٥٤- (كلا انه تذكرة)

حقاً ان هذا القرآن تذكرة كافية ، ونصيحة بليغة ، وعظة عظيمة شافية ، و دليل متقن على صدق النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم وصحة ان هذا القرآن ما انزله الله تعالى لهداية البشر .

قال الله تعالى : « ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلاّ تذكرة لمن يخشى » طه : ٢ - ٣)

وقال : « يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم » يونس : ٥٧)

٥٥ (فمن شاء ذكره)

فمن شاء من البشر اتعظ بما جاء فى القرآن الكريم و تذكر به من غير إجبار وإكراه فلكل انسان أن يجعل هذا القرآن نصب عينيه ، و هادياً لنفسه و سبباً لسعادة الدارين والنجاة من عذابهما .

قال الله تعالى : « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » الكهف : ٢٩)

وقال : « إنا هديناه السبيل إما شاكراً و إما كفوراً - ان هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً » الانسان : ٣ - ٢٩)

٥٦- (وما يذكرون الاأن يشاء الله هوأهل التقوى واهل المغفرة)

ولايذكر الانسان بما جاء فى القرآن الكريم ، ولا يجعله نصب عينيه إلاّ أن يشاء الله تعالى ، على أن الانسان يشاء بقوة المشيئة التى خلقها الله تعالى فيه فلولاذلك لما استطاع أن يشاء ، وان الله تعالى لايشاء ايمان من بنوا على الكفر

و ترك الايمان ما داموا هم على بناءهم بأن لا يرتب الاثر من القرآن على تلك القلوب القاسية هو الله تعالى أهل التقوى ، فيهدى من يتقيه و يخاف من عدله ، و أهل المغفرة يغفر لمن تاب واستغفر و آمن وعمل صالحاً .

ان الله تعالى بيّن مشيئته لمن أراد أن يتذكر في كلامه ضمناً : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » بانه جل و علا لا يشاء أن يتذكر أحد إلا من طلب المغفرة و يسعى إلى التقوى ، فاذاً تستعد نفسه للتذكر ، فيشاء الله تعالى أن يتذكر و مقدمات التذكر باختيار الانسان و مشيئته و هو المتسق مع حكمة إرسال الرسل ، و يقوم الجزاء الذى يوفى فيه الناس جزاء أعمالهم التى اكتسبوها بقوة هذه المشيئة والقابلية للاختيار والكسب التى أودعها الله تعالى فيهم .

ومعظم آيات القرآن الكريم التى تنسب الافعال والتفكير إلى الانسان من الادلة التى تكاد تكون حاسمة على ذلك ، وتنسب إكتساب الهدى والاستجابة إلى الانسان باكتساب مقدماتها وأسبابها من التوبة والتقوى .

قال الله تعالى : « ولو شاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعاً أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين وما كان لنفس أن تؤمن إلا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون » يونس : ٩٩ـ ١٠٠)

وقال : « وما تشاؤن إلا أن يشاء الله ان الله كان عليماً حكيماً يدخل من يشاء فى رحمته والظالمين أعدّ لهم عذاباً أليماً » الانسان : ٣٠ ـ ٣١)

وقال : « ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقاً » النساء : ١٦٨)

وقال : « وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم » الاحقاف : ٣١)

وقال : « قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف » الانفال : ٣٩)

وقال : « ومن يغفر الذنوب إلا الله » آل عمران : ١٣٥)

﴿جملة المعاني﴾

٥٤٩٦- (يا أيها المدثر)

يامن تلفف بثيابك و تغطى بها ، دفعاً لايذاء المشركين ، وغم التكذيب و الاعراض .

٥٤٩٧- (قم فانذر) .

قم يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقد مضى وقت الدثار والقعود والراحة بل حان زمن القيام والانذار و دعوة الناس إلى الله تعالى .

٥٤٩٨- (وربك فكبر)

وربك وحده فكبر يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم وعظمه ، فانه وحده هو الكبير المتعال دون سواه .

٥٤٩٩- (وثيابك فطهر) .

وثيابك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقصر فان تقصير الثياب أبعد من النجاسة .

٥٥٠٠- (و الرجز فاهجر) .

و اجتنب من الاوثان وعبادتها ، ولاتدع مع الله سبحانه إلهاً غيره .

٥٥٠١- (ولا تمنن تستكثر) .

ولا تمنن في مهمتك على الله تعالى ولا على عباده ، مستكثراً بها عليهم .

٥٥٠٢- (ولربك فاصبر)

ولابتغاء وجه ربك فاصبر على مايقولون فيك، وعلى ماترى في إبلاغ رسالتك

٥٥٠٣- (فاذا نقر فى الناقور) .

فاذا نفخ فى الصور وقت الساعة نفخة ثانية لبعث الموتى وإحضارهم للحساب و الجزاء .

٥٥٠٤- (فذلك يومئذ يوم عسير)

فذلك اليوم يوم شديد و صعب لايطاق عليه أحد .

٥٥٠٥- (على الكافرين غير يسير) .

على الذين كفروا بالله تعالى ورسوله ﷺ وبكتابه و باليوم الاخر، شديد عليهم غير هيّن .

٥٥٠٦- (ذرنى ومن خلقت وحيداً) .

دعنى يامحمد ﷺ ومن خلقته لامال له ولابنون، فكل أمره إلىّ فانى اكفيك من شره .

٥٥٠٧- (وجعلت له مالاً ممدوداً) .

و جعلت لهذا المكذب مالاً كثيراً . . .

٥٥٠٨- (و بنين شهوداً) .

وجعلت له بنين حاضرين يشاهدهم ولايغيبون عنه .

٥٥٠٩- (ومهدت له تمهيداً) .

و بسطت له فى العيش و إنتظام الامور . . .

٥٥١٠- (ثم يطمع أن ازيد) .

ثم يطمع بعد هذا كله أن أزيد ، مالاً وولداً وبسطة فى العيش و الجاه . . .

٥٥١١- (كلا انه كان لاياتنا عنيداً) .

لايكون لهذا الضال كما طمع ولاأزيده لانه كان معانداً لاياتنا القرآنية . . .

٥٥١٢- (سارهقه صعوداً) .

سأتعبه و اكلفه بدل مايطمع فيه من الزيادة عقبة شاقة المصعد .

٥٥١٣ - (انه فكروقدر)

انهذا الضال العنيد فكر فى القرآن الكريم وتروى ماذايقول فى تكذيبه.

٥٥١٤- (فقتل كيف قدر) .

فقتل هذااللعين الضال كيفزوّرفى نفسه كاملاً فى الطعن على القرآنالكريم

٥٥١٥- (ثم قتل كيف قدر) .

ثم قتل هذاالعنيد على أىّ حال كان تقديره وتزويره فى الطعن على القرآن؟

٥٥١٦- (ثم نظر) .

ثم نظرهذا المكذب فيمااجتمع له من الآراء والتزوير فى القدح على القرآن.

٥٥١٧- (ثم عبس و بسر) .

ثم قبض وجهه لما لم يجد فيه مطعناً حين ضاقت به الحيل وأظهر العبوس قبل أوانه .

٥٥١٨- (ثم أدبر و استكبر) .

ثم صرف هذا المكذب وجهه عن رسول الحق ﷺ ورجع مستكبراً من الانقياد لديه :

٥٥١٩- (فقال انهذا الا سحريؤثر)

فقال هذا العنيد المكذب : ليس ما جاء به محمد ﷺ إلاّ سحر يوثر فى النفوس . . .

٥٥٢٠- (ان هذا الا قول البشر) .

ليس هذا إلاّ قول البشر يختدع به القلوب . . .

٥٥٢١- (ساصليه سقر).

سادخل هذا الضال المكذب وادياً فى جهنم لاينقطع عنه عذابها .

٥٥٢٢- (وما أدراك ماسقر) .

وما أعلمك أىشىء سقر فى شدّة حرّها وهو لها . . .

٥٥٢٣- (لاتبقى ولاتذر) .

لاتبقى سقر من الانسان المستكبر الذى يلقى فيها إلاّ تحرق ظاهره وباطنه، ولا تتركه ميتاً .

٥٥٢٤- (لواحة للبشر) .

تحرق الجلد وبشرة الانسان المكذب حتى تسودّ .

٥٥٢٥- (عليها تسعة عشر) .

على سقر تسعة عشر ملكاً يقومون على حراستها و يتولون أمر عذاب أهلها.

٥٥٢٦- (وماجعلنا أصحاب النار الا ملائكة وماجعلنا عدتهم الافتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب و يزداد الذين آمنوا ايماناً ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء ومايعلم جنود ربك الاهو وماهى الا ذكرى للبشر) .

وماجعلنا خزنة النار إلاّ ملائكة يتولون بعذاب المستكبرين ، وماجعلنا عدتهم تسعة عشر إلاّ إبتلاءاً للذين كفروا بالله تعالى و رسوله و بكتابه وباليوم الاخر ، وليحصل اليقين لأهل الكتاب بان ماجاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم حق نازل من عندالله تعالى ، و ليزداد الذين آمنوا ايماناً بما رأوا من تصديق أهل الكتاب بما أخبرهم به النبى صلى الله عليه وآله من عدة خزنة النار ، ولايرتاب أهل الكتاب ولا المؤمنون.

و ليقول الذين فى قلوبهم مرض النفاق ، و الذين كفروا أىّ شىء اراد الله تعالى بهذا العدد المستغرب إستغراب المثل الذى ذكره حديثاً ، ولكن الله تعالى بمثل تلك الامثال التى يضربها للناس يضلّ بها من نظر إليها بقلب مريض و بصر زائغ و يهدى بها من يشاء : من جاء إليها بقلب سليم و عين منفتح، ومايعلم جنود ربك إلاّ الله تعالى فلاتقصر عدتهم فى تسعة عشر من خزنة النار ، وليست هذه العلة و ذكرها إلاّ تذكرة لكافة البشر

٥٥٢٧- (كلا والقمر) .

ألا يا أيها الناس ! اقسم بالقمر لمافيه من الايات لاولى الابصار . . .

٥٥٢٨- (والليل اذ أدبر) .

و اقسم بالليل حين ينقضى لمافيه من الايات لاولى الالباب . .

٥٥٢٩- (و الصبح اذا أسفر) .

و اقسم بالصبح إذا أخذ بالانجلاء و الانكشاف لمافيه من العبرة لمن يتدبر.

٥٥٣٠- (انها لاحدى الكبر) .

ان سقر وحرّها لاحدى البلايا الكبرى لامثيل لها فى الشدة و العذاب .

٥٥٣١- (نذيراً للبشر) .

ان سقر ونارها وخزنتها ذكرت إنذاراً لكافة البشر .

٥٥٣٢- (لمن شاء منكم ان يتقدم او يتأخر) .

لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدم بالايمان وصالح الاعمال لنجاة نفسه ، أو يتأخر بالكفر و طالح الاعمال .

٥٥٣٣- (كل نفس بما كسبت رهينة) .

كل نفس بماعملت فى الحياة الدنيا مسئولة مأخوذة بعملها فى الاخرة .

٥٥٣٤- (الا اصحاب اليمين) .

إلاّ أصحاب العقائد الحقة والاعمال الصالحة من متوسطى المؤمنين .

٥٥٣٥- (فى جنات يتساءلون) .

هم فى بساتين لايدرك وصفها ، يتساءلون بينهم سؤال تعجب و شماتة .

٥٥٣٦- (عن المجرمين) ،

عن أحوال المجرمين المستكبرين الذين ضلوا و أضلوا .

٥٥٣٧- (ماسلككم فى سقر) .

ما أوقعكم فى هذه الدركة من دركات جهنم ؟ ومانظم جمعكم فيها ؟

٥٥٣٨- (قالوا لم نك من المصلين) .

قال المجرمون ـ جواباً عن سؤال أصحاب اليمين ـ لم نك في الحياة الدنيا من المصلين إذلم نك من المؤمنين .

٥٥٣٩- (ولم نك نطعم المسكين) .

ولم نك نطعم المسكين من زكاة أموالنا المفروضة علينا .

٥٥٤٠- (وكنا نخوض مع الخائضين) .

ومع ذلك كله كنا نخوض في الباطن مع الخائضين فيه، و نقول في أمر محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير علم و حق .

٥٥٤١- (وكنا نكذب بيوم الدين) .

ولم نكتف بذلك بل كنا نكذب بيوم البعث و الحساب و الجزاء .

٥٥٤٢- (حتى أتانا اليقين) .

إستمرت علينا الحال إلى أن انقضت حياتنا فجأة فرأينا ماتكذبه من البعث و القضاء والجزاء بالعيان .

٥٥٤٣- (فما تنفعهم شفاعة الشافعين) .

فلاتنفع المجرمين المكذبين شفاعة الشافعين إذلا يسقط عقاب الكفر بالشفاعة.

٥٥٤٤- (فمالهم عن التذكرة معرضين) .

فأي شيء حصل لاولئك المجرمين أعرضوا عن هذا القرآن فلم يؤمنوابه.

٥٥٤٥- (كانهم حمر مستنفرة) .

كأن هؤلاء المجرمين في إعراضهم عن الوحي السماوي و بلادتهم في الفهم حمر مستنفرة غير مستأنسة ، شديدة النفار

٥٥٤٦- (فرت من قسورة) .

يفرّون عن الدعوة النبوية فرار الحمر النافرة من السبع حين يبدلها .

٥٥٤٧- (بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة) .

بل يريد كل امرىء من هؤلاء المكذبين أن ينزل على كل واحد منهم صحف منشرة غير ما ينزل على غيره .

٥٥٤٨- (كلا بل لا يخافون الاخرة) .

لا تأتيهم الصحف المنشرة ، و إنما الباعث لهم في الكفر و الطغيان انهم لا يخافون الاخرة و عقابها .

٥٥٤٩ (كلا انه تذكرة) .

حقا ان هذا القرآن تذكرة كافية لمن يتذكر وعظة شافية لمن اتعظ .

٥٥٥٠- (فمن شاء ذكره) .

فمن شاء من عباد الله تعالى اتعظ من غير إجبار ولا إكراه .

٥٥٥١- (وما يذكرون الا أن يشاء الله هو أهل التقوى وأهل المغفرة) .

ولا يذكر الانسان بهذا القرآن إلا أن يشاء الله تعالى أن يتذكر ولا يشاء الله إلا من أتاه بقلب سليم، هو الله جل وعلا أهل التقوى فيهدى من يتقيه و يخاف من عدله، وهو أهل المغفرة فيغفر لمن تاب و استغفر .



﴿ بحث روائي ﴾

في الاختصاص: باسناده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عزوجل: «يا أيها المدثر قم فانذر» يعني بذلك محمداً صلى الله عليه وآله وسلم و قيامه في الرجعة ينذر فيها و قوله: «انها لاحدى الكبر نذيراً» يعني محمداً صلى الله عليه وآله وسلم «نذيراً للبشر» في الرجعة و في قوله: «انا أرسلناك كافة للناس» في الرجعة.

اقول: يريد معنى قوله تعالى: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً» السباء: ٢٨) لالفظه إذلا توجد في القرآن آية بهذا اللفظ.

وفيه: بهذا الاسناد عن أبي جعفر عليه السلام ان امير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: ان المدثر هو كائن عند الرجعة فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أحياة قبل القيامة ثم موت؟ قال: فقال له عند ذلك: نعم والله لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشد من كفرات قبلها.

و في تفسير القمي: في قوله تعالى: «قم فانذر» قال: هو قيامه في الرجعة ينذر فيها.

اقول: هذا و ما تقدم منه في هذا المعنى فمن باب الجرى والتطبيق.

و في تحف العقول: في وصايا الامام أمير المؤمنين عليه السلام - قال: تشمير الثياب طهور للصلاة قال الله تعالى: «و ثيابك فطهر» أي فشمر.

و في فروع الكافي: باسناده عن عبد الرحمن بن عثمان عن رجل من أهل اليمامة كان مع أبي الحسن أيام حبس ببغداد قال: قال أبو الحسن عليه السلام:

ان الله عزوجل قال لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : « و ثيابك فطهر » و كانت ثيابه طاهرة و انما أمره بالتشمير .

وفي الخصال : فيما علّم الامام على عليه السلام أصحابه من الاربعمأة باب مما يصلح للمسلم في دينه و دنياه تشمير الثياب طهور لها قال الله تبارك و تعالى : « و ثيابك فطهر » يعنى فشمّر .

وفي الكافي : باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزوجل : « و ثيابك فطهر » قال : فشمّر .

وفي البرهان : بالاسناد عن معلى بن خنيس عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان علياً صلوات الله عليه كان عند كم فأتى بني ديوان فاشترى ثلاثة أثواب بدينار : القميص إلى فوق الكعب ، والازار إلى نصف الساق ، والرداء من بين يديه إلى ثدييه و من خلفه إلى أليبه ، ثم رفع يده إلى السماء فلم يزل يحمدالله على ما كساه حتى دخل منزله ثم قال : هذا اللباس الذي ينبغي للمسلمين أن يلبسوه قال أمير المؤمنين عليه السلام : ولكن لا يقدرون أن يلبسوا هذا اليوم ، و لو فعلنا لقالوا : مجنون و لقالوا : مرائي ، والله عزوجل يقول : « و ثيابك فطهر » قال : « ثيابك أرفعها لا تجرّها ، فاذا قام قائمنا كان هذا اللباس .

و في الدر المنثور : عن أبي هريرة : قلنا : يا رسول الله كيف نقول إذا دخلنا في الصلاة ؟ فأنزل الله : « و ربك فكبّر » فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن نفتتح الصلاة بالتكبير .

اقول : ان الرواية مردودة ، فان هذه السورة كلها مما نزل في أول البعثة إجماعاً على قسميه ، و ان أبا هريرة ممن اسلم بعد الهجرة بالمدينة ، فأين كان أبوهريرة أو الصحابة يومئذ ، فالرواية إحدى أكاذيبه و موضوعاته التي جاوزت حدّ الآلاف . . .

وفي الكافي : باسناده عن سلمة بياع القلانس قال : كنت عند أبي جعفر

عليه السلام إذ دخل عليه أبو عبدالله عليه السلام فقال أبوجعفر يا بنى تطهر قميصك ، فذهب فظننا أن ثوبه قدأصابه شيء ، فرجع انه هكذا، فقلنا: جعلناالله فداك ماالقميصه؟ قال: كان قميصه طويلاً ، و أمرته أن يقصر ان الله عزوجل يقول: «وثيابك فطهر» .

وفيه : باسناده عن محمد بن مسلم قال : نظر أبوعبدالله عليه السلام إلى رجل قد لبس قميصاً تصيب الارض ، فقال : ما هذا الثوب بطاهر .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « و ثيابك فطهر » قال : التطهير هنا تشميرها ، و يقال : شيعتنا يطهرون .

وفيه : فى قوله تعالى : « والرجز فاهجر » قال : الرجز الخبيث .

و فى الدر المنثور : عن جابر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « والرجز فاهجر » برفع الراء و قال : هى الاوثان .

قيل : « هى الاوثان » من كلام جابر أو غيره من رجال السند .

و فى الكافى : باسناده عن إبن القداح عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من اعطى لساناً ذاكراً فقد اعطى خير الدنيا والاخرة و قال فى قوله تعالى: « ولا تمنن تستكثر » قال: تستكثر ما عملت من خير لله . الحديث .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : « و لا تمنن تستكثر » وفى رواية أبى الجارود يقول : لا تعط (و لا تعطى العطية خ) تلتمس أكثر منها .

و فى نهج البلاغة : قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : « وإياك والمن على رعيتك باحسانك أو التزيد فيما كان من فعلك ، فان المن يبطل الاحسان ، والتزيد يذهب بنور الحق» .

و فى غيبة النعمانى : باسناده عن المفضل عن أبى عبدالله عليه السلام انه سئل عن قول الله عزوجل: «فاذا نقر فى الناقور» قال: ان منا إماماً مستتراً فاذا أراد الله عزوجل إظهار أمره نكت فى قلبه نكتة ، فظهر فقام بأمر الله عزوجل .

وفى غيبة الشيخ الطوسى قدس سره باسناده عن المفضل بن عمر قال : سئلت

أباعبدالله عليه السلام عن تفسير جابر، فقال: لاتحدث به السفل، فيذيعوه أما تقرأ كتاب الله: «فاذا نقر فى الناقور» ان منا إماماً مستتراً، فاذاأراد إظهار أمره نكت فى قلبه نكتة فيظهر فقام بأمر الله.

وفى البرهان: عن جابربن يزيد عن أبى جعفر عليه السلام قال: قوله عز وجل: «فاذا نقر فى الناقور» قال: الناقور هوالنداء من السماء! ألا ان وليكم الله وفلان بن فلان: القائم بالحق ينادى به جبرئيل فى ثلث ساعات من ذلك اليوم، فذلك يوم غير عسير على الكافرين غير يسير يعنى بالكافرين المرجئة الذين كفروا بنعمة الله وبولاية على بن أبيطالب عليه السلام.

وفى تفسيرالقمى: باسناده عن عبدالرحمن بن كثير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قوله: «ذرنى ومن خلقت وحيداً» قال: الوحيد ولدالزنا وهو زفر «وجعلت له مالاً ممدوداً» قال: أجل ممدود إلى مدة «وبنين شهوداً» قال: أصحابه الذين شهدوا ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لايورث «ومهدت له تمهيداً» ملكته الذى ملك مهدت له «ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيداً» قال: لولاية أمير المؤمنين جاهداً ومعانداً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيها «سارهقه صعوداً انه فكر وقدر» فكر فيما أمر به من الولاية «وقدر» أى ان مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ان لايسلم لامير المؤمنين عليه السلام البيعة التى بايعه بها على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

«فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر» قال: عذاب بعدعذاب يعذبه القائم عليه السلام «ثم نظر» إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام فعبس وبسر بما أمر به «ثم أدبر واستكبر» فقال: «إن هذا إلا سحر يؤثر» قال ان زفر قال: ان النبى صلى الله عليه وآله وسلم سحر الناس لعلى «إن هذا إلا قول البشر» أى ليس هو بوحى من الله عزوجل «ساصليه سقر - إلى آخرالاية» ففيه نزلت.

وفى الجمع: وروى العياشى باسناده عن زرارة وحمران ومحمدبن مسلم عن أبى عبدالله وأبى جعفر عليهما السلام: ان الوحيد ولد الزنا قال زرارة: ذكر

لابي جعفر عليه السلام عن أحد بني هشام انه قال في خطبته : أنا إبن الوحيد ، فقال : ويله لو علم ما الوحيد ما فخر بها، فقلنا له : وماهو ؟ قال : من لا يعرف له أب .

و في كنز الفوائد للكراجكي قدس سره عن عمرو بن شمر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عزوجل : « ذرني و من خلقت وحيداً » قال : يعني بهذه الاية إبليس اللعين خلقه وحيداً من غير أب ولا ام وقوله: « وجعلت له مالاً ممدوداً » يعني هذه الدولة إلى يوم الوقت المعلوم يوم يقوم القائم « و بنين شهوداً - إلى قوله - كلا انه كان لاياتنا عنيداً » يقول : معانداً للائمة يدعو إلى غير سبيلها ويصد الناس عنها، وهي آيات الله وقوله: « سارهقه صعوداً » قال أبو عبدالله عليه السلام : صعود جبل في النار من نحاس يحمل عليه حبتر ليصعده كارهاً ، فاذا ضرب بيديه على الجبل ذابتا حتى تلحقا بالركبتين ، فاذا رفعهما عادتا ، فلا يزال هكذا ماشاءالله و قوله تعالى :

« انه فكر و قدر فقتل كيف قدر - إلى قوله - إن هذا إلا قول البشر »

قال : هذا يعني تدبيره و نظره و فكرته و إستكباره في نفسه ، و إدعاؤه الحق لنفسه دون أهله ، ثم قال الله تعالى : « ساصليه سقر » إلى قوله : « لواحة للبشر » قال : يراه أهل الشرق كما يراه أهل الغرب ، انه إذا كان في سقر يراه أهل الشرق والغرب و يتبين حاله ، والمعنى في هذه الايات جميعها حبتر .

و في الدر المنثور : عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: الصعود جبل في النار يصعد فيه الكافر سبعين خريفاً ثم يهوي و هو كذلك فيه أبداً .

و في روضة الواعظين للشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه قال الباقر عليه السلام : ان في جهنم جبلاً يقال له : صعود ، و ان في صعود لوادياً يقال له : سقر، و ان في سقر لجباً يقال له : هبهب ، كلما كشف غطاء ذلك الجب ضج أهل النار من حره ، و ذلك منازل الجبارين :

و في الكافي : باسناده عن إبن بكير عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان في

جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له : سقر، شكى إلى الله عزوجل شدة حره و سئله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم .

و فى تفسير القمى : فى قوله تعالى : «ثم عبس» قال : عبس وجهه «وبسر» قال : ألقى شدقه .

الشدق : زاوية الفم .

و فى الكافى : عن محمدبن فضيل عن أبى الحسن الماضى عليه السلام قال : قلت: «ليستيقن الذين اوتوا الكتاب» قال : يستيقنون ان الله و رسوله و وصيه حق، قلت : «و يزداد الذين آمنوا ايماناً» قال : يزدادون لولاية (بولايةخ) الوصى ايماناً قلت: «ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون» قال: بولاية على عليه السلام قلت: ما هذا الارتياب ؟ قال : يعنى بذلك أهل الكتاب والمؤمنين الذين ذكروا الله ، فقال له : ولايرتابون فى الولاية قلت : «و ما هى إلاّ ذكرى للبشر» قال : نعم ولاية على عليه السلام قلت : «انها لاحدى الكبر» قال : الولاية ، قلت : «لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر» ؟ قال : من تقدم إلى ولايتنا اخر عن سقر و من تأخر عنها تقدم إلى سقر إلاّ أصحاب اليمين قال : هم والله شيعتنا قلت له : «لم نك من المصلين» قال : انا لم نتول وصى محمد والاوصياء من بعده و لا يصلون عليهم قلت : «فمالهم عن التذكرة معرضين» قال عن الولاية معرضين قلت : «كلا انها تذكرة» قال : الولاية .

و فى الدر المنثور : عن أبى السعيد الخدرى : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حدثهم عن ليلة الاسراء قال : فصعدت أنا وجبرئيل إلى السماء الدنيا ، فاذا بملك يقال له : اسماعيل ، و هو صاحب سماء الدنيا و بين يديه سبعون ألف ملك مع كل ملك منهم جنده مأة ألف ـ وتلا هذه الاية : «ومايعلم جنود ربك الاّهو» .

و فى تفسير القمى : باسناده عن أبى حمزة عن أبى جعفر عليه السلام فى قوله : «انها لاحدى الكبر نذيراً للبشر» قال : يعنى فاطمة عليها السلام .

و في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تعالى: «إلاّ أصحاب اليمين» قال: نحن و شيعتنا أصحاب اليمين.

و في الجامع لاحكام القرآن للقرطبي: وقال أبو جعفر الباقر عليه السلام: نحن و شيعتنا أصحاب اليمين و كل من أبغضنا أهل البيت فهم المرتهنون.

و في الكافي: عن أبي عبدالله عليه السلام: اقصر نفسك عما يضرّها من قبل أن تفارقك واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك، فان نفسك رهينة بعملك.

و في نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام في خطبة ـ: فارعوا عباد الله ما برعايته يفوز فائزكم، وباضاعته يخسر مبطلكم، وبادروا آجالكم بأعمالكم فانكم مرتهنون بما أسلفتم و مدينون بما قدّمتم.

وفيه: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة ـ: الاقاويل محفوظة والسرائر مبلوّة: و «كل نفس بما كسبت رهينة».

السرائر هاهنا: ما اسرّ في القلوب من النيات والعقائد و غيرها، و ما يخفى من أعمال الجوارح أيضاً، و بلاؤها: تعرّفها و تصفّحها، والتمييز بين ما طاب منها و ما خبث.

و في مجالس الشيخ المفيد رحمة الله تعالى عليه باسناده عن أبي اسحق الهمداني قال: لما ولى أمير المؤمنين عليه السلام محمد بن أبي بكر مصر و أعمالها كتب له كتاباً و أمره أن يقرأه على أهل مصر و ليعمل بما وصّاه به فيه فكان الكتاب:

«بسم الله الرحمن الرحيم من عبدالله أمير المؤمنين على بن أبيطالب إلى أهل مصر و محمد بن أبي بكر! سلام عليكم فاني أحمد إليكم الله الذى لا إله إلاّ هو أما بعد فاني اوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسئولون و إليه تصيرون فان الله تعالى يقول: «كل نفس بما كسبت رهينة». الخبر.

و في كنز الفوائد: باسناده عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام

ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي عليه السلام : يا علي قوله عزوجل : « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين يتساءلون عن المجرمين ماسلككم في سقر» المجرمون هم المنكرون لولايتك « قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين و كنا نخوض مع الخائضين » فيقول لهم أصحاب اليمين ليس من هذا أوتيتم ، فما الذي سلككم في سقر يا أشقياء ؟ قالوا : « و كنا نكذّب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » فقالوا لهم : هذا الذي سلككم في سقر يا أشقياء و يوم الدين يوم الميثاق حيث جحدوا و كذّبوا بولايتك و عتوا عليك و استكبروا .

و في البحار : عن الامام أبي جعفر الباقر عليه السلام في قول الله تعالى: « كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين » قال : نحن و شيعتنا . وقال أبوجعفر عليه السلام ثم شيعتنا أهل البيت « في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » يعني لم يكونوا من شيعة علي بن أبيطالب عليه السلام « و لم نك نطعم المسكين و كنا نخوض مع الخائضين » فذاك يوم القائم و هو يوم الدين « و كنا نكذّب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » أيام القائم « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » فما ينفعهم شفاعة مخلوق ولن يشفع لهم رسول الله يوم القيامة .

في قوله عليه السلام : « لم يكونوا » وجهان : أحدهما ـ ان الصلاة من غير الولاية لاتقبل لتوقف قبولها عليها كتوقفها على الاصول الاعتقادية من التوحيد والنبوة والمعاد ، وكتوقف سائر الاعمال على الصلاة نفسها و قد ورد صحيحاً : « إن قبلت قبل ما سواها و إن ردت ردّ ما سواها » .

ثانيهما ـ أن يكون المصلي بمعنى التالي للسابق من سباق الخيل يعبّر عنه بالتابع . وهذا هو المروي عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام حيث قال : عنى بها لم نكن من إتباع الائمة الذين قال الله فيهم : « والسابقون السابقون اولئك المقربون » أما ترى الناس يسمّون الذي يلي السابق في الحلبة مصلّي فذلك الذي عنى حيث قال : « لم نك من المصلين » لم نك من إتباع السابقين .

وفي المجمع : و قد صحت الرواية عن عبدالله بن مسعود : قال : يشفع نبيكم ﷺ رابع أربعة جبريل ثم ابراهيم ثم موسى أو عيسى ثم نبيكم ﷺ لايشفع أحداً كثرمما يشفع فيه نبيكم ﷺ ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء و يبقى قوم في جهنم فيقال لهم : « ما سلككم في سقر ـ إلى قوله ـ فما تنفعهم شفاعة الشافعين » قال ابن مسعود : فهؤلاء الذين يبقون في جهنم .

و في نهج البلاغة : فيما كان الامام على عليه السلام يوصي به أصحابه: « تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها و استكثروا منها وتقربوا بها، فانها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ألا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا : « ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » .

في الكافي : عن محمد بن الفضيل عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال : قلت : « فمالهم عن التذكرة معرضين » قال : عن الولاية معرضين .

و في ارشاد المفيد رضوان الله تعالى عليه قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : أيها الناس اني استنفرتكم بجهاد هؤلاء القوم فلم تنفروا و أسمعتكم فلم تجيبوا ، و نصحت لكم فلم تقبلوا ، شهود كالغيب ، اتلوا عليكم الحكمة فتعرضون عنها ، و أعظكم بالموعظة البالغة فتنفرون منها كأنكم حمر مستنفرة فرت من قسورة

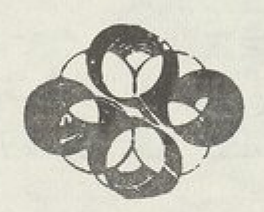
و في تفسير القمي : و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : « بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة » و ذلك انهم قالوا : يا محمد قد بلغنا ان الرجل من بني اسرائيل كان يذنب الذنب ، فيصبح و ذنبه مكتوب عند رأسه و كفّارته ، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ و قال : يسئلك قومك سنة بني اسرائيل في الذنوب ، فان شاؤا فعلنا ذلك بهم ، و أخذناهم بما كنا نأخذ به بني اسرائيل فزعموا ان رسول الله ﷺ كره ذلك لقومه .

اقول : و قد استبعد ذلك بعض المفسرين من غير بعد فيه .

وفيه : فى قوله تعالى : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » قال : هو أهل أن يتقــى وأن يغفــر .

وفيه : عن عدة ومنهم إبن عباس يقولون : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن قول الله : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » قال : يقول الله : أنا أهل أن اتقى فلا يجعل معى شريك فاذا اتقيت ولم يجعل معى شريك ، فأنا أهل أن اغفر ماسوى ذلك .

وفى التوحيد : باسناده عن أبى بصير عن أبى عبدالله عليه السلام فى قول الله عز وجل : « هو أهل التقوى وأهل المغفرة » قال ـ قال الله تبارك وتعالى : أنا أهل أن اتقى ولايشرك بى عبدى شيئاً ، وأنا أهل إن لم يشرك بى عبدى شيئاً أن ادخله الجنة . وقال : ان الله تبارك وتعالى أقسم بعزته وجلاله أن لايعذب أهل توحيده بالنار أبداً .



﴿ بحث فقهي ﴾

وقد استدل بعض الفقهاء المحققين على وجوب تكبيرة الاحرام المشهود على الوجه المنقول بقوله تعالى : « وربك فكبر » المدثر : ٣) .

وذلك لان المتبادر من صيغة الامر هو الوجوب ، و المتيقن من التكبير ما تفتتح به الصلاة .

في وسائل الشيعة : بالاسناد عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام في حديث - فان مفتاح الصلاة التكبير .

وفيه : بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أن قال - : و أما قوله : الله أكبر - لاتفتح الصلاة إلاّ بها .

ولاخلاف في عدم وجوب التكبير في غير الصلاة فيكون الوجوب في الصلاة وهو المطلوب وفي التهذيب : باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال : التكبيرة الواحدة في إفتتاح الصلاة تجزي والثلاث أفضل والسبع أفضل كله .

و في الفقيه : عن محمد بن علي بن الحسين قال : سئل رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : يا بن عم خير الخلق ما معنى رفع يديك في التكبيرة الاولى؟ فقال: معناه الله اكبر الواحد الاحد الذي ليس كمثله شيء لايلمس بالاخماس ولايدرك بالحواس .

و ههنا مسائل :

مسئلة ١ - ان تكبيرة الاحرام ركن تبطل الصلاة بنقصانها عمداً وسهواً، و

تبطل بزيادتها عمداً ، وعدم بطلان الصلاة بزيادتها سهواً .

مسئلة ٢ ـ يجب أن يكون التكبير بصيغة « اللّٰه أكبر » لانه المتبادر إلى الفهم من إطلاق لفظ التكبير .

مسئلة ٣ ـ تجب مراعات هذه الصيغة من غير تغيير في ترتيبها و لا الاتيان بمرادفها من العربية ولا ترجمتها بغير العربية لانها ليس بكلام اللّٰه ولا رسوله صلى الله عليه وآله ، ولايجوز تعريف المنكر ، ولا المدّ المخرج عن المعنى إلى الاستفهام كمدّ لفظ الجلالة ، ولا إلى الجمع كما في لفظ أكبر إذ تصير جمع جمع وهو الطبل .

وقد جوّز أبوحنيفة الترجمة محتجاً بقوله تعالى : « وذكر إسم ربه فصلى » الاعلى : ١٥) فعلّق الصلاة على ذكر إسمه الذى هو أعم من كونه عربياً أوغيره.

اقول : وهذا باطل مردود . فان المراد بالاسم هو الأذان خصوصاً ، وقد أتى بالصلاة عقيبه بالفاء المقتضية للمغايرة و الترتيب مع أن تكبيرة الاحرام جزء داخل في الصلاة فلايكون هي المعنية بالاية على مازعمه أبوحنيفة .

مسئلة ٤ ـ لايجوز وصل تكبيرة الاحرام بماقبلها من الدعاء فتحذف الهمزة من « اللّٰه » ولا بمابعدها من الاستعاذة أوالبسملة، فيظهر إعراب راء « أكبر » ولايترك الاحتياط في تفخيم اللام من « اللّٰه » و الراء من « أكبر » .

ويستدل بقوله تعالى : « و ثيابك فطهر » المدثر : ٤) على وجوب طهارة لباس المصلى بناء على أن الثياب حقيقة في الساتر للجسد كما أن الطهارة حقيقة في إستعمال الماء ، فاستعمال الثياب في النساء ، و إستعمال الطهارة على عفتهنّ و كرامتهن الاصيلة مجاز لايطرد .

فالمتبادر هو الامر بتطهير الثياب عن النجاسات مؤيداً بأن الكفار ما كانوا يتطهرون من النجاسة بأن لاتنجّسها، وان الامر حقيقة في الوجوب ، وان التطهير واجب لاجل الصلاة لالذاته .

أما الاول فللاجماع ، وأما الثانى فلقرينة « وربك فكبّر » على أن المراد

بالتكبير تكبيرة الاحرام ، وقد خص هذا العموم بماورد فى النقل بالعفو عن الدم غير المغلظ الذى يقصر عن الدرهم ، و الجروح و القروح التى لاترقأ اوحال الضرورة ولايمكن النزع أوكون الملبوس مما لاتتم الصلاة فيه وحده أوغيرذلك من الرخص، وان التطهير لغير الصلاة ليس بواجب بل يستحب للتهيأ لها وللتمرن عليه فيسهل عند إرادتها .

ولواريد بتطهير الثياب تقصيره كما قيل وورد عن الامام جعفر بن محمد عليه السلام أيضاً لامكن فهم الطهارة حينئذ أيضاً لانها المقصود من التقصير كما علل به القائل وفى الرواية تشمير الثياب طهور لها قال الله تعالى : « و ثيابك فطهر » أى فشمر .

و لوكان المراد بتطهير الثياب التنظيف الذى هو الطهارة لغة فان النظافة مطلوبة للشارع بازالة الوسخ و نحوه لفهم وجوب الطهارة الشرعية لظهور الامر فى الوجوب ، ومعلوم عدم الوجوب غير الشرعية، ولهذا على تقدير حملها على الشرعية ماحملت على الامم من أن يكون فيما يجب إزالة النجاسة فيه مثل الصلاة أم لابل خصت بالاول فتأمل جيداً .

وقد استدل بعضهم بقوله تعالى : « ولا تمنن تستكثر » المدثر : ٦) على تحريم المن والاستكثار سيما إذا استلزم أذى المعطى، فان النهى للتحريم . وقيل: ان النهى للتنزيه والكراهة على أنه نهى عن الاستقراض وهو أن يهب شيئاً طامعاً أن يأخذ أكثر منه . و يجوز أن يكون النهى نهى تحريم خاصاً بالنبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فان منصبه يجل عن طلب الدنيا خصوصاً بهذا الوجه . ومنهم من حمله على الرباء فيكون نهى تحريم للكل والمن معنى .

وقد استدل بعضهم بقوله حكاية عن المكذبين : «ولم نك نطعم المسكين» المدثر : ٤٤) على وجوب الصدقة الواجبة ، وإلا لم يجز العذاب على تركها .

و يستدل بقوله تعالى : « ماسلكلكم فى سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك

نطعم المسكين » المدثر : ٤٢ ـ ٤٤) على ان الكفار مخاطبون بفروع الشرائع كما انهم مخاطبون باصولها ، وعلى أنهم يعاقبون فى الاخرة على ترك الواجبات الشرعية ، وعلى فعل القبائح لان الايات وردت فى الكفار بدلالة قوله تعالى حكاية منهم : « وكنا نكذب بيوم الدين » فالاخلال بالواجب يستحق به الذم و العقاب لانهم علقوا إستحقاقهم العقاب بالاخلال فى الصلاة والبخل فى الصدقات الواجبة...



﴿بحث مذهبي﴾

وقد استدلت الاشاعرة بقوله تعالى : « كذلك يضل اللّه من يشاء ويهدي من يشاء ـ ومايذكرون إلا أن يشاء اللّه » المدثر : ٣١ ـ ٥٦) على مذهبهم السخيف من غير فهم بماتستهدفه الآيتان ، وزعموا ان الهداية والضلالة ، والكفر والايمان مخلوقات في المهديّ والضال ، وفي الكافر والمؤمن وهما بمعزل عن إختيارها .
كماكان المشركون يقولون : ان إشراكنا كنامفروض علينا من قبل اللّه تعالى .

قال اللّه تعالى : « سيقول الذين أشركوا لوشاء اللّه ما اشركنا ولاآبائنا ولا حرّ منامن شيء » الانعام : ١٤٨)

اقول : ان الاية الكريمة (٣١) بصدد تقرير كون إمتحان اللّه تعالى الناس يؤدّي إلى اهتداء من حسنت نيته ، و جاء بقلب سليم ، و بقصد الاهتداء ، و إلى ضلال من كان قاسي القلب سيىء الطوية ، وجاء بقصد التكذيب والانكار ، وليست بسبيل تقرير أزلية تقدير الهدى والضلال على الناس بأعيانهم أوتقرير كون هدى الناس وضلالهم هوتقدير رباني حتمي لاخيرة لهم فيه .

وفي آيات ٣٧ ـ إلى ـ ٥٥) قرينة خاصة حاسمة كماأن في آيات السورة نفسها قرينة بصورة عامة على صحة ماذكرناه .

قال اللّه تعالى : « كل نفس بما كسبت رهينة » ماهذا التهديد لوكان كسبهم بفعل اللّه تعالى كما في قوله : « فما لهم عن التذكرة معرضين » ماهذا الانكار لو كان إعراضهم بفعل اللّه سبحانه ؟

ومعنى الاضلال ان الله تعالى يمنع ألطافه وفوائده على من قصد الضلال ، و ذلك إذا واتر عليه الادلة القاطعة ، وأوضح له الحجج فأعرض عنها ولم ينعم النظر فيها . ليس المراد من الضلال انه يوقعه فيه ، وذلك كمالو أخذ الله تعالى من عبده نعمة الصحة ، فانه يقع في المرض قهراً لا ان الله سبحانه أمرضه ، ومثل ذلك أيضاً مالو اعطيت رجلاً ألف دينار قرضاً ليتاجر بها وله الربح ، ثم رأيته لا يقدر لك هذا المعروف ، فاخذت منه الالف ديناراً فانه يقع في الفقر لا انك انت أفقرته ، بل أنت أخذت ماأنعمت به عليه لانك وجدته لا يستحق لانه لم يشكر .

ومثل ذلك مالو أرسلت الحكومة معلماً على نفقتها إلى بلدة لتعليم أولاد أهلها فحضر المعلم ثم لم يرسلوا أولادهم ليتعلموا ، ولما بلغ ذلك الحكومة ألغت المدرسة ، فانه يقال : حرمت الحكومة أهل البلدة المدرسة ، ولدى الحقيقة لم تحرم الحكومة ، وإنما هم حرموا أنفسهم وهكذا نسخة الطبيب . . .

وان الأشاعرة حملوا قوله تعالى : « لمن شاء منكم أن يتقدم او يتأخر » على التهديد ، و على أن فاعل « شاء » هو الله تعالى أى لمن شاء الله منه التقدم أو التأخر .

اقول : وهذا الحمل مما لا يرضى صاحبه كما لا يرضى من عباده الكفران قال : « ولا يرضى لعباده الكفر » الزمر : ٧) .

وأما قوله تعالى : « ومايذكرون إلاّ أن يشاء الله » المدثر : ٥٦) فبصدد دفع مايتوهم من قوله تعالى : « فمن شاء ذكره » ان العباد مستقلون في مشيتهم ، منقطعون من مشيّة ربهم ، بانهم لو شاؤا لذكروه وإن لم يشاؤا فما ذكروه ، فلله سبحانه إليهم حاجة في الذكر الذى يريده منهم .

فالاستثناء من النفى يفيد ان مشيّة العبد متوقفة في وجودها على مشيّة الله جل وعلا حيث ان لمشيته تعالى تأثيراً في فعل العبد من طريق تعلقها بمشيّة العبد ، وليست متعلقة بفعل العبد مستقلاً ، وبلا واسطة حتى تستلزم بطلان تأثير إرادة

العبد و كون الفعل جبرياً ، ولان العبد مستقل فى إرادته يفعل مايشاؤه، شاءالله أولم يشاء ، فالفعل إختيارى لاستناده إلى اختيار العبد، وأما إختيار العبدفليس مستنداً إلى إختيار آخر .

فأفعال العبد الارادية مرادة لله تعالى من طريق إرادته، وهو أن يريدالله جل وعلا أن يفعل العبد فعلاً كذا و كذا عن إرادته ، فحكم القدر جارفى أفعال العبد كغيرها من الحوادث ، وتذكرة إن تذكر وان كان فعلاً إختيارياً صادراً عنه باختياره من غير إجبار ولاإكراه ، فالمشية الالهية متعلقة به بما هو إختيارى بمعنى انالله جل وعلا يريد بارادة تكوينية أن يفعل العبدالفعل الفلانى بارادته وإختياره ، فالفعل إختيارى ممكن بالسنبة إلى العبد ، وهو بعينه متعلق الارادة الالهية ضرورى التحقق بالنسبة إليها ولولاها لم يتحقق .

فى تفسير القرطبى : فى قوله تعالى : « فما تنفعهم شفاعة الشافعين » المدثر : ٤٨) قال : هذادليل على صحة الشفاعة للمذنبين ، وذلك ان قوماً من أهل التوحيد عذبوا بذنوبهم ثم شفع فيهم ، فرحمهم الله بتوحيدهم والشفاعة ، فاخرجوا من النار، وليس للكفار شفيع يشفع فيهم. وقال عبدالله بن مسعود رضى الله عنه : يشفع نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم رابع أربعة : جبريل ثم إبراهيم ثم موسى أوعيسى ثم نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم الملائكة ثم النبيون ثم الصديقون ثم الشهداء ، ويبقى قوم فى جهنم ، فيقال لهم : « ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين و لم نك نطعم المسكين - إلى قوله - فماتنفعهم شفاعة الشافعين» قال عبدالله بن مسعود : فهولاء هم الذين يبقون فى جهنم .

اقول : ففيه رد على منكرى الشفاعة من بعض أهل السنة، فراجع إلى بحث الشفاعة .

﴿نسبة السحر الى رسول الله ﷺ﴾

قال الله تعالى : « فقال إن هذا إلاّ سحر يؤثر إن هذا إلاّ قول البشر » المدثر : ٢٤ و ٢٥)

واعلم أن أول مرة نسب رأس الكفرة الفجرة وهو الوليد بن المغيرة السحر إلى محمد رسول الله الاعظم ﷺ حكاه الله عزوجل في سورة خامسة نزلت عليه ﷺ وهي سورة المدثر .

و قد كرر القرآن الكريم حكاية هذا القول السخيف مراراً عن الكفار والمشركين تارة بكونه ﷺ ساحراً .

كقوله تعالى حكاية عنهم : « قال الكافرون إنّ هذا لساحر مبين » يونس: ٢)

وقوله : « وقال الكافرون هذا ساحر كذّاب » ص : ٤)

وقوله : « ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولنّ الذين كفروا ان هذا إلاّ سحر مبين » هود : ٧)

وتارة اخرى بكونه مسحوراً :

كقوله تعالى حكاية عنهم : « إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً » الاسراء : ٤٧)

وقوله : « وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام و يمشي في الاسواق لولا انزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون إن تتبعون إلاّ رجلاً مسحوراً » الفرقان : ٧ ـ ٧)

وثالثة بأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو سحر :

كقوله تعالى حكاية عنهم : « وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين » سبأ : ٤٣)

وقوله : « وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين » الأحقاف : ٧)

وغيرها من الآيات القرآنية . . . وما ينبغي فيه التوجه : ان الكفار هل ينسبونه صلى الله عليه وآله وسلم إلى السحر وإلى كونه مسحوراً ، وإلى ما جاء به سحراً لما كانوا يرونه صلى الله عليه وآله وسلم يقول مالم يعتادوه ويجهر بما لم يكن لهم به عهد ، و بما لا يمكن مشاهدته وإدراكه عادة ، وبما ظنوه مستحيلاً ، و نعتهم إياه بالمسحور لزعمهم انه صلى الله عليه وآله وسلم تحت تأثير السحر فيما يقوله ، ويخبر به ويدعيه ؟

أم كانوا هم يعلمون بأنه صلى الله عليه وآله وسلم ليس مسحوراً ، ولا ساحراً ولا ما جاء به سحراً ، ولكنهم كانوا ينسبونه إلى السحر لطرد الناس عن حواليه والوقفة في دعوته صلى الله عليه وآله وسلم فلا يجتمع الناس حوله ، ولا يستمعوا كلامه كما هو عادة أهل الرياسة والمقام والاشتهار في كل عصر ، و دأب أتباع الهوى و مردة الشيطان في كل زمان إذا رأوا المصلح أو المحقق الذي يتجلى بين المجتمع البشري فينسبونه إلى ما يسقطه عن أعين الناس ، فتارة بالجنون ، و اخرى إلى السحر ، وثالثة إلى الكذب . . . وإلى تقولاتهم . . .

كما ان الكفار نسبوا الجنون إلى النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من قبل حكاه الله تعالى عنهم في سورة ثالثة نزلت عليه صلى الله عليه وآله وسلم وهي سورة القلم في قوله : « ويقولون انه لمجنون » القلم : ٥١)

ثم تكرر هذا القول السخيف منهم حكاه الله عزوجل عنهم في كتابه المجيد رداً عليهم وتنديداً بهم ، و من غير مراء انهم ما كانوا يعنون بنعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالجنون انه مختل العقل أو به خبل وصرع مما هو من اعراض الامراض العقلية ، فانهم

يرونه من النباهة في درجة لايعقل معها ذلك .

وذلك انهم كانوا يسمعون ما يتلوه النبي الخاتم ﷺ عليهم من الفصول القرآنية الرائعة في بلاغتها وقوتها وحكمتها وأمثالها وإنسجامها ، ومابدا منهم من جنوح إلى التفاهم معه ومصانعته ، وحلفهم له الأيمان على ذلك دليل قوي على ذلك .

و في القرآن الكريم آيات تفيد انهم كانوا يعرفون فيه ﷺ رجاحة العقل وسلامة الذهن ، والبعد عن الفضول والتكلف مثل ما يلهمه قوله تعالى : « قل لوشاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون » يونس : ١٦)

و قوله : « أفلم يدبروا القول أم جاءهم مالم يأت آباءهم الاولين أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق و أكثرهم للحق كارهون » المؤمنون : ٦٨ - ٧٠)

فالذي يتسق مع هذا ان نعتهم على سبيل الاستنكار ، و من قبيل ما اعتاد الرؤساء والمترفون والزعماء الفاجرون أن يفعلوه إزاء ما يدعو إلى شيء جديد مثير في العقائد والآراء ويرون منه جرأة لاتتسع لها حوصلتهم .

وقد اتبع المبشرون المغرضون من المستشرقين هؤلاء المشركين الجهلة والكافرين السفلة ، ولم يتورعوا عن تكرار نعت النبي المعصوم ﷺ بالجنون ، و تقولوا بان النبي الكريم ﷺ كان مصاباً بالصرع ، و انه كان يفقد صوابه حينما تأتيه النوبة و تعتريه التشنجات و يسيل منه العرق حتى إذا أفاق منها تلا على المؤمنين ما يقول انه من وحي الله جل وعلا إليه ، في حين أن هذا الوحي لم يكن إلا أثراً من نوبات الصرع .

وقد أساؤا تأويل بعض الأحاديث والروايات التي تذكر ان النبي ﷺ كان يأخذه الوجد والعرق و يحمر وجهه حينما كان يوحى إليه و حرفوها عن

حقيقة مداها كما أن التحريف هومن دأبهم القديم ولايبالون .

ولقد كشفهم حقدهم وخبث سرائرهم، فأنساهم أن المصابين بالصرع تتعطل فيهم أثناء النوبة حركة الشعور والتفكير والذاكرة ، و جعلهم يناقضون أنفسهم حين يعترفون انه كان عقب ذلك يتلو الآيات القرآنية التى اوحى إليه بها ، متجاهلين إلى ذلك ما فيها من الروعة والبلاغة والحكمة والمبادىء الانسانية والاجتماعية والاخلاقية السامية ، والدعوة إلى الله تعالى وحده ، والخير والمعروف و محاربة الشرك والوثنية والنهى عن الاثم والفواحش والمنكرات مما لا يعقل أن يصدر عن مريض فى عقله و جسمه و خلقه .

و لقد تجاهلوا إلى هذا أيضاً ان القرآن الكريم قد حكى مراراً نسبة الجنون إلى النبى المعصوم صلى الله عليه وآله وسلم على لسان خصومه الاشداء ومكذبيه العنيدين، و هو أمر بالغ الخطورة والقوة فى هذا المقام و يردها عليهم رداً شديداً مرفقاً كما هو فى قوله تعالى : « و ما هو إلا ذكر للعالمين » القلم : ٥٢) باعلان أن ما جاء به محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو ذكر للعالمين و دعوة لهم . و من ذلك قوله تعالى: «أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين» الاعراف:١٨٤).

و قوله : « ما أنت بنعمة ربك بمجنون و ان لك لاجراً غير ممنون و انك لعلى خلق عظيم » القلم : ٢ ـ ٤) .

و قوله : « فذكر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولامجنون » الطور : ٢٩) .

وقوله: « قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى و فرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد » سباء : ٤٦).

و لا يخفى على القارىء المتأمل الخبير ماللآية الاخيرة من معنى عظيم ، فقد كان الكفار و خاصة زعماءهم يتضامنون فى موقف العداء واللجاج والعناد ويشجع بعضهم بعضاً و يستحى بعضهم من بعض، بل ويخاف بعضهم من بعض لأسباب تتعلق بمراكزهم و مصالحهم و ما ثار فيهم من حسد و إستكبار لاختصاص محمد

ﷺ دونهم بالوحي والقرآن على ما حكته آيات عديدة:

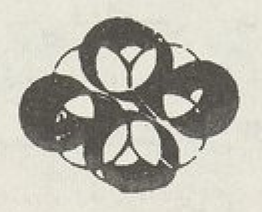
منها قوله تعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الامم فلما جاءهم نذير ما زادهم إلاّ نفوراً إستكباراً في الارض ومكر السيّئ ولا يحيق المكر السيّئ إلاّ بأهله» فاطر: ٤٢ - ٤٣).

ومنها قوله تعالى: «وقالوا يا أيها الذى نزّل عليه الذكر انك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين» الحجر: ٦ و ٧).

ومنهاقوله تعالى حكاية عنهم: «ءانزل عليه الذكر من بيننا» ص: ٨)

فدعتهم آية «سبأ» المذكورة إلى التفكر الهادىء على إنفراد في أمر النبي الكريم ﷺ ورسالته، وحينئذ يتيقنون من الحق والحقيقة فيها، ويتجلى لهم باطل ما ينسبون إليه من جنون وسحر وشعر وكهانة وكذب وما يتقولون به من سخائف الاقوال عناداً ولجاجاً...

فان حكاية أقوال الكفار والردّ عليها بمثل هذه الردود النافذة إلى أعماق القلوب والعقول كافيان وحدهما للجم ألسنة الأفاكين الآثمين عند كل منصف مهما كانت نحلته.



﴿ تسعة عشر و شرطة سقر ﴾

قال الله تعالى : «ساصليه سقر وماأدراك ما سقر لاتبقى ولاتذر لواحة للبشر عليها تسعة عشر وما جعلنا أصحاب النار إلاّ ملائكة وما جعلنا عدتهم إلاّ فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا ايماناً ولايرتاب الذين اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلاً كذلك يضل الله من يشاء ويهدى من يشاء و ما يعلم جنود ربك إلاّ هو وماهى إلاّ ذكرى للبشر» المدثر : ٢٦-٣١).

ولعل هؤلاء تسعة عشر من شرطة سقر هم خزنة جهنم الذين يوبخون أهلها ويحاجّونهم على كفرهم وضلالهم ، على عتوهم وإستكبارهم ، على عنادهم ولجاجهم ، على بغيهم وإجرامهم ، وعلى معصيتهم وطغيانهم . . .

وقداشير إلى خزنة جهنم ومحاجتهم على أهلها فى ثلاث مواضع من القرآن الكريم منها : قوله تعالى : «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين» الزمر : ٧١-٧٢).

وقوله سبحانه : «وإذ يتحاجّون فى النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار قال الذين استكبروا انا كل فيها ان الله قد حكم بين العباد وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم

يخفف عنا يوماً من العذاب قالوا أولم تك تاتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا ومادعاؤا الكافرين إلاّ فى ضلال» المؤمن : ٤٧ـ٥٠) .

وقوله : «وللذين كفروا بربهم عذاب جهنم وبئس المصير إذا القوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهى تفور تكاد تميّز من الغيظ كلما القى فيها فوج سئلهم خزنتها ألم يأتكم نذير قالوا بلى قدجاء نانذير فكذّبنا وقلنا ما نزّل الله من شىء إن أنتم إلاّ فى ضلال كبير وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير فاعترفوا بذنبهم فسحقاً لاصحاب السعير» الملك : ٦ـ١١) .

وفى تفسير البرهان : ابن طاوس فى الدروع الواقية قال : ذكر أبو جعفر أحمد القمى فى كتاب زهد النبى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم : وقد نزل عليه جبرئيل وهو متغير اللون وذكر حديثاً طويلاً قال: وفى الحديث: ان أهل النار إذا دخلوها ورأوا نكالها وعلموا عذابها وعقابها كما قال زين العابدين عليه السلام : ماظنك بنار لاتبقى على من تضرع إليها ولاتقدر على التخفيف عمن خشع لها استسلم إليها تلقى سكانها باحرّ مالديها من أليم النكال وشديد الوبال ، يعرفون ان أهل الجنة فى ثواب عظيم ونعيم مقيم ، فيؤملون ان يطعموهم أو يسقوهم ليخفف عنهم بعض العذاب الأليم كما قال الله جل جلاله فى كتابه العزيز :

«ونادى اصحاب النار أصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله» قال : فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة ثم يجيبوهم بلسان الاحتقار والتهوين: «ان الله حرمهما على الكافرين» قال : فيرون الخزنة عندهم ، وهم يشاهدون ما نزل بهم من المصاب، فيؤملون أن يجدوا عندهم فرجاً بسبب من الاسباب كما قال الله جل جلاله : «وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب» قال : فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة ثم يجيبونهم بعد خيبة الآمال: «قالوا فادعوا ومادعاء الكافرين إلاّ فى ضلال» .

قال : فاذا يئسوا من خزنة جهنم رجعوا إلى مالك مقدم الخزان وأملوا أن

يخلصهم من ذلك الهوان كما قال الله جل جلاله : « ونادوا يامالك ليقض علينا ربك » قال : فيحبس عنهم الجواب أربعين سنة ، وهم في العذاب ثم يجيبهم كما قال الله تعالى في كتابه المكنون : «قال انكم ماكثون» قال : فاذا يئسوا من مولاهم رب العالمين الذي كان أهون شيء عندهم في دنياهم ، وكان قد آثر كل واحد منهم عليه هواه مدة الحياة.

وكان قد قرر عندهم بالعقل والنقل انه واضح لهم على يد الهداة ، فسبل النجاة وعرفهم بلسان الحال ، انهم الملقون بأنفسهم إلى دار النكال والاهوال ، وإن باب القلوب والاحوال يغلق عن الكفار بالممات أبد الآبدين ، وكان يقول لهم في أوقات كانوا في الحياة من المكلفين بلسان الحال الواضح المبين هب انكم ما صدقتموني في هذا المقال ، أما تجوزون أن أكون مع الصادقين فكيف أعرضتم عني وشهدتم بتكذيبي وتكذيب من صدقني من المرسلين والمؤمنين .

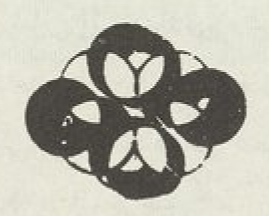
وهل لاتحرزتم من هذا الضرر المحرز (ولاتجوزتم من هذا الضرر المجوزخ) الهائل أما سمعتم بكثرة المرسلين وتكرار الرسائل ثم كرر جل جلاله مواقفهم ، وهم في النار ببيان المقال ، فقال : «ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون»

قال : فيبقون أربعين سنة في ذل الهوان لايجابون ، وفي عذاب النيران لايكلمون ثم يجيبهم الله جل جلاله : «إخسئوا فيها ولاتكلمون» قال : فعند ذلك يئسوا من كل فرج وراحة وتغلق أبواب جهنم عليهم وتدوم لديهم ماتم الهلاك و الشهيق والزفير والصراخ والنياحة .

اقول : ومن الاغراض لذكر سقر وعذاب أهلها ، ووصف خزنتها و عذابها هو إدعواء المجرمين عن الكفر والاجرام ، فيؤمنوا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و باليوم الآخر ويعملوا الصالحات . . .

فـي أمالـي الصدوق : رضوان الله تعالى عليه باسناده عن سليمان بن خالد

عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله أتى شباباً من الانصار ، انى اريد أن أقرأ عليكم ،فمن بكى فله الجنة ، فقرأ آخر الزمر : «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً . . .» إلى آخر السورة فبكى القوم جميعاً إلاّ شاب ، فقال :يا رسول الله قدتباكيت فما قطرت عيني ، قال : انى معيد عليكم ، فمن تباكى فله الجنة ، قال : فأعاد ، فبكى عليهم القوم وتباكى الفتى ، فدخلوا الجنة جميعاً .



﴿المجرمون و أعمالهم﴾

قال الله تعالى : « فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر قالوا لم نك من المصلين و لم نك نطعم المسكين و كنا نخوض مع الخائضين و كنا نكذب بيوم الدين » المدثر : ٤٠ ـ ٤٦) .

المجرم هو : المنقطع عن الايمان إلى الكفر ، عن الهدى إلى الضلالة ، عن الحق إلى الباطل، عن الطاعة إلى المعصية، عن الخضوع لله عز وجل إلى الاستكبار، عن الصدق والصفاء إلى الكذب والافتراء ، عن العدل والقسط إلى الجور والظلم، عن المحبة لاولياء الله تعالى إلى عداوتهم ، عن التصديق بيوم البعث إلى التكذيب، عن الاحسان إلى الاساءة ، و عن إتباع العقل إلى إتباع الشهوة والهوى و عن الاخلاص والاصلاح إلى الرياء والافساد ، وعن الأمانة إلى الخيانة . . . و ما إليها مما وصف القرآن الكريم المجرمين :

قال الله تعالى : « و أن لا تعلوا على الله إنى آتيكم بسلطان مبين و انى عذت بربى و ربكم أن ترجمون وإن لم تؤمنوا لى فاعتزلون فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون» الدخان : ١٩ ـ ٢٢) .

وقال : « و أما الذين كفروا أفلم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم و كنتم قوماً مجرمين و إذا قيل إن وعدالله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندرى ما الساعة إن نظن إلا ظناً و ما نحن بمستيقنين و بدالهم سيئات ما عملوا و حاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » الجاثية : ٣١ ـ ٣٣) .

و قال : « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون و إذا مرّوا بهم يتغامزون و إذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين» المطففين : ٢٩ ـ ٣١) .

و قال : « و يريدالله أن يحق الحق بكلماته و يقطع دابر الكافرين ليحق الحق و يبطل الباطل و لو كره المجرمون » الانعام : ٧ و ٨) .

وقال : « فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذّب بآياته انه لايفلح المجرمون ـ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملأه بآياتنا فاستكبروا و كانوا قوماً مجرمين » يونس : ١٧ ـ ٧٥) .

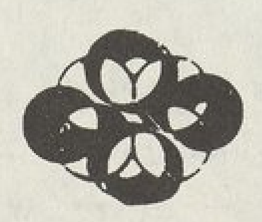
و قال : « ويل يومئذ للمكذبين كلوا و تمتعوا قليلاً إنكم مجرمون ويل يومئذ للمكذبين وإذا قيل لهم اركعوا لاير كعون » المرسلات : ٤٥ ـ ٤٨) .

وقال: « واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين » هود : ١١٦) .

و قال : « و كذلك جعلنا لكل نبى عدواً من المجرمين » الفرقان : ٣١).

وقال: « قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين » سباء : ٣٢) .

وقال : « و كذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين » الانعام : ٥٥).



«جزاء المجرمين فى الدارين»

وبالتدبر فى الايات القرآنية حول المجرمين نجدها صراحاً تقول : ان لهم بسبب إنقطاعهم عن الحق إلى الباطل عذابين : عذاباً فى الحياة الدنيا بالهلاك و الدمار و أنواع العذاب السماوى و الارضى . . . و عذاباً فى الدار الاخرة بسقر و عذابها . . . فعليهم الانقطاع عما هم عليه فى كل وقت وعصر .

قال الله تعالى : «سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون ـ فان كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين» الانعام . ١٣٤ـ١٤٧) .

وقال : «ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزى القوم المجرمين ـ قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتاً أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون» يونس : ١٣ ـ ٥٠) .

«قال : «ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها انا من المجرمين منتقمون» السجدة : ٢٢) .

وقال: «أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم أهلكناهم انهم كانوا مجرمين» الدخان : ٣٧) .

وقال : «وأمطرنا عليهم مطراً فانظر كيف كان عاقبة المجرمين ـ فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين» الاعراف : ٨٤ ـ ١٣٣) .

وقال : « لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذّب طائفة بانهم كانوا مجرمين » التوبة ٦٦) .

وقال : « حتى إذا استيئس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجّي من نشاء ولايردّ بأسنا عن القوم المجرمين » يوسف : ١١٠) .

وقال : «تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لايرى إلاّ مساكنهم كذلك نجزى القوم المجرمين » الاحقاف : ٢٥) .

وقال : « قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين ولا تحزن عليهم ولاتكن في ضيق مما يمكرون » النمل : ٦٩ ـ ٧٠) .

وغيرها من الآيات الكريمة في عذاب المجرمين وذلتهم وهوانهم وإنهزامهم وفرارهم . . . في الحياة الدنيا، ولقد رأينا في زماننا هذا كيف أذل الله القادر القهار المجرمين ، ولهم سلطان و قوى لاتحصى بايران ، ولكنهم مما انقطعوا عن الحق إلى الباطل و أظهروا الفسق في المجتمع البشرى ، أخذهم الله عزوجل بالذلة و الهوان، فعلى اللاحقين الاعتبار بسابقيهم، وخاصة هذه الدولة التي سميت بالجمهورية الاسلامية، فانها إذا سلكت مسلك السابقين ولو خفاء و باسم الاسلام ، و بالشعار من غير شعور ، فتعقبهم الذلة وذهاب الدولة أسرع مما وقعت على هؤلاء المتقدمين، فان العذاب لمن أبطن الفسق أسرع وأشد ممن أظهره .

ولو كانت هذه الدولة معتبرة فلابد من أن تقوم على أسس أربعة وإلاّ فعليها الذلة:

اولها : الاساس الاسلامى ، و تحكيم كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم و سيرة أئمة أهل بيت الوحى صلوات الله عليهم أجمعين فقط .

فان الشيعة الحقة الامامية الاثنى عشرية في غنى أن يستوردوا من الخارج أو يقلدوا غيرهم ، فلديهم مايغنيهم من تراثهم ومن عقيدتهم ، ومن طيب أخلاقهم ، و من كريم محتدهم ، فمن كان يريد أن يكون عبداً ذليلاً وتابعاً لغيره ثم ذهاب رسم دولته فله ماأراد .

ثانيها - نشر العدالة بين المواطنين جميعهم والتناصر بهم في حلّ مشكلات الدولة دون الأجانب وأهل الخيانة والغدر .

ثالثها - إجتلاب الاعتماد ممن تتألف منه الدولة ، وذلك لان الدول تتألف من عنصرين : من جماعة المعسرين وجماعة الموسرين، فلابد أن تعتقد الجماعتان إعتقاداً تاماً أنهما تسلمان ويصان كيانهما بواسطة الحكم القائم .

ويجب أن لا يظلم أحد الفريقين الفريق الآخر في أمر من الامور ، ويجب أن يعتمد الحكم خصوصاً على الفريق الاقوى ويختصّه بذاته كي لا يضطر الطاغية - إن لم يتحقق له ذلك في تدبير شؤون الدولة - أن يحرّر الارقاء أو ينتزع السلاح من أيدي المواطنين لان ذلك الفريق الاقوى عند ما ينضم إلى قوة الطاغية المسلحة يتمكن من قمع الثائرين على الحكم .

رابعها - نشر العلم الصحيح بين أبناء هذه الملة ، للنهوض بها للمستوى اللائق بها . . .

فعلى هذه الدولة الاجتناب عن تحليل الحرام وتحريم الحلال ، وعن البدع في الدين الاسلامي باسم الاسلام الذي هو بريء من ذلك كله و عن الانتقام من المنتقدين المواطنين خاصة والمسلمين عامة بالتهم الواهية والاجتناب عن سفك الدماء وقتل النفوس من غير حق ، وهتك الاعراض ونهب الاموال المحترمة ، وعن الاختلاف بين الاسر والأحبة على مصالح واهية و أغراض شخصية ، و عن إبطان الفسق وعن الشعار من غير شعور . . . وليس لها تشريع حكم وتقنين قانون ، كما ان ليس له التخلف عن أحكام الاسلام : حلالها وحرامها، وإلاّ لكانت دولة طاغوتية باسم الاسلام وهو منها ومن أهلها بريء ولذهب رسم الدولة وعقبتها الذلة وهان أهلها بلا ريبة فاعتبروا يا اولوا الالباب . هذه في الحياة الدنيا، وأما العذاب للمجرمين في الدار الاخرة فالايات القرآنية فيه كثيرة منها :

قوله تعالى : « و يوم تقوم الساعة يبلس المجرمون و لم يكن لهم من شركائهم شفعاؤا وكانوا بشركائهم كافرين و يوم تقوم الساعة يومئذ يتفرّقون »

الروم : ١٢ ـ ١٤) .

وقوله : « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا و سمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون » السجدة : ١٢) .

وقوله : «ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً ـ و رأ المجرمون النـار فظنوا انهم مواقعوها و لم يجدوا عنها مصرفاً » الكهف : ٤٩ ـ ٥٣) .

وقوله : « انه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لايموت فيها ولايحيى ـ يوم ينفخ فى الصور و نحشر المجرمين يومئذ زرقاً يتخافتون بينهم إن لبثتم إلاّ عشراً » طه : ٧٤ ـ ١٠٣) .

و قوله « ان الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سمّ الخياط و كذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش و كذلك نجزى الظالمين » الاعراف : ٤٠ـ٤١) .

و قوله : « يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً وقدمنا إلى ماعملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً » الفرقان:٢٢ـ٢٣) .

وقوله : « وامتازوا اليوم أيها المجرمون ألم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون » يس : ٥٩ ـ ٦٢) .

وقوله : « ان المجرمين فى عذاب جهنم خـالدون لايفتّر عنهم وهم فيه مبلسـون وماظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين و نادوا يا مالك ليقض علينا ربك قال انكم ماكثون لقد جئناكم بالحق ولكن أكثركم للحق كارهون أم أبرموا أمراً فانا مبرمون أم يحسبون انا لانسمع سرهم و نجواهم بلى و رسلنـا لديهم يكتبون » الزخرف : ٧٤ ـ ٨٠) .

وقوله : « ان المجرمين في ضلال وسعر يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سقر » القمر : ٤٧ ـ ٤٨) .

وقوله : « يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والاقدام ـ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون » الرحمن : ٤١ ـ ٤٣) .

وقوله : « يود المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه و فصيلته التي تؤويه ومن في الارض جميعاً ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعوا من أدبر و تولى وجمع فاوعى » المعارج : ١١ ـ ١٨) .

وقوله : « و ترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران و تغشى وجوههم النار ليجزى الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس و لينذروا به و ليعلموا انما هو إله واحد و ليذكر اولو الالباب » ابراهيم : ٤٩ ـ ٥٢) .

تمت سورة المدثر والحمد لله رب العالمين
و صلى الله على محمد و آله المعصومين

سُورَةُ الْقِيَامَةِ مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا أَرْبَعُونَ آيَةً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ
عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ
أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ
يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ
لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾ كَلَّا
بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ
يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾
وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِنْ كَذَّبَ وَ
تَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ يَتَمَطَّىٰ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ
أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ
مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رضوان الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: من أدمن قراءة «لااقسم» وكان يعمل بها بعثه الله عزوجل مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبره في أحسن صورة ويبشّره و يضحك في وجهه حتى يجوز على الصراط والميزان.

رواه الطبرسي في المجمع، والبحراني في البرهان، والحويزي في نور الثقلين، والمجلسي في البحار، والشيخ المحدث العاملي في وسائل الشيعة.

أقول: ان الرواية تؤيد بما في السورة من قوله تعالى: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة»: ٢٢-٢٣).

وبقوله تعالى: «ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم أجراً كبيراً» الاسراء: ٩).

وقال: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم مايشاؤن عند ربهم هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات» الشورى: ٢٢-٢٣).

وقال: «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة» عبس: ٣٨-٣٩).

وفي المجمع: أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ومن قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبريل له يوم القيامة انه كان مؤمناً بيوم القيامة، وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة.

اقول: ان الرواية وإن كانت مردودة عندنا سنداً لمكان أبى بن كعب الذى لايعتنى به ولكن متنها مؤيد بصحيحة أبى بصير المؤيدة بالايات الكريمة . . . ومن البديهى ان النبى ﷺ وجبريل لايشهدان لاحد بالايمان إلاّ وهو مؤمن حقاً

وفى البرهان: روى عن النبى ﷺ انه قال . من قرأ هذه السورة شهدت أنا وجبرئيل يوم القيامة انه كان موقناً بيوم القيامة، وخرج من قبره و وجهه مسفر عن وجوه الخلائق يسعى نوره بين يديه ، وإدمان قراءتها يجلب الرزق والصيانة ويحبب إلى الناس .

اقول: ومن غير مراء ان من قرأها متدبراً فيها آمن و كـان موقناً بيوم القيامة قـال الله تعالى : «هـذا بصائر للنـاس و هدى و رحمة لقوم يـوقنون» الجاثية : ٢٠) .

وقال : «الذين يومنون بما انزل إليك و ما انزل من قبلك و بالاخرة هم يوقنون» البقرة : ٤) .

وفيه : وقال الصادق عليه السلام : قرائتها تخشع وتجلب العفاف والصيانة ومن قرأها لم يخف من سلطان وحفظ فى ليله إذا قرأها ونهاره باذن الله تعالى .

اقول: ومن غير بعيد أن يكون من خواص السورة مافي الرواية السابقة وفى هذه والله تعالى هو أعلم .

﴿الغرض﴾

تستهدف السورة توكيد البعث ومجيء القيامة على طريق القسم بمايغيب عن الانسان،وإقامة البراهين على قدرة الله تعالى على إعادة الانسان وبعثه بجسمه و ما ركب عليه من عظام ولحم ودم وأعضاء بأعيانها . . . وتختتم بالاحتجاج على القدرة على الاعادة بالقدرة على الابتداء رداً على من ظن بعدم القدرة على جمع عظامه ، وتساؤله تساؤل المنكر الجاحد عن يوم القيامة الموعود .

وفيها إشادة إلى بعض أشراط البعث ، وما يجرى على الانسان يوم القيامة، وتنبيه له مطلقاً أولمن يقف موقف الجاحد ليوم البعث والجزاء فقط بأن أعماله محصاة ، و بيان لمصيره حسب سلوكه ، وتنديد باستغراق من يستغرق فى الحياة الدنيا ويغتر بمتاعها ويهمل واجباته نحوالله تعالى والناس .

وما جاء فيها من التوكيد والانذار ،والتكذيب والتنديد تستهدف بالاضافة إلى تقرير الحقيقة الايمانية ، وهى البعث تنبيه السامعين الجاحدين إلى وجوب الارعواء والارتداع لان بعثهم وحسابهم حقيقة لاتتحمل ريباً ، فوعدالله تعالى بذلك صادق واقع ليس له دافع وهوجل وعلا عليه قادر .

﴿النزول﴾

سورة القيامة مكية نزلت بعد سورة «القارعة» وقبل سورة «الهمزة» وهي السورة الواحدة والثلاثون نزولاً ، والخامسة والسبعون مصحفاً وتشتمل على أربعين آية ، سبقت عليها ٥٠٤٢ آية نزولاً ، و ٥٥٥١ آية مصحفاً على التحقيق .

وهي مشتملة على ١٩٩/ كلمة ، وعلى ٣٥٢/ حرفاً ، وقيل : ٦٥٢/ حرفاً على ما في بعض التفاسير .

في أسباب النزول للواحدي : في قوله عزوجل : «أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه» نزلت في عمر بن ربيعة ، وذلك انه أتى النبي ﷺ فقال : حدثني عن يوم القيامة متى يكون و كيف أمرها وحالها ؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يا محمد ولم اومن به ، أو يجمع الله هذه العظام ؟ فأنزل الله تعالى هذه الاية .

وفي الجامع لاحكام القرآن : قال : والاية نزلت في عديّ بن ربيعة قال للنبي ﷺ : حدثني عن يوم القيامة متى تكون ؟ و كيف أمرها و حالها ؟ فأخبره النبي ﷺ بذلك ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم اصدقك يا محمد ولم اومن به أو يجمع الله العظام ؟! ولهذا كان النبي ﷺ يقول : «اللهم اكفني جاري السوء عديّ بن ربيعة والاخنس بن شريق» .

وفيه : وقيل : نزلت في عدو الله أبي جهل حين أنكر البعث بعد الموت .

و في أسباب النزول للسيوطي عن إبن عباس قال : كان رسول الله ﷺ

إذا انزل الوحى يحرك به لسانه يريد أن يحفظه ، فأنزل الله : « لاتحرك به لسانك لتعجل به » الاية .

و في الدر المنثور : عن ابن عباس قال : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعالج من التنزيل شدة ، وكان يحرك به لسانه وشفتيه مخافة أن ينفلت منه يريد أن يحفظه فأنزل الله : « لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه » .

وفي شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن عمار بن ياسر قال : كنت عند أبي ذر الغفاري في مجلس لابن عباس ، وعليه فسطاط وهو يحدث الناس إذ قام أبوذر حتى ضرب بيده الى عمود الفسطاط ثم قال : أيها الناس ! من عرفني فقد عرفني ، و من لم يعرفني أنبأته باسمي : أنا جندب بن جنادة أبو ذر الغفاري سئلتكم بحق الله وحق رسوله أسمعتم رسول الله يقول : ما أقلت الغبراء ولاأظلت الخضراء ذالهجة كذا أصدق من أبي ذر؟ قالوا : اللهم نعم قال : أتعلمون أيها الناس ان رسول الله جمعنا يوم غدير خم ألف وثلاث مأة رجل ، وجمعنا يوم سمرات خمسمأة رجل ، و في كل ذلك يقول : اللهم من كنت مولاه فان علياً مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه .

فقام عمر فقال : بخ بخ لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولا كل مؤمن ومؤمنة ، فلما سمع ذلك معاوية بن أبي سفيان ، اتكأ على المغيرة بن شعبة وقام وهو يقول : لانقر لعلي بولاية ، ولانصدق محمداً في مقالة ، فأنزل الله تعالى على نبيه : « فلا صدق ولاصلى ولكن كذب و تولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى أولى لك فاولى » تهدداً من الله تعالى وإشهاداً؟ فقالوا : اللهم نعم .

وفيه : باسناده عن حذيفة بن اليمان قال : كنت والله جالساً بين يدي رسول الله وقد نزل بنا غدير خم ، وقد غص المجلس بالمهاجرين والانصار : فقام رسول الله على قدميه فقال : يا أيها الناس إن الله أمرني بأمر فقال : « يا أيها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك » ثم نادى علي بن أبي طالب ، فأقامه عن يمينه ، ثم

قال : يا أيها الناس ألم تعلموا انى أولى منكم بأنفسكم ؟ قالوا : اللهم بلى قال : من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وانصر من نصره واخذل من خذله .

فقال حذيفة : فوالله لقد رأيت معاوية قام و تمطّى و خرج مغضباً واضع يمينه على عبدالله بن قيس الاشعرى ويساره على المغيرة بن شعبة ثم قام يمشى متمطئاً و هو يقول : لانصدّق محمداً على مقالته ولانقرّ لعلى بولايته فأنزل الله « فلاصدّق ولاصلى ولكن كذّب وتولى ثم ذهب إلى أهله يتمطى » فهمّ به رسول الله أن يردّه فيقتله فقال له جبرئيل : لاتحرّك به لسانك لتعجل به فسكت عنه .

وفى كشف اليقين : باسناده عن إبن درّاج عن أبى جعفر عليه السلام قال : لما انزلت هذه الاية : « بل يريد الانسان ليفجر أمامه » دخل أبوبكر على النبى صلى الله عليه وآله وسلم فقال له : سلّم على علىّ بامرة المؤمنين ، فقال من الله ومن رسوله ؟ قال: من الله ومن رسوله ثم دخل عمر قال : سلّم على علىّ بامرة المؤمنين ، فقال : من الله و من رسوله ؟ قال : من الله ومن رسوله فقال : ثم نزلت : « ينبئوا الانسان يومئذ بما قدّم وأخّر» قال : ما قدّم مما امر به وما أخّر مما لم يفعله لما امر به من السلام على على عليه السلام بامرة المؤمنين .

أقول : ان الايات مكية بالاجماع على قسميه ، فلابد من حمل الروايات الثلاث الاخيرة على الانطباق ولا بأس

وفى أسباب النزول للسيوطى عن إبن عباس قال : لما نزلت : « عليها تسعة عشر » قال أبوجهل لقريش : ثكلتكم امهاتكم يخبر كم ابن أبى كبشة أن خزنة جهنم تسعة عشر وانتم الدهم أفيعجز كل عشرة منكم يبطشوا برجل من خزنة جهنم ، فاوحى الله إلى رسوله أن يأتى أباجهل فيقول له : « أولى لك فأولى ثم أولى لك فاولى » .

وفيه : عن سعيد بن جبير انه سئل إبن عباس عن قوله : « أولى لك فأولى »

أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل نفسه ؟ أم أمره الله به ؟ قال : بل قاله من قبل نفسه ثم أنزله الله .

وفي المجمع : وجاءت الرواية ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد أبي جهل ثم قال له : أولى لك فاولى ثم أولى لك فاولى . فقال أبوجهل : بأيّ شيء تهدّدني لاتسطيع أنت وربك أن تفعلابي شيئاً ، و اني لاعزّ أهل هذا الوادي ، فأنزل الله سبحانه كما قال له رسول الله .



﴿القرائة﴾

قرأ الحسن و إبن كثير و الزهرى «لاقسم» علـى أن اللام للتأكيد أى لأنا اقسم فحذف المبتداء و دخلت اللام على الفعل ويقال لها: لام الابتداء أيضاً وقيل: للزيادة، و الباقون «لاقسم» على زيادة «لا» للتأكيد.

و قرأ أبو جعفر ونـافع «برق» بفتح الراء على وزن «ضرب» من بريق العينين إذا لمع بصره من شدة شخوصه فتراه لايطرف. والباقون بكسرها على وزن «علم» بمعنى فزع و بهت وتحيّر فلم يطرف يقال للانسان المبهوت: قد برق فهو برق.

و قرأ الحسن «المفر» بفتح الميم و كسر الفاء، على أنه مصدر ميمى للمكان، فالمعنى: الموضع الذى تفرّ إليه، و قرأ الزهرى بكسر الميم وفتح الفاء، فهو الانسان الجيد الفرار، فالمعنى: أين الانسان الجيد الفرار؟ و قرأ الباقون بفتح الميم والفاء لانه مصدر.

وقرأ عاصم و أبوجعفر ونافع وحمزة «تحبون» و «تذرون» على الخطاب و الباقون على الغيبة، و التقدير علـى الاول: قل لهم بل تحبون و تذرون، وعلى الثانى: هم يحبون و يذرون.

و قرأ حفص «من راق» بالسكت على نون «من» ثم يقول: «راق» ليظهر انهما كلمتان، و الباقون بادغام النون فى الراء من غير غنة.

و قرأ أبو جعفر ونافع و أبوعمرو «ولا صلّى - إلى آخر السورة» بالامالة اللطيفة، و قرأ حمزة بالامالة الشديدة، والباقون بغير الامالة.

و قرأ حفص «يمنى» بالياء حملاً على المنىّ، و الباقون بتاء التأنيث حملاً على النطفة.



﴿ الوقف والوصل ﴾

«القيامةلا» للعطف الآتي ، و «عظامهط» لاستئناف الجواب أي بلى نجمعها بنانه ، و «أمامهج» لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال ، و«القيامة ط» لتمام الكلام ، و «البصر لا» و «القمر لا» للعطف ، و «القمر لا» للجواب الآتي .

«المفرج»لان « كلا» يصلح للردع وللاستفتاح ، و«وزرط» لاستئناف الكلام الآتي و «المستقر ط» لتمام الكلام ، و «وأخرط» كالمتقدم ، و«بصيرة لا» للوصل بالتالي ، و «معاذيره ط» لابتداء كلام التالي .

«به ط» لتمام الجملة ، و«قرآنه ج» لاحتمال الفاء للعطف ، والاستيناف و «قرآنه ج» لاحتمال ثم لترتيب الاخبار ، و « بيانه ط» لان « كلا» إستفتاحية ، و «العاجلةلا»للعطف الآتي ، و «الاخرةط» لابتداء التالي ، و«ناضرةلا» للنعت التالي:

و«ناظرة ج» لاحتمال العطف ، والقطع للفصل بين أهل السعادة والشقاء. بين أهل الكفر والايمان ،بين أهل الباطل والحق ، وبين أهل النجاة والهلاكة، و «باسرةلا» للنعت الآتي ، و«فاقرة ط»لان « كلا» إستفتاحية .

«التراقي لا» و«راقلا» و «الفراق لا» كل ذلك للعطف ، و «بالساق لا»لتعلق الظرف التالي بما قبله ، و « المساق ط ع ى» لتمام الكلام و «ع» علامة انتهاء الركوع وهو الحصة اليومية لمن يريد حفظ القرآن الكريم في عامين ؛ و«ى» علامة العشر وتوضع عند انتهاء عشر آيات .

«صلى لا» و«تولى لا» للعطف بالواو و«ثم» و «يتمطى ط» للعدول إلى الخطاب، و «فأولى لا» للعطف بـ «ثم» و«فأولى ط» لابتداء الكلام التالي بالاستفهام و«سدى ط» كالمتقدم ، و «يمنى لا» للعطف و «فسوى لا» كالسابق ، و «الانثى ط» لابتداء الكلام التالي بالاستفهام .



﴿اللغة﴾

٧٣- البن والبنان -١٥٧

بنّ بالمكان يبنّ بنّاً - من باب ضرب نحو فرّ - : قام فيه واستقرّ به .

وأبنّ بالمكان : أقام به . وبنّن الشاة : إرتبطها ليسمنها . والتبنين: التثبيت في الامر ، والبنين : المتثبت العاقل .

البنان : الاصابع أو أطرافها ، جمع بنانة ، قيل : سميت بها ، لان بها صلاح الاحوال التى يمكن للانسان أن يبنّ بها ، يريد أن يقيم به ، ويقال:أبنّ بالمكان يبنّ ولذلك خصّ في قوله تعالى : « بلى قادرين على أن نسوى بنانه » القيامة : ٤) أى بل نجمعها قادرين على أن نسوى أطرافه ، وكل ما يكمل به خلقه وعوده كما كان ، وهذا كناية عن اتمام خلقه .

وفي حديث جابر ، وقتل أبيه يوم احد : « ما عرفته إلاّ ببنانه »

قال الله تعالى : « واضربوا منهم كل بنان » الانفال : ١٢) يصح أن يكون المراد بضرب البنان تعميم الضرب في جميع الاعضاء من البدن ، خصّه لاجل انهم بها تقاتل وتدافع . والبنّة : الرائحة التى تبنّ بما تعلق به ، و تطلق على الطيبة والكريهة . ومكان بنّ منتن الرائحة وطيبها .

والبنّة : ريح مرابض الغنم والبقر والظباء . والبنة : رائحة بعر الظباء .

في حديث الامام على عليه السلام قال للاشعث بن قيس حين خطب إليه إبنته :قم لعنك الله حائكاً ، فلكأنّى أجد منك بنّة الغزل .

وفي رواية : قال علي عليه السلام للاشعث بن قيس - ما احسبك عرفتني ياأمير المؤمنين - : بلى واني لأجدبنّة الغزل منك .أي ريح الغزل ، رماه بالحياكة .

البنانة - بضم الباء - الروضة المعشبة .

البن - بكسر الباء - : الطرق - بكسر الطاء - من الشحم والسمن ، يقال: بن على بن أي قوة من الشحم والسمن على قوة .

البن - بضم الباء -:حب شجر يعرف به على هيئة نواة الثمر الصغيرة يحمص ويعمل من دقيقه مطبوخ يقال له : القهوة .

٢٦ - الخسف - ٤١٤

خسف القمر يخسف خسفاً ، وخسوفاً - من باب ضرب - : ذهب ضوءه وأظلم الخسوف للقمر ، والكسوف للشمس، وقيل: الكسوف فيهما إذا زال بعض ضوئهما، والخسوف إذا ذهب كله .

قال الله تعالى : « وخسف القمر » القيامة : ٨)

وفي الحديث : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لايخسفان لموت أحد ولا لحياته » .

خسف الله به الارض أوجانب المكان خسفاً : جعلها تغور به وغيّبه فيها .

قال الله تعالى : « لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا » القصص : ٨٢)أي لجعل الارض تغور بنا وغيّبنا فيها .

انخسفت الارض : ساخت بما عليها ، و خسفت عين فلان : عميت ، و عين خاسفة : إذا غابت حدقتها ، وبئر مخسوفة : إذاغاب ماؤها .

الأخاسيف : الارض اللينة ، يقال : وقعوا في أخاسيف من الارض ، وهي اللينة . والسخيف : البئر التي تحفر في حجارة ، ولاينقطع ماؤها كثرة .

السخف : النقصان والهوان ، و أصله أن تحبس الدابة على غير علف ثم

استعير فوضع موضع الهوان .

وفى الحديث « من ترك الجهاد ألبسه الله الذلة وسيم الخسف» وفى نهج البلاغة قال الامام أمير المؤمنين على عليه السلام : «فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذل و سيم الخسف » و سيم : كلّف وألزم .

خسف الشيء : نقص ، وخسف الرجل: هزل وذلّ ، وخسف الشيء: قطعه ، وخسف السقف : سقط و خسف الدابة : حبسها بلاعلف .

الخسف : الجوارح من بات القوم فى خسفة أى باتوا جياعاً ليس لهم شيء يتقوتونه . و الخسف : الجوز الذى يؤكل .

٢٨- الحركة- ٣١٦

حرك يحرك حركاً و حركة ـ من باب كرم ـ : ضدّ سكن .

حرّكه فتحرّك : ضدّ سكّنه فسكن، والحركة : ضدالسكون ، وحرّك الشيء تحريكاً : ضد سكّنه تسكينا ومنه حركات الاعراب عند النحويين .

قال الله تعالى : «لاتحرّك به لسانك لتعجل به » القيامة : ١٦) .

الحركة ـ بالتحريك ـ إسم من التحريك ، وهى عند المتكلمين : حصول الجسم و إنتقاله فى مكان بعد حصوله فى مكان آخر . على أن الحركة هى عبارة عن مجموع الحصولين . و أما عند الحكماء فهى الخروج من القوة إلى الفعل على سبيل التدريج .

و ربما يقال ـ تحرّك كذا : إذا إستحال ، وإذا زاد فى اجزائه ، وإذا نقص من أجزائه .

حرّك منى الامر : إضطربت لـه . الحراك : الحركة ، و أيام الحراك : أيام الصيف . وحرك يحرك حركاً ـ من باب نصر ـ : إمتنع من الحق الذى عليه، فهو محروك ، و حرك الشيء : قطعه .

وفى حديث الزكاة « فى المال الصامت الذى يحول عليه الحول وإن لم يحرك»

أى وإن لم يعمل به شيئاً . ومن هذا الباب حرك الشىء : أصاب منه أىّ ذلك كان ، وحرك : شكى أىّ ذلك كان، وحركه: أصاب وسطه غير مشتق، وحرك فى المسئلة: إذا ألحف فيها .

حرك يحرك حركاً - من باب حسب - : صار حريكاً . الحريك : العنين، والحريك: الذى يضعف خصره إذا مشى كأنه ينقطع عن الارض . غلام حرك - بفتح الحاء وكسر الراء -: ضعيف ذكى .

الحارك والحاركان : ملتقى الكتفين من الفرس والدابة . والمحرك: منتهى العنق عند المفصل من الرأس ، والمحرك : مقطع العنق .

المحراك : الخشبة التى تحرك بها النار .

٤٣ - المطى - ١٤٤١

مطى يمطى مطاً - يائى - من باب علم نحو رضى - : إمتدّ وطال .

تمطّى النهار وغيره تمطياً : إمتدّ و طال ، وتمطى بهم السفر ، وتمطى بك العهد : إمتدّ و طال .

و تمطى الرجل : تمدّد و تبختر ، و مدّ يديه فى المشى و يوسع ذرعه .

قال الله تعالى : « ثم ذهب إلى أهله يتمطى » القيامة ٣٣) أى يمدّ ظهره و يتبختر .

التمطى : التبختر ، و مدّ اليدين فى المشى . و فى حديث أبى بكر : « انه مرّ على بلال وقد مطى فى الشمس يعذّب » أى مدّ و بطح فى الشمس .

المطا - مقصور -: الظهر، سمى به لامتداده جمعه : أمطاء ، ومنه قيل للبعير: مطية لانه يركب مطاه ذكراً كان أم انثى، وتجمع على مطى و مطايا .

وقيل : المطيّة : الناقة التى يركب ظهرها .

و الامطىّ : صمغ يؤكل ، سمى بـه لامتداده . قيل : هو ضرب من نبات

الرمل يمتدّ و ينفرش

المايط : الماء المختلط بالطين .

٢٩ - السدى - ٦٨٨

سدى البسر يسدى سدى ـ من باب علم نحو رضى ـ : إسترخت تفاريقه . الاسم : السدى .

سدى : مهمل يستوى فيه الواحد و غيره ، يقال : ابل سدى وامرؤ سدى .

قال الله تعالى « أيحسب الانسان أن يترك سدى » القيامة ؛ ٣٦) أى مهملاً غير مكلف بالامر والنهى ، فلا يسئل عن شىء ولا يحاسب ولا يجازى .

و فى الحديث : «ولم يترك جوار حك سدى » و منه قولهم : « ذهب كلامه سدى» أى باطلاً .

أسدى الابل يسديها : أهملها . و أسدى : أعطى . و فى الحديث : « من أسدى إليكم معروفاً فكافئوه » أى من أعطاكم معروفاً فجازوه .

السدى : التخلية والسدى : الغاية أراد ان لهم ذلك أبداً مادام الليل والنهار.

يقال : فلان تسدى فلان الامر : إذ اعلاه و قهره ، و تسدّى فلان فلاناً : إذا أخذه من فوقه .

إستدى الصبى بالجوز: لعب . سدّىَ الثوب: أقام سداه . السدى من الثوب : مامدّ من خيوطه وهو خلاف لحمته .

أسدى بين القوم حديثاً: نسجه : وهو على المثل، وإذا نسج الانسان كلاماً أو أمراً بين قوم ، يقال : سدّى بينهم . وأسدى بينهم : أصلح . وأسدى الى فلان: أحسن إليه .

السدى : ندى الليل ، و هو حيـاة الزرع ، و سديت الارض إذا كثر نداها من السماء كان أو من الارض فهى سدية . السدى : الشهد يسديه النحل .

﴿النحو﴾

١ - (لا اقسم بيوم القيامة)

فى « لا » وجهان : أحدهما ـ صلة زائدة كما فى قوله تعالى : « فلا اقسم بمواقع النجوم » الواقعة : ٧٥) .

ان قلت : ان القول بالزيادة يوجب الطعن فى القرآن الكريم بحيث لا يبقى وثوق بنفيه و لا باثباته ؟

تجيب عنه أولاً : إذا عرف من إستعمالات العرب زيادة «لا» فى هذا الفعل المخصوص فلا يبقى للطاعن مجال .

و ثانيا : ان الحكم بزيادة «لا» إنما هو بالنظر إلى أصل المعنى ، و إلاّ فلها فى التركيب معان :

الاول : كأنها نفى لكلام قبل القسم ، و ذلك انهم انكروا البعث كما أخبر الله تعالى فى آخر السورة السابقة ، فقيل : ليس الامر على ما زعمتم ثم اقسم بكذا و كذا انه لواقع . و ذلك كقولهم عند الحث على فعل: لا والله لأفعل، أو عند الصدّ عن فعل : لا والله أفعل ذلك .

والثانى: انه لا يقسم بالشيء إلاّ إعظاماً له ، فكأنه بادخال حرف القسم يقول : ان اعظامى له باقسامى به كلا إعظام انه يستأهل فوق ذلك .

ان تسئل : ان «لا» تزاد فى وسط الكلام لا فى ابتدائه ؟

تجيب عنه: ان القرآن الكريم كله فى حكم كلام واحد متصل بعضه

بيعض ، ولاسيما أول هذه السورة بالنسبة إلى آخر السورة السابقة ، فجاز وقوعها في أول السورة على أنها في حكم المتوسطة زيدت للزينة. وقيل: زيدت لتوكيد القسم .

والثالث : أن يكون المعنى إستفهاماً إنكارياً ، فكأنه قيل : ألا اقسم بيوم القيامة على أن الحشر حق . وهذا التأويل تعضده قراءة من قرأ « لاقسم » على أن اللام للابتداء . أوهي لام القسم على حذف النون ، و قد جاء حذف النون مع وجود اللام ، وإن كان الاكثر ثبوتها معها و إنما حذفت النون لانه جعله حالاً والنون تنقل الفعل من الحال إلى الاستقبال ، ولان خبر الله تعالى صدق ، فجاز أن يأتي من غير توكيد . وقيل : شبهت الجملة الفعلية بالجملة الاسمية كقوله تعالى : « لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون » الحجر : ٧٢) .

ثانيهما ـ انها ليست زائدة بل هي ترد لكلام مقدم في سورة اخرى .

و« اقسم » فعل تكلم وحده من المضارع من باب الافعال و « بيوم» متعلق بفعل القسم أضيف إلى « القيامة » .

٢- (ولا اقسم بالنفس اللوامة)

عطف على ما قبلها ، و « اللوامة » مبالغة من اللوم نحو العلامة ، نعت من « النفس » وجواب القسم محذوف دلّ عليه قوله تعالى : « أيحسب الانسان أن لن نجمع عظامه . . . » والتقدير : لتبعثنّ. قال الزجاج : قوله تعالى : « أيحسب الانسان . . . » جواب القسم .

٣- (ايحسب الانسان الن نجمع عظامه)

الهمزة للاستفهام ، ومدخولها فعل مضارع ، و « الانسان » فاعل الفعل ، و « أن » مخففة من الثقيلة ، إسمها ضمير شأن مقدر ، و « لن » حرف تأبيد ، و« نجمع» فعل مضارع للتكلم مع الغير ، و « عظامه» مفعول به ، والجملة المنفية في موضع رفع ، خبر لحرف التأكيد ، والجملة في موضع نصب ، سدّت مسدّ المفعولين

لفعل الحسبان .

٤- (بلى قادرين على أن نسوى بنانه)

« بلى » حرف جواب تختص بالنفى ، وتفيد إبطاله سواء كان مجرداً كقوله تعالى : « زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى » التغابن : ٧) أم مقروناً بالاستفهام حقيقياً كقوله : أليس زيد بقائم ؟ فتقول : بلى . أو توبيخياً كهذه الاية أوتقريرياً كقوله تعالى : « ألم يأتكم نذير قالوا بلى » الملك : ٨ـ ٩)

وفى نصب « قادرين » وجوه :أحدها ـ منصوب على الحال من فاعل مدخول « بلى » وهو مقدرأى بلى نجمع العظام أو لنبعثنهم والحال انا قادرون على أن نصور بنانه على صورتها التى هى عليها بحسب خلقنا الاول . فعامل الحال محذوف يدل عليه ما تقدم من الكلام كقوله تعالى : « فان خفتم فرجالاً » البقرة :٢٣٩) أى فصلوا رجالاً . وقيل: على تقدير : بلى نقدر قادرين .

ثانيها ـ قال الفراء : نصب « قادرين » على الخروج من « نجمع » أى نقوى ونقدر « قادرين » على أكثر من ذلك . ثالثها ـ قال الفراء أيضاً : يصلح أن يكون نصبه على التكرير أى بلى فليحسبنا قادرين . رابعها ـ منصوب على الخبرية أى كنا قادرين فى الابتداء .

« أن » حرف مصدرية ، ومدخولها فعل مضارع للتكلم مع الغير من باب التفعيل ، منصوب بحرف المصدر ، و « بنانه » جمع بنانة ، مفعول به ، والجملة بعد انسباكها إلى المصدر مجرور بحرف الاستعلاء ، والجار والمجرور متعلق ب « قادرين » .

٥- (بل يريد الانسان ليفجر أمامه)

« بل » حرف إضراب ، فان تلاها جملة كان معنى الاضراب إما إبطال لما تقدم كقوله تعالى : « و قالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون » الانبياء : ٢٦) أى بل هم عباد ، وإما إنتقال من غرض آخر كالاية التى نحن فيها، و

إن تلاها مفرد، فهي للعطف، ثم إن تقدمها أمر أو ايجاب نحو: إضرب زيداً بل عمراً، وقام زيد بل عمرو، فهي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه، فلا يحكم عليه شيء، وإثبات الحكم لما بعدها، وإن تقدمها نفي أو نهي فهي لتقرير ما قبلها على حالته، وجعل ضده لما بعدها نحو: ماقام زيد بل عمرو، ولايقيم زيد بل عمرو.

«يريد» فعل مضارع من باب الافعال و«الانسان» فاعل الفعل، و«ليفجر» اللام للتعليل، والفعل منصوب بـ «أن» مقدرة، و«أمامه» ظرف مكان استعير لمستقبل الزمان، اضيف إلى ضمير الانسان. إن قلت: إن الارادة لاتتعدى باللام فما معناها؟ قلت: ان اللام مع الارادة والمشيئة والامر بمعنى «أن». و يجوز أن يكون التقدير: بل يريد الانسان أن يعصى ليفجر أمامه.

٦- (يسئل أيان يوم القيامة)

«يسئل» فعل مضارع، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى «الانسان» والجملة في موضع نصب، حال من «الانسان» و«أيان» إسم إستفهام، يستفهم بـه عن الزمان المستقبل، وقد يجيىء عن الماضي، بني على الفتح لتضمنه معنى حرف الاستفهام لانه بمعنى «متى» وكما ان متى مبنى لتضمنه معنى حرف الاستفهام، فكذلك «أيان» وبنى على الحركة لالتقاء الساكنين وهما الالف والنون، و على الفتح لان الفتحة أخف الحركات... وموضع «أيان» رفع، خبر مقدم و «يوم القيامة» مبتداء مؤخر.

٧- (فاذا برق البصر)

«إذا» شرطية ومدخولها فعل ماض، و«البصر» فاعله.

٨- (وخسف القمر)

عطف على ما قبلها.

٩- (وجمع الشمس والقمر)

الواو للعطف، و«جمع» فعل ماض مبنى للمفعول، وجيىء بالتذكير

لوجوه : أحدها - ان تأنيث الشمس غير حقيقى جاز تذكير الفعل الذى يسند إليها.

ثانيها - انه لما جمع بين المذكر والمؤنث ، غلّب جانب المذكر على المؤنث كقولهم : قام أخواك هند وزيد . ثالثها - لان المراد انه تعالى جمع بينهما فى زوال النور .

١٠- (يقول الانسان يومئذ أين المفر)

« يقول » فعل مضارع و « الانسان » فاعله ، والجملة جزاء للشرط ، و« أين » إسم إستفهام عن المكان نحو : « أين تذهبون » بنى لما تقدم فى « أيان » ، و « أين » فى موضع رفع ، خبر مقدم ، و المفرّ مبتداه مؤخر .

٨- (كلا لاوزر)

« كلا » إستفتاحية ، و يجوز أن يكون للردع ، و « لا » نافية للجنس على حذف الخبر أى لاوزر كائن فى الوجود . أولاوزرهناك .

١٢- (الى ربك يومئذ المستقر)

« إلى ربك » على حذف المضاف أى إلى حكم ربك أو إلى جنته أو ناره ، متعلق بمحذوف ، وهو خبر مقدم ، و « المستقر » مبتداه مؤخر ، و « يومئذ » ظرف منصوب بفعل مقدر ، دلّ عليه « المستقر » ولا يعمل فيه « المستقر » لانه مصدر بمعنى الاستقرار وقيل : « إلى ربك » متعلق بـ « المستقر » وقدم الجار والمجرور لافادة الحصر ، من غير أن يذكر التركيب للاية .

١٣- (ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم واخر)

« ينبّؤا » فعل مضارع ، مبنىّ للمفعول من باب التفعيل ، و« الانسان » ناب مناب الفاعل ، و « ما » فى « بما » موصولة مجرور بالباء ، متعلقة بـ « ينبّؤا » و « قدّم » فعل ماض من باب التفعيل ، صلة الموصول ، على حذف العائد ، أى قدّمه ، و « أخر » عطف على « قدم » والكلام هو الكلام .

١٤- (بل الانسان على نفسه بصيرة)

« بل » حرف إضراب ، ذكرههنا للانتقال من غرض آخر ، و « الانسان »
مبتداء و « على نفسه » متعلق بـ « بصيرة » وهو الخبر . وفي « بصيرة » وجوه : أحدها ـ
أن تكون التاء للمبالغة كعلامة فالمعنى : بصير على نفسه جداً لايخفى عليه شيء
منها . ثانيها ـ ان الانسان حمل على النفس . فانهما واحد ، فلذلك انث « بصيرة »
ثالثها ـ أن يكون تأنيث « بصيرة » على تقدير : بل الانسان على نفسه عين بصيرة .

وقيل : أي هو حجة بصيرة على نفسه أي بينة ، وحذف الموصوف ، واقيمت
الصفة مقامه ، ونسب الابصار إلى الحجة لما ذكر في بني اسرائيل .

رابعها ـ لان المراد بالانسان ههنا الجوارح ، فانها تشهد على نفس الانسان ،
فكأنه قيل : بل جوارح الانسان على نفسه بصيرة ، فالمعنى : بل الانسان من نفسه
بصيرة على نفسه . خامسها ـ ان بصيرة ههنا مصدر والتقدير : ذو بصيرة ولا يصح
ذلك إلا على وجه التبيين .

۱۵ـ (ولو القى معاذيره)

« لو » وصلية . وقيل : شرطية على حذف الجواب أي فلاينفعه ذلك . وقيل :
فلاتقبل منه معاذيره . وقيل : جوابه ماتقدم . و « ألقى » فعل ماض من باب الافعال
فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « الانسان » و « معاذير » جمع معذرة على غير
قياس من منتهى الجموع ، اضيف إلى ضمير الانسان . وقيل : جمع معذار كمثا
قيل : جمع مثقال .

۱۶ـ (لاتحرك به لسانك لتعجل به)

« لا » حرف نهي ، ومدخولها فعل مضارع ، مجزوم بحرف النهي من باب
التفعيل ، خطاب للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم و « به » متعلق بفعل التحريك ، والضمير
راجع إلى القرآن الكريم تدل عليه الايات التالية ، و « لسانك » مفعول به واللام
في « لتعجل » تعليلية ، و مدخولها منصوب بـ « أن » مقدرة ، و « به » متعلق بـ
« تعجل » .

١٧- (ان علينا جمعه و قرآنه)

« ان » حرف تأكيد و«علينا» متعلق بمحذوف، وهو خبر لحرف التأكيد، و«جمعه» إسمها ، و«قرآنه» عطف على «جمعه» والقرآن هنا مصدر كالفرقان أي وقرائته . و الضميران راجعان إلى الوحي.

١٨- (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) .

الفاء للتفريع ، و«إذا» حرف شرط، و«قرأنا» فعل ماض للمتكلم مع الغير، والضمير في موضع نصب ، مفعول به ؛ و «فاتبع» الفاء جزائية و مدخولها فعل أمر من باب الافتعال ، و«قرآنه» مفعول به، والجملة جزاء الشرط .

١٩- (ثم ان علينا بيانه) .

«ثم» حرف عطف تفيد التأخير الرتبي لان البيان مترتب على الجمع والقراءة رتبة ، و«إن» حرف تأكيد و «علينا» متعلق بمحذوف ، خبر لحرف التأكيد ، و «بيانه» إسمها .

٢٠-(بل تحبون العاجلة) .

« كلا» هنا حرف إستفتاح ، و «بل» حرف إضراب، ذكرت ههنا للانتقال من غرض آخر، و«تحبّون»فعل مضارع من باب الافعال، خطاب للكفار ، و«العاجلة» مفعول به .

٢١- (ولا تذرون الاخرة) .

عطف على ماقبلها .

٢٢- (وجوه يومئذ ناضرة) .

«وجوه» مبتدأ ابتدأت بالنكرة لحصول الفائدة و «يومئذ» ظرف منصوب ، متعلق ، «ناضرة» و هي خبر المبتداء : و يحتمل أن يكون الخبر محذوفاً أي ثم وجوه و «ناضرة» نعت من «وجوه» والجملة صفة للآخرة .

٢٣- (الى ربها ناظرة) .

«الی ربها» متعلق بـ «ناظرة» وهی خبر بعد خبر لوجوه.

۲۴- (و وجوه یومئذ باسرة).

عطف علی «وجوه یومئذ ناضرة» و الكلام فی المعطوف هو الكلام فی المعطوف علیه.

۲۵- (تظن أن یفعل بها فاقرة).

«تظن» فعل مضارع، فاعله ضمیر مستتر فیه، راجع إلی «وجوه - باسرة» و «یفعل» فعل مضارع، مبنی للمفعول، منصوب بـ «أن» و «بها» متعلق بـ «یفعل» و الضمیر راجع إلی «وجوه - باسرة» و «فاقرة» إسم فاعل، صفة لموصوف محذوف، وهو فاعل الفعل أی فعلة فاقرة، والجملة سدّت مسد المفعولین لفعل الظن. والجملة بتمامها فی موضع رفع، نعت من «وجوه - باسرة».

۲۶- (كلا اذا بلغت التراقی).

«كلا» حرف إستفتاح. وقیل: بمعنی حقاً. وقیل: حرف ردع و «إذا» حرف شرط و عامله معنی «الی ربك یومئذ المساق» أی إذا بلغت النفس الحلقوم رفعت إلی الله تعالی، و «بلغت» فعل ماض علی حذف الفاعل یدل علیه السیاق أی بلغت النفس التراقی كما فی قوله تعالی: «إذا بلغت الحلقوم» الواقعة: ۸۳) و «التراقی»: جمع ترقوة.

۲۷- (و قیل من راق).

الواو للعطف و «قیل» فعل ماض، مبنیّ للمفعول، عطف علی «بلغت» والفاعل النیابی مستتر فی «قیل» أی قال ملك الموت أو بعض أصحاب المیت للمحتضر أو یقول هو: «من» إسم إستفهام فی موضع رفع، مبتداء، و «راق» إسم فاعل من الرقی نحو رام من الرمی، خبر للمبتداء.

۲۸- (وظن انه الفراق).

عطف علی ما تقدم، و «ظنّ» فعل ماض، فاعله ضمیر مستتر فیه، راجع

إلى الانسان المحتضر ، و « انه » حرف تأكيد ، فتحت همزتها لوقوعها بعدالظن الذى معناه اليقين والضمير فى موضع نصب ، إسم لحرف التأكيد ، والضمير راجع إلى الوقت يدل عليه السياق و « الفراق » خبرها ،والجملة سدّت مسدالمفعولين.

٢٩- (والتفت الساق بالساق)

عطف على ماسبق و « إلتفت » فعل ماض من باب الافتعال ، جيىء بالتاء باعتبار المضاف المحذوف على تقدير : إلتفت إحدى الساق بالاخرى ، فحذف المضاف وقام المضاف إليه مقامه ، و« بالساق » متعلق بفعل الالتفاف .

٣٠- (الى ربك يومئذ المساق)

ان الكلام فى هذه الاية هوالكلام فى الاية : ١٢) فراجع .

٣١- (فلاصدق ولا صلى)

الفاء سببية وذلك غالب فى العاطفة جملة أوصفة ، والاول كقوله تعالى : « فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه » البقرة : ٣٧) والثانى : كقوله تعالى :«لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم » الواقعة : ٥٢ ـ ٥٤)

و «لا» حرف نفى و « صدّق » فعل ماض من باب التفعيل ، و فاعله ضمير مستترفيه ، راجع إلى « الانسان »المتقدم ذكره فى قوله تعالى : « أيحسب الانسان . . . » أو إليه فى « بل يريد الانسان ليفجر أمامه » و « لا صلّى » عطف عليه « فلاصدق » .

٣٢- (ولكن كذب وتولى)

فى الواو « ولكن » وجهان : أحدهما ـ ان الواوعاطفة مفرد على مفرد ، و قيل : عاطفة جملة على جملة و «لكن » غيرعاطفة . ثانيهما ـ ان « لكن »عاطفة والواولازمة ، وقيل : غيرلازمة .

و « كذّب » فعل ماض من باب التفعيل، عطف على « صدق » على حذف ما

يتعلق به ، والتقدير : كذّب بالقرآن الكريم ، و « تولّى » فعل ماض من باب التفعل ، عطف على « كذب » على تقدير : تولى عن الايمان بالله تعالى و برسوله وكتابه وباليوم الاخر .

٣٣- (ثم ذهب الى اهله يتمطى)

« ثم » حرف عطف ، تفيد هنا الترتيب والمهلة ، و « ذهب » فعل ماض و « إلى أهله » متعلق بفعل الذهاب ، و « يتمطى » فعل مضارع من باب التفعل وقلبت الياء ألفاً لتحركها ، وإنفتاح ماقبلها ، والجملة في موضع نصب ، حال من فاعل « ذهب » . و قيل : « يتمطى » أصله : يتمطط أي يتمدد ، فابدل من الطاء الاخرة ياءاً كاملت أصله : املك ، ثم قلبت الياء ألفاً .

٣٤- (اولى لك فاولى)

في « اولى لك » وجوه : أحدها - ان « أولى » مبتداء ، و « لك » متعلق بمحذوف وهو الخبر

ثانيها - ان « أولى » خبر لمحذوف على تقدير : الشر أولى لك . على أن اللام للاختصاص كأنه قال : الشر اولى لك من الخير . وقيل : اللام بمعنى « من » فالتقدير : الشر أقرب منك . أو الوعيد أولى لك من غيره . وقيل : « أولى » أفعل تفضيل بمعنى الاحرى ، خبر لمحذوف أي هنا النار أولى لك أي أنت أحق بها و أهل لها فاولى . وقيل : « أولى » غير منصرّف للتعريف ، ووزن الفعل .

ثالثها - ان « أولى » خبر لمحذوف أي هو أولى . على أن الضمير راجع إلى ما ذكر من حال الانسان . رابعها - ان « اولى » إسم فعل مبنيّ . والمعنى: وليك شر بعد شر ولك تبيين .

خامسها - ان « اولى » فعل ماض ، والفاعل هو ضمير مستتر فيه راجع إلى الهلاك . واللام زائدة . والمعنى : أولاك الهلاك . و قيل : راجع إلى الله تعالى . والمعنى: أولاك الله ما تكرهه . وقيل : غير زائدة . والمعنى أدناك الله مما تكرهه

وحذف خبر « اولى » الثانى إجتزاءاًبخبر الاول عنها .

٣٥- (ثم أولى لك فاولى)

عطف على ما تقدم ، والكلام فى المعطوف هو الكلام فى المعطوف عليه .

٣٦- (ايحسب الانسان أن يترك سدى)

الهمزة للاستفهام ، و « يحسب » فعل مضارع ، و « الانسان » فاعل الفعل ، و « أن » حرف ناصب ، و « يترك » فعل مضارع ، مبنىّ للمفعول ، منصوب بـ « أن » والفاعل النيابى هو الضمير المستتر فيه ، راجع إلى الانسان ، والجملة سدّت مسدّ المفعولين ، و « سدى » فى موضع نصب ، حال من الضمير فى « يترك » .

٣٧- (الم يك نطفة من منى يمنى)

الهمزة إستفهامية، و«لم»حرف جحد ، و « يك » فعل مضارع . من الافعال الناقصة ، مجزوم بحرف الجحد ، أصله : « لم يكون » فحذفت النون لا لتقاء الساكنين بين الواو والنون ، ثم حذفت الوا ولعدم السكون ، و لا الضمير بعد الفعل ، وإسمه ضمير مستتر فيه ، راجع إلى « الانسان » و « نطفة » خبر الفعل .

« من منى » متعلق بفعل الناقص ، و « منى » فعيل بمعنى مفعول أى من ماء مدفوق و « يمنى » فعل مضارع ، مبنى للمفعول ، فى موضع جر، نعت من « منىّ » و يجوز أن يكون فى موضع نصب ، صفة من « نطفة » على أن تأنيث « نطفة » غيرحقيقى، والنطفة بمعنى الماء القليل . فالمعنى : ألم يك هذاالانسان ماءاً قليلاً منتناً فى صلب الرجل وترائب المرأة يمنى .

٣٨- (ثم كان علقة فخلق فسوى)

« ثم » حرف عطف ، تفيد هنا الترتيب والمهلة ، و«كان» فعل ناقص،إسمه ضمير راجع إلى « الانسان » ويجوزأن يرجع إلى « منى » و «علقة» خبر الفعل و « فخلق » الفاء للتفريع ، ومدخولها فعل ماض ، فاعله ضمير مستتر فيه راجع إلى الله تعالى على حذف المفعول ، أى فخلقه ، والكلام فى الفاء الثانية هو الكلام فى

الفاء الاولى ، و « سوى » فعل ماض من باب التفعيل ، والكلام فى فاعله ومفعوله هو الكلام فى « فخلق » .

۳۹- (فجعل منه الزوجين الذكر والانثى)

الفاء للتفريع والتفصيل ، و مدخولها فعل ماض . فاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى ، و « منه » متعلق بفعل الجعل ، فى موضع نصب ، مفعول أول والضمير راجع إلى « منى » ويجوز أن يكون راجعاً إلى « الانسان » أو إلى الخلق السوى و « الزوجين » مفعول ثان و « الذكر والانثى » بدل من « الزوجين » .

۴۰- (اليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى)

الهمزة للاستفهام و « ليس » من الافعال الناقصة ، و « ذلك » إشارة إلى الله تعالى ، فى موضع رفع إسم ا « ليس » و « بقادر » خبرها على زيادة الباء المؤكدة و « على » حرف جر للاستعلاء ، و « أن » حرف ناصب ، و « يحيى » فعل مضارع من باب الافعال ، وفاعله ضمير مستتر فيه ، راجع إلى الله تعالى ، و « الموتى » فى موضع نصب ، مفعول به ، والجملة فى موضع جر ، بحرف « على » متعلق بـ « قادر »

ولا يجوز إدغام اليائين فى الاخرى فى « يحيى » لان الحركة فى الثانية حركة إعراب ، ولا يجوز الادغام إذا كان فى موضع رفع ، لان الياء الثانية تكون فى حالة الرفع ساكنة ، فلو جاز الادغام لادّى ذلك إلى إجتماع الساكنين ، والادغام إنما يكون بادغام ساكن فى متحرك لا فى ساكن .

﴿البيان﴾

١- (لا اقسم بيوم القيامة)

إدخال «لا» النافية على فعل القسم للتأكيد شائع كقولك: لا والله ان البعث و القيامة والحساب و الجزاء لحق لامرية فيها. و قولك: لا والله ان هذا القرآن الكريم لوحي سماوي نازل من عندالله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم لاريب فيه. وقولك: لاوالله لافعلن كذاوكذا من غير تسامح ولاتوان...

ففي الاقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة مالامزيد عليه، مع الرد على من انكر البعث والحساب، فكأنه قال: ليس الامر كما زعمتم. و في الاقسام بيوم القيامة على وقوع يوم القيامة مزيد تقرير و تأكيد لوقوعه فان الاقسام بالمعدوم لايعقل معناه.

وفائدة الزيادة توكيد للقسم في الرد، و المرادبها هو القسم تلويحاً دون إمضائه إذا كان الامر المقسم عليه أوضح من أن يدل عليه، وأن يؤكد في الدلالة عليه بقسم..: انه ينزل منزلة البدهيات، وتوكيد البدهيات لايزيدها عندالذين لايومنون بها إلاّ إنكاراً وإستبعاداً.

و التلويح بالقسم إشارة إلى أنه لوكان الامر يحتاج إلى قسم لمضى القسم إلى غايته، و لماسلط عليه النفي الذى حال بينه وبين أن يقع على المقسم عليه، ففائدة هذا القسم المنفي انه يقرر حقيقة لايرى لهاوجه لوجاء الامر إبتداء من غيرهذا الوجه من القسم المنفي.. فالقسم المنفي هنايكشف عن حال المواجهين

بالقسم ، وانهم يكذبون بالبدهيات ، ويعاندون في المسلمات ، و انه لو كان في التوكيد بالقسم مقنع لهم لوقع القسم ، ولكن يستوي عندهم الامران : التوكيد وغير التوكيد . . انهم على أيّ الحالين لايؤمنون بما يلقى إليهم من أخبار على لسان النبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بما يوحى إليه من ربه .

فالقسم قسم رباني لتوكيد البعث والقيامة ، ورد على تكذيب الانسان فيما يظنه من عدم قدرة الله جل وعلا على جمع عظامه ، مع حذف جواب القسم تنبيهاً على تفخيم يوم القيامة ، وعظمة أمره على تقدير : ليبعثن . دلّ عليه قوله تعالى : « أيحسب الانسان . . . »

٢- (ولا اقسم بالنفس اللوامة)

قسم رباني ثان بالنفس المطمئنة المؤمنة التي تلوم صاحبها في الحياة الدنيا على صغائر الذنوب ، فكيف الكبائر ؟ وتنفعه يوم القيامة ، ولذلك قرنت النفس اللوامة بيوم القيامة لان ثمرة هذا التلويم إنما تظهر آثاره يوم القيامة . . فالنفس اللوامة إنما يحملها على التلوم ، الخوف من الاخرة ، الخوف من أهوالها ، الخوف من حسابها وجزائها ، والخوف من الوقوف فيها . . . ولولا الايمان واليقين بيوم القيامة لماراجع المرء نفسه فيما أحدث من آثام . . . ولما قامت في كيانه تلك النفس اللوامة التي تقف منه موقف المحاسب قبل يوم الحساب . فتكون اللوامة بمعنى اللائمة ، وهو صفة مدح يجيء القسم بها سائغاً حسناً .

و في ضمّ النفس اللوامة بالاقسام بيوم القيامة تنبيه على أن الغرض من القيامة هو إظهار أحوال النفس ومراتبها في السعادة والشقاء ، في الرفعة والدناءة ، في العزة والهوان ، وفي الربح والخسران . . . وإشارة إلى مايستشعر به الخاسر فيه من الندم والتلوم على مافاته في الحياة الدنيا من الايمان والطاعة ، من الخير والاحسان ، ومن الهداية والغفران . . .

٣ - (ايحسب الانسان الن نجمع عظامه)

إستفهام إنكارى للتوبيخ والتنديد بمن يستبعد البعث والحياة بعد الموت للحساب والجزاء ، وفيه ردّ على مازعمه . وجمع العظام كناية عن البعث والاحياء و ذكر العظام والمراد نفس الانسان كلها لان العظام قالب الخلق و فى إسناد الفعل إلى التكلم مع الغير ، والفاعل هو الله تعالى وحده تعظيم له جل و علا .

٢ - (بلى قادرين على ان نسوى بنانه)

جواب على الجاحد الذى يزعم ان الله تعالى لا يجمع عظامه . فالمعنى : ان الله جل و علا إذا كان قادراً على تكوين البنان من عظام دقيقة فى الحياة الدنيا للابتلاء والاختبار كان قادراً على جمع عظام الانسان مرة اخرى فى الاخرة للحساب والجزاء . فالله تعالى هو الذى سوّى بنان الانسان العجيب الصنع بعظامه الصغيرة و تكوينه الدقيق قادر على ذلك .

« قادرين » حال مؤكدة لانه يستحيل جمع العظام بدون القدرة الكاملة التى نبّه عليها بقوله تعالى : « أن نسوّى بنانه » لان من قدر على ضمّ سلاميات الاصبع مع صغرها و لطافتها كما كانت كان على ضمّ العظام الكبار أقدر .

و إنما خصّ البنان وهو الانملة بالذكر لانه آخر ما يتم به خلقه ، فذكره يدل على تمام الاصبع، وتمام الاصبع يدل على تمام سائر الاعضاء التى هى أطرافها ...

و قيل : فى تخصيص البنان بالذكر إشارة إلى عجيب خلقها بمالها من الصور و خصوصيات التركيب والعدد تتركب عليها فوائد جمة لا تكاد تحصى من أنواع القبض والبسط والاخذ والرد ، وسائر الحركات اللطيفة والاعمال الدقيقة والصنائع الظريفة التى يمتاز بها الانسان من سائر الحيوانات مضافاً إلى ما عليها من الهيئات والخطوط التى لايزال ينكشف للانسان منها سرّ بعد سر . و قيل : نبّه بالبنان على بقية الاعضاء و أيضاً فانها أصغر العظام فخصّها بالذكر لذلك .

و فى ايثار صيغة الجمع فى « قادرين - نسوّى » دلالة على التعظيم ، وفى جانب القدرة باسم الفاعل إشارة إلى صفة الذات والثبوت ، و فى جانب التسوية

بصيغة المضارع إشارة إلى صفة الفعل والحدوث .

٥ - (بل يريد الانسان ليفجر أمامه)

عطف على «أيحسب» إما على أنه إستفهام مثله ، فاضراب عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا ، فيكون الاستفهام مقدراً ، و يكون ذكر الانسان فى هذه الاية من وضع الظاهر موضع الضمير لزيادة التوبيخ والمبالغة فى التقريع ، و يكون « ليفجر أمامه » تعليل سادّ مسد معلله وهو التكذيب بالبعث والاحياء بعد الموت، فاضراب عن هذا الخطاب الموجه الى الانسان الذى ينكر البعث .

و إما انه ايجاب إنتقل إليه عن الاستفهام أى بل يريد ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الاوقات . . . و ما يستقبله من الزمان لا يرعوى عنه ، بل انه يرغب فى الاستمرار على الفجور . . . فينكر الاخرة و لا يخشى عواقبها .

والظاهر انه ايجاب، فانتقل من إنكار الحسبان إلى الاخبار عن حال الانسان الحاسب ليكون ذلك أشد فى لومه و توبيخه كأنه قيل : دع تعنيفه على ذلك فانه قد بلغ من أمر انه يريد أن يداوم على فجوره فيما يستأنف من الزمان ولا يتخلى عنه ، و يستمر على ما كان عليه من الكفر والطغيان من ماضى الزمان .

و قال بعض أصحاب النظم و أهل البيان : ان انكار البعث يتولد تارة من الشبهة بان يستبعد إجتماع الاجزاء بعد تفرّقها ، و إنضمام العظام بعد تلاشيها و اخرى من التهور بان ينكر المعاد باسترسال الطبع ، والميل إلى الفجور ، فأشار إلى الجواب عن الشبهة بقولى تعالى : « أيحسب الانسان - إلى- بنانه » .

و أنكر الثانى بقوله تعالى: « بل يريد الانسان ليفجر أمامه » بان يكذب بما أمامه من البعث والحساب والجزاء لئلا تنتقص عنه اللذات العاجلة ، فيأبى أن يصدق بالبعث ويعترف بالحساب ويؤمن بالجزاء ، و إن نصبت له الادلة القاطعة و اقيمت الحجج الواضحة على ذلك ، فانها لا تكشف عمى بصيرته ، و لا توقع فى نفسه ايماناً بالبعث والجزاء و لا إعداداً لليوم الاخر ، فانه لا يريد أن يلتفت

إلى ما وراء هذه الحياة الدنيا و متاعها ، و لا يريد أن يقيّد نفسه بعالم آخر ، عالم غيبى ، غير هذا العالم الذى يعيش فيه مطلقا من كل قيد طليق العنان ، أو مرسلاً حبله غار به . .

وفى تعدية الارادة باللام التى تفيد التعليل ـ مع أنها تتعدى إلى مفعولها بغير حرف ـ إشارة إلى أن هذه الارادة إرادة عاملة ، و ليست مجرد امنيّة أو رغبة أو خاطرة تطرق الانسان ، ثم لاتلبث أن تذهب غير مخلفة أثراً . . فالارادة هنا إرادة مشدودة إلى عزم وتصميم على التنفيذ ، وفى طريق التنفيذ تقوم عقبات ، فيعمل صاحب هذه الارادة على تذليلها ، ويحتال لامضائها ، ولذلك ضمّن «يريد» معنى « يحتال » و هذا المعنى هو الذى قصد إليه مجنون ليلى بقوله :

اريد لانسى ذكرها فكأنما ـ تمثّل لى ليلى بكل سبيل .

٦ ـ (يسئل أيان يوم القيامة)

سؤال تعنت و إستهزاء ، و تعليل لارادته دوام الفجور كقوله تعالى : « ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين » فهذا التساؤل الجاحد أثر من آثار إرادة هذا الانسان الشارد العنيد الضال الذى يقيم العلل ، والمعاذير بينه وبين الايمان باليوم الاخر ، فيسئل سؤال المنكر الجاحد عن يوم القيامة الموعود : متى يكون يوم القيامة هذا ؟ سؤال إتهام لهذا اليوم ، وتكذيب بمن يتحدث عنه، و إنكار للحساب والجزاء .

٧ ـ (فاذا برق البصر)

جواب عن هذا السؤال الجاحد المستهزىء ، و إشارة إلى بعض آثار وقوع البعث و أشراط الساعة ، و تأكيد لقيام القيامة ، و إنذار السامعين ، و تكذيب المكذبين ، فيوم القيامة آت لا ريب فيه ، فستزوغ من هوله الابصار ، و يتحير فيه المكذب ، و يبهت فيه المستهزى ، و يفزع فيه الجاحد . . .

و قد جاء الرد على هذا المنكر المستهزىء بيوم القيامة كله ، وبمايطلع

به على الناس فى شدائد و أهوال . . . و ان الجواب لم يحدد الوقت الذى يجىء فى هذا اليوم . . إذ ليس المهم متى يجىء ؟ و لخفاء وقت وقوع القيامة لمصالح وحكم . . . وانما المهم هوماذا أعد الانسان له يوم مجيئه؟ وماذا يلقى المكذبون والمضلون فيه من هذه الاهوال التى تطلع عليهم فى هذا اليوم كما يشير إلى ذلك قوله تعالى : « فاذا برق البصر » أى شخص وجمد فلم يطرف للفزع والهول الذى يراه من أهوال هذا اليوم و أحداثه . . .

٨ - (وخسف القمر)

علامة اخرى لوقوع البعث ، وشرط آخر لقيام الساعة ، وفيها من التهويل والتفزيع للمكذب الجاحد ، والمنكر المستهزىء مالايخفى على القارىء الخبير

٩ - (و جمع الشمس والقمر)

علامة ثالثة لوقوع يوم القيامة ، و ذلك حين تصبح الشمس والقمر جرمين لا يرى الانسان لهما يومئذ ضوءاً . . حيث تكون الشمس أشبه بالقمر فى انها جسم معتم مثله ، فان ضوء الشمس ، إنما يرى فى كوكبنا الارضى ، فاذا خرج يوم القيامة من عالمه الارضى إلى عالم آخر تتبدل فيه أحواله ، و تتغير فى نظره حقائق الاشياء على هذه الارض، فيرى الشمس والقمر معلقين فى هذا الفضاء كل على هيئته ، فلا غروب للشمس و لا نقصان للقمر على ما نشاهده فى الدنيا .

١٠- (يقول الانسان يومئذ أين المفر) .

تساول الجاحد عن مجال الفرار ، يلجأ إليه الانسان فراراً عن لقاء هذا اليوم العظيم وهوله وفزعه و دهشته وحيرته وحسرته . . .

١١- (كلا لا وزر) .

إخبار من الله تعالى بعدم الحصن و الملجأ إجمالاً ، فالكلام مستأنف. وقيل: جواب عن سؤال الجاحد عن المفر، وردع عن طلبه و ردّ عليه ثم فسّر هذا الرد بقوله تعالى : «لاوزر» .

١٢- (الى ربك يومئذ المستقر) .

خطاب للنبى الكريم ﷺ، وكشف عن حقيقة الحال وبيانها ، بان الكل مسوق إلى حكم الله تعالى وحده حيث ان المستقر هناك فى المحشر فى موقف الحساب والجزاء ، فلا ملجأ من الله تعالى إلاّ إلى الله جل وعلا ، وقدّم «الى ربك» لرعاية الفواصل . وقيل : فى تقديم «إلى ربك» على متعلقه وهو «المستقر» إفادة حصر ، فالمعنى : لامستقر إلى غير الله تعالى ، فلاوزر ولا ملجأ إلاّ إليه .

١٣- (ينبوء الانسان يومئذ بماقدم و اخر) .

تقرير لمايجرى على الانسان فى موقف الحساب يوم القيامة، وفى الاية تهديد ووعيد شديد من جهة، وإرعواء عن الكفر والطغيان من جهة اخرى وحث وترغيب على الايمان وصالح الاعمال . . . من جهة ثالثة ، بان الانسان يحاسب على جميع ماينسب إليه من الاعمال . . . فعلها مباشرة أو من غير مباشرة وفى ايثار الفعل مبنى للمفعول من التخويف والتفزيع الذى لابد للسائس المحق على من يسوس مالايخفى على المتأمل الخبير فتأمل جيداً .

١٤- (بل الانسان على نفسه بصيرة) .

إضراب عما سبق ، ذكرهنا للانتقال إلى غرض آخر بان الانسان ليس فى حاجة ملزمة إلى من ينبئه بما قدم و أخّر ـ وان كان هناك من ينبئه ـ بل ان كل انسان يقوم عليه شاهد من نفسه وجوارحه فهو ـ والحال كذلك ـ إنما ينبأ بأعماله من ذات نفسه .

وفى **تلخيص البيان** للسيد الرضى رضوان الله تعالى عليه فى قوله تعالى: «بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره» قال: «وهذه إستعارة والمراد والله أعلم ان الانسان حجة على نفسه فى يوم القيامه ، و شاهد عليها بما إقترفت من ذنب ، و إحتملت من وزر ، وإن القى معاذيره أى هو وإن تعلق بالمعاذير ولفق الاقاويل شاهد على نفسه بمايوجب العقاب ويجرّ النكال .

١٥- (ولوالقى معاذيره) .

ردعلى من زعم ان الأعذار تغنيه عن العذاب في موقف الحساب يوم القيامة لان للانسان بصيرة و شاهداً من نفسه على نفسه ، و تأكيد على ذلك والمعنى : ولو جاء بكل معذرة يحاج بها عن نفسه ، فانها لاتنفعه لانه لايخفى عليه شيء من أفعال نفسه فانها و أعضاءه شاهد عليه .

١٦- (لاتحرك به لسانك لتعجل به) .

خطاب موجه إلى النبي الكريم ﷺ نهى يراد به النصح و التوجيه إلى ماينبغي أن يكون عليه النبي ﷺ مع الوحي ، نهى يراد به التعليم من الله تعالى لرسوله ﷺ في كيفية تلقي الوحي من الملك، وبيان وظيفته بعد التلقي في الاداء والبيان ، و ان لايحرك لسانه بما يوحى اليه مستعجلاً آية بعد آية متابعة سماع الآيات إلى أن ينتهي وحيها ، فالنهي نهى تنزيه لانهى تحريم .

ان هذه الاية والايات الثلاث التالية جاءت معترضة بين آيات تؤكد مجيىء يوم القيامة ووقوع البعث . و تنذر منكريه و تبين مصائر الناس فيه .

و ان الكلام في هذه الايـات يجرى مجرى قول المتكلم منا أثناء كلامه لمخاطبه إذا بادر إلى تتميم بعض كلام المتكلم باللفظة أو اللفظتين قبل أن يلفظ بها المتكلم و ذلك يشغله عن التجرد للانصات ، فيقطع المتكلم كلامه ويعترض ويقول : لاتعجل بكلامي و انصت لتفقه ماأقول لك ثم يمضي في كلامه .

و قوله تعالى : «لتعجل به» بيان لسبب الذي من أجله كان يسرع النبي ﷺ بترديد الكلمات التي يسمعها من جبرئيل . . انه لشدة شوقه إلى كلمات ربه لايكاد يسمع الكلمة تقع في قلبه من جبرئيل حتى يسرع بالنطق بها ليذوق حلاوتها على لسانه كما ذاق حلاوتها في قلبه .

١٧- (ان علينا جمعه و قرآنه) .

تطمين للنبي الكريم ﷺ بان الله جل وعلا مثبت في وعيه ﷺ مايلقى عليه وهو كفيل لحفظه : فلا يفوته شيء مما يوحى اليه من آيات ربه ، فان الله تعالى

هوالذى يتولّى على جمع مايلقى إليه من القرآن فى صدره ﷺ و على حفظه فى جميع الازمان. . وفى نون العظمة «علينا» مبالغة فى الجمع و التأليف.

١٨- (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه).

تفريع على ماسبق، و امر للنبى ﷺ بمتابعة إستماع الوحى السماوى، فيؤدى على الوجه الذى يلقى إليه، و فى نون العظمة مبالغة فى ايجاب التأنى فى القراءة.

ان تسئل: ان القارى على النبى ﷺ إنما هوجبرائيل عليه السلام فكيف يسند إلى الله تعالى؟.

نجيب: ان فى إسنادالقراءة إلى الله تعالى تشريفاً و تكريماً للنبى الكريم ﷺ الذى يسمع آيات الله جل وعلا متلوة جبرئيل عليه السلام وهوالذى ينقلها إلى النبى ﷺ فالنبى ﷺ حين يتلقى الوحى من جبرائيل عليه السلام يجد فيه نداء الحق تعالى و يسمع خطابه تعالى إليه.

وقيل: إنما اضيف القراءة إلى الله تعالى لان جبرئيل عليه السلام كان يقرؤه بأمرالله جل وعلا كما تضاف الافعال إلى الملوك بمجرد الامر مع أن المباشر لها أعوانهم أو أتباعهم.

١٩ - (ثم ان علينا بيانه)

تطمين من الله تعالى لنبيه ﷺ بانه جل و جل كفيل ببيان ما يوحى إليه ﷺ فيوضحه ولايهمله، فلا يفوته ﷺ شيء مما تجلّى عليه من الوحى و ما القى فى قلبه ﷺ من معانيها التى كان يريد أن ينطق بها النبى ﷺ و بصورتها كما وقعت له. . وفى نون العظمة مبالغة فى البيان والايضاح والالهام لما أراده الله تعالى من هذا الوحى السماوى.

و فى الايات الاربع صور رائعة من صور التنزيل القرآنى و وحيه ترد لاول مرة فى وقت مبكر نوعاً ما من العهد المكى، و هى تثير معانى خطيرة

و جليلة .

منها : انها لاتدع محلاً لشك ولامراء حتى من أشد الناس شكاً ومراء بان النبى الكريم ﷺ كان مؤمناً أقوى الايمان بان الوحى الربانى هوالذى كان يوحى إليه بالقرآن لاعلى معنى انه نابع من ذاته ، بل على معنى انه من خارج ذاته ، يشعر به فى أعماق نفسه ويستمع إليه بأذن بصيرته ويعيه بقلبه .

و منها : ان رسول الله ﷺ كان شديد الحرص على ألا يفلت منه آية أو كلمة أو حرف أو معنى مما يوحى إليه، فامر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقف عند حدود الالفاظ التى يلقيها عليه جبرئيل ، وإن كان هذه الالفاظ لاتكشف كل ما وقع فى قلبه من معنى، فانه مازال الوحى يتنزل ، ومازالت آيات الله تجيء بتفصيل ما أجمل من أحكام ، وأحداث وقصص . . . و لعل هذا هو السّر فى العطف بحرف « ثم » التى تفيد التراخى الزمنى ، حيث ان البيان انما تمّ فى زمان متباعد، ينتظم فترة الوحى كلها من مبدأ أول آية نزلت إلى أن تم نزول القرآن كله .

فمثلاً قصة موسى مع فرعون مصر . . جاءت أولاً فى كلمات معدودة و فى صورة مصغرة جداً كقوله تعالى : « وفرعون ذى الاوتاد ـ فصبّ عليهم ربك سوط عذاب » الفجر : ١٠ ـ ١٣)

وقصة نوح عليه السلام مع كفرة قومه كذلك فى قوله تعالى : « وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى » النجم : ٥٢)

ففى هذا العرض الموجز لقصة موسى و نوح عليهما السلام و غيرهما كان النبى ﷺ يرى فى كلمات الله تلك ـ بما قذف الله تعالى فى قلبه من أنوار الحق ـ كان يرى القصة كاملة تتحرك على مسرح الحياة بأحداثها وأشخاصها وامكنتها . . . ثم كان يحاول فى أول الوحى أن يمسك بالصورة كاملة كما وقعت له فجاء الامر الربانى : « لاتحرك به لسانك لتعجل به ـ ثم ان علينا بيانه »

ومنها : انه كان النبى الكريم ﷺ يأمر بتدوين ما يوحى إليه حالاً ويملى

على كاتبه حتى ماهو تعليم خاص له بكيفية تلقيه وحى الله عز وجل وقرآنه لانه وحى.

ان تسئل: أيمكن أن يقرأ القرآن قبل نزوله مقروّاً؟

تجيب: ان القرآن الكريم كان ينزل كله فى ليلة القدر دفعة واحدة لقوله تعالى: «انا انزلناه فى ليلة القدر» القدر: ١) فكان النبى صلى الله عليه وآله وسلم مطلعاً بالقرآن المحكم قبل وحيه المفصل لقوله تعالى: «كتاب احكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير» هود: ١)

فأراد الله تعالى أن يكون القرآن وحياً مزدوجاً: لفظاً إلى معنى، محكماً إلى تفصيل، ودفعة واحدة إلى نجوم، ولايكفى العلم بوحى المعنى ولا سيما المحكم منه عن الوحى المفصل الذى فيه وحى اللفظ وتفصيل المعنى.

فلم تكن العجلة بالقرآن إستعجالاً فى ترداده بعد قرائته لحفظه فقط، فكانت العجلة لشغفه البالغ فى تحلية لسانه بالقرآن المفصل بعد ما تحلّى قلبه بالقرآن المجمل، فليس على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم شىء من الامر بشأن القرآن الكريم فى نزوله عليه نجوماً حسب الحوادث والحاجات والمناسبات لمصالح و حكم إلهية، ولافى جمعه وتأليفه كما هوالآن: «ان علينا جمعه وقرآنه».

ومنها: ان الوحى القرآنى كان يقذف من الله تعالى رأساً فى روع النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ولماكان هناك آيات صريحة اخرى تفيد ان الله جل وعلا كان ينزل القرآن النبى صلى الله عليه وآله وسلم بواسطة جبرئيل الذى ذكر إسمه صراحة فى هذا الصدد فى قوله تعالى: «قل من كان عدواً لجبريل فانه نزّله على قلبك باذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين» البقرة: ٩٧)

وذكر بوصف الروح الامين فى قوله تعالى: «وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربى مبين» الشعراء: ١٩٢ - ١٩٥)

وبوصف روح القدس فى قوله سبحانه: «قل نزّله روح القدس من ربك

بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين » النحل : ١٠٢)

فوجه التوفيق : ان في الايات التي نحن بصددها صورة من صور الوحي القرآني وهي قذف هذا الوحي من الله جل و علا رأساً في روع النبي الكريم ﷺ ، وهذه الصورة إحدى الصور الثلاث لاتصال الله تعالى بمن يصطفيهم من عباده التي إنطوت في قوله تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي باذنه مايشاء انه علي حكيم » الشورى:٥١)

٢٠- (كلا بل تحبون العاجلة)

إستفتاح لتقرير أهم أسباب ما يحدو بالناس إلى تكذيب البعث والحساب وهو أمران: أحدهما - حب الدنيا والاستغراق في محبتها . ثانيهما - ترك الاخرة والغفلة منها .

وان الاضراب إضراب للانتقال من غرض آخر لاالاضراب عن حسبان عدم الاحياء بعد الموت كما توهم .

وفي الاية ترغيب لجميع الناس في الاناة - وإن كان الخطاب موجهاً إلى منكري البعث والجزاء على سبيل التنديد بهم - لتعميم الخطاب للكل أي بل أنتم يا بني آدم تعجلون فيما لاينبغي فيه العجلة ، ولاتعجلون فيما ينبغي فيه العجلة، وفي تعميم الخطاب إشعار بأن بني آدم مطبوعون على الاستعجال كما قال تعالى : « خلق الانسان عجولاً » الاسراء : ١١)

ولكن الذين يأخذون من الحياة الدنيا ما هو مشروع لاإسراف فيه ، ولا يهملون ما يجب عليهم نحو الله تعالى والناس ، ولاينسون الاخرة والعمل لها لا يدخلون في شمول التنديد ، وانما هو موجه إلى الذين يندفعون في ذلك بدون تقيد ولاتحفظ ولا تفكير بالمصير الاخروي ، وما يجب عليهم إزاءه من حسن التصرف والقصد والقيام بالواجبات نحو الله عزوجل ونحو الناس . فليس التنديد موجهاً الى محبة الناس الدنيا ورغبتهم في الاستمتاع بخيراتها وطيباتها إطلاقاً .

وقيل : « كلا» ردع عن قوله تعالى : « أيحسب الانسان . . . » وقيل: ردع عن تلك الايات الاربع : (١٦ - إلى - ١٩) أى لاتتدبرون القرآن و ما فيه من البيان بل تحبون العاجلة .

٢١- (وتذرون الاخرة)

بيان لسبب ثان على تكذيب البعث والحساب ، وهو الاهمال فى أمر الاخرة والغفلة عنها ، وفى الاية توبيخ للمكذبين على ذلك

٢٢- (وجوه يومئذ ناضرة)

تقرير لاحوال الناس يوم القيامة وهم يومئذ فريقان : فريق ناضر الوجه لما يشعر به من الرضى والطمأنينة فينظرون إلى رحمة خاصة إلهية لانهم آمنوا بالاخرة وعملوا لها، فتظهر فى وجوههم النضارة التى تحدّث عن النعمة التى يعيش فيها أصحابها وعن الخصب والخير الذى يحف بهم، حتى لقد فاضت الوجوه نضارة وبشراً ، وحتى لكأنها الزهر المتفتح على أنسام الربيع فى روض أريض .

وفى عرض أصحاب الجنة يومئذ بما يكشف عن وجوههم وحدها هو عرض لحالهم جميعها ظاهرها وباطنها ، حيث تبدو على الوجه أحوال الانسان، ومايكون عليه من عزة أو ذلة ، من نعيم أو جحيم ، ومن رضى و طمأنينة أو جزع و فزع و إضطراب . . .

٢٣- (الى ربها ناظرة)

اشارة إلى إستغراق ذوى الوجوه الناضرة فى الرحمة الخاصة الالهية حيث انهم لاينظرون يومئذ إلاّ أن تحفهم الرحمة والنعمة والعزة . . . حالكون ذوى الوجوه الباسرة مستغرقين فى العذاب والنقمة والذلة . . .

٢٤- (ووجوه يومئذ باسرة)

بيان لاحوال فريق ثان يوم القيامة على طريق عطف حال على حال يخالفه، ومقام على مقام يضادّه . إذ لهم وجوه عبوسة لما يتوقعه من الهول الذى يكسر

فقار الظهر ، حيث كان لوجوه فريق الاول وجوه ناضرة .

٢٥- (تظن أن يفعل بها فاقرة)

وصف للوجوه العابسة وذويها يحيط بهم هول يكسر فقار الظهر ، و داهية عظيمة تهلك بها النفوس التى لم يبق لها توقع النجاة كما توقعت الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير .

٢٦- (كلا اذا بلغت التراقى)

إستفتاح لبيان حال المختضر واتصافه ببعض الصفات ، و نزول الموت عليه بحيث لاينجو منه أحد، ذكراً كان أم انثى ، عالماً أم جاهلاً ، غنياً أم فقيراً ،مسلماً أم كافراً ، ومبيضاً كان أم مسوّداً .

والغرض من ذلك تذكير الانسان بشده الحال عند نزول الموت الذى يراه الناس بأعينهم فى آخر حياتهم الدنيوية . و فى التعبير عن بلوغ الروح الحلقوم ببلوغها التراقى دلالة على أن الروح تتحرك أثناء النزع والاحتضار، فتنتقل من لنحر إلى الحلقوم ، فاذا بلغت الحلقوم لفظ الانسان أنفاسه الاخيرة إذ كان ذلك آخر حدود الروح مع الجسد .

وفيه اخبار عمالم يجرله ذكر سابقاً لعلم المخاطب به كقوله تعالى :«حتى توارت بالحجاب » ص : ٣٢)

قيل : « كلا » ردع عن حبهم العاجلة و ايثارها على الاخرة . فكأنه قيل : إرتدعوا عن ذلك ، فليس يدوم عليكم ، وسينزل عليكم الموت الذى ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة ، فتساقون إلى ربكم .

٢٧- (وقيل من راق)

مرحلة ثانية من مراحل الاحتضار ، و إشارة إلى ما يقال للمحتضر من الملائكة أومن أهله وأصدقائه ، أويقول هو عندئذ على طريق الاستبعاد واليأس أى من يقدر أن يرقى هذا المحتضر من الموت أويشفيه ؟

٢٨- (وظن انه الفراق)

إشارة إلى مرحلة ثالثة من مراحل الاحتضار وتأكيد لفراق المحتضر الدنيا والاهل والمال والاصدقاء، وذلك حين عاين الملائكة فأيقن بالفراق.

وفي التعبير عن اليقين هنا بالظن تهكم بالميت، وإشارة إلى أن الانسان لتهالكه على الدنيا، وحرصه على الحياة العاجلة لايكاد يقطع بحلول الأجل، و إن لم يبق منه إلا حشاشة يسيرة غايته انه يغلب على ظنه الموت مع رجاء الحياة العاجلة لايكاد يقطع بالموت، فلايلبث إلا قليلاً حتى يلفظ أنفاسه الاخيرة، وها هي ذي الروح وقد بلغت الحلقوم.

٢٩- (والتفت الساق بالساق)

وصف رابع بحالة المحتضر الذي يعاني سكرات الموت، وتلتف ساقاه: إحداهما بالاخرى لاضطراب النزع وشدة الكرب إذ يضرب باحدى رجليه على الاخرى.

وفي تلخيص البيان للسيد الرضي رضوان الله تعالى عليه قال: و هذه إستعارة على أكثر الاقوال والمراد بها والله أعلم صفة الشدتين المجتمعتين على المرء من فراق الدنيا ولقاء أسباب الآخرة، وقد ذكرنا فيما تقدم مذهب العرب في العبارة عن الامر الشديد والخطب الفظيع بذكر الكشف عن الساق والقيام على ساق.

٣٠- (الى ربك يومئذ المساق)

تنديد في معرض الانذار لمن أنكر البعث و كذّب بالحساب والجزاء، وعاند النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهمل لواجباته نحو الله جل وعلا وانصرف عن دعوته.

والمراحل التي بدأت بها الآيات الخمس: ٢٦ـ ٣٠) قد قصد بها تذكير السامعين وبخاصة المعاندين والمكذبين بالمصير المحتوم لكل حيٍّ، وإثارة الخوف في نفوسهم، ودعوتهم إلى التفكير في العاقبة والمصير قبل أن يصلوا إلى النهاية من آجالهم و تكون الفرصة قد أفلتت منهم.

والمراد بالسوق يوم القيامة إلى الله تعالى رجوعه إليه ، وفي التعبير عن الرجوع بالمساق إشارة إلى سلب الاختيار من الانسان في هذا المسير فلا مناص له عنه ، فهو مسوق مسيّر من يوم موته شاء أم لم يشاء .

٣١- (فلاصدق ولا صلى)

تعليل لكون الوجوه يوم القيامة عبوسة تظن أن يفعل بها فاقرة .

وقيل : تفريع على إنكار البعث وتكذيب الحساب والجزاء بأن إنكار البعث والغفلة عن الاخرة وعدم خوفها يوجب الكفر والطغيان ، وترك الايمان والطاعة .

٣٢- (ولكن كذب وتولى)

بيان لتشديد الكفر والطغيان من منكر البعث ومكذب الحساب بأنه لم يكتف بترك الايمان والطاعة ، بل أخذ بتكذيب الدعوة والاعراض عن الطاعة .

٣٣- (ثم ذهب الى أهله يتمطى)

إشارة إلى دناءة شديدة لحال منكر البعث بانه لم يقتصر على التكذيب و ترك الطاعة ، بل كان يفتخر على ذلك متبختراً حين أعطى ظهره معرضاً عن آيات الله تعالى أقبل على أهله ، و مجتمع ناديه يمشي معجباً بنفسه نافخاً صدره ماداً عنقه فارداً جناحيه كأنه القائد المظفر ، وقد عاد من الميدان يسوق بديه الغنائم والاسرى

وان التمطى في الذهاب كناية عن التبختر و الافتخار على مافعله المكذب من ترك التصديق والطاعة ، ومن التكذيب والاعراض .

٣٤- (اولى لك فاولى)

مبالغة في التهديد والوعيد الشديد ، و دعاء على هذا المنكر المكذب بالهلاك والبعد عن الخير والقرب من المكاره بكلمة تسفيه وتقبيح وتوعيد بأشد و عيد تشمل الاولى و الاخرى ، توجّه إلى من في قلبه مرض مادّ أمطاه فاخراً .

فكأنه قيل : ماأنت عليه من الكفر وترك الطاعة ، ومن التكذيب والاعراض مفتخراً على ذلك أولى وأرجح لك فأولى لتذوق وبال أمرك ويأخذك ما أعد لك من النار والعذاب . فاثبات ماهو فيه من الحال له كناية عن إثبات ماهو لازمه من التبعة والعذاب .

ولم يصرح معمول « أولى » لامور : أحدها ـ لان ماكان عليه هذا المنكر الضال من ضلال وعناد كان أمراً واضحاً لا يحتاج بيان ما فيه من نكر إلى عرض الوجه المقابل له لانه مستغن بذاته عن أن يدل على شناعته . ثانيها ـ ان أى مذهب يذهبه هذا المنكر المكذب هو أهدى سبيلاً من طريقه الذى يسير فيه . والذى سيلقى به فى التهلكة إن هو تابع مسيرته عليه . .

ثالثها ـ ان فى هذا الدعاء إشارة إلى أن هناك حالاً أولى من الحال التى هذا المنكر المتبختر فيها، دون الاشارة إلى الحال التى يراد منه الاتجاه اليها فى هذا ما يوقظ مشاعر هذا الانسان الغارق فى ضلاله ، ويهز كيانه كله حين ينتبه إلى أن هناك خطراً محدقاً به ، دون أن يكشف له عن طريق النجاة من هذا الخطر . . ان عليه وحده أن يعرف مصدر هذا الخطر ، وعليه وحده أن يجد الطريق إلى الفرار منه . . و ذلك من شأنه أن يبعث فيه كل القوى الواعية المدركة ليدفع عن نفسه هذا البلاء المشتمل عليه ، وليطفىء بيديه هذه النار المشتعلة فيه.

٣٥- (ثم أولى لك فأولى)

تهديد بعد تهديد ، ووعيد بعد وعيد ، فهو وعيد أربعة لاربعة ، وعيد لترك التصديق ، وترك الطاعة ، ووعيد للتكذيب والاعراض ، فجاء الوعيد أربعة ، تجاه تلك الامور الاربعة وأما تمطيه فكان دأبه قبل ذلك .

و تحتمل الآية تأكيداً لما قبلها مبالغة فى التنبيه والتحذير ، والاغراء بالرجوع إلى الله تعالى ، وأخذ طريق غير طريق الانكار والتكذيب . .

٣٦- (أيحسب الانسان أن يترك سدى)

تقرير لدليل البعث على طريق تساؤل إستنكارى ، فى معرض التوكيد بأن الله تعالى لايمكن أن يكون خلق الناس عبثاً ، وأن يتركهم بدون حساب وجزاء كما قد يحسب الجاحدون ، وهذا الحسبان مردود بامور :

أحدها - ان العاقل لايرضى لنفسه أن ينزل إلى مرتبة الحيوان ، و أن ينظر اليه نظرة من يعفى من تبعة أعماله ، فتلك حال لايصير إليها انسان إلاّ إذا كان ناقص الأهلية أوفاقدها .

ثانيها - ان الانسان فى هذه الحياة الدنيا إذا آمن ، و عمل صالحاً إنتظر جزاء ايمانه وصالح عمله ، وتوقع الخير من ورائه ، وانه إذا لم يجد هذا الجزاء، إستشعر مرارة الغبن ، وخفت فى نفسه موازين الايمان والاعمال الصالحة، كما انه إذا أسى إليه ، توقع أن يؤخذ له بحقه ممن أساء إليه ، و إلاّ تحول إلى حيوان يستعمل مخالبه وأنيابه مهاجماً ومدافعاً فكان لابد من حساب يسوّى عليه مابين الناس من مظالم . .

ثالثها - ان هذا الاختلاف بين مذاهب الناس فى الحياة الدنيا ، من مؤمنين وكافرين ، وصالحين ومفسدين، ومحسنين ومسيئين ، ومطيعين وعاصين وعاملين ومقصرين ، وأخيار وأشرار ، ومظلومين و ظالمين - إلى غير ذلك مما يجعل كل إنسان منهم عالماً قائماً بذاته - هذا الاختلاف الحاد بينهم فى هذه الحياة لا بدله أن يسوى ، فيكون الاخيار فى جانب والاشرار فى جانب ، بعد أن كشفت تجربة إجتماعهم معاً فى الحياة الدنيا عن هذه المتناقضات . . وهذا لايكون إلاّ فى عالم غير هذا العالم ، وفى حياة غير هذه الحياة .

٣٧- (ألم يك نطفة من منى يمنى)

دليل ثان قاطع على قدرة الله تعالى على البعث والاحياء بعد الموت للحساب والجزاء بأن هذا الانسان كيف ينكر البعث ويستبعده و قد كان هو قطرة ماء دفق من صلب الرجل وترائب المرأة،

ان تسئل : ان النطفة هي المني فما فائدة ذكر « من مني » بعد ذكر « نطفة » ؟

تجيب : ان « من مني » تأكيد « نطفة » مع أن النطفة إستعملت هنا بمعنى القطرة لان النطفة تطلق على الماء القليل والكثير ، ومنه الحديث :«حتى يسير الراكب بين النطفتين لايخشى جوازاً » أراد بحر المشرق والمغرب .

وفي وصف المني بانه « يمنى » إشارة إلى أنه لايكون قابلاً للاخصاب حتى يخرج من صلب الرجل بعد أن ينضج ، ويصبح صالحاً للقذف به في رحم المرأة .

وقيل : « يمنى » تأكيد على تأكيد ، وفيه إشارة إلى حقارة الانسان في ذاته و انه لايليق به التمطي والتبختر والاستكبار عن طاعة خالقه ، فانه مخلوق من المني الذي جرى على مجرى النجاسة .

٣٨- (ثم كان علقة فخلق فسوى)

وقدجيئت كلمة « ثم » لكمال التفاوت والبينونة الكاملة بين المني والعلقة ، بخلاف العلقة والخلق والتسوية ، ولذلك عطف الخلق والتسوية بالفاء .

وجيئت « نطفةً » و « منيٍ » و « علقة » منكّرة ، إشارة إلى أن النطفة التي تصير مادة العلقة تكون نطفة مخصوصة ممتازة عن سائر النطف و كذلك « مني » و « علقة » .

ولم يذكر فاعل « خلق » و « سوّى » لانه أوضح من أن يذكر إذلا خالق ولامسو غير الله تعالى ولايشاركه أحد في هذا الفعل ، ولايدعيه أحد من المشركين لآلهتهم ، فحيث ذكر الخلق والتسوية كان فاعلهما هو الله تعالى ، و كذلك حذف المفعول ، إذلاشيء مخلوق مسوى إلا هو مخلوق ومسوىً لله تعالى .

٣٩- (فجعل منه الزوجين الذكر والانثى)

جاء العطف بالفاء لعدم البينونة والبعد بين الخلق والتسوية و كونه ذكراً أو انثى . ولايخفى ان الخلق هو إبداع وايجاد مخلوق على صورة أرادها الله تعالى ،

وان الجعل هو إعطاء المخلوق الصفة الوظيفية التي يقوم بها . وفي تقديم «الذكر» على «الانثى» مالايخفى من اللطافت على القارئ الخبير .

و في الايات الاربع تنبيه على عظيم قدرة الله تعالى بالاختراع والابداع أولاً ثم الاعدام ثم الايجاد ثالثاً ، و فيها بيان لمبدإ خلق الانسان بياناً إجمالياً لاثبات البعث والحياة في الدار الاخرة ، و فيها إخبار من الله تعالى انه لم يخلق الانسان من مني يمنى ولم ينقله من حال إلى حال ليتركه مهملاً ، فلابد لذلك من غرض آخر وهو التعريض للثواب بالتكليف إن خيراً فخيراً وان شراً فشراً .

٤٠- (أليس ذلك بقادر أن يحيى الموتى)

مستأنف سيق لبيان بطلان إنكار الانسان البعث بعد ما شاهد في نفسه أوضح دلائله ، وأعدل شواهده ، وتساؤل تعجيبي وتقريري وإحتجاج على ان من قدر على الابداع قدر على البعث والاحياء رداً على من أنكر البعث ، و قضية نصب لها الادلة القاطعة المتقدمة التي تحدث عن قدرة الله جل و علا و التي كانت السورة كلها معارض لتلك القدرة .

والجواب عنه هو بالايجاب الملزم لكل ذي لب وقلب سليم أن يجيب به إذا هو إستجاب للحق وأذعن لمنطق العقل ، ولم يغلبه الهوى أو يستبد به العناد ويركبه الحمق والغباء .

﴿الاعجاز﴾

ومن وجوه إعجاز القرآن الكريم الخالد نزوله نجوماً اشير إليه بقوله تعالى : « لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه » القيامة : ١٦ـ١٩)

نزل القرآن نحو ثلاث و عشرين سنة حسب الحاجات والحوادث الواقعة والمناسبات التى كانت سبباً لنزول آية واحدة وأكثر ليكون ذلك آنس للعرب و أدعى للقبول ، وأبلغ فى الحجة عليهم وأظهر لوجه إعجازه . . .

ولولا نزوله متفرقاً آية واحدة إلى آيات قليلة ما أفحمهم الدليل فى تحديهم بأقصر سورة لان القرآن تحداهم بأن يأتوا بسورة مثل سوره كما سيأتى ،فلو نزل القرآن جملة واحدة لكان لهم بعض العذر فى معارضته، ولكن الاية أو الايات كانت تنزل فى وقت وكان يفصل بين وقت و آخر زمن يكفى لان تتهيأ نفوس لمعارضته أو الاتيان بمثله ، ولكنهم كانوا يعجزون رغم الفرصة الكافية التى كانت تسنح لهم .

و هذا من أعظم الدلائل على وجه إعجاز القرآن الكريم ، و بخاصة إذا إعتبرت ان أكثر ما نزل فى إبتداء الوحى إلى أن هاجر رسول الله الاعظم ﷺ من مكة إنما هو من قصار السور، وذلك مما لاريب فيه تتهيأ المعارضة . . .

كما ان فى نزول القرآن منجماً حكم اخرى أوردناها فى محلها :

منها : إستدراج العرب و تعريف أنفسهم بأوامره و نواهيه ، بيشاراته و إنذاراته ، ووعده ووعيده حسب النوازل والحوادث . . .

و منها : أن يكون الدواء عند حدوث الداء ، والجواب لدى السؤال . ..
ليكون تحولهم عن أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم وآدابهم بسهولة و يسر . . . إن
كانت العرب قبل الاسلام فى إباحة مطلقة ، فلو نزل عليهم القرآن دفعة واحدة
لثقلت عليهم التكاليف ، فتنفر قلوبهم عن قبول ما فيه من الأوامر والنواهى . . .

و منها : نزل منجماً لان يحفظه النبى الكريم ﷺ ويعيه ، و أن يثبت
الله تعالى به فؤاده كلما اشتدت معارضة المعارضين . . .

قال الله تعالى : « وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة
كذلك نثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا » الفرقان : ٣٢)

وقد كان رسول الله ﷺ امياً لايقرأ ولايكتب ، وأما غيره من الرسل فقد
كانوا كاتبين قارئين يمكنهم أن يضبطوا ما ينزل عليهم من الكتب جملة .

ومن وجوه اعجاز هذه السورة : قوله تعالى : « لاتحرك به لسانك ـ ثم ان علينا
بيانه » القيامة : ١٦ـ ١٩) وذلك لان الايات الكريمة نفسها تشهد على أن هذا
القرآن الكريم نزل من عند الله تعالى وأن ليس لمحمد ﷺ إلا تلقيه من رسول
الوحى ، وحمله هو ﷺ إلى الناس . إذ لو كان هذا القرآن من كلام محمد
ﷺ لما كان له ﷺ أن يلبس تلك الشخصيات كلها ، فيكون مخاطباً وغائباً
فى حالة واحدة ، وناهياً ومنهياً فى موقف واحد .

أفيعقل فى هذا الموقف الذى يواجه فيه المشركين بتلك النذر المطلة
عليهم من يوم القيامة أن يقطع هذا العرض ، ثم يتحول إلى نفسه : ناصحاً وموجهاً
ومحاسباً ؟ وما شأن الناس بهذا لو كان محمد ﷺ هو صاحب هذا الموقف والمصور
له من تلقاء نفسه .

وإنما صاحب الموقف ، والناصح المحاسب هو الله تعالى الذى يملك أن يقطع
هذا العرض ، وأن يلقى على المتلقى عنه ما يشاء من توجيه ، ونصيحة وإرشاد حتى يجيىء

العرض واضحاً كاملاً ، فهو جل وعلا يملك الموقف كله قوة قائمة على محمد ﷺ ، وعلى من يلقاهم محمد ﷺ ما تلقاه من الوحى . . وتلك القوة هى التى تدير الخطاب وتوجهه كيف تشاء إلى أىّ من المخاطبين فرادى وجماعة أو أفراداً وجماعات . . .



﴿التكرار﴾

سورتان يشتمل كل واحدة منهما على أربعين آية :

إحداهما - سورة القيامة - والاخرى سورة النباء .

وسورتان بدئتا بالقسم المنفى ظاهراً : إحداهما - سورة القيامة .والاخرى سورة البلد .

ونشير فى المقام إلى صيغ خمس لغات - أوردنا معانيها اللغوية على طريق الاستقصاء فى بحث اللغة - الصيغ التى جاءت فى هذه السورة وفى غيرها من السور القرآنية :

١- جاءت كلمة (البنّ والبنان) فى القرآن الكريم نحو مرتين :

أحدهما - فى سورة الانفال : ١٢) ثانيهما - فى سورة القيامة :٤)

٢- « « (الخسف) « « نحو ثمان مرات :

١- النحل : ٥٤) ٢- الاسراء : ٦٨) ٣و٤- القصص : ٨١ و٨٢) ٥- العنكبوت:٤٠) ٦- سباء : ٩) ٧- الملك : ١٦) ٨- القيامة : ٨)

٣- « « (الحركة) « « مرة واحدة وهى فى سورة القيامة : ١٦)

٤- « « (المطى) « « مرة واحدة وهى فى سورة القيامة : ٣٣)

٥- « « (السدى) « « مرة واحدة وهى فى

سورة القيامة: ٣٦)

وقد تكرر « القمر » في قوله تعالى: « وخسف القمر » و « جمع الشمس والقمر» لامور: أحدها - انهما بمعنى واحد، و جاز تكراره لانه أخبر عنه بغير الخبر الاول. ثانيها - ان الثاني وقع موقع الكناية، فصرّح تعظيماً وتفخيماً و تيمناً. ثالثها - اريد بالاول الشمس قياساً على القمر، ولهذا ذكر فقال: «وجمع الشمس والقمر » أي جمع القمران فان التثنية اخت العطف وهي دقيقة.

وقد تكرر « أولى » أربع مرات: قيل: لان المعنى: أولى لك الموت، فأولى لك العذاب في القبر ثم اولى لك أهوال القيامة، وأولى لك عذاب النار.



﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها - التناسب بين هذه السورة وماقبلها نزولاً .

ثانيها - التناسب بينها وماقبلها مصحفاً .

ثالثها - التناسب بين آيات هذه السورة نفساها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة «القارعة» فالتناسب بينهما ظاهر حيث جاءت سورة «القارعة» للانذار بهول القيامة ، والتقرير لمصير المؤمنين الابرار ، والكافرين الفجار فيها على اسلوب العام من غير إشارة إلى موقف معين ، و استهدفت سورة « القيامة » توكيد البعث و مجيىء القيامة ، و إقامة البراهين القاطعة على قدرة الله تعالى على ذلك مع الاشارة إلى موقف بعض منكريها والبيان لبعض أشراطها . ومايجرى على الانسان فيها .

وأما الثانية ؛ فالتناسب بين هذه السورة وماقبلها مصحفاً فبامور :

أحدها - لما بيّن تعالى في سورة « المدثر » أحوال المجرمين في سقر وما أوجب دخولهم فيهـا من ترك الصلاة والامساك من إطعـام المسكين ، و الخوض في الاباطيل و التكذيب بيوم الجزاء معللة بعدم خوفهم عن الاخرة و أهوالها . . . ذكر في سورة «القيامة» أحوال بعض منكري القيامة يومها ، و عند موته ، و ما أوجب هذه الشدة في هاتين الحالتين من ترك التصديق بالدعوة الحقة المحمدية ﷺ وترك الصلاة و تكذيب الحق و الاعراض عنه متبختراً مفتخراً بهذا العمل

الشنيع معللة بحب الدنيا وترك الاخرة .

ثانيها - لما أشار فى السورة السابقة إلى أحوال رأس المعاندين بآيات الله تعالى والمكذب بها، أشار فى هذه السورة إلى رأس المنكرين للبعث ، والمكذب بالحساب و الجزاء .

ثالثها - لما أشار فى السورة السابقة إلى نسبة رأس المعاندين السحر إلى القرآن الكريم أشار فى هذه السورة إلى تنزيهه عن ذلك تلويحاً بقوله تعالى : «لا تحرك به لسانك - إلى - ثم ان علينا بيانه» : ١٦-١٩) وغير ذلك من المناسبات فصل القارىء الخبير التدبر جداً .

وأما الثالثة : فالبحث يدور على امور ثلاثة :

الاول : التناسب بين القسمين فى إفتتاح السورة : القسم بالقيامة وبالنفس اللوامة و هذا على وجوه : أحدها - ان كل نفس تلوم نفسها يوم القيامة إما على ترك الازدياد من الطاعة وصالح الاعمال إن كانت محسنة مؤمنة . وإما على التفريط وترك الايمان والطاعة وصالح الاعمال إن كانت كافرة فاجرة مسيئة .

ثانيها - ان النفوس المؤمنة المتقية الصالحة تلوم النفوس الكفرة الفجرة العاصية يوم القيامة بسبب ترك الايمان و التقوى ، و بالانهماك فى شهوات الدنيا و اتباعها الاهواء و الغفلة عن الاخرة . . .

ثالثها - ان النفوس الآثمة المكذبة بالبعث و الحساب و الجزاء تلوم على نفسها يوم القيامة لقوله تعالى : « قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها» الانعام : ٣١) .

والثانى : التناسب بين قوله تعالى : «لا تحرك به لسانك لتعجل به - إلى - ثم إنّ علينا بيانه » ١٦ - ١٩) وبين طرفيه من الايات الكريمة حيث ان الايات الاربع حديث خاص إلى النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم فى شأن من شؤون تلقيه صلى الله عليه وآله وسلم للوحى و ان طرفيها هو عرض لمنكر البعث و الحساب و الجزاء وموقف المكذبين يوم

القيامة وحال الاحتضار .

وقد كثرت الاقوال فى المقام و نحن نشير إلى بعض منها ، و على القارىء الخبير التدبر :

منها : ان هذا الاستعجال لعله إتفق للنبى الكريم ﷺ عند نزول هذه الايات، فلاجرم نهى عن ذلك فى الوقت ، كما ان المدرس إذا كان يلقى على تلميذه شيئاً من العلم و أخذ التلميذ يلتفت يميناً و شمالاً ، فيقول المدرس أثناء درسه : لاتلتفت يميناً و شمالاً ثم يعود إلى الدرس ، فاذا نقل ذلك الدرس مع هذا الكلام فى أثنائه إشتبه وجه المناسبة على من لم يعرف الواقعة .

ومنها : ان هذا القطع لنسق النظم فى صورة فجائية و بلامقدمات هو إلفات قاهر لاولئك المشركين الذين يكذبون بالبعث والحساب والجزاء ، و يكذبون بما كان يتلوا عليهم رسول الله ﷺ من آيات الله تعالى وما تحمل إليهم هذه الايات من أخبار هذا اليوم و أهواله . . . وفى هذه اللفتة القاهرة يرون النبى ﷺ فى مقام التلقى عن ربه ، وفى مجلس التلقين و التعليم منه جل وعلا، و ان النبى ﷺ يتعلم ما علمه الله تعالى، وان هذا العلم لايستأثر به وحده ، وإنما هو مأمور بحمله وعرضه على الناس جميعاً ليأخذوا حظهم كاملاً منه .

ولاشك ان هذا من شأنه أن يخفف كثيراً مما فى قلوب المشركين من مشاعر العناد والحسد للنبى ﷺ و الغيرة منه ، كما أن هذا الموقف يفتح عيون كثير من المكذبين و المعاندين على وجه الحق الذى غاب عنهم فى دخان الحسد المنبعث من صدورهم ، حيث يرون النبى ﷺ يتلقى هذا التحذير و التأديب فى مقام التعلم وانه ليس هناك أمام عظمة الله تعالى عظيم، ان الله جل وعلا هو رب العالمين، و كلهم مربوبون له ، منقادون لامره ، و ان ما هم به النبى ﷺ قد إحتمل فى سبيله جهداً أو مشقة وهم يتلقونه منه دون أن يسئلهم عليه أجراً .

و منها : انه علت كلمته أخبر عن الانسان انه يحب السعادة العاجلة، فيفجر

لذلك أمامه ، فبيّن بين ذلك ان التعجل مذموم مطلقا ولو فى امور الدين فقال : « لاتحرك به لسانك . . . الخ » و رتب على ذمّ الاستعجال قوله: « كلا بل تحبون العاجلة » .

وذلك ان الطبيعة البشرية يغلب عليها حب التملك ، ومن أجل هذا كان شأن الناس ايثار العاجل على الآجل . و الحاضر على الغائب ، وكان من هذا أن صرف كثير من الناس أعينهم عن الحياة الاخرة، وأقاموا بينهم وبينها سدوداً من الخداع و التضليل ، حتى لايروا لها أثراً يلفتهم إليها ، ويقطع مشاعرهم المنصرفة كلها إلى الحياة الدنيا ، وماهم فيه منها .

وفى عرض النبى ﷺ وموقفه الذى يستعجل فيه النطق بكلمات الله تعالى وحفظها قبل أن تفلت منه مايكشف للمشركين عن أن حب العاجل طبيعة مركوزة فى الناس كما قال تعالى : « خلق الانسان من عجل » الانبياء . ٣٧) وان العجلة قد تكون غير محمودة حتى فى مقام الاحسان وفى طلب الخير . . بل ان الرفق و التوسط فى الامور هو المحمود وهو الذى يتيح للانسان فرصة التروى والتعقل ، و وزن الامـور بميزان الروية و العقل . . فكيف بـالمشركين وهـم يخوضون خوضاً فى متاع الحياة الدنيا ؟ أفلا يكون منهم تمهل فى هذا الجرى اللاهث وراء هذا الحطام الزائل ؟ ثم ألا يكون منهم وقفة مع هذا الذى يدعوهم النبى ﷺ إليه ؟ .

ومنها : انه لماقال : « ولو ألقى معاذيره » وكان النبى الكريم ﷺ يظهر التعجيل فى القراءة خوف النسيان قيل له : انك وان أتيت بهذه المعذرة لكنك يجب أن تعلم ان الحفظ لا يحصل إلاّ بتوفيق الله تعالى و إعانته ، فاترك هذا التعجيل واعتمد على هدايتنا ولاتستعن فى طلب الحفظ بالتكرار ، وفيه ان الكافر كان يفرّ من الله تعالى إلى غيره حين قال : « أين المفر » فعلى المؤمن أن يضاده ويفرّ من غير الله إلى الله جل وعلا ولايستعين فى كل اموره إلاّ به تعالى .

ومنها : كأن الله تعالى قال : يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم ان غرضك من هذا هو التبليغ لكنه لاحاجة إليه فان الانسان على نفسه بصيرة يعرف قبح الكفر مهما رجع إلى نفسه.

ومنها : ان المناسبة بين قوله تعالى : « ثم ان علينا بيانه » وبين ماقبلها ان تلك تضمنت الاعراض عن آيات الله تعالى ، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها

ومنها : انه لماتقدم ذكر القيامة والوعيد خاطب تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «لاتحرك به لسانك لتعجل به » بل كرّرها عليهم ليتقرر فى قلوبهم ، فانهم غافلون عن الادلة ألهاهم حب الدنيا ، فاحتاجوا إلى زيادة تنبيه وتقرير .

ومنها : إذا كان على النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم أن يصغى إلى الوحى، ولايحرك لسانه قبل أن ينتهى رسول الوحى من إلقاء بالقاء مايوحى به إليه ، وذلك لتكتمل صورة المعانى المراد إلقاؤها على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ولتقع من نفسه موقعاً واضحاً متمكناً- إذاكان على النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يفعل هذا مع كلمات الله - أنما كان على الذين يستمعون من النبى صلى الله عليه وآله وسلم لآيات الله أن يصغوا إليها، وألا يفتحوا أفواههم بكلمة وهم بين يديها حتى ينتهى عرضها ليكون لهم سبيل إلى فهم معانيها و إدراك بعض أسرارها ؟! .

وأما الثالث : فالتناسب بين آيات هذه السورة ان الله تعالى لماأقسم بيوم القيامة والنفس اللوامة على طريق التأكيد أشار إلى إستبعاد رأس المكذبين بيوم القيامة ، ثم أقام تعالى دليلاً قاطعاً من نفس هذا المنكر الجاحد على أنه تعالى قادر على البعث للحساب و الجزاء مع الاشارة إلى ماأوجب هذا الانكار لهذا المنكر ثم أخذ بذكر بعض أشراط القيامة و أحوال المنكر فيها .

ثم جاء بينما بآيات أربع تدل على أن تلك الاخبار ليست من تلقاء نفس النبى صلى الله عليه وآله وسلم .

ثم وجّه الخطاب الى المكذب بالبعث بقوله تعالى : « كلا بل تحبون العاجلة و تذرون الاخرة » ثم أشار إلى أحوال الناس يوم القيامة مؤمنهم و كافرهم، برّهم و فاجرهم ، مطيعهم و طاغيهم ، محسنهم و مسيئهم . . .

ثم أعاد الكلام من القيامة إلى حال الاحتضار قبلها ، وما يقع على المتحضر و خاصة على منكر القيامة من الشدة ، مع الاشارة إلى ما أوجب ذلك على المتحضر المنكر من ترك التصديق بالدعوة الحقة ، و ترك الطاعة ، بل ما كان يكتفى بذلك حيث كان يكذب بها و يعرض عنها متبختراً ، و مفتخراً بذلك .

ثم دعا على هذا المنكر العنيد ومن سلك مسلكه دعاء سوء فى الدنيا و الاخرة ، ثم أخذ بذكر أدلة لزوم البعث وقدرة الله تعالى على ذلك .

و ختمت السورة بما هو عنوانها «القيامة» فانه لا قيامة إذا لم يتقرر إمكان بعث الموتى من القبور ، فاذا تقرّر ذلك لم يكن الاخبار عن أن هناك بعثاً و قيامة و حساباً و جزاءاً لم يكن هذا الاخبار بالامر الذى يمارى فيه أو يقع موقع الشك أو الانكار .



﴿الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه﴾

قيل : ان قوله تعالى : «لاتحرك به لسانك لتعجل به» القيامة : ١٦)منسوخ بقوله تعالى : «سنقرئك فلاتنسى» الاعلى : ٦)

اقول : وقد اتفق المفسرون على سورة الاعلى من اوليات مانزل بمكة،و ما حققناه انها السورة الثامنة نزولاً ، و ان سورة القيامة هى الواحدة والثلاثون نزولاً ، فكيف تكون المتقدمة ناسخة للمتأخرة ؟ !

مع أن الآيتين متوافقتان ، إذ تعنيان شيئاً واحداً ، و كل واحدة منهما تؤكد الاخرى ، مؤمنة على النبى صلى الله عليه وآله وسلم ما كان يخشاه الامر الذى يشئ بمبلغ إهتمامه صلى الله عليه وآله وسلم بما يتلقاه من الوحى ، وشدة شوقه على حفظه .

وذهب بعض المتفسرين إلى أن قوله تعالى : «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» القيامة : ٢٢ - ٢٣) من المتشابهات . . .

اقول : سيأتيك فى التفسير والتأويل ، وفى بحث روائى ومذهبى ما يرفع الابهام إن شاءالله تعالى فانتظر .

﴿تحقيق فى الاقوال﴾

١ - (لا اقسم بيوم القيامة)

فى « لا اقسم » أقوال : ١ - عن الفراء و أكثر النحويين : هذا كقولك : لاوالله فلا لتوكيد القسم رداً على المشركين الذين كانوا ينكرون البعث والحساب والجزاء من الجنة و نعيمها والنار وعذابها . فقيل : «لا» ثم ابتدأ بالقسم فقيل : « اقسم » فلا مفصولة عن الفعل . و ذلك لان كل يمين قبلها ردّ لكلام لابد من تقديم «لا» قبل القسم ليفرق بذلك بين اليمين التى تكون جحداً ، واليمين التى تستأنف . و « لا » جواب و ردّ على منكرى البعث تقدم ذكره و فائدتها توكيد القسم فى الرد . فالمعنى : ليس الامر كما زعمه منكر والبعث والحساب لاوالله ان القيامة والبعث والحساب والجزاء لحق لا ريب فيه آمنوا به أو لم يؤمنوا .

٢ - عن إبن عباس و سعيد بن جبير و أبى عبيدة : أى اقسم بيوم القيامة . هذا على سبيل الوصل و « لا » صلة ، و جاز وقوعها فى أول السورة لان القرآن متصل بعضه ببعض ، فهو فى حكم كلام واحد . و نفى القسم لاثبات المدعى كقولك لزيد : لا اقسم بعمرك ان هذا الخبر واقع و ثابت و ليس بكذب .

٣ - قيل : أى اقسم بيوم القيامة . على زيادة « لا » فى الكلام للزينة ، و تجرى فى كلام العرب زيادة «لا» كما قال تعالى : « قال ما منعك أن لاتسجد » يعنى أن تسجد .

٤ - قيل : أى لاقسم بيوم القيامة . على بعض قراءة . فاللام للتاكيد من

غير نفي في الكلام . ٥ ـ قيل : أي لا اقسم بيوم القيامة الذى هو أمر غير محسوس بل اقسم بأمر محسوس لاثبات . وقيل: أي لا اقسم بيوم القيامة فانكم لا تقرّون بها و لا تؤمنون .

٦ ـ قيل : أي لا اقسم بهذه الاشياء على إثبات هذا المطلوب فان إثباته أظهر من أن يقسم عليه لظهوره بالادلة العقلية ، والنقلية . ٧ ـ قيل : ان « لا » للنفي من غير كونها زائدة والمعنى : كأنه قال : لا اقسم بذلك اليوم ولا بتلك النفس إلاّ إعظاماً لهما فالغرض تعظيم المقسم به و تفخيم شأنه .

و لا ريب في ان القسم بشيء يتضمن تعظيمه . و ان الله تعالى نفى القسم ههنا عنهما بمعنى ان يوم القيامة والنفس اللوامة لا يعظمان بالقسم لانهما في أنفسهما عظيمان سواء اقسم بهما أم لا ، و هذا اسلوب يفيد بلا شك تعظيمهما جداً . والمعنى : لا اقسم بيوم القيامة ، و لا بالنفس اللوامة على أن الناس لايتركون مهملين بدون حساب و لا جزاء بل يبعثون يوم القيامة ، فيجازون على أعمالهم إن خيراً فخيراً ، و إن شراً فشراً .

أقول : وعلى الثاني أكثر المفسرين و هو الانسب ، و قريب منه السادس.

٢ ـ (و لا اقسم بالنفس اللوامة)

في الآية أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و مجاهد والحسن : ان المراد بالنفس اللوامة : هي نفس المؤمن فان المؤمن ما تراه إلاّ يلوم نفسه و يقول : ما أردت بكلامي و ما أردت بأكلي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ . . . فتكون نفس المؤمن مفكرة في العواقب دائماً . و أما الكافر يمضي و لا يحاسب نفسه و لا يعاتبها . حيث ان الكافر والفاجر لا يفكر في أمر الآخرة و لا في عواقب أمره من الكفر والعصيان هذا في الحياة الدنيا إذ نفس المؤمن الذى يظل يلوم نفسه مهما إجتهد في العمل الصالح خشية التقصير .

٢ ـ عن سعيد بن جبير و عكرمة : أي لا اقسم بالنفس التي تلوم صاحبها

على الخير والشر ، و لا تصبر على السرّاء والضرّاء . و فيه إشارة إلى ما طبع عليه بعض النفوس المتوسطة من التلوم على كل شيء . و انها تلوم على ترك الطاعة تارة و على فوت ما تشتهيه اخرى ، و إذا اطمأنت خلصت وصفت .

٣ ـ قيل : أى نفس آدم عليه السلام و هى التى لم تزل تلوم على ما أكله من شجر الجنة . ٤ ـ عن إبن عباس ومجاهد أيضاً : أى لا اقسم بالنفس التى تلوم على ما فات و تندم ، فتقول : لو فعلت و لو لم تفعل . . . و هى تلوم نفسها إن كانت عملت خيراً تقول : هلا ازددت ، و إن عملت شراً تقول: ياليتنى لم افعل، وتندم على الشر لم فعلته ، و على الخير لم لم تستكثر منه . و ذلك لان ما من نفس برّة و لا فاجرة إلاّ و هى نفسها . فالنفس اللوامة هى الشاملة للمومنة والكافرة ، المصلحة والمفسدة ، المطيعة والعاصية . . .

٥ ـ عن إبن عباس و مجاهد أيضاً و قتادة و مقاتل : أى و لا اقسم بالنفس الكفرة والفجرة و هى النفس الشقية العاصية الذميمة التى تلوم صاحبها على ما فاتها من متاع الدنيا و لذائذها . . . و من هنا نفى القسم بها .

٦ ـ قيل : أى و لا اقسم بالنفس الكافرة التى تلوم نفسها يوم القيامة حين تعاين أهوالها ، فتقول : يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله . و ذلك لان يوم القيامة تظهر أحوال النفوس اللوامة من الشقاء والكفر والفساد . . .

وفيه إشارة إلى ما يستشعر بهالكافر والخاسر يوم القيامة من الندم والتلوم على مافاته من الايمان والطاعة . و معناه ذات اللوم الكثير لما سلف منها . قال الله تعالى : « و أسروا الندامة لما رأوا العذاب » يونس : ٥٤) .

٧ ـ عن إبن عباس أيضاً والفراء : أى كل نفس محسنة كانت أم مسيئة تلوم نفسها يوم القيامة، فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان إزداد إحساناً وطاعة ، والمسيىء يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته وتفريطه . وفيه إشارة إلى ما طبع عليه الانسان من التلوم والندم على ما يفوته .

و ضعف بعضهم هذا النقل بناء على أن أهل الجنة لا يكون لهم مثل هذه الخواطر . . . إلاّ لديهم حزنهم .

٨- قيل: النفس اللوامة هي النفس الشريفة المتقية المؤمنة التى تلوم النفوس الكفرة الفجرة العاصية يوم القيامة بسبب ترك الايمان والطاعة والتقوى ... وهى لاتزال تلوم نفسها وإن اجتهدت فى الطاعة . ولذلك اقسم الله تعالى بها .

أقول : وعلى الرابع أكثر المحققين .

٣- (أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه)

فى « الانسان » أقوال : ١ - قيل : هو جنس الكافر المكذب للبعث والحساب والجزاء .

٢- قيل : هو إبن آدم . ٣- قيل : هو عدى بن ربيعة .

٤- قيل: هو عدو الله أبو جهل، وذلك لان الاية نزلت فى عدى أو فى أبى جهل

أقول : والاول هو الانسب بسياق التوبيخ . وأما المورد فليس بمخصص .

٤- (بلى قادرين على أن نسوى بنانه)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وعكرمة والضحاك أى أن نسوّى أصابع يديه و رجليه شيئاً واحداً كخف البعير أو حافر الحمار أو ظلف الخنزير ، فكان لايأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم ولكنه تعالى فرّق أصابع يديه يأخذ بها ويتناول ويقبض إذا شاء و يبسط فحسن خلقه .

٢- قيل : أى نجعل كل إصبع مساوياً بلافرق أومع فرق بين الاصابع ...

٣- عن الجبائى وأبى مسلم والزجاج: أى بلى نجمع العظام حال كونى قادرين على أن نسوّى أصابعه على ما كانت عليه ، وان قلّت عظامها وصغرت ،فتردّها كما كانت ، ونؤلّف بينها حتى يستوى البنان ، ومن قدر على جمع كبارها أقدر، فليس جمع هذه العظام التى أكلها التراب وأبلاها البلى هو الذى تقف عنده قدرتنا.

٤- قيل: أى لقدرنا أن نعيد الانسان فى هيئة البهائم فكيف فى صورته التى

كان عليها وهو كقوله تعالى : «وما نحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون »

اقول : وعلى الثالث جمهور المحققين .

٥- (بل يريد الانسان ليفجر أمامه)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس و مجاهد والحسن و السدى وسعيد بن جبير والزجاج وعطية : أى يمضى قدماً فى معاصى الله تعالى راكباً رأسه لاينزع عنها ، ولايتوب منها ، و يسوّف التوبة فيقول : أعمل ثم أتوب فيقدّم الاعمال السيئة على الاعمال الصالحة حتى يأتيه الموت على شرّ أحواله . . . . فيريد ليداوم على فجوره فيما بقى أمامه من الزمان. لان الفجر: الانبعاث فى المعاصى . . ومنه الفجور وهو التهتك والتبذل وخلع قناع الحياء وطلاقة العنان .

٢- عن إبن عباس أيضاً وإبن زيد : ليكذب بيوم القيامة وحسابه وجزائه .

٣- قيل : أى ليكفر بالحق بين يدى القيامة . ٤- قيل : أى ليفجر أمامه من التفجير أى ليبحث وينقب فيما أمامه من المغيبات التى لم يعلمها من وقوع الساعة ، ولاضرورة تلجئه إلى بحثها وعلمها لقوله تعالى بعد ذلك : « يسئل أيان يوم القيامة» وهذا هو الذى يحمله على الاعراض عن مقدورات ربه فلذلك لايقرّ بالبعث والحساب وينكر الجزاء .

٥- عن الضحاك : هو الامل يقول : سوف أعيش واصيب من الدنيا ولايذكر الموت . ٦- قيل : أى يعزم على المعصية أبداً و إن كان لايعيش إلاّ مدة قليلة .

قال إبن الانبارى : أى يريد أن يفجر ما امتدّ عمره وليس فى نيته أن يرجع عن ذنب يرتكبه .

اقول : والرابع هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين الاقوال الاخر .

٧- (فاذا برق البصر)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وقتادة وأبى عبيدة : أى فبرق

البصر عندالموت بمعنى فشق وفتح من هول الموت وفزعه . على أن برق البصر: هوالموت . وبروق البصر : هي الساعة . ٢- عن الحسن : أي زاغ البصر من الفزع يوم القيامة . ٣- قيل : أي اتسعت حدقتا البصر من الفزع يوم القيامة .

٤- عن قتادة ايضاً وأبي مسلم وأبي عمرو والزجاج والفراء والخليل : أي تحيّر و إضطرب و دهش فلم يطرف و فزع و بهت لمايرى من أهوال القيامة و أحوالها لماكان يكذب به في الحياة الدنيا ، وهذا كقوله تعالى : «لايرتد إليهم طرفهم» .

٥- قيل: أي شخص البصر عندمعاينة ملك الموت فلايطرف من شدة الفزع.

اقول : والرابع هو الانسب بظاهر السياق وعليه أكثر المفسرين .

٨- (وخسف القمر)

في خسف القمر قولان : أحدهما - عن قتادة و الحسن : أي ذهب ضوءه وزال نوره كمايشاهد في الحياة الدنيا . ثانيهما - قيل : أي ذهب نفسه و غاب جرمه ومنه قوله تعالى : «فخسفنا به وبداره الارض» .

قيل: الثاني مردود لان الجمع بين القمر والشمس بعد إنعدامه غير معقول.

اقول : ولا منافاة بين القولين والردّ غير وجيه فتأمل جيداً .

٩- (وجمع الشمس والقمر)

في الاية أقوال : ١- عن إبن عباس وعن إبن مسعود : أي طلعامن المغرب في مكان واحد قبل الساعة أسودين مكوّرين مظلمين مقرنين كأنهما ثوران عقيران وبجملان في نور الحجب . ٢- عن مجاهد والفراء والزجاج : أي جمع بينهما في الخسف و ذهاب الضوء ، فلا ضوء لواحد منها ، فيتكامل ظلام الارض على أهلها حتى يراها كل أحد من غير ضوء ولانور. ٣- قيل: أي جمعا بالاندكاك

٤- عن مجاهد أيضاً : أي انهما يجمعان ثم يكوّران فيصيران اسودين يوم القيامة . ٥ - عن إبن زيد : أي جمع بينهما لخروجهما من مدارهما فرمى بهما

في الارض . ٦- قيل : أي جمع . بين ضيائهما . ٧- عن عطاء بن يسار : أي يجمع بينهما يوم القيامة ، ثم يقذفان في البحر فيكون نارالله الكبرى .

٨- قيل : أي جمع حرّهما على الكافرين يوم القيامة . ٩- قيل: أي يجمع الشمس والقمر فلايكون ثمّ تعاقب ليل ولانهار .

اقول : والاول هو المستفاد من الرواية الآتية ولكن أكثر المفسرين على الرابع من غير تناف بينهما وبين بعض الاقوال الاخر .

١٠- (يقول الانسان يومئذ اين المفر)

في الاية أقوال : ١- قيل: يقول إبن آدم حين شاهد يوم القيامه وأهوالها: أين موضع الفرار من الله تعالى إستحياء أمنه ، مع ظهور السلطنة الالهية له و علمه بان لافرار له ولا مفرّ يومئذ ، وهذا من باب ظهور ملكاته يومئذ حيث كان في الحياة الدنيا يسئل عن المفر إذا وقع في شدة أو هدّدته مهلكة . و ذلك كانكارهم الشرك يومئذ وحلفهم كذباً قال الله تعالى : «ثم لم تكن فتنتهم إلاّ أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين» الانعام : ٢٣)

وقال: «يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم» المجادلة : ١٨)

٢- قيل : يقول أبوجهل حين عاين أهوال القيامة لدهشته و حيرته : أين المهرب من جهنم حذراً منها فانه يعلم حينئذ أن يدخل فيها لكفره وطغيانه في الحياة الدنيا .

٣- قيل : أي يقول المؤمن ساخراً ومستهزئاً لاصحاب جهنم : أين الانسان الجيد الفرار ولن ينجو مع ذلك . ٤- قيل : أي يقول المؤمن و الكافر عند قيام الساعة لهول ماشاهدوا منها أين المفر . ٥- قيل : أي يقول الكافر خاصة في عرصة القيامة متساء لاً نفسه و أهل الحشر : أين المفر الذى كنا نحسبه دون المؤمن لثقته ببشرى ربه وهو من أهوال يومئذ آمن .

اقول : والاخير هو الانسب بظاهر السياق .

١١- (كلا لاوزر)

فى « لاوزر » أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و قتادة : أى لا ملجأ و لا حرز ولامنجى لهؤلاء المكذبين بالبعث، والمنكرين للحساب من نارجهنم يلتجئون إليه . ٢ ـ عن إبن مسعود و سعيدبن جبير والضحاك : أى لاحصن لهم يتحصّنون به من أهوال القيامة و شدة أحوالها . . .

٣ ـ عن قتادة والضحاك أيضاً ومجاهد : أى لاجبل يومئذ يهربون إليه من فزع يوم القيامة . قال السدى: كانوا فى الحياة الدنيا إذا فزعوا هربوا إلى الجبال فقال الله تعالى لهم : لاوزر يعصمكم يومئذ منى .

٤ ـ قيل : أى لا مهرب لهم يهربون إليه على أن الوزر ما يتحصّن به من جبل أو غيره ، و منه الوزير الذى يلتجأ إليه فى الامور . . . ٥ ـ عن إبن زيد : أى لا متغيب يتغيب فيه من ذلك الامر المخوف المفزع . ٦ ـ عن سعيدبن جبير أيضاً : أى لا محيص ولا منيعة لهم ، و منه الازار الذى يأتزر به الانسان ويستر به جسده .

اقول : والمعانى متقارب و ذلك ان الوزر فى الاصل هو المحل المنيع ثم استعمل لكل ما التجأت إليه و تحصّنت به .

١٢ - (الى ربك يومئذ المستقر)

فى الاية أقوال : عن إبن زيد : أى يستقر أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار . على أن المستقر هو موضع القرار الذى عيّنه الله تعالى لعباده بحسب مراتب أعمالهم فى الاخرة من جنة أو نار . و قيل : أى إلى ربك وحده يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ إستقرار العباد .

٢ ـ عن قتادة : أى ينتهى الخلق يومئذ إلى حكم ربك وحده و أمره فلا حكم ولا أمر لاحد غيره تعالى . فالمعنى: إلى ربك المنتهى فهم لايقدرون على أن يستقروا إلى غير الله تعالى و ينصبوا إلى ما سواه كما قال جل وعلا : « إلى

ربك الرجعى ».

و قال : « ألا إلى الله تصير الامور » فالانسان سائر إلى الله تعالى كما قال : « يا أيها الانسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه » فهو راجع و منته إليه لا يحجبه حاجب عنه ولا يمنعه مانع منه ، و أما الحجاب الذى يشير إليه قوله تعالى: « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون » فالمراد به حجاب الحرمان من الكرامة لاحجاب الجهل أو الغيبة . قال إبن مسعود : المستقر: المصير والمرجع فيحاسبون و يجازون .

٣ ـ قيل: أى ان أمرهم مفوّض إلى مشيئة الله تعالى من شاء أدخله فى النار و من شاء أدخله فى الجنة . فيرجع إلى الله تعالى أمر ما يستقر فيه من سعادة أو شقاوة ، و من جنة أو نار ، و نجاة أو عذاب . . . فالمتقون هم الذين شاء الله أن يدخلهم الجنة والمجرمون هم الذين إستحقوا النار « يعذّب من يشاء ويغفر لمن يشاء » . فموضع قرارهم مفوّض إلى مشيته تعالى .

٤ ـ قيل : أى إلى قضاء ربك أيها الانسان و حكمه إستقرار أمر العباد ، فلا حكم يومئذ إلاّ حكمه « و له الحكم و إليه ترجعون » . ٥ ـ قيل : إلى جزاء ربك ينتهى أمرهم .

٥ ـ قيل : أى مستقر رحمة ربك لك يامحمد صلى الله عليه وآله وسلم ولمن تبعك، ومستقر عذاب ونقمة ربك لك أيها المنكر المكذب بالبعث والحساب . فالمستقر: المكان الذى يستقر فيه المؤمن والكافر كل حسب عمله إن خيراً فخيراً و إن شراً فشراً و ذلك إلى الله تعالى لا إلى العباد . و مستقر إلى أمد و مستقر إلى الابد . فالكل مسوق إلى الله تعالى حيث ان المستقر هناك فى المحشر فى موقف الحساب والجزاء .

اقول : و لكل وجه من غير تناف بينها

١٣ ـ (ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم و أخر)

فى الاية أقوال : ١ ـ عن إبن عباس و إبن مسعود : أى بما قدم من عمل

مباشرة ، خيراً كان أم شراً مما كان يعمله في الحياة الدنيا قبل موته ، وما أخّر من حسنة أو سيئة مما سنّ سنة ، فيعمل بها الناس بعد موته فيخبره الله تعالى بذلك يوم يجمع الشمس والقمر . و قيل : يوم القيامة عندالعرض والحساب و القضاء و الجزاء .

٢ ـ عن إبن عباس أيضاً . أي بما قدم من المعصية و أخّر من الطاعة وقال قتادة : أي بماقدّم من طاعةالله تعالى و أخّر من حق الله فضيّعه، فيثاب بالطاعة ويعاقب على المعصية . ٣ ـ عن مجاهد : أي يخبر بنو آدم يوم القيامة حين العرض والحساب وعند وزن الاعمال بأول عمله و آخره فيجازى بها .

٤ ـ قيل : أي يخبر الانسان بماقدّم وماأخر من خير أوشر ، من ايمان أو كفر ، ومن طاعة أو معصية في الاخرة بعد وزن الاعمال .

٥ ـ قيل : أي يخبر كل امرىء عند الموت بما قدّم من الاعمال وماأخّر منها حين راى مستقره من الجنة والنار . ٦ ـ عن زيدبن أسلم وإبن زيد : أي بما قدّم من ماله لنفسه ، وماخلفه لورثته بعده .

اقول : والاول هو المروى .

١٢ـ (بل الانسان على نفسه بصيرة) .

في الاية أقوال : ١ ـ عن إبن عباس : أي ان الانسان على نفسه بصيرة بسمعه و بصره و يداه و رجلاه و أعضاءه بما صدر عنه من الاعمال في الحياة الدنيا . وقال القتيبي : أقام جوارحه مقام نفسه ، ولذلك انّث لان المراد بالانسان ههنا الجوارح و الاعضاء . . . ٢ ـ قيل : أي بل الانسان بصيرة بنفسه على عمله . ٣ ـ عن إبن عباس أيضاً و سعيدبن جبير و مقاتل و قتادة و إبن زيد و عكرمة : أي بل الانسان وحده شاهد على نفسه شاهد عليها بعملها .

٤ ـ عن الاخفش : أي بل الانسان حجة بينة قاطعة على نفسه ، فلايحتاج إلى أن ينبئه غيره لان نفسه شاهدة على مافعله . وذلك لان سمعه وبصره ويداه ورجلاه

وجوارحه شاهدة عليه ، فيحاسب عليه مهما أتى بالمعاذير ، ومهما أنكر وحاجّ وجادل عنها . قال الله تعالى : «إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً» فاريد بالبصيرة الحجة القاطعة قال الله تعالى : «قد جاءكم بصائر من ربكم » الانعام : ١٠٤) فنفس الانسان حجة عليه إذ يسئل عن سمعه وبصره وقلبه قال الله تعالى : «ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولاً » الاسراء ٣٦) .

٥ ـ عن الفراء : أى بل الانسان على نفسه عن بصيرة . وأنشد فى ذلك :

كأن على ذى العقل عينا بصيرة	بمجلسه أو منظر هو ناظرة
يحاذر حتى يحسب الناس كلهم	من الخوف لايخفى عليهم سرائرة

وذلك على أن البصيرة هى الادراك الباطنى من رؤية القلب تطلق على الانسان مبالغة من باب زيد عدل . وقيل : على تقدير : بل الانسان على نفسه ذو بصيرة .

٦ ـ عن الضحاك والسدى والكسائى : أى بل على نفس الانسان بصيرة . فجاء على التقديم والتأخير أى على الانسان من الملائكة رقيب يرقبه ، وحافظ يحفظه . فالتاء للمبالغة فى صفة الملك المحصى لاعمال الانسان بانه بصيرة، فان علم الملائكة يتجاوز الظواهر إلى السرائر ... بما جعل الله تعالى له على ذلك من الادلة ، و أعطاه من أسباب المعرفة ، فهو للعلة التى ذكرناها يوفى على كل رقيب حافظ و مراع ملاحظ .

٧ ـ قيل : أى بل الانسان رقيب على نفسه ، وعالم بمستتر غيبه فيما يقارنه من المعصية أو يقاربه من ريبة . ٨ ـ عن الحسن : بل الانسان على نفسه بصيرة أى بصير بعيوب غيره، جاهل بعيوب نفسه . ٩ ـ قيل : بل الانسان يعلم فى نفسه ماهية أفعاله مهما أنكر وحاج . ١٠ ـ قيل : أى بل الانسان أدرى بنفسه وذلك يكون مايلقاه على عمله جزاء حقاً لانه عمله باختياره .

اقول : والخامس هو المؤيد بالروايات الآتية فانتظر .

١٥- (ولو القى معاذيره) .

وفى الاية أقوال : ١ ـ قيل : أى ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن نفسه ، و يذكر موانع تقطع عن الفعل المطلوب يوم القيامة ، ولكنه لاينتفع بها . ٢ـ عن إبن عباس : أى ولو تجرّد من ثيابه . ٣ ـ عن السدى و الضحاك و الزجاج : أى ولو أرخى الستور و أغلق الابواب ، يريد أن يخفى عمله ، ونفسه شاهدة عليه .

٤ ـ عن مجاهد و قتادة و الحسن و سعيد بن جبير و عبدالرحمن بن زيد و أبى العالية وعطاء و الفراء و السدى ومقاتل : أى ولو إعتذر فقال : لم أفعل شيئاً لكان عليه من نفسه من يشهد عليه من جوارحه . . . فهو و إن إعتذر و جادل عن نفسه فعليه شاهد من نفسه يكذّب عذره فلا تقبل معاذيره .

٥ ـ عن مقاتل أيضاً : أى ولو أدلى بعذر أوحجة لم ينفعه . ٦ ـ عن إبن عباس: أى ولو القى الاعتذار .

اقول : والاول هو الانسب بظاهر السياق من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

١٧- (ان علينا جمعه و قرآنه) .

فى الاية أقوال : ١ ـ عن إبن عباس والضحاك : أى نجمع القرآن فى صدرك فلاتنسى ، بحيث لايذهب عليك شىء من معانيه ، ونثبت قرائته على لسانك بحيث تقرأه متى شئت . ٢ـ قيل: اريد بالجمع ترتيب القرآن على ماهو عليه فى المصاحف، و اريد بالقرآن جمعه فى صدر النبى صلى الله عليه وآله وسلم . ٣ ـ قيل : أى نجمع فى صدرك، و نجمعه بعد كونه نجوماً متفرقاً. ٤ ـ قيل : أى سيعيد جبرئيل عليه السلام عليك القرآن. فالقارىء هو جبرئيل عليه السلام .

٥ ـ عن قتادة : أى ان علينا حفظ القرآن فى صدرك ، و تأليفه بعد وصيك على عليه السلام . ٦ ـ قيل : أى نجمع القرآن بعد كونه نجوماً ، فنضمّ بعض أجزائه إلى بعض و نرتبه لك سوره وآياته فلايفوتك شىء منه . ٧ ـ قيل : أى ان علينا توفيقك لدراسة القرآن وحفظه لقوله تعالى : « سنقرئك فلاتنسى » فالقارىء هو

محمد ﷺ .

اقول : والخامس هوالمروى من غير تناف بينه وبين بعض الاقوال الاخر .

١٨- (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه) .

فى الاية أقوال : ١ ـ عن إبن عباس وقتادة والضحاك : أى إذا تلا رسول الوحى جبرئيل عليك القرآن فاتبع مافيه من الشرائع والاحكام والحدود ، ومن الأوامر و النواهى والحلال والحرام ، فاتبعها واعمل بها .

قيل : هذا ضعيف لان المقام ليس بصدد الامر باتباع الحلال و الحرام و النواهى و الاوامر ، بل المراد انه لاينبغى أن تكون قرائتك مقارنة لقراءة رسول الوحى جبرئيل عليه السلام فيجب أن تسكت حتى يتم جبريل القراءة ثم تأخذ أنت بالقراءة .

٢ ـ عن إبن عباس أيضاً : أى فاذا أنزلناه إليك و بيّناه لك فاستمع قرآنه و اعمل به .

٣ ـ قيل : أى فاذا أتممنا عليك قرائته بالوحى فاتبع قرائتنا له فاقرأه بعد تمامها .

٤ ـ قيل : أى إذا قرأت القرآن عليك بمعناه وقرأه عليك جبرئيل عليه السلام بألفاظه ، فاتبع كلتا القرائتين بترجمة هذه المعانى إلى هذه الالفاظ . . . و ذلك ان النبى الكريم ﷺ حين كان يوحيه إليه القرآن يسمع ما يوحى اليه لفظاً من جبريل ، ومعنى من الله تعالى . فعلى هذا المعنى يكون ضمير «نا» عائداً إلى الله تعالى وإلى جبريل عليه السلام .

٥ ـ قيل : اريد باتباع قرآنه ، إتباعه ذهناً بالانصات و التوجه التام إليه . والمعنى : إذاتلاه عليك رسول الوحى بأمرنا فاستمع له و انصت حتى يفرغ عن قرائته ثم اقرأه كما قرأ . ٦ ـ قيل : اريد باتباع قرائته تكرارها حتى يرسخ فى ذهنك فلاتنساه .

٧- عن البلخى : اريد بالاتباع قراءة العباد لصحائف أعمالهم يوم القيامة ، ويدل على ذلك ماقبله وما بعده وليس فيه شيء يدل على أنه القرآن ، ولاشيء من أحكام الدنيا ، وفى ذلك تقريع للعبد و توبيخ له حين لاتنفعه العجلة يقول : لاتحرك لسانك بما تقرأه من صحيفتك التى فيها أعمالك .

و المعنى : اقرأ كتاب أعمالك ، ولا تعجل ، فان هذا الذى هو على نفسه بصيرة إذارأى سيئاته ضجر و استعجل ، فيقال له توبيخاً : لاتعجل و تثبت لتعلم الحجة عليك فانا نجمعها لك ، فاذا جمعناه فاتبع ماجمع عليك بالانقياد لحكمه والاستسلام للتبعة فيه فانه لا يمكنك إنكاره .

اقول : وعلى الثالث أكثر المحققين .

١٩- (ثم ان علينا بيانه)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس : أى ثم إن علينا تبيانه بلسانك لو أنكرت.

٢- عن إبن عباس أيضاً و قتادة : أى ثم ان علينا بيان مافيه من الحلال و الحرام والاحكام والحدود والاوامر والنواهى . . . لك بالتفهيم مفصّلة . ٣- قيل : أى ثم ان علينا بيانه للناس تدريجاً إلى يوم القيامة . ٤- عن الزجاج : أى ثم ان علينا أن ننزله قرآناً عربياً فيه بيان للناس .

٥- قيل : أى ثم ان علينا ايضاحه عليك بعد ما كان علينا جمعه وقرآنه . فـ «ثم» للتأخير الرتبى حيث ان البيان مترتب على الجمع والقراءة رتبة . ٦- عن قتادة ايضاً : أى ثم انا نبين لك إذا حفظته . ٧- قيل : أى ثم ان علينا بيانه للناس بلسانك تحفظه فى ذهنك عن التغير والزوال حتى تقرأه على الناس . ٨- عن الحسن : أى ثم ان علينا بيان ما أنبأناك انا فاعلون فى الاخرة وتحقيقه من الوعد والوعيد، من الثواب والعقاب ، ومن الجنة والنار .

٩- قيل : أى ثم ان علينا بيان ما أشكل عليك فهمه بعد حفظه و تلاوته ، فنبيّنه لك ونلهمك معناه على ما أردناه وشرحناه .

اقول: والسابع هو الانسب وقريب منه الخامس .

٢٢ (وجوه يومئذ ناضرة)

فى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد والحسن وإبن زيد : أى حسنة ناعمة بهجة للسرور والتنعم بالنعم الابدية . ٢- عن مجاهد أيضاً: أى وجوه مسرورة بهية متهللة ، ظاهرة المسرّة والبشاشة يشاهد عليها نضرة النعيم . ٣- قيل : أى مشرقة من السرور. والمراد من الوجوه جملة الانسان لا بعضه. وقيل: اريد بالوجه العينان من إطلاق الكل على الجزء .

٤- عن السدى ومقاتل : أى مضيئة بيض يعلوها النور جعل الله تعالى وجوه المؤمنين المستحقين للثواب بهذه الصفة علامة للخلق والملائكة على أنهم الفائزون.

اقول: والمعانى متقاربة .

٢٣- (الى ربها ناظرة)

فى الاية اقوال : ١- عن مقاتل و الكلبى وعكرمة و عطاء : أى ان تلك الوجوه تنظر إلى ربها نظراً. على أن النظر: الرؤية بالبصر. ٢- عن إبن عمر ومجاهد وعكرمة: أى تنظر إلى أمر ربها . ٣- عن مجاهد أيضاً والحسن وسعيد بن جبير والضحاك :أى تنظر الثواب من ربها . ٤- قيل:أى ينظر أهل الجنة إلى ما وعدهم الله تعالى من الجنة ونعيمها إلى رحمة الله تعالى ونعمته حالاً بعد حال فيزداد بذلك سرورهم. على حذف المرئى لتنزيه الله تعالى عن الرؤية .

اقول: والاخير هو المروى .

٢٥- (تظن ان يفعل بها فاقرة)

فى الاية أقوال : ١- عن مجاهد : «فاقرة» أى داهية عظيمة تقصم فقار الظهر يقال : فقرته الفاقرة أى كسرت فقار ظهره . والمعنى : تعلم و تستيقن انه يعمل بها داهية تكسرها . ٢- عن قتادة : «فاقرة» : شرّ . ٣- عن السدى : أى هلاك .

٤- عن إبن عباس و إبن زيد : أى الدخول فى النار . ٥- عن الكلبى :

أى حجاب عن رؤية الله تعالى . والمعنى : فلاتنظر هذه الوجوه المسودة إلى ربها كما تنظر الوجوه الناضرة . ٦- قيل : أى انهم يظنون حصول الداهية جملة و لا يعلمون تفصيلها . و قيل : خطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم بما انه سامع و الظن بمعناه المعروف . ٧- قيل : أى كاسرة . وقيل : من فقرت البعير إذا وسمت أنفه بالنار .

اقول: وعلى الاول أكثر المفسرين .

٢٧- (وقيل من راق)

وفى الاية أقوال : ١- عن إبن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك وإبن زيد: أى إذا بلغت نفس أحدهم التراقى عند موته، وحشرج بها قال بعض من حضر المحضر من أهله : هل من طبيب يداويه ؟ هل من شاف يشفيه من ذلك .

٢- أى يقول بعض الحاضرين حول المحتضر : ألكم من الرقى الذى يشفيه من الرقى إذ عوّذه بما يشفيه ومنه : « بسم الله ارقيك من كل مايؤذيك » وذلك لان العادة جارية على طلب الراقى فى وقت مايشتد المرض ، وحصل اليأس من الشفاء رجاء أن يشفيه من دائه أو يخفف مابه .

٣- قيل : يقول ملك الموت للحاضرين حول الميت : ألكم مداو أيها الحضّار و الوراث فالتمسوا له الاطباء ، فلم يغنوا عنه من قضاء الله تعالى شيئاً .

٤- عن الكلبى وابن عباس : يقول الملائكة بعضهم لبعض : من يرقى نفسه، فيصعد بها إلى السماء ، ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب . و هذا حين بلغت نفسه يرقى ربها فيقول الموت : من يرقى بهذه النفس وذلك لان نفس الكافر تكره الملائكة قربها ، فيقول ملك الموت : يافلان اصعد بها . من الرقى بمعنى الصعود ومنه المرقاة .

و قال الكلبى : إذا حضر الموت و معه سبعة أملاك من ملائكة العذاب ، فاذا بلغت نفس العبد التراقى نظر بعضهم إلى بعض : أيّهم يعرج بروحه إلى السماء.

٥- قيل : أى من يقدر على أن ينجيه من الموت ويخلصه . ٦- يقول المحتضر

من أعماقه : هل من طبيب يداوينى ؟ هل من شاف يشفينى ؟ هل من ناج يخلصنى؟؟؟

٧ ـ عن أبى العالية : تختصم فيه ملائكة الرحمة و ملائكة العذاب أيهم يرقى بروحه وقال الضحاك : أهل الدنيا يجهزون البدن و أهل الاخرة يجهزون الروح .

اقول : والسادس هو المروى .

٢٩- (والتفت الساق بالساق)

فى الاية أقوال : ١ـ عن الحسن و قتادة : أى ماتت رجلاه و يبست ساقاه ، ولم تحملاه ، وقد كان جوّالاً عليهما . ٢ـ عن الضحاك و إبن زيد : أى واجتمع على المحتضر الامران الشديدان : الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه .

٣ـ قيل : أى التفت هم الولد والمال والجاه بالفراق وهمّ القدوم للحساب و الجزاء يوم القيامه . أى مساق العباد إلى حيث أمر الله تعالى إما إلى الجنة ، وإما إلى النار .

٥ـ عن سعيد بن المسيب والحسن والسدى : أى إلتوت ساقاه حين تلفان فى أكفانه . ٦ ـ قيل : أى تتابعت عليه الشدائد . . . ٧ـ عن إبن عباس والحسن و مجاهد وقتادة والضحاك : أى إلتفت عليه شدة آخر يوم من أيام الدنيا ، وشدة أول يوم من أيام الاخرة ، فيلقى الشدة بالشدة فشدة فراق الدنيا متصل بشدة إقبال الاخرة فالساق مثل فى الشدة . والعرب تقول لكل أمر إشتدّ : قد شمّر عن ساقه، و كشف عن ساقه . يقال للمرأة إذا إلتصقت إحدى فخذيها بالاخرى : لفّتهما لفاء

فالمعنى : إلتصقت إحدى الشدتين بالاخرى فتلقّى الشدة بالشدة إلاّ من رحمه الله أى شدة كرب الموت بشدة مطلع الاخرة ، شدة فراق الدنيا و ترك الاهل والولد والجاه وشماتة الاعداء وحزن الاولياء وغير ذلك بشدة الاقبال على أحوال الاخرة وأهوالها . . .

٨ـ عن الشعبى و أبى مالك : أى إلتفت ساقا الميت عند الموت من شدة

الكرب . وقال قتادة : أمارأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الاخرى لانه يذهب القوة ، فيصير كالجلد الذى يلتف بعضه ببعض و لا يقدر على تحريكهما .

٩- قيل : أى إلتف أمر بأمر . ١٠- عن مجاهد : أى التفّ بلاء ببلاء . ١١- قيل : اريد بالتفاف ساق المحتضر بساقه بطلان الحياة السارية فى أطراف البدن عند بلوغ الروح التراقي .

١٢- عن زيد بن أسلم : أى إلتفت ساق الكفن بساق الميت . ١٣- قيل : ان الكافر تعذّب روحه عند خروج نفسه ، فهذه الساق الاولى ، ثم يكون بعدها ساق البعث وشدائده . ١٤- عن قتادة أيضاً : أى يضطرب المحتضر إذحضره الموت فرآه . فلايزال يمدّ إحدى رجليه ويرسل الاخرى ويلفّ إحداهما بالاخرى .

١٥-عن الحسن : أى إلتفت الموت بحال الحياة.١٦- قيل : أى إتصل عمل الدنيا بعمل الاخرة .

اقول : والسابع هوالمؤيد بظاهر السياق خاصة وقوله تعالى : « إلى ربك يومئذ المساق » وهذا هوالمروى . وفي تداخل بعض الاقوال فى الاخر مالا يخفى على المتأمل الخبير .

٣٠- (الى ربك يومئذ المساق)

فى الاية أقوال : ١- قيل : أى رجوع الكل إلى الله تعالى . ٢- قيل : أى إلى حكم ربك ، فيساق الخلق كلهم إلى الله تعالى ليحكم بينهم . ٣- قيل : أى إلى موعد ربك من الجنة أوالنار ، فيسوق الملك به إلى حيث أمرالله تعالى به إن كان من أهل الجنة فالى عليين. وإن كان من أهل النارفالى سجين . ٤- قيل:اريد برجوع المساق إلى الله تعالى انه جل وعلا هوالسائق لاغير

اقول : والاول هو المروى .

٣١- (فلا صدق ولاصلى)

فى الاية أقوال : ١ـ عن إبن عباس : أى لم يصدق أبوجهل بالرسالة، و لم يصل على الرسول ٢ـ عن قتادة : أى فلا صدق هذا الانسان الجاحد بكتاب الله تعالى ولاصلى لله جل وعلا . ٣ـ قيل : أى لاصدق بمال له ذخراً له عند الله تعالى ولاصلى الصلوات التى أمره الله جل وعلا بها . ٤ـ قيل : أى لا آمن بقلبه ولا عمل ببدنه .

اقول : والثانى هوالانسب بظاهر السياق وخاصة ذكر « الانسان » ست مرات فى هذه السورة على طريق التوبيخ والتهديد وإن لم يكن أبوجهل فرعون هذه الامة خارجاً من ذلك .

٣٢ـ (ولكن كذب وتولى)

فى الاية أقوال : ١ـ عن الحسن : أى ولكن كذب بالله تعالى وأعرض عن طاعته . ٢ـ عن قتادة : أى و لكن كذب بالكتاب والرسول ﷺ و أعرض عن الدعوة الحقة وعن الطاعة . ٣ـ قيل : أى كذب بالبعث وأعرض عن الطاعة .

اقول : وعلى الثانى أكثر المفسرين .

٣٣ـ (ثم ذهب الى أهله يتمطى)

فى الذاهب قولان : أحدهما ـ عن مجاهد وقتادة وإبن زيد : هوأبوجهل بن هشام . ثانيهما ـ عن زيد بن أسلم : هو بنومخزوم .

اقول : وعلى الاول اكثر المفسرين .

٣٤ـ (اولى لك فاولى)

فى الاية أقوال : ١ـ قيل : أى ان النار أولى لك ، وأنت أحق بها ، وأهل لها . قيل : ان رسول الله ﷺ خرج من المسجد ذات يوم فاستقبله أبو جهل على باب المسجد مما يلى باب مخزوم فأخذ رسول الله ﷺ بيده فهزه مرة أومرتين ثم قال له : « أولى لك فاولى » فقال له أبوجهل : أتهددنى ؟ فوالله انى لاعز أهل الوادى وأكرمه ، وأعز أهل مكة والبطحاء ثم سل يده ذاهباً فأنزل الله

تعالى كما قال الرسول ﷺ لابي جهل .

وقال قتادة : أقبل أبوجهل بن هشام يتبختر فأخذ النبي ﷺ بيده فقال: « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى » فقال : ما تستطيع أنت ولاربك لـي شيئاً انى لاعز من بين جبليها ، فلماكان يوم بدر أشرف على المسلمين ، فقال : لاتعبد الله بعد هذا اليوم أبداً فضرب الله عنقه وقتله شرقتلة ، فالجملة وعيد على وعيد .

٢- قيل : هذا دعاء سوء على هذا الجاحد المكذب والمعنى : ويـل لك فويل لك . وهذا مقلوب أصله : اويل والمعنى : الويل لك حياً والويل لك ميتاً والويل لك يوم البعث والويل لك يوم تدخل النار . ٣- قيل : هذا خطاب للنبي ﷺ بمعنى أنت أولى بالنبية والتبختر حيث انك رأس النبيين وأمام المتقين .

٤- قيل : أى الذم لك أولى من تر كه . ٥-قيل : أى أنت أولى و أجدر بهذا العذاب والهلاك . قال الاصمعى : أولى فى كلام العرب معناه مقاربة الهلاك كأنه يقول : قد دانيت الهلاك والعذاب ، وأصله من الولى وهو القرب .والتقدير: أولى لك العذاب وأولى بك الهلكة ، والبعد عن الخير والقرب من المكاره . ٦- قيل : أى وليك الشر فى الدنيا وليك ثم وليك الشر فى الاخرة وليك .

٧- عن الجبائى : أى بعداً لك عن خيرات الدنيا ، وبعداً لك عن خيرات الاخرة كلها . ٨- قيل : أى أولى لك ما تشاهد يا أبا جهل يوم بدر، فاولى لك فى القبر ثم أولى لك يوم القيامة ، ولذلك أدخل « ثم » فأولى لك فى النار .

اقول : والسابع هوالمروى .

٣٦- (ايحسب الانسان أن يترك سدى)

فى « الانسان » أقوال : ١- عن إبن عباس ومجاهد وابن زيد : هوأبوجهل والمعنى : أيظن أبوجهل فرعون هذه الامة أن يترك مهملاً لايؤمر و لاينهى، ولا ينهى ، ولايكلف ولايحاسب بعمله ، و هذا خلاف الحكمة ، فلا ينبغى أن يظن ذلك ٢- عن مجاهد وإبن زيد أيضاً : أيظن إبن آدم أن يخلى مهملاً فلا يؤمر ولا

ينهى . على أن الانسان هناهوجنس الانسان المكذب بالبعث والحساب والجزاء .

٣- قيل : أي أيظن إبن آدم أن يترك في قبره كذلك أبداً لا يبعث . ٤- قيل : أيظن الانسان أن يترك مهملاً من غير أمر يؤخذ به ، فيكون فيه تقويم له و إصلاح لماهو أعود عليه في عاقبة أمره وأجمل به في دنياه وآخرته .

أقول : وعلى الاول أكثر المفسرين ولكن الثاني غير بعيد ، والمورد غير مخصص .

٣٨- (ثم كان علقة فخلق فسوى)

في الاية أقوال : ١- قيل : أي فخلق من هذه العلقة خلقاً في الرحم وصورته وأعضاءه الباطنة والظاهرة في بطن امه . ٢- قيل : أي فخلق في الرحم فسوّاه إنساناً بعد الولادة وأكمل قوته . ٣- قيل : أي فخلق الاجسام فسوّاها للافعال وجعل لكل جارحة عملاً يختص بها . ٤- قيل : أي فقدّر فسوّاه تسوية و عدّله تعديلاً وتكميلاً بجعل الروح فيه .

٥- قيل : أي قدّر فعدّل أركانه . . . ٦- قيل : أي خلق فيه الروح فصير أعضاءه متناسبة . ٧- قيل : أي ثم كان هذا الانسان دماً بعد ماكان نطفة ثم علقة ثم سواه بشراً سوياً .

أقول : ولكل وجه ولكن الاوجه هو الاول .

«التفسير والتأويل»

١ - (لا اقسم بيوم القيامة)

لااقسم بيوم القيامة على وقوعها، وهومما ريب فيه إجلالاً لقدرها وعظمتها.

فلا يحتاج الاخبار بيوم القيامة إلى قسم به والله جل و علا هو المخبر به و هو يقول : « إذا وقعت الواقعة ليس لوقعتها كاذبة » الواقعة : ١ ـ ٢).

و يقول : « إنما توعدون لصادق و إن الدين لواقع » الذاريات : ٥ـ٦).

و يقول : « الله لا اله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه و من أصدق من الله حديثاً » النساء : ٨٧).

و يقول : « ان وعد الله حق و ان الساعة لا ريب فيها » الكهف : ٢١).

و يقول : « ان الساعة لآتية لا ريب فيها و لكن أكثر الناس لايؤمنون » غافر : ٥٩).

ونظير الاية فى إجلال المقسم به قوله تعالى: « فلا اقسم بمواقع النجوم » الواقعة : ٧٥).

وقوله: « فلا اقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون » المعارج : ٤٠).

و قوله : «لا اقسم بهذا البلد » البلد : ١).

٢- (و لا اقسم بالنفس اللوامة)

ولا اقسم بالنفس اللوامة التى تلوم صاحبها على التقصير فى جنب الله تعالى وتستغفر وتنيب فى الحياة الدنيا ، فان نفس المؤمن هى التى تظل تلوم نفسه مهما

إجتهد فى صالح الاعمال خشية التقصير كما تلوم نفس الكفرة والفجرة صاحبها يوم القيامة حين تعاين أهوالها و فزعها وأحوالها ، إذ فيها تظهر أحوال النفوس اللوامة من الايمان والكفر ، من الصلاح والفساد ، من السعادة والشقاء و من الطاعة والطغيان . . .

و يوم القيامة تلوم النفوس المؤمنة ، النفوس الكفرة ، و تلوم النفوس الكفرة نفسها كما يلوم بعضها بعضاً و يلعن بعضها بعضاً .

قال الله تعالى : « إلا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم فى سقر » المدثر : ٣٩ ـ ٤٢) .

و قال : « وجاءت كل نفس معها سائق و شهيد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد و قال قرينه هذا ما لدىّ عتيد » ق : ٢١ ـ ٢٣) .

و قال : « قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا يا حسرتنا على ما فرّطنا فيها » الانعام : ٣١) .

وقال : « أن تقول نفس ياحسرتى على مافرّطت فى جنب الله » الزمر: ٥٦).

وقال: «وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط» يونس:٥٤).

وقال : « ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار و مالكم من ناصرين » العنكبوت : ٢٥) .

و قال : « فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنا كنا طاغين » القلم : ٣٠ ـ ٣١) .

٣ ـ (ايحسب الانسان الن نجمع عظامه)

أيظن هذا الانسان المكذب بالبعث والاحياء بعدالموت، والمنكر للحساب والجزاء يوم القيامة اننا لانقدر على جمع عظامه بعد تفرّقها أبداً، فنعيدها خلقاً جديداً بعد أن صار رفاتاً ؟!

قال الله تعالى حكاية عن منكرى البعث : « أيعدكم انكم إذا متم و كنتم تراباًوعظاماً انكم مخرجون هيهات هيهات لما توعدون إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت و نحيا و ما نحن بمبعوثين » المؤمنون : ٣٥ ـ ٣٧) .

و قال : « و يقول الانسان ءإذا مامت لسوف اخرج حياً » مريم : ٦٦) .

و قال : « قال من يحيى العظام و هى رميم » يس : ٧٨) .

و قال : « و قالوا ءإذا كنا عظاماً و رفاتاً ءإنا لمبعوثون خلقاً جديداً » الاسراء : ٩٨) .

٤ - (بلى قادرين على ان نسوى بنانه)

بلى نجمع العظام البالية للبعث والحساب والجزاء حالكوننا قادرين على تسوية بنانه و تصويرها على ما هى عليها من الصور ، فنعيدها بعد موته للحساب والجزاء كما كانت عليه فى الحياة الدنيا قبل موته .

والبنان : هى أطراف الاصابع أو هى الاصابع نفسها ، وقد ذكرها الله تعالى لما فيها من غرابة الوضع و دقة الصنع لان الخطوط والتجاويف الدقيقة التى فى أطراف أصابع انسان لا تماثلها خطوط اخرى فى أصابع شخص آخر على وجه الارض و لفوائد كثيرة اخرى لا يناسب المقام بذكرها .

والمراد ان الله جل وعلا قادر على رد العظام والمفاصل إلى هيئاتها الاولى وعلى ضد ذلك ، فمن قدر على تكوين البنان من عظام دقيقة قادر على جمع عظام الانسان مرة اخرى .

قال الله تعالى : « و هو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه » الروم : ٢٧) .

وقال : « فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة » الاسراء : ٥١) .

و قال : « ذلك بان الله هو الحق و انه يحيى الموتى و انه على كل شىء قدير و ان الساعة آتية لاريب فيها و أن الله يبعث من فى القبور » الحج : ٦ ـ ٧) .

وقال : « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات و الارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى انه على كل شيء قدير » الاحقاف : ٣٣) .

٥ - (بل يريد الانسان ليفجر أمامه)

بل يريد هذا الانسان الجاحد الاستمرار فى الفجور مدى عمره ولا يريد الايمان والطاعة ولا الهداية والسعادة . . . وإنما جحوده بسبيل رغبته في الاستمرار فيما هو فيه من كفر وطغيان ، ومن إثم وفجور فيعصي الله جل وعلا دون أن يخشى العواقب الوخيمة ، فيكذب بالبعث و ينكر الاخرة من غير أن يخاف عقباها فلا موجب له للايمان والطاعة لو لم يكن هناك بعث للحساب و الجزاء .

قال الله تعالى : « وإن يروا كل آية لايؤمنوا بها ـ وقالوا إن هى إلاّ حياتنا الدنيا ومانحن بمبعوثين » الانعام : ٢٥ ـ ٢٩) .

وقال : « لايؤمنون به حتى يروا العذاب الاليم فياتيهم بغتة وهم لايشعرون فيقولوا هل نحن منظرون » الشعراء : ٢٠١ ـ ٢٠٤) .

و قال : « و إن يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلاً و إن يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين » الاعراف : ١٤٦) .

وقال : « و الذين لايؤمنون بالاخرة هم بربهم يعدلون » الانعام : ١٥٠) .

و قال : « فالذين لا يؤمنون بالاخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون » النحل : ٢٢) .

٦ـ (يسئل ايان يوم القيامة) .

يسئل هذا الانسان متعنتاً مستهزئاً ومكذباً بالبعث والحياة الاخرى للحساب والجزاء متى يوم القيامة الموعود ؟ .

وما أجاب الله تعالى عن وقت الساعة إلاّ ببعض أشراطها إذ لايعلم وقتها إلاّ الله تعالى .

قال الله تعالى : « فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أوّل مرة فسينغضون

إليك رؤسهم ويقولون متى هو» الاسراء : ٥١) .

وقال :«يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عندالله ويدريك لعل الساعة تكون قريباً » الاحزاب : ٦٣) .

وقال : « قل هوالذى ذرأكم فى الارض و إليه تحشرون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل إنما العلم عندالله وإنما أنانذير مبين» الملك:٢٤-٢٦).

٧- (فاذا برق البصر) .

يقع يوم القيامة إذابرق بصر الانسان المكذب بالبعث ، و المنكر للحساب والجزاء فتحيّر من فزع وقوعها ، و بهت من شدة أهوالها ، ودهش بصره فلايقدر أن يطرف ، يوم تتقلب فيه القلوب القاسية و بلغت الحناجر و تزوغ فيه الابصار الجافية قال الله تعالى : «واقترب الوعد الحق فاذا هى شاخصة أبصار الذين كفروا ياويلنا قد كنا فى غفلة من هذا بل كنا ظالمين » الانبياء : ٩٧) .

وقال : « يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار » النور : ٣٧) .

وقال: «يوم يدع الداع إلى شيء نكر خشعاً أبصارهم يخرجون من الاجداث كأنهم جراد منتشر مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر» القمر:٦-٨)

وقال : « يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون» المعارج : ٤٣ - ٤٤) .

وقال : «قلوب يومئذ واجفة أبصارها خاشعة » النازعات : ٨ - ٩) .

و قال : « انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعى رؤسهم لايرتد إليهم طرفهم و أفئدتهم هواء » ابراهيم : ٤٢ - ٤٣) .

٨- (وخسف القمر) .

وذهب نور القمر وأظلم فغاب جرمه كسائر الكواكب و النجوم . . .

قال الله تعالى : «فاذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت» المرسلات : ٨-٩) .

وقال : « إذا الشمس كورت وإذا النجوم إنكدرت » التكوير : ١ - ٢) .

وقال : «إذا السماء انفطرت وإذا الكواكب إنتثرت» الانفطار : ١ - ٢) .

٩- (وجمع الشمس والقمر) .

وتقوم الساعة حين جمع بين الشمس والقمر بعد تكوّرهما وذهاب نورهما.

وقال بعض أصحاب التأويل : ان الجمع بين الشمس والقمر كناية عن إتصال الروح بعالم الاخرة على أن الروح كالقمر ، وعالم الاخرة هو عالم الانوار ، و الكشوف كالشمس، فكما ان القمر يقبل النور من الشمس فكذلك الروح تقبل نور المعارف من ذلك العالم العلوى .

اقول : وهذا من التأويلات البعيدة .

١٠- (يقول الانسان يومئذ اين المفر) .

يقول هذا الانسان الجاحد المكذب بالبعث ، و المنكر للحساب و الجزاء يوم تقع هذه الامور الهائلة المفزعة وهو يعاينها لدهشته و حيرته : أين المفرّ من تلك الاهوال النازلة ؟ أين الملجأ الذى نلجأ إليه فراراً من لقاء هذا اليوم العظيم وهوله وحسابه وتبعاته ؟؟؟ وهم يظنون يومئذ أن لامحيص لهم .

قال الله تعالى : «وظنّوا مالهم من محيص» فصلت:٤٨) .

وقال : «و برز والله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص» ابراهيم : ٢١) .

١١- (كلا لاوزر) .

ألا لاشىء لهؤلاء المنكرين المكذبين بالبعث والحساب والجزاء يلتجاؤن إليه من حصن ولاجبل ولامنيع من أهوال يوم القيامة وفزعها ولا من عذابها .

قال الله تعالى : «مالكم من ملجأ يومئذ ومالكم من نكير» الشورى : ٤٧) .

١٢- (الى ربك يومئذ المستقر) .

إلى ربك أيها الانسان يوم القيامة مستقر كم، فان الاخرة هى دار القرار يستقر

فيها المؤمنون المتقون في جنة النعيم ، والكافرون المجرمون في عذاب مقيم.

فالكل مسوق إلى الله تعالى يوم القيامة في موقف الحساب والقضاء والجزاء.

قال الله تعالى : « وإن الاخرة هي دار القرار » غافر : ٣٩) .

وقال : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً و أحسن مقيلا ـ خالدين فيها حسنت مستقراً و مقاماً » الفرقان : ٢٤ ـ ٧٦) .

وقال : «ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمت الله كفراً و أحلّوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها و بئس القرار » ابراهيم : ٢٨ ـ ٢٩) .

وقال : « انها سائت مستقراً و مقاماً » الفرقان : ٦٦) .

وقال : « ثم إليه مرجعكم ثم ينبّئكم بما كنتم تعملون ـ ثم ردّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين » الانعام : ٦٠ ـ ٦٢) .

وقال : « ألا إلى الله تصير الامور » الشورى : ٥٣) .

١٣- (ينبئوا الانسان يومئذ بما قدم و أخر) .

يخبر كل امرىء يوم القيامة بكل ما عمل به في الحياة الدنيا من خير أو شر، من طاعة أو معصية ، من صالح الاعمال أو فسادها : صغيرها و كبيرها وما أخّره مما سنّ من سنة حسنة أو من سنة سيئة عمل بها الناس بعد موته، فيخبر بكل ما ينتسب إليه تارة بتجسم الاعمال يوم القيامة واخرى بما في صحف الاعمال، وثالثة بشهادة الاعضاء والجوارح. فيراها بالعيان اولاً ، و يشاهد مكتوبها ثانياً و يخبر بها ثالثاً .

قال الله تعالى : «ثم إليّ مرجعكم فانبئكم بما كنتم تعملون» لقمان : ١٥) .

وقال : « إنما أمرهم إلى الله ثم ينبّئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها و من جاء بالسيئة فلا يجزى إلاّ مثلها وهم لا يظلمون » الانعام : ١٥٩ ـ ١٦٠) .

وقال : « يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد » المجادلة : ٦) .

وقال : « يوم ينظر المرء ماقدّمت يداه ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً » النباء : ٤٠) .

وقال : «إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدّموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » يس : ١٢) .

وقال :«يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » آل عمران : ٣٠) .

وقال : « و وضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين ممافيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها و وجدوا ماعملوا حاضراً ولايظلم ربك أحداً » الكهف . ٤٩) .

وقال « يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعلم مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره » الزلزلة : ٦ ـ ٨) .

وقال : «ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون حتى إذا ماجاؤها شهد عليهم سمعهم و أبصارهم و جلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرّة و إليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولاأبصاركم ولاجلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيراً مماتعملون وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فاصبحتم من الخاسرين » فصلت : ١٩ ـ ٢٣) .

١٤ـ (بل الانسان على نفسه بصيرة) .

بل لولم ينبّأ الانسان من الله تعالى يوم القيامة بماقدّم و أخر بالعيان و المشاهدة و نطق الجوارح لكان الانسان يومئذ على نفسه بصيرة باعماله لكشف الغطاء عن بصره فيتذكر حينئذ ماسعى في الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « و نفخ في الصور ذلك يوم الوعيد وجاءت كل نفس معها سائق و شهيد لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد» ق: ٢٠ـ٢٢).

وقال : « يوم يتذكر الانسان ماسعى » النازعات : ٣٥) .

و قال : « و إذا القبور بعثرت علمت نفس ما قدّمت و أخّرت » الانفطار : ٤ ـ ٥) .

و قال : « علمت نفس ما أحضرت » التكوير : ١٤) .

١٥ ـ (و لو القى معاذيره)

ان الانسان بصير يومئذ بأعماله كلها و لا يخفى عليه شيء منها ، فيؤخذ بمساوئها ولوجاء بكل معذرة ، وجادل عن نفسه لدفع العذاب عنها، إمّا بالانكار بانه ما فعل سوءاً ، و إما برفع التقصير فى الكفر والضلالة والمعصية عن نفسه بان أضلّه مضلّ ، و أغواه غاو . . . فلا شيء عليه .

قال الله تعالى: « ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم إلاّ أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين » الانعام : ٢٢ ـ ٢٣) .

وقال : « الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون » النحل : ٢٨) .

و قال : « ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك مأواهم جهنم و ساءت مصيراً » النساء : ٩٧) .

و قال : « و لو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين ـ وأسرّوا الندامة لما رأوا العذاب وجعلنا الاغلال فى أعناق الذين كفروا هل يجزون إلاّ ما كانوا يعملون » سباء : ٣١ ـ ٣٣) .

و قال : « فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون » الصافات : ٣٣) .

و قال : « يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و لهم اللعنة و لهم سوء الدار -

غافر : ٥٢) .

و أمّا ما جاء من عدم الاذن لهم فى الاعتذار و نهيهم عنه فى قوله تعالى : « و لا يؤذن لهم فيعتذرون » المرسلات : ٣٦) .

وقوله: « ياأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم انماتجزون ما كنتم تعملون » التحريم: ٧) فلتعدد المواقف يوم القيامة لقوله تعالى: « وقفوهم انهم مسئولون » الصافات : ٢٤) وقوله : « فيومئذ لايسئل عن ذنبه إنس ولاجان » الرحمن: ٣٩).

١٦ - (لا تحرك به لسانك لتعجل به)

لا تحرّك يا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن قبل فراغ جبرئيل من قرائته عليك لسانك لتعجل بأخذه حباً له .

نهى يراد به النصح والتوجيه إلى ما ينبغى أن يكون عليه النبى صلى الله عليه وآله وسلم مع الوحى بأن لايحرك لسانه بكلمات القرآن قبل أن ينتهى جبرئيل من الوحى، و هذا ما يشير إليه قوله تعالى : « و لا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدنى علماً» طه : ١١٤) فان كل كلمة يوحى بها إلى النبى صلى الله عليه وآله وسلم هى علم يزداد به علمه فلا يعجل بقطع هذا المدد الذى تهمى عليه غيوثه . . .

و إذا كان على النبى صلى الله عليه وآله وسلم أن يصغى إلى الوحى و لا يحرك لسانه قبل أن ينتهى إلقاء الوحى من جبرئيل عليه السلام فكيف المؤمنون الذين يستمعون آيات الله تعالى ليكون لهم سبيل إلى فهم معانيها و إدراك بعض أسرارها لعلهم يرحمون قال الله تعالى: « قل إنما اتبع ما يوحى إلىّ من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى و رحمة لقوم يؤمنون وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون » الاعراف : ٢٠٣ - ٢٠٤) .

١٧ - (ان علينا جمعه و قرآنه)

ان علينا أن نجمع ما نوحيه إليك فى صدرك و نحفظه فيه ، فلا يفوتك شيء منه كما ان علينا أن نضم بعض أجزائه إلى بعض فلا يفوتنا شيء منه .

ان الله تعالى ضمن بحفظ القرآن الكريم كله فى صدر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم وبانضمام جميع أجزائه المتفرقة و تأليفه ، كما ضمن بحفظه على مدى الزمن .

قال الله تعالى : « و انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل: ٦) .

و قال : « سنقرءك فلا تنسى » الاعلى : ٦) .

و قال : « و ما تكون فى شأن و ما تتلوا منه من قرآن و لا تعملون من عمل إلاّ كنا عليكم شهوداً » يونس : ٦١) .

و قال : « إنا نحن نزّلنا الذكر و إنا له لحافظون » الحجر : ٩) .

١٨ - (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه)

فاذا قرأنا القرآن على طريق الوحى فاتبع ما قرأناه عليك ، من غير تغيير و لا تبديل فيه .

والاية فى معنى قوله تعالى : « و إذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقائنا ائت بقرآن غير هذا أو بدّله قل مايكون لى أن ابدّله من تلقاء نفسى إن أتبع إلاّ ما يوحى إلىّ » يونس : ١٥) .

وقوله جل وعلا : « و اتل ما اوحي إليك من كتاب ربك لامبدّل لكلماته » الكهف : ٢٧) .

١٩ - (ثم ان علينا بيانه)

ثم ان علينا بيان ما قرأناه من الآيـات الكريمة بلسانك و يسّرناه حتى تبيّنه للناس بيسر .

قال الله تعالى : « فانما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتقين و تنذر به قوماً لداً » مريم : ٩٧) .

وقال: « و أنزلنا إليك الذكر لتبيّن للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون ـ وما أنزلنا عليك الكتاب إلاّ لتبيّن لهم الذى اختلفوا فيه وهدى و رحمة لقوم يؤمنون » النحل : ٤٤ ـ ٦٤) .

وقال : «قدجاء كم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل أن تقولوا ماجاءنا من بشير ولانذير فقدجاء كم بشير ونذير» المائدة : ١٩) .

٢٠- (كلا بل تحبون العاجلة) .

ألا يا أيها الكافرون انكم تحبون الحياة الدنيا وترضون بها وتطمأنون بها وتعلمون ظاهراً منها وتصدون عن سبيل الله و تبغونها عوجاً وأنتم عن آياتنا وعن الآخرة غافلون .

قال الله تعالى : « ان هؤلاء يحبّون العاجلة و يذرون وراءهم يوماً ثقيلا » الانسان : ٢٧)

وقال : « بل تؤثرون الحياة الدنيا » الاعلى : ١٦) .

وقال : « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون » الروم : ٧) .

وقال : « ان الذين لا يرجون لقائنا و رضوا بالحياة الدنيا و اطمأنوا بها والذين هم عن الاخرة غافلون اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » يونس: ٧-٨).

وقال : «ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الاخرة وان الله لايهدى القوم الكافرين » النحل : ١٠٧) .

٢١- (و تذرون الاخرة) .

و تتركون أيها الكافرون الآخرة ، إذ كنتم تقدّمون الدنيا و تختارونها على الاخرة وتعملون مايجب عليكم وتسعون فيما لاينبغى أن تسعوا له .

١٢- (وجوه يومئذ ناضرة) .

وجوه المؤمنين المخلصين يوم القيامة حسنة مبيضّة مضيئة ضاحكة مستبشرة لسعيها راضية فى جنة عالية وفى رحمة الله تعالى هم فيها خالدون .

قال الله تعالى : «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة » عبس : ٣٨و٣٩) .

وقال : «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها راضية فى جنة عالية» الغاشية: ٨-١٠).

وقال : « ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون » المطففين : ٢٢ ـ ٢٦) .

و قال : « وأما الذين ابيضّت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون » آل عمران: ١٠٧) .

٢٣- (الى ربها ناظرة) .

ان النظر على أقسام : أحدها ـ تقليب الحدقة الصحيحة من جهة المرئى طلباً لرؤيته فالنظر بمعنى الرؤية من الحدقة . كقوله تعالى : « فانظر إلى طعامك و شرابك لم يتسنه » البقرة : ٢٥٩) .

ثانيها ـ النظر بمعنى الانتظار على أن المراد بالنظر هو الانتظار للثواب والجزاء. كقوله تعالى: «اذهب بكتابى هذا فالقه اليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون» النمل: ٢٨).

ثالثها ـ النظر بمعنى الفكر والتأمل قال الله تعالى: «فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق » الطارق : ٥ ـ ٦) .

رابعها ـ النظر بمعنى التعطف والرحمة قال الله تعالى: «ويكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة» آل عمران : ٧٧) .

خامسها ـ النظر هو رؤية القلب بحقيقة الايمان وهو الادراك الباطنى والنظر دون النظر بعين الرأس ، وهذا لا يمكن إلاّ لمن جاء بقلب سليم و أراد الحق و الاهتداء . . . فان المؤمنين هم الذين لاتشغل الاسباب المادية الفانية قلوبهم عن الله تعالى : « رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الابصار » النور : ٣٧) إذ كان توجههم دائماً إلى الله تعالى فى الحياة الدنيا ، و كذلك الاخرة . فكما ان النعم الدنيوية ماشغلت قلوبهم عن الله تعالى فكذلك النعم الاخروية، فالنظر إلى الجنة و نعيمها . والنظر إلى رحمة الله تعالى وفضله او كرمه نظر إلى الله تعالى فتلك الوجوه المؤمنة المسرورة المبتهجة ناظرة يوم القيامة إلى ربها بلا كيفية ولا جهة .

٢٤- (و وجوه يومئذ باسرة) .

وجوه الكفرة الفجرة يوم القيامة عابسة شديدة العبوس ، وجوه متغيّرة الالوان ، مسودّة كالحة .

وهم الذين كفروا بالله تعالى وعصوا الرسول ﷺ وكذّبوا باليوم الاخر وهم يحشرون يوم القيامة ، و وجوههم قطع من الليل مظلما ، عليها عمياً و بكماً وصماً و مأواهم جهنم .

قال الله تعالى : « و الذين كسبوا السيئات بمثلها و ترهقهم ذلة مالهم من الله من عاصم كأنما اغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلماً اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون » يونس : ٢٧)

وقال : « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً مأواهم جهنم » الاسراء : ٩٧) .

قال : « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة أليس في جهنم مثوى للمتكبرين » الزمر : ٦٠) .

وقال : « ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة اولئك هم الكفرة الفجرة» عبس : ٤٠ ـ ٤٢) .

٢٥- (تظن ان يفعل بها فاقرة) .

تعلم تلك الوجوه العابسة و تستيقن انه يعمل بها داهية عظيمة تكسر فقار الظهر من أهوال القيامة وشدتها وفظاعتها و فزعها . . .

والمراد بالوجوه ههنا أصحابها والمراد بالظن هو العلم اليقين كقوله تعالى : « ورأ المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا » الكهف:٥٣) أي فعلوا و استيقنوا . وقوله تعالى : « وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا مالهم من محيص» فصلت : ٤٨) .

٢٦- (كلا اذا بلغت التراقي) .

ألا انـه إذا بلغت النفس التراقى فى طريقها إلى الخروج من الانسان ، و أشرفت على الموت ، و التراقى هى العظام المكتنفة لثغرة النحر ، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر وهو موضع الحشرجة .

قال الله تعالى : « فلولا إذا بلغت الحلقوم » : الواقعة : ٨٣) .

٢٧- (وقيل من راق) .

يقول الانسان إذا حضره الموت فرآه : هل من طبيب يداوني ؟ هل من شاف يشفيني ؟ هل من ناج يخلّصني ؟؟؟ .

٢٨- (وظن انه الفراق) .

ولما يئس المحتضر من الرقى فلم يجده أيقن عند ئذ انه ما نزل به ذلك انه فراق الدنيا والاهل والمال والولد والاحباء . . .

و الظن بمعنى اليقين كقوله تعالى حكاية عن المؤمنين : « انى ظننت انى ملاق حسابيه » الحاقة : ٢٠) .

٢٩- (والتفت الساق بالساق) .

والتفت على المحتضر الشدة التى بلغت أقصاها آخر ساعة من حياته فى الدنيا بالشدة التى هى كذلك أول ساعة من حياته فى الدار الاخرة .

هذا مثل لبلوغ الشدة أقصاها كقوله تعالى : «يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون » القلم : ٤٢) .

٣٠- (الى ربك يومئذ المساق) .

إلى ربك وحده يا محمد ﷺ يوم القيامة تصير الامور كلها . . . ثم توفّى كل نفس بما كسبت إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً .

قال الله تعالى : «واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون » البقرة : ٢٨١) .

وقال : « إليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقا انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى

الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون » يونس : ٤) .

و قال : « ألا إلى الله تصير الامور » الشورى : ٥٣) .

و قال : « ان إلى ربك الرجعى » العلق : ٨) .

٣١ - (فلا صدق و لا صلى)

وجوه الكفرة الفجرة يوم القيامة عبوسة متغيرة اللون مسودّة تظن أن يفعل بها فاقرة فان أصحابها لم يصدّقوا برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصلّوا لله تعالى صلاة . كقوله تعالى : « يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المصلين » المدثر : ٤٠ - ٤٣) .

٣٢ - (و لكن كذب و تولى)

و هذا الانسان الجاحد بالبعث والمنكر للحساب والجزاء لم يكتف بعدم التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم و لا بترك الطاعة لله جل و علا بل كذّب ماجاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم و أعرض عنه .

٣٣ - (ثم ذهب الى أهله يتمطى)

ثم ذهب هذا الجاحد الذي كذّب بالدعوة الحقة ، و أعرض عنها ، منصرفاً إلى أهله يتبختر عجباً و كبراً في مشيته ، إفتخاراً بتكذيب الحق والاعراض عنه .

قال الله تعالى فيه و فيمن سلك مسلكه : « و أما من اوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعوا ثبوراً ويصلى سعيراً انه كان في أهله مسروراً انه ظن أن لن يحور » الانشقاق : ١٠ - ١٤) .

و قال : « فلما جاءهم نذير ما زادهم إلا نفوراً استكباراً في الارض ومكر السيّء و لا يحيق المكر السيّء إلاّ بأهله » فاطر : ٤٢ - ٤٣) .

٣٤ - (أولى لك فاولى)

بعداً لك أيها الجاحد المكذب عن خير الدنيا كله ، فاولى لك ما يلازمه

من الهلاك والخزى فيها .

حقاً لاخير لمن أعرض عن الدعوة الحقة و استكبر و أبى إلاّ أن يكون له معيشة ضنكاً ، والشيطان له قريناً ، و ساء قريناً ، والخزى فى الحياة الدنيا .

قال الله تعالى : « و من أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكاً و نحشره يوم القيامة أعمى » طه : ١٢٤) .

و قال : « و من يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطاناً فهـو له قرين » الزخرف : ٣٦) .

و قال : « و من يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً » النساء : ٣٨) .

و قال : « إنما جزاؤا الذين يحاربون الله و رسوله ـ ذلك لهـم خزى فى الحياة الدنيا » المائدة : ٣٣) .

٣٥ - (ثم أولى لك فاولى)

ثم بعداً لك يا من كذّب وتولى و استكبر و أبى عن خير الآخرة من الجنة و نعيمها ، فاولى لك ما يلازمه من النار والعذاب .

قال الله تعالى : « ان العذاب على من كذّب و تولى » طه : ٤٨) .

و قال : « فانذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلاّ الاشقى الذى كذّب وتولى » الليل : ١٤ ـ ١٦) .

و قال : « و إذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأنّ فى اذنيه و قراً فبشّره بعذاب أليم » لقمان : ٧)

و قال : « انه من يشـرك بالله فقد حرم الله عليـه الجنـة و مأواه النار » المائدة : ٧٢) .

٣٦ - (أيحسب الانسان ان يترك سدى)

أيظن هذا الانسان الجاحد المكذب بالبعث والحساب والجزاء أن يتـرك مهملاً فخلق عبثاً بلا تكليف فى الحياة الدنيا ، و لا بعث و لا حساب و لا جزاء

في الآخرة .

قال الله تعالى : « أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً و انكم إلينا لا ترجعون » المؤمنون : ١١٥) .

و قال : « أيحسب الانسان ألن نجمع عظامه » القيامة : ٣) .

و قال : « أيحسب أن لن يقدر عليه أحد ـ أيحسب أن لم يره أحد » البلد: ٥ ـ ٧) .

٣٧ - (ألم يك نطفة من مني يمنى)

ألم يك ـ هذا الانسان المنكر للبعث ظن انه ترك مهملاً ـ نطفة من قطرة ماء تهراق في رحم امه .

قال الله تعالى : « أو لا يذكر الانسان انا خلقناه من قبل و لم يك شيئاً » مريم : ٦٧) .

و قال : « ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه في قرار مكين إلى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون » المرسلات : ٢٠ ـ ٢٣) .

وقال : « فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب » الطارق : ٥ ـ ٧) .

و قال : « أولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » يس : ٧٧) .

و قال : « هل أتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً انا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً » الدهر : ١ ـ ٢) .

و قال : « قتل الانسان ما أكفره من أي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم أماته فاقبره ثم إذا شاء أنشره » عبس : ١٧ ـ ٢٢) .

٣٨ - (ثم كان علقة فخلق فسوى)

ثم صار هذا الماء المهراق في الرحم قطعة دم غليظ متجمد لا حياة فيها ولا

صورة محددة لها ، ثم خلق الله تعالى من تلك العلقة صوراً و أشكالاً فسواها حتى كان منها هذا الانسان السوى الذى يسمع ويبصر ويعقل ويملأ هذه الدنيا خيراً و شراً ، صلاحاً و فساداً ، و عدلاً و ظلماً . . . فالعلقة هى النطفة بعد أن تأخذ شكلا جديداً فى مسيرتها نحو الحياة خلقاً بعد خلق إلى أن صار بشراً سوياً و خرج من بطن امه طفلاً .

قال الله تعالى : « يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم و نقر فى الارحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً » الحج : ٥) .

و قال : « و لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين» المؤمنون: ١٢ـ١٤).

و قال : « أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً » الكهف : ٣٧) .

وقال: « ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون » السجدة : ٩) .

وقال : « يخلقكم فى بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق فى ظلمات ثلاث » الزمر : ٦) .

و قال : « يا أيها الانسان ما غرّك بربك الكريم الذى خلقك فسوّاك فعدلك فى أىّ صورة ما شاء ركبك » الانفطار : ٦ ـ ٨) .

٣٩ ـ (فجعل منه الزوجين الذكر والانثى)

فجعل الله تعالى من هذا المنى الصنفين : الذكر والانثى اللذين بهما يتناسل الانسان و تتكاثر مواليده . . .

قال الله تعالى : « و انه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة إذا تمنى » النجم : ٤٥ ـ ٤٦) .

وقال: « والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً » فاطر: ١١).

٤٠ - (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى)

أليس الذى قدر على خلق هذه النسمة من قطرة من ماء على أن يعيد تلك الاجسام كهيئتها للبعث والحساب والجزاء بعد البلى !؟

أليس الذى قدر على الخلق والابتداء والابداع قادراً على الاعادة والاحياء؟!

أليس الفعال لتلك الاشياء والخالق لها بقادر على أن يحيى الموتى ؟!

بلى والله جل و علا من غير ريب انه قادر أن يحيى الموتى، و يبعثهم ليحاسبوا على أعمالهم ويجزى كل نفس ما كسبت إن خيراً فخيراً، و إن شراً فشراً.

قال الله تعالى: « ان الذى أحياها لمحى الموتى انه على كل شىء قدير » فصلت: ٣٩).

وقال: « كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين » الانبياء: ١٠٤).

وقال: « أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير » العنكبوت: ١٩).

و قال: « الله يبدؤا الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون - و هو الذى يبدؤا الخلق ثم يعيده و هو أهون عليه » الروم: ١١ - ٢٧).

وقال: « قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مرة » يس: ٧٨ - ٧٩).

و قال: « أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى بلى انه على كل شىء قدير » الاحقاف: ٣٣).

وقال: « يوم تبدل الارض غير الارض والسموات و برزوا لله الواحد القهار - ليجزى الله كل نفس ما كسبت » ابراهيم: ٤٨ - ٥١).

و قال: « من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون و من جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار هل تجزون الا ما كنتم تعملون » النمل: ٨٩ - ٩٠).

﴿ جملة المعانى ﴾

٥٥٥٢- (لا اقسم بيوم القيامة)

لا اقسم بيوم القيامة على وقوعها فانه لواقع لاريب فيه .

٥٥٥٣- (ولا اقسم بالنفس اللوامة)

ولا اقسم بالنفس المؤمنة التى تلوم صاحبها فى الحياة الدنيا على التقصير فى جنب الله تعالى كما تلوم الكافرين يوم القيامة على الكفر والطغيان .

٥٥٥٤- (أيحسب الانسان الن نجمع عظامه)

أيظن الانسان المنكر ليوم القيامة اننا لانقدر على جمع عظامه بعد تفرّقها.

٥٥٥٥- (بلى قادرين على أن نسوى بنانه)

بلى نجمع العظام البالية يوم القيامة للحساب والجزاء حال كوننا قادرين على تسوية بنانه .

٥٥٥٦- (بل يريد الانسان ليفجر امامه)

بل يريد هذا الانسان المنكر للبعث الاستمرار فى الفجور مدى عمره من دون أن يخشى من عواقبها وتبعاتها . . .

٥٥٥٧- (يسئل أيان يوم القيامة)

يسئل هذا الانسان المنكر مستهزئاً متى يوم القيامة الموعود ؟

٥٥٥٨- (فاذا برق البصر)

يقع يوم القيامة إذا برق بصر من كذّب بالبعث فتحيّر من فزع وقوعها .

٥٥٥٩- (وخسف القمر)

وذهب نور القمر وأظلم .

٥٥٦٠- (وجمع الشمس والقمر)

وتقوم الساعة حين جمع بين الشمس والقمر بعد تكوّرهما وذهاب نورهما .

٥٥٦١- (يقول الانسان يومئذ أين المفر)

يقول الانسان المنكر للبعث يوم القيامة حين عاين أهوالها : أين المفرّ من تلك الاهوال النازلة ؟؟؟

٥٥٦٢- (كلا لاوزر)

ألا لاشيء لهذا المنكر ولمن سلك مسلكه من ملجأ من تلك الاهوال . . .

٥٥٦٣- (الى ربك يومئذ المستقر)

إلى ربك أيها الانسان يوم القيامة مستقر كم فانها دارقرار .

٥٥٦٤- (ينبئوا الانسان يومئذ بما قدم وأخر)

يخبر كل امرىء يوم القيامة بكل ماعمل به فى الدنيا وما أخّره مماسن فيها من خير أوشر .

٥٥٦٥- (بل الانسان على نفسه بصيرة)

بل كل امرىء يوم القيامة على نفسه بصيرة لكشف الغطاء يومئذعن بصره .

٥٥٦٦- (ولوالقى معاذيره)

ولو جاء بكل معذرة ، وجادل عن نفسه لدفع العذاب عنها .

٥٥٦٧- (لاتحرك به لسانك لتعجل به)

لاتحرّك يا محمد ﷺ بالقرآن لسانك قبل أن يفرغ رسول الوحى جبرئيل من قرائته عليك لتعجل بأخذه حباً له .

٥٥٦٨- (ان علينا جمعه و قرآنه)

ان علينا أن نجمع ما نوحيه إليك فى صدرك ونحفظه فيه .

٥٥٦٩- (فاذا قرأناه فاتبع قرآنه)

فاذا قرأنا القرآن عليك بواسطة رسول الوحى فاتبع ما قرأناه .

٥٥٧٠- (ثم ان علينا بيانه)

ثم إن علينا بيان ما قرأناه عليك فيسّرناه لك حتى تبيّن للناس .

٥٥٧١- (كلا بل تحبون العاجلة)

ألا يا أيها المكذبون بالبعث انكم تحبون الحياة الدنيا .

٥٥٧٢- (و تذرون الاخرة)

وتتر كون الاخرة وتغفلون عنها .

٥٥٧٣- (وجوه يومئذ ناضرة)

وجوه طائفة يوم القيامة ذونضرة النعيم .

٥٥٧٤ (الى ربها ناظرة)

إلى رحمة ربها الخاصة ناظرة .

٥٥٧٥- (ووجوه يومئذ باسرة)

وجوه طائفة اخرى يوم القيامة عابسة شديدة العبوسة .

٥٥٧٦- (تظن أن يفعل بها فاقرة)

تستيقن تلك الوجوه العبوسة انه يعمل بها داهية عظيمة تكسر فقار الظهر من شدة أهوال القيامة . . .

٥٥٧٧- (كلا اذا بلغت التراقى)

ألا انه إذا بلغت النفس الحلقوم وأشرفت على الموت .

٥٥٧٨- (وقيل من راق)

يقول الانسان إذاحضره الموت : هل من طبيب يداوينى ؟

٥٥٧٩- (وظن انه الفراق)

وأيقن هذا المحتضر عندئذ انه ما نزل به انه فراق من الدنيا والاهل . ..

٥٥٨٠- (والتفت الساق بالساق)

وإلتفت على المحتضر شدتان : شدة آخر ساعة من حياته في الدنيا ، و شدة في أول ساعة من حياته في الدار الاخرة .

٥٥٨١- (الى ربك يومئذ المساق)

إلى ربك وحده يا محمد ﷺ يوم القيامة تصير الامور كلها . . .

٥٥٨٢- (فلا صدق ولا صلى)

فلا صدق هذا المنكر الدعوة الحقة ، ولا صلى لله تعالى صلاة .

٥٥٨٣- (ولكن كذب وتولى)

ولم يكتف بعدم التصديق ، وترك الصلاة بل كذب بالدعوة الحقة و أعرض عنها .

٥٥٨٤- (ثم ذهب الى اهله يتمطى)

ثم ذهب هذا المكذب ، والمعرض عن الحق إلى أهله متبختراً ، و مفتخراً بعمله الشنيع .

٥٥٨٥- (أولى لك فاولى)

بعداً لك أيها المكذب من خير الدنيا كله ، فاولى لك ما يلازمه من الهلاك والخزى فيها .

٥٥٨٦- (ثم أولى لك فاولى)

ثم بعداً لك أيها المكذب عن خير الاخرة ، فاولى لك ما يلازمه من النار والعذاب .

٥٥٨٧- (ايحسب الانسان ان يترك سدى)

أيظن هذا الانسان المكذب أن يترك مهملاً .

٥٥٨٨- (الم يك نطفة من منى يمنى)

ألم يك هذا الانسان المنكر نطفة من قطرة ماء تهراق في رحم امه .

٥٥٨٩- (ثم كان علقة فخلق فسوى)

ثم صارهذا الماء المهراق فى الرحم قطعة دم غليظ متجمد ، فخلق الله تعالى منها الانسان فسوّاه إذ جعل له مايحتاج فى حياته وما يليق بانسانيته.

٥٥٩٠- (فجعل منه الزوجين الذكر والانثى)

فجعل الله تعالى من هذا المنى الصنفين : الذكر والانثى .

٥٥٩١- (أليس ذلك بقادرعلى أن يحيى الموتى)

أليس الذى قدر على خلق الانسان من منى مهين على أن يعيده للبعث والحساب .



﴿بحث روائي﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى : «لا اقسم بيوم القيامة» قال : يعني اقسم بيوم القيامة ، «ولا اقسم بالنفس اللوامة» قال : نفس آدم التي عصت فلامها الله عزوجل .

وفيه : في قوله تعالى : «بلى قادرين على أن نسوى بنانه» قال: أطراف الاصابع لوشاءالله لسوّاها .

وفيه : في قوله تعالى : «بل يريد الانسان ليفجر أمامه» قال : يقدّم الذنب و يؤخّر التوبة و يقول : سوف أتوب .

و في البرهان بالاسناد عن الحلبي قال : سمعت أباعبدالله عليه السلام يقول : «بل يريد الانسان ليفجر أمامه» أي يكذبه قال : وقال بعض أصحابنا عنهم : ان قول الله عزوجل: «بل يريد الانسان ليفجر أمامه» قال: يريد أن يفجر أمير المؤمنين عليه السلام بمعنى يكيده .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «يسئل أيان يوم القيامة» قال : أي متى يكون ، فقال الله : «فاذا برق البصر» قال : يبرق البصر فلايقدر أن يطرف .

و في الغيبة للشيخ الطوسي قدس سره باسناده عن علي بن مهزيار - في حديث يذكر فيه دخوله على القائم عليه السلام ولسئواله اياه - فقلت : يا سيدي متى يكون هذا لامر ؟ فقال : إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة ، و اجتمع الشمس والقمر ، و استدار بهما الكواكب و النجوم ، فقلت : متى يابن رسول الله ؟ فقال لي : في سنة

كذا و كذا تخرج دابة الارض من بين الصفا و المروة ، معه عصى موسى و خاتم سليمان يسوق الناس الى المحشر .

وفي تفسير القمي : فيقوله تعالى : «كلالاوزر» قال : أي لاملجأ .

وفيه : و في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله : «ينبّؤا الانسان يومئذ بما قدم وأخر » بما قدم من خير وشروما أخر من سنة (فماسن من سنة خ) ليستن بها من بعده فان كان شراً كان عليه مثل وزرهم ولا ينقص من وزرهم شيئاً ، وإن كان خيراً كان له مثل اجورهم ، ولاينقص من اجورهم شيئاً .

وفي نهج البلاغة : ومن كتاب للامام أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى زياد بن أبيه :

« فدع الاسراف مقتصدا ، واذكر في اليوم غداً ، و أمسك من المال بقدر ضرورتك ، وقدّم الفضل ليوم حاجتك ، أترجوا أن يعطيك الله أجر المتواضعين وأنت عنده من المتكبرين ؟ وتطمع وأنت متمرّغ في النعيم أن تمنعه الضعيف و الأرملة ، وأن يوجب لك ثواب المتصدقين ، وانما المرء مجزىّ بما أسلف ، و قادم على ما قدّم والسلام »

قوله عليه السلام : « متمرّغ في النعيم » : متقلب فيه ، و نهاه عن الاسراف و هو التبذير في الانفاق وأمره أن يمسك من المال ماتدعو اليه الضرورة ، و أن يقدّم فضول أمواله و ما ليس له إليه حاجة ضرورية في الصدقة فيدّخره ليوم حاجته ، وهو يوم البعث والنشور .

وقال ابن أبي الحديد في الشرح: قلت : قبّح الله زياداً فانه كافأ إنعام علي عليه السلام وإحسانه إليه وإصطناعه له بما لاحاجة إلى شرحه من أعماله القبيحة بشيعته ومحبّيه والاسراف في لعنه ، وتهجين أفعاله ، والمبالغة في ذلك بما قد كان معاوية يرضى باليسير منه ، ولم يكن يفعل ذلك لطلب رضا معاوية كلاّ بل يفعله بطبعه ويعاديه بباطنه و ظاهره ، وأبى الله إلاّ أن يرجع إلى امه و يصحّح نسبه و كل

إناء ينضح بما فيه ثم جاء إبنه بعد فختم تلك الاعمال السيئة بما ختم ،« و إلى الله ترجع الامور ».

وفى الكافى : باسناده عن عمر بن يزيد قال : إنى لأتعشّى مع أبى عبد الله عليه السلام إذ تلا هذه الاية : « بل الانسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره » يا باحفص ما يصنع الانسان أن يعتذر إلى الناس بخلاف ما يعلم الله منه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من أسرّ سريرة ألبسه الله رداءها إن خيراً فخيراً وإن شراً فشراً .

اقول وفيه حثّ على التسوية بين السّريرة والعلانية : والظاهر والباطن ، بحيث لا يفعل سرّاً مالو أظهر لاحتاج إلى العذر، ومن البديهى ان الخير والايمان والطاعة وصالح الاعمال لاتحتاج إلى العذر ، وإنما الشر والكفر ، والطغيان و فساد الاعمال فى حاجة إلى العذر وإن لا يقبل .

وفيه ردع عن تعلق الشرّ بالشر مخالفاً للظاهر ، وهذا كما قيل : عليك بعمل العلانية .

قيل : وما عمل العلانية ؟ قيل : ما إذا اطلع عليك الناس لم تستحى منه . وهذا مأخوذ من كلام الامام أمير المؤمنين على عليه السلام إذ قال :

« إياك وما تعتذر منه فانه لا تعتذر من خير، و إياك و كل عمل فى السر تستحى منه فى العلانية ، وإياك و كل عمل إذا ذكر لصاحبه أنكره »

وفى نهج البلاغة : فيما كتب الامام على عليه السلام إلى الحارث الهمدانى :

« واحذر كل عمل يعمل به فى السر ويستحيى منه فى العلانية ، واحذر كل عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره أو اعتذر منه » .

وفى الكافى : باسناده عن فضل أبى العباس عن أبى عبدالله عليه السلام قال : ما يصنع أحدكم أن يظهر حسناً ويسرّ سيئاً أليس يرجع إلى نفسه ، فيعلم ان ذلك ليس كذلك ؟ والله عزوجل يقول : « بل الانسان على نفسه بصيرة » ان السريرة

إذا صحت قويت العلانية .

اقول : رواه الطبرسى رضوان الله تعالى عليه فى المجمع عن محمد بن مسلم عنه عليه السلام .

و فى الفقيه : باسناده عن زرارة قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام ماحد المرض الذى يفطر فيه الرجل ، ويدع الصلاة من قيام؟فقال : «بل الانسان على نفسه بصيرة» هوأعلم بما يطيقه .

وفى التهذيب : باسناده عن زيد الشحام قال : سئلت أباعبدالله عليه السلام عن الخفقة والخفقتين ؟ فقال : ما أدرى ماالخفقة والخفقتين ان الله تعالى يقول :«بل الانسان على نفسه بصيرة » ان علياً عليه السلام كان يقول : من وجد طعم النوم قائماً أوقاعداً وجب عليه الوضوء .

و فى تفسيرالقمى : فى قوله تعالى : « بل الانسان على نفسه بصيرة و لو ألقى معاذيره » قال : يعلم ما صنع وإن اعتذر .

و فى نور الثقلين : بالاسناد عن عبدالله يحيى الكاهلى قال : قيل لابى عبدالله عليه السلام : انا ندخل على أخ لنافى بيت أيتام ومعهم خادم فنقعد على بساطهم، ونشرب من مائهم ويخدمنا خادمهم ، وربما طعمنا فيه الطعام من عند صاحبنا،و فيه من طعامهم ، فما ترى فى ذلك ؟ فقال : إن كان فى دخولكم عليه منفعة لهم فلابأس ،وإن كان فيه ضررفلا ، وقال : « بل الانسان على نفسه بصيرة » فأنتم لا يخفى عليكم وقد قال الله عزوجل : « والله يعلم المفسد من المصلح » .

و فى البحار : فى خبر المفضل بن عمر – حديث طويل – قال الصادق عليه السلام : يا مفضل ان القرآن نزل فى ثلاث وعشرين سنة ، والله يقول : « شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن » وقال : « إنا انزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمرحكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين » وقال: « لولا نزّل عليه

القرآن جملة واحدة كذلك لنثبّت به فؤادك » قال المفضل : يا مولاى فهذا تنزيله الذى ذكره الله فى كتابه ، و كيف ظهر الوحى فى ثلاث وعشرين سنة ؟ قال: نعم يا مفضل أعطاه الله القرآن فى شهر رمضان ، و كان لايبلّغه إلاّ فى وقت استحقاق الخطاب ، ولايؤدّيه إلاّ فى وقت أمرونهى ، فهبط جبرئيل عليه السلام بالوحى، فبلّغ ما يؤمر به وقوله : « لاتحرّك به لسانك لتعجل به » فقال المفضّل : أشهد انكم من علم الله علمتم ، وبقدرته قدرتم وبحكمه نطقتم وبأمره تعملون .

و فى المناقب لابن شهرآشوب رضوان الله تعالى عليه قال : ومن عجب أمره فى هذا الباب انه لاشىء من العلوم إلاّ وأهله يجعلون علياً قدوة ، فصارقوله قبلة فى الشريعة ، فمنه سمع القرآن ذكر الشيرازى فى نزول القرآن و أبو يوسف يعقوب فى تفسيره عن إبن عباس فى قوله : « لا تحرّك به لسانك » كان النبى يحرّك شفتيه عند الوحى ليحفظه ، فقيل له : لا تحرّك به لسانك يعنى بالقرآن لتعجل به من قبل أن يفرغ به من قرائته عليك « ان علينا جمعه وقرآنه قال : ضمن الله محمداً أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على بن أبى طالب عليه السلام قال إبن عباس : فجمع الله القرآن فى قلب علىّ وجمعه علىّ بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بستّة أشهر .

وفى الكافى : باسناده عن جابر قال : سمعت أباجعفر عليه السلام يقول : ماادّعى أحد من الناس انه جمع القرآن كله كما أنزل إلاّ كذّاب ، وما جمعه وحفظه كما نزّله الله تعالى إلاّ على بن أبى طالب عليه السلام والائمة من بعده عليهم السلام .

وفيه :باسناده عن جابر عن أبى جعفر عليه السلام انه قال : ما يستطيع أحدأن يدّعى ان عنده جميع القرآن كله ظاهره وباطنه غير الاوصياء .

قوله عليه السلام : «ان عنده جميع القرآن كله» وإن كان ظاهراً فى لفظ القرآن و مشعراً بوقوع التحريف فيه ،ولكن تقييده بقوله : «ظاهره وباطنه» يفيد ان المراد

هو العلم بجميع القرآن من حيث معانيه الظاهرة على الفهم العادي ومعانيه المستنبطة على الفهم العادي ، وكذا قوله عليه السلام في الرواية السابقة : «وماجمعه وحفظه» حيث قيدالجمع بالحفظ .

وفي المجمع: قال إبن عباس :كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا نزل عليه القرآن عجل بتحريك لسانه لحبّه إياه وحرصه على أخذه وضبطه مخافة أن ينساه فنهاه الله عن ذلك .

وفيه : وفي رواية سعيد بن جبير عنه انه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعاجل من التنزيل شدة وكان يشتدّ عليه حفظه ، فكان يحرّك لسانه وشفتيه قبل فراغ جبرئيل من قراءة الوحي ، فقال سبحانه : «لاتحرك به»أي بالوحي أو بالقرآن «لسانك» يعني القراءة .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «ان علينا جمعه وقرآنه» قال : على آل محمد جمع القرآن وقرائته «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» قال : اتبعوا ماذاقرؤه «ثم ان علينا بيانه» أي تفسيره

وفيه : في قوله تعالى : «كلا بل تحبون العاجلة» قال : الدنيا الحاضرة «وتذرون الاخرة» قال :تدعون «وجوه يومئذ ناضرة» أي مشرقة «إلى ربها ناظرة» قال : ينظرون إلى وجه الله أي رحمة الله ونعمته .

وفي كنز الفوائد للكراچكي رضوان الله تعالى عليه باسناده عن هاشم ابن الصيداوي قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : ياهاشم حدّثني أبي وهو خير مني عن جدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : ما من رجل من فقراء شيعتنا إلاّ وليس عليه تبعة، قلت : جعلت فداك وماالتبعة ؟ قال : من الاحدى والخمسين ركعة،ومن صوم ثلاثة أيام من الشهر ، فاذا كان يوم القيامة خرجوا من قبورهم ووجوههم مثل القمر ليلة القدر ، فيقال للرجل منهم : سل تعط ، فيقول : أسئل ربي النظر إلى وجه

محمد صلى الله عليه وآله وسلم قال : فيأذن الله عزوجل لاهل الجنة أن يزوروا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم قال : فينصب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منبر على در نوك من درانيك الجنة له ألف مرقاة بين المرقاة إلى المرقاة ركضة الفرس فيصعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين قال : فيحف ذلك المنبر شيعة آل محمد، فينظر الله إليهم ، وهو قوله: «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» قال : فيلقى عليهم من النور حتى أن أحدهم إذا رجع لم تقدر الجوراء تملأ بصرها منه ، قال : ثم قال أبو عبدالله عليه السلام : ياهاشم لمثل هذا فليعمل العاملون .

قوله عليه السلام : «درنوك» : ضرب من البسط ذو خمل .

وفي عيون الاخبار : باسناده عن إبراهيم بن أبي محمود قال : قال على بن موسى الرضا عليه السلام في قول الله عزوجل : «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» يعني مشرقة تنظر ثواب ربها .

وفي الاحتجاج :قال الامام على عليه السلام - في جواب بعض الزنادقة - : وأما قوله : «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عزوجل بعدما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى «نهر الحيوان» فيغتسلون منه ، ويشربون من آخر فتبيض وجوههم ، فيذهب عنهم كل أذى وقذى ووعث ، ثم يؤمرون بدخول الجنة ،فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يثيبهم ، ومنه يدخلون الجنة فذلك قول الله عزوجل - في تسليم الملائكة عليهم - : «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» فعند ذلك قوله تعالى: اثيبوا بدخول الجنة و النظر إلى ما وعدهم الله عزوجل فلذلك قوله تعالى : «إلى ربها ناظرة» و الناظرة في بعض اللغة : هي المنتظرة ألم تسمع إلى قوله تعالى :«فناظرة بم يرجع المرسلون» أي منتظرة بم يرجع المرسلون ؟

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن عبدالسلام بن صالح الهروي قال :قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام : يابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي أهل الحديث : ان المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة ؟

فقال عليه السلام : يا أبا الصلت ان الله تبارك وتعالى فضّل نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم على

جميع خلقه من النبيين والملائكة وجعل طاعته طاعته ، ومتابعته متابعته وزيارته في الدنيا والاخرة زيارته : فقال عزوجل : «من يطع الرسول فقد أطاع الله» وقال: «ان الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يدالله فوق أيديهم».

وقال النبي ﷺ : من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله جل جلاله ودرجة النبي ﷺ في الجنة أرفع الدرجات ، فمن زاره إلى درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى قال : فقلت له : يابن رسول الله فما معنى الخبر الذي رووه :ان ثواب «لاإله إلا الله» النظر إلى وجه الله ؟ فقال عليه السلام : ياأبا الصلت من وصف الله بوجه كالوجوه فقد كفر ولكن وجه الله انبياؤه و رسله وحججه صلوات الله عليهم هم الذين بهم يتوجه إلى الله وإلى دينه ومعرفته وقال الله عزوجل :

«كل من عليها فان ويبقى وجه ربك» وقال عزوجل : «كل شيء هالك إلا وجهه» فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه عليهم السلام في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة ، وقد قال النبي ﷺ : من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم اره يوم القيامة . وقال : ان فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني . يا أبا الصلت ان الله تبارك وتعالى لايوصف بمكان ولايدرك بالابصار والاوهام . . . الحديث .

وفي تفسير القمي : في قوله : «ووجوه يومئذ باسرة» قال : أي ذليلة ، و قوله تعالى : «كلا إذا بلغت التراقي» قال : يعني النفس إذا بلغت الترقوة ، «و قيل من راق» قال : يقال له : من يرقيك ، و «ظن انه الفراق» : علم أنه الفراق .

وفي أمالي الصدوق قدس سره باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام انه سئل عن قول الله عزوجل: «وقيل من راق» قال: ذاك قول إبن آدم إذا حضره الموت قال : هل من طبيب هل من راق ؟ قال : وظن انه الفراق يعني فراق الاهل والاحبة عند ذلك قال : والتفت الساق بالساق قال : التفت الدنيا بالاخرة قال إلى ربك يومئذ المساق إلى رب العالمين يومئذ المصير.

وفي الكافي : باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال : سئلته عن قول الله تبارك وتعالى : «وقيل من راق وظن انه الفراق» قال : فان ذلك إبن آدم إذا حل به الموت قال : هل من طبيب ؟ انه الفراق أيقن بمفارقة الاحبة قال : «والتفت الساق بالساق» إلتفت الدنيا بالاخرة «ثم إلى ربك يومئذ المساق» قال : المصير إلى رب العالمين.

ومن كلام الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام يصف المحتضر في احتضاره: «فبينا هو يضحك إلى الدنيا ، وتضحك إليه في ظل عيش غفول ، اذ وطيء الدهر به حسكه، ونقضت الايام قواه ، ونظرت إليه الحتوف عن كثب ، وفتر معلله ، وذهل ممرضه ، وتعاديا أهله بصفة دائه ، وخرسوا عن جواب السائلين عنه ، وان للموت لغمرات هي أفظع من أن تستغرق بصفة او تعتدل على قلوب الدنيا» .

معنى «تعتدل» : تستقيم بالادراك .

وفي عيون الاخبار : باسناده عن عبدالعظيم الحسني عن أبي جعفر الثاني محمد بن علي الرضا عليه السلام قال : سئلته عن قول الله عزوجل : «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» قال : يقول الله عزوجل : بعداً لك من خير الدنيا وبعداً لك من خير الاخرة .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «أيحسب الانسان أن يترك سدى» قال: لا يحاسب ولا يعذّب ولا يسئل عن شيء .

وفي عدة الداعي لابن فهد الحلّي رحمه الله تعالى عليه : روى الحكم بن مروان عن جبير بن حبيب قال : نزل بعمر بن خطاب نازلة قام لها وقعد تربح لها (ترنح خ) وتقطر ثم قال :معشر المهاجرين ماعندكم فيها ؟ قالوا : ياامير المؤمنين أنت المفزع والمنزع ، فغضب وقال : «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً» أما والله أنا وإياكم لنعرف إبن بجدتها ، والخبير بها قالوا : كأنك أردت

إبن أبيطالب عليه السلام قال : وأنى يعدل بى عنه ؟ وهل طفحت جرة (نفحت حرة خ) بمثله ؟ قالوا:فلو بعثت إليه قال :هيهات هناك شمخ من هاشم و لحمة من الرسول، واثرة من علم يؤتى لها ولا يأتي امضوا إليه ، فاقصفوا نحوه وافضوا إليه ، وهو فى حائط له عليه تبان يتر كل على مسحاته وهو يقول : «أيحسب الانسان أن يترك سدى ألم يك من نطفة من منى يمنى ثم كان علقة فخلق فسوّى» ودموعه تهمى على خديه ، فاجهش القوم لبكائه ثم سكن وسكنوا وسئله عمر عن مسئلته فاصدر إليه جوابها ،فلوى عمر يديه ثم قال .أما والله لقد أرادك الحق ، ولكن أبى قومك، فقال عليه السلام له : يـا أبا خفص خفض عليك من هنا و من هنا « ان يوم الفصل كان ميقاتاً » فانصرف وقد أظلم وجهه و كأنما ينظر إليه من ليل .

قوله : « المنزع » ما يرجع إليه الرجل من أمره و « إبن بجدتها » يقال للدليل الحاذق : هوابن بجدتها أى عالم بالارض ، و « طفحت » طفح الاناء :إمتلأ حتى يفيض و « جرة » :إناء خزف له بطن كبير ، وهذا كناية عن كثرة علمه عليه السلام و«شمخ» شريف و «لحمة» قرابة و «اثرة» : بقية من العلم ، و «تبان» : سراويل صغير «مسحاته» تر كل الحافر بالمسحاة أو عليها : ضربها برجله في الارض ، و «خفض»خفض الرجل صوته : إذا لم يجهر به .

وفى العلل : باسناده عن مسعدة بن زياد قال رجل لجعفر بن محمد عليه السلام: يا أبا عبدالله انا خلقنا للعجب قال : وماذلك لله أنت ؟ قال : خلقنا للفناء فقال يابن أخ خلقنا للبقاء ، و كيف يفنى جنّة لاتبيد ونار لاتخمد ؟ ولكن قل : انما نتحوّل من دار إلى دار .

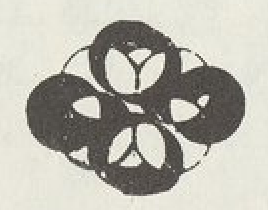
وفيه : باسناده عن إبن عمارة قال : سئلت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت : لم خلق الله الخلق ؟ فقال : ان الله تبارك وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتر كهم سدى بل خلقهم لاظهار قدرته ، وليكلفهم طاعته ، فيستو جبوا بذلك رضوانه ، و ماخلقهم ليجلب منهم منفعة ، ولا ليدفع بهم مضرّة بل خلقهم لينفعهم

ويوصلهم الى نعيم .

وفي تفسير القمي : في قوله تعالى : «ألم يك نطفة من مني يمنى» قال : إذا نكح أمناه .

وفي المجمع : وجاء في الحديث عن البراء بن عازب قال : لما نزلت هذه الاية : «أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى» قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سبحانك اللهم و بلى . وهو المروى عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام .

وفي عيون الاخبار : ـ فيما يذكر أخلاق الامام على بن موسى الرضا عليه السلام ويصف عبادته ـ : وكان إذا قرء «لاأقسم بيوم القيامة . . .» السورة قال عند الفراغ : سبحانك اللهم بلى .



﴿ بحث فقهي ﴾

يستدل بقوله تعالى: «بل الانسان على نفسه بصيرة» القيامة: ١٤) على قبول إقرار المرء على نفسه لانه شهادة منه عليها.

وقال الله تعالى: «يوم تشهد عليهم ألسنتهم و أيديهم و أرجلهم بما كانوا يعملون» النور: ٢٤) ولا خلاف فيه لانه إخبار على وجه تنتفي التهمة عنه لان العاقل لا يكذب على نفسه.

وان الاقرار هو الاخبار عن حق ثابت على المخبر أو نفي حق له على غيره، ولا يختص بلفظ خاص بل يكفي كل لفظ دال على ذلك عرفاً ولو لم يكن صريحاً، و كذا تكفي الاشارة المعلومة فقول المرء مقبول على نفسه إذ جعل الله تعالى إقراره حجة على نفسه و شاهداً عليها ولما عبّر عن كونه شاهداً على نفسه بانه على نفسه بصيرة دلّ ذلك على تأكيد أمر شهادته على نفسه و ثبوتها، فيوجب ذلك جواز عقوده و إقراره وجميع ما اعترف بلزومه على نفسه.

ثم يستدل بقوله تعالى: «ولو ألقى معاذيره» القيامة: ١٥) على عدم قبول الاعتذار بعد الاقرار، فلا رجوع له بعده.

وقد استدل بعض الفقهاء بقوله تعالى: «ثم ان علينا بيانه» القيامة: ١٩) على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب.

أقول: لو سلمنا إستفادة ذلك من الاية الكريمة وهي لا تدل على تأخير البيان عن وقت الحاجة لاستلزامه تكليف مالا يطاق. ومن المحتمل قوياً أن يكون

المراد من البيان بياناً تفصيلياً وهو يجوز تأخيره، ولايجوز تأخير البيان الاجمالي عن وقت الحاجة .

و استدل بعضهم بقوله تعالى : « فجعل منه الزوجين الذكر والانثى » القيامة : ٣٩) على إخراج الخنثى من حكم الذكر والانثى ، وقد أنكر بعض وجود الخنثى على أن الله تعالى قسّم الخلق إلى صنفين : الذكر والانثى .

اقول : ان الاية الكريمة إنما خرجت مخرج الغالب : وان الخنثى : من له فرج الرجل ، وفرج الانثى، وان الوجود يشهد له ، والعيان يكذب منكره، وحكم الخنثى والبحث فيها في سورة الشورى فراجع .

و في المجمع : في قوله تعالى : « اليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى » القيامة : ٤٠) قال : في الاية دلالة على صحة القياس العقلي ، فانه سبحانه اعتبر النشأة الثانية بالنشأة الاولى .

اقول : ان العمل بالاقيسة والاستحسان و المصالح المرسلة و نحوها مما يورث غلبة الظن لصاحبه على ما يفتي به أصحاب القياس غير جائز عند الشيعة الامامية الاثنى عشرية ، وهم يبطلون العمل بمقتضا القياس في الاحكام الشرعية ، إذ ليس القياس إلاّ تعويلاً على الظن الذي لادليل على حجيته ، وجواز العمل بمقتضاه من الشرع بل ورد النهي عن إتباعه في الايات القرآنية والروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله علهم اجمعين .

﴿ بحث مذهبی ﴾

وقد ذهب القائلون بالبعث الاخروی للحساب و الجزاء إلى آراء كثيرة أهمها ثلاثة :

ومنهم : الذين يقولون : ان الانسان يبعث يوم القيامة بما ركّب عليه في الحياة الدنيا من عظام و لحم ودم و أعضاء بأعيانها . . . مستدلين بآيات قرآنية و روايات كثيرة . . . ومن الايات الكريمة قوله تعالى : «بلى قادرين على أن نسوّى بنانه» القيامة : ٤) .

ففيه ردّ على الذين ينكرون البعث بأعيان أجسامهم ويزعمون ان تلك الاعيان تنحل وتدخل في بنيان أجسام أخرى بشرية وغير بشرية ، وان البعث الاخروی ومايكون فيه من حساب ونعيم، وعقاب وجحيم هو روحانی أی انه يقع على الارواح التی هی وحدها التی تكسب وتستحق الجزاء حسب كسبها لا على الاجسام التی هی غلاف للروح .

و ردّ على طائفة آخرين يقولون بانحلال الاجسام وتداخلها في أجسام اخرى فلا ضرورة أن تبعث الاجسام بأعيانها ، فانها ليست إلاّ غلافاً للروح الكاسبة المستحقة للنعيم والجحيم ، فمن الممكن أن يبعثها الله تعالى باجسام جديدة لان الروح المستحقة للنعيم والعذاب لاتشعر بهما إلاّ بالاحساس الجسمانی .

و قال بعض المحققين : ولنا أن نستفيد من قوله تعالى : «بل يريد الانسان ليفجر أمامه» القيامة : ٥) تعليلاً لخلود الكفرة الفجرة في الجحيم .

وذلك كأن معنى الاية : ان المخلد في النار كان يريد في الحياة الدنيا ليدوم على كفره وفجوره فيما يستقبله من الزمان بأنه لو عمّر ملايين سنة لما كان يريد الايمان والطاعة ، و ان المرء على مانواه فيؤاخذ عليه .

ففيه ردّ على الذين يقولون بانقطاع العذاب ولو بعد آلاف سنة إما بالشفاعة وإما بانتهاء المجازات . . .

و قال بعض المتكلمين : ان في قوله تعالى : «وخسف القمر » القيامة:٨) رداً على عبدة القمر ،وذلك لانه لو كان القمر إلهاً كما زعم عبدته لدفع عن نفسه الخسوف.

في تفسير النيسابوري : في قوله تعالى : «إلى ربها ناظرة» القيامة : ٢٢) قال : و اعلم ان أهل السنة استدلوا بالاية على إمكان رؤية الله تعالى في الاخرة بل على وجوبها بحكم الوعد .

و في تفسير المراغي : « ان العباد ينظرون إلى ربهم يوم القيامة كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر » .

وفيه : عن أبي هريرة : «ان ناساً قالوا: يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال : هل تضارّون في روية الشمس والقمر ليس دونهما سحاب ؟ قالوا : لا، قال: فانكم ترون ربكم كذلك » .

اقول : ولعمري اني لست بمتعجب بمثل هذه الموضوعة و آلاف مجعولات اُخر من أبي هريرة رأس المتملقين إذ كنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأبي هريرة فان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يراه انه يتملق بدرهم في جعل الحديث من أيّ كان بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،واني متعجب ممن يرى نفسه من أهل العلم فيروي تلك الموضوعات معتقداً بها

و تشبّث أبو الحسن الاشعري بهذا الاية دليلاً على مذهبه السخيف في التجسيم والتشبيه وتبعته مردته الذين سمّوا بالأشاعرة . . .

وقد سبقت في بحث روائي روايات عديدة عن طريق أهل بيت الوحي عليهم السلام- وهم خزّان العلم وأهل الذكر ، و أحد الثقلين - بان المراد بالنظر إلى الله تعالى

ليس هو النظر الحسّى المتعلق بالعين الجسمانية المـادية التى قامت البراهين القاطعة على إستحالته في حقه جل وعلا، بل المراد هو النظر القلبى و رؤية القلب بحقيقة الايمان حيث ان الاية الكريمة تصف موقف المؤمنين يوم القيامة بانهم على رغم فزعه و أهواله . . . مسرورون مبتهجون « وهم من فزع يـومئذ آمنون » النمل : ٨٩) .

وهم الذين تتوجّه قلوبهم إلى ربهم ، وهم متوجهون بكل وجودهم الى الله تعالى تحقيقا لقوله تعالى . « انا لله وانا اليه راجعون » وهم منصرفون عن غير الله جل وعلا ولايشغلهم عنه تعالى شاغل من الاسباب لتقطع الاسباب يومئذ فلا نظر منهم إلاّ إليه سبحانه . وهم لايقفون موقفاً من مواقف هذا اليوم ولايقطعون مرحلة من مراحله إلاّ والرحمة الالهية شاملة لهم، ولايشهدون مشهداً من مشاهد الجنة، ولايتنعمون بشيء من نعيمها إلاّ وهم يشاهدون ربهم به لانهم لاينظرون إلى شيء ولا يرون شيئاً إلاّ من حيث انه آية لله تعالى والنظر إلى الآية من حيث انها آية و رؤيتها نظر إلى ذى الآية و رؤية له : فصار علم يقينهم عين يقين ، و انكشف لهم من أسرار الملك و الملكوت ماكانوا يعلمونه بالدلائل و الآيات . . .

واستدل بعض المفسرين بقوله تعالى : « وظن انه الفراق » القيامة : ٢٨) على بقاء النفس بعد الموت وخراب الجسم ، وذلك لان الله تعالى سمى الموت فراقاً، والفراق والوصال صفة ، والصفة تستدعى وجود الموصوف .

﴿في جمع القرآن الكريم و أنحائه﴾

قال الله تعالى: «إن علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه» القيامة: ١٧ - ١٨).

و قد اختلفت كلمات الباحثين قديماً و حديثاً في جمع القرآن الكريم إختلافاً كثيراً بحيث جعل من الموضوعات التي يتذرع بها القائلون بالتحريف، إلى إثبات ان في القرآن المجيد تحريفاً وتغييراً، و ان كيفية جمعه مستلزمة - عادة - لوقوع هذا التحريف فيه.

فلابد لنا من البحث في المقام إكمالاً لصيانة هذا الكتاب السماوي المعجز الخالد من التحريف و تنزيهه عن أي نقص أو تغيير.

ومن المعلوم ان مصدر هذه الشبهة هو زعمهم بان هذا القرآن قد جمع بأمر من أبي بكر بعد أن قتل سبعون رجلاً من القراء في بئر معونة، و أكثر من ذلك في حرب اليمامة، فخيف ضياع القرآن الكريم و ذهابه من الناس، فتصدى عمر بن الخطاب و زيد بن ثابت لجمع القرآن من العسب والرقاع واللخاف والاكتاف والاقتاب، و من صدور الناس بشرط أن يشهد شاهدان على أنه من القرآن، و قد وردت في ذلك عدة روايات...

وان العادة تقتضي بفوات شيء منه على المتصدي لذلك، إذا كان غير معصوم كما هو مشاهد فيمن يتصدى لجمع شعر شاعر واحد أو أكثر إذا كان هذا الشعر متفرقاً وهذا الحكم قطعي بمقتضى العادة، ولا أقل من إحتمال وقوع التحريف،

فان من المحتمل عدم إمكان إقامة شاهدين على بعض ما سمع من النبى ﷺ فلا يبقى وثوق بعدم النقيصة .

و تدفع هذه الشبهة بما حققنا من أنحاء الجمع والمراد منه ، مضافاً إلى مافى روايات الجمع من التناقض فى أنفسها من جهة ، والتعارض بالروايات الصحيحة الواردة فى حفظ القرآن الكريم و تنزيهه عن أىّ نقص و تغيير من جهة اخرى و مخالفتها لنفس الكتاب السماوى والعقل والاجماع من جهة ثالثة .

و اما جمع القرآن الكريم : فما يمكن لنا أن نتصوره صحيحاً فى المقام، فعلى أنحاء أربعة لا خامس لها :

الاول : أن يكون المراد بجمع القرآن المجيد حفظه فى لوح القلب على طريق الاستظهار و منه يقال لحفّاظ القرآن : جمّاعه .

الثانى : أن يكون المراد بجمعه كتابته على الادوات المتوفرة ، ولكن مفرّق الايات والسور ، أو مرتب الآيات مفرّق السور ، و كل سورة على رقعة من الرقاع .

الثالث : أن يكون المراد بالجمع كتابته متسلسل الآيات ، مرتب السور فى مصحف واحد .

والرابع : أن يكون المراد بالجمع نسخه على قراءة واحدة متواترة فى مصحف واحد .

و قد وقعت تلك الجموع على هذا القرآن الكريم لصيانته من أى دس ، و هذه معجزة اخرى لهذا الكتاب، فضلاً عن أن يكون ذلك موجباً لأىّ نقص أو تغيير فيه .

أما الاول : فقد كان صدر رسول الله الاعظم ﷺ و صدور كثير من الصحابة ألواحاً نقش فيها القرآن الكريم فى عهده ﷺ و تم إستظهاره من قبل المئات من المسلمين .

و أما الثاني : فقد تم أيضاً في زمن النبي الكريم ﷺ إذ كانت توجد عند كثير من الصحابة ، و لن تستطيع أحد بانكاره .

و أما الثالث : فقد تم بعد وفاة رسول الله ﷺ بيد مولى الموحدين إمام المتقين أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام بلاريب لولم نقل بانه قد تم في عهد رسول الله ﷺ أيضاً .

و أما الرابع : فلعله في زمن عثمان بن عفان .



﴿ استظهار القرآن الكريم فى زمن رسول الله ﷺ ﴾

ومن المعلوم ان القرآن الكريم كمل نزوله خلال نحو : ثلاث و عشرين عاماً ، وقد وردت روايات تذكر ان هذا الكتاب السماوى قد جمع فى عهد النبى الكريم ﷺ ، ولابد من البحث فى كيفية هذا الجمع فى زمن رسول الله الاعظم ﷺ و ما أدلته : ومن غير مراء ان جمع القرآن الكريم بالمعنى الاستظهارى - أى حفظه على ظهر القلب - قد تمّ فى زمن رسول الله ﷺ بصورة جلية واضحة ، وقد كان النبى ﷺ أول الحفّاظ وسيدهم قاطبة ، والشواهد على ذلك كثيرة جداً منها :

١- قوله عز وجل : «لاتحرك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه» القيامة : ١٦-١٧. أى لاتحرّك يا محمد ﷺ بكلمات الله جل و علا لسانك للتأكيد عليها قبل فراغ جبرئيل «ان علينا جمعه و قرآنه » أى وان علينا جمعه فى صدرك حتى تحفظه ويمكنك تلاوته ، وقرآنه ، أى واجراء قرائته على لسانك فلاتخف فوت شيء منه .

ومن الضرورة ان أمر هذا الوحى السماوى ، وحفظه وجمعه ، وبيان مقاصده وتقرير مبانيه . . . كل ذلك موكول إلى صاحبه « انا نحن نزلنا الذكر و انا له لحافظون » الحجر : ٩) ودور - رسول الله الاعظم ﷺ - هو التلقى والبلاغ ، فليطمئن بالاً وليتلق الوحى كاملاً ، فيجده فى صدره منقوشاً ثابتاً .

قال الله تعالى : « انك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم » النمل:٦)

وقال : « كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً » الفرقان : ٣٢)

وقال : « فانما عليك البلاغ » الرعد : ٤٠)

٢- قوله تعالى : « سنقرئك فلاتنسى » الاعلى : ١٧)

وذلك لان رسول الله ﷺ كان إذانزل عليه جبرئيل بالوحى ، يعيد ﷺ قراءة ما نزل مخافة أن ينساه . فكان ﷺ لايكاد جبرئيل يفرغ من آخرالوحى حتى يبدأ النبى ﷺ بقراءة أوله وترديده آية آية ، وتحريك لسانه به شغفاً به، وتأميناً له لتبليغه الامة ، حتى وافته بشرى ربه برفع مشقة الاستظهار عنه ،وان الله جل وعلا تكفل بقلبه ، فلاينسى ما يقرئه ربه .

٣- ان حفّاظ القرآن الكريم فى عهد رسول الله ﷺ كانوا كثيرين جداً حتى قتل منهم سبعون فى « بئر معونة » سنة ٤ هـ ، ولأجل ذلك أمر رسول الله ﷺ علياً عليه السلام بجمع القرآن الكريم وحذّر من تضييعه، كما قتل منهم سبعون يوم اليمامة بعد النبى ﷺ وفى رواية : انهم كانوا أربعمأة مقرىء .

و فى فضائل القرآن لابن كثير الدمشقى : « لما استحرّ القتل بالقرّاء أى اشتدّ وكثر من قرّاء القرآن يوم اليمامة يعنى يوم قتال مسليمة الكذاب و أصحابه بنى حنيفة بأرض اليمامة .. قتل من القراء يومئذ قريب من خمسمأة ...»

وقد كان مسجد النبى ﷺ نادياً عامراً بتلاوة القرآن ، يضج بأصوات الحفاظ ، فأمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا .

٤- كما ان رسول الله ﷺ كان يدفع كل مهاجر جديد إلى أحد الحفاظ ليعلمه حفظ القرآن الكريم ، فشاع حفظه بين الرجال والنساء و لقد افتتن المسلمون بحفظ القرآن و شغفوا به شغفاً جماً حتى ان المرأة المسلمة كانت ترضى سورة من القرآن أو أكثر مهراً لها .

فى فضائل القرآن : عن سهل بن سعد قال : أتت النبى ﷺ إمرأة فقالت انها قد وهبت نفسها لله ولرسوله ، فقال ﷺ : مالى فى النساء من حاجة، فقال

رجل : زوّجنيها ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم: أعطها ثوباً ، قال: لاأجد ، قال صلى الله عليه وآله وسلم :أعطها ولو خاتماً من حديد ، فاعتل له ، فقال صلى الله عليه وآله وسلم : مامعك من القرآن ؟ قال : كذاو كذا قال صلى الله عليه وآله وسلم : زوجتكما بما معك من القرآن .

بل ان إهتمام النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم بهذا الكتاب السماوى كان مواكباً لنشر الدعوة الاسلامية منذ خيوط فجرها الاولى ، فانه بادرفأرسل مصعب بن عمير إلى المدينة ، مع من بايعه بالعقبة الاولى وأمره أن يقرءهم القرآن الكريم و يعلّمهم الاسلام .

٥ـ وقد راح إستظهار القرآن الكريم بعد فتح مكة ، وكان تعليمه ينتشر بين أهلها ، وقد طلب رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم من معاذبن جبل أن يبقى فى مكة بعد فتحها لكى يفقّه الناس فى الدين ويعلّمهم القرآن . وجاء جماعة للرسول صلى الله عليه وآله وسلم فبعث معهم عباد بن بشر ، وطلب منه أن يعلمهم شرائع الاسلام و يقرئهم القرآن .

٦ـ وقدكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يباشر بنفسه تعليم المسلمين القرآن الكريم بالاضافة إلى تعليم بعضهم بعضاً .

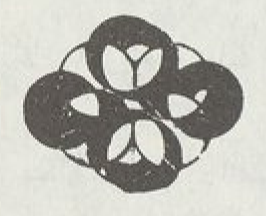
فى تفسير الطبرى : قال عبدالله بن مسعود لأصحابه فى الكوفة إنى قرأت من لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبعين سورة .

وفيه : عن أحدهم انه قال : حدثنا الذين كانوا يقرؤننا انهم كانوا يستقرؤن من النبى صلى الله عليه وآله وسلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا مافيهامن العمل فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً .

وفى تاريخ الجرجان : قال عبدالله بن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا القرآن . و قال ابى بن كعب : رحت إلى المسجد فسمعت رجلاً يقرأ ، فقلت من أقرأك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وفى النظم الاسلامية : قال المستشرق الفرنسى غود فروا : و منذ الايام

الاولى للجماعة الاسلامية دعا الرسول ﷺ أتباعه إلى الاجتماع ليقضى إليهم بالوحى . . . ويحتمل أن تكون هذه الاجتماعات لغرض العبادة وتلاوة القرآن ، وإحتمال تفسير بعض غوامضه ، ومحاولة تثبيته فى ذاكرة المؤمنين ، والواقع ان ذاكرة هؤلاء المومنين الأوائل ، أصبحت خير مؤتمن على الوحى وناقل له ... و مما يميز الانسان و يرفع من قدره ، أن يكون حافظاً ، يحوى القرآن كله فى صدره .



لماذا كان المسلمون الاولون

يستظهرون القرآن الكريم ؟

ان المحقق الخبير يجد أكثر من سبب يدفع بالمسلمين الاولين لاستظهار القرآن الكريم وحفظه في صدورهم ، ولعل من تلك الاسباب :

الاول : قد كان هذا الكتاب السماوي دستورهم الذي يسيرون بموجبه ، وفقههم الذي يبين لهم الحلال والحرام ، الخير والشر ، الحق والباطل ، ومالهم وما عليهم . . فلابد أن يستظهروه لاسيما وانهم ما كانوا يتعلمون القرآن الكريم إلا للعمل بمقتضاه ، وتحديد تصرفاتهم وعلاقاتهم ومواقفهم حسب ما يأمر وينهى... فلم يكونوا كما عليه اليوم الكثير من المسلمين في علاقتهم بهذا الوحي السماوي وحفظه للتكسب به وتلاوته في الحفلات والمناسبات لتجميع الناس أو ترتيله في آذان الموتى من على قبورهم ، متناسين ان هذا الكتاب دستورهم ، وطريق هدايتهم و كمالهم ، سبيل سعادتهم وعزتهم، وطريق نجاتهم ورفعتهم في الدنيا والآخرة، به عزّوا وسعدوا ، وبعمله نجوا وسادوا ، وبتركه ذلوا وشقوا وخزوا و هلكوا ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون ، وانه لاسبيل إلى الهداية والتقوى ، ولا مفرّ من الهلاك والعذاب إلاّ إليه ،ولاسعادة ولا كمال إلاّ به ، وهو ما كان عليه ايمان المسلمين الأوائل . . .

الثاني : ان هذا القرآن آية كبرى في البلاغة ، وقد كانت عادة العرب

إستظهار النصوص البلاغية ، فكيف بالقرآن الكريم ، وقد تحدى كل بليغ ، وحيّر كل فصيح .

الثالث : قد كانت لحفّاظ القرآن الكريم منزلة مرموقة بين المسلمين عامة ، ولدى رسول الله الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم خاصة ، وهذه الحالة الاجتماعية كافية بحد ذاتها لان يتزاحم المسلمون ، ويتنافسوا على إستظهار القرآن الكريم .

في تفسير الطبرى : قال معاذ : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «ما من رجل علّم ولده القرآن إلاّ توّجه الله به يوم القيامة تاج الملك ، وكسى حلتين لم ير الناس مثلهما» وإذا كان الاجماع قائماً على ما بين دفتي المصحف الكريم هو ما نقل إلينا بالتواتر ، فانه شاهد صدق على كثرة الحفاظ في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى بلغوا كثرة يؤمن تواطؤهم وصار نقلهم تواتراً .



تدوين القرآن الكريم

في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

و من غير ريب انه قد تمّ تدوين القرآن الكريم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذكان كلما هبط الوحى بالآيات القرآنية ثبتت فى ذاكرة النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ، وصحابته و سجلتها فوراً أيدى امناء الوحى على ماكان لديهم من أدوات التدوين يوم ذاك ، و كانت تودع فى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وان الادلة القاطعة التى تدل على ان القرآن الكريم كان مكتوباً مجموعاً بهذا المعنى من الجمع على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كثيرة جداً نشير إلى ما يسعه المقام :

الاول : نفس الكتاب و كثير من آياته تدل على ان سور القرآن كانت متميزة فى الخارج بعضها عن بعض ، و ان السور كانت منتشرة بين الناس حتى المشركين، وأهل الكتاب، فان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتحدى الكفار والمشركين على الاتيان بمثل هذا القرآن و بعشر سور مثله مفتريات ، و بسورة من مثله ، و بحديث مثله ، و معنى هذا ان سور القرآن و آياته كانت فى متناول أيديهم ، و إلاّ كان التحدى بغير الموجود و هو لا يصح .

وهو يقول : «قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً » الاسراء : ٨٨) .

و يقول : « أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات و ادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين » هود : ١٣) .

و يقول : « و إن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداء كم من دون الله إن كنتم صادقين » البقرة : ٢٣) .

و يقول : « أم يقولون تقوّله بل لا يؤمنون فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين » الطور : ٣٣ - ٣٤) .

و قد أطلق لفظ الكتاب على القرآن الكريم فى كثير من آياته . . .

منها : قوله تعالى : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » البقرة : ٢) .

و منها : قوله سبحانه : « كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدّبروا آياته و ليتذكر اولوا الألباب » ص : ٢٩) .

و منها : قوله عزوجل : « كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون » فصلت : ٣) .

وغيرها من الايات الكريمة الدالة على أن هذا القرآن كان مكتوباً مجموعاً على ما هو عليه الآن من طريق الوحى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لانه لا يصح إطلاق الكتاب عليه و هو فى الصدور بل و لا على ما كتب فى اللخاف والعسب والاكتاف و ما إليها من أدوات التدوين آنذاك إلاّ على نحو المجاز والعناية ، والمجاز لايحمل عليه اللفظ من غير قرينة ، فان لفظ الكتاب ظاهر فيما كان له وجود واحد جمعى ، و لا يطلق على المكتوب إذا كان مجزءاً غير مجتمع ، فضلاً عما إذا لم يكتب ، و كان محفوظاً فى الصدور فقط .

الثانى : حديث الثقلين ، و هو قول النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم : « إنى تارك فيكم الثقلين : كتاب الله وعترتى أهل بيتى ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدى أبداً » رواه الفريقان و هذا الحديث الشريف يدل على أن هذا القرآن الكريم

كان مكتوباً مجموعاً عند وفاة رسول الله ﷺ لان لفظ «كتاب» بالتبادر هو الصحيفة أو الصحائف التى تضبط طائفة من المعانى ، فيكون القرآن مكتوباً فى عهد رسول الله ﷺ و لم يكن مقصوراً فى الصدور فحسب .

الثالث : ان التناسب الموجود بين كل سورة مع سابقتها و لا حقتها من جهة ، ومابين آياتها دليل واضح لكل قارىء عارف بظواهرها فضلاً عن المفسّر المحقق الخبير على أن نظم سور و ترتيب آياتها كان بالوحى السماوى فى زمن الرسول ﷺ إذ لا يعرف المناسبة بينها و بينها بهذا الشكل المبدع البالغ حدّ الاعجاز غيره ﷺ بالوحى السماوى .

الرابع : ان نزول القرآن الكريم ﷺ على رسول الله ﷺ خلال ما يقرب من ثلاث وعشرين سنة ، وكان النبى ﷺ طيلة هذه المدة يقول لاصحابه ويدعو من يكتب عنده كلما نزل عليه شىء من القرآن : « ضعوا هذا فى السورة التى يذكر فيها كذا و كذا » مما يدل على ان الرسول ﷺ كان يأمر بتدوين القرآن الكريم و يعلم كتبة الوحى موضع ما ينزل من الوحى بالنسبة للسورة .

الخامس : ان العقل السليم يحكم بأن القرآن الكريم لم يستظهر فى عهد رسول الله ﷺ فحسب بل دوّن كاملاً، حيث ان عظمة هذا الكتاب السماوى فى نفسه وإهتمام النبى ﷺ بحفظه و قرائته ، و إهتمام المسلمين بما يهتم به رسول الله ﷺ ومايستوجبه ذلك من الثواب ، كل ذلك ينافى أن يترك القرآن سدى حتى يجمع بعد وفاة النبى ﷺ على نحو ما ورد فى الروايات المتعارضة المتناقضة .

السادس : وقد أجمع المسلمون قاطبة على ان القرآن الكريم لاطريق لاثباته إلاّ التواتر و ما ورد فى تلك الروايات المتناقضة : ان اثبات آيات القرآن حين الجمع كان منحصراً بشهادة شاهدين أو بشهادة رجل واحد إذا كانت تعدل

شهادتين، و على هذا ، فاللازم أن يثبت القرآن بالخبر الواحد أيضاً ، أو يمكن لمسلم أن يلتزم بذلك ؟ مع إجماع المسلمين قاطبة على ان القرآن لا يثبت إلاّ بالتواتر ، أفلا يكون القطع بلزوم كون القرآن متواتراً سبباً للقطع بكذب الروايات المتناقضة الواردة فى جمع القرآن الكريم.



الامام على عليه السلام وجمع القرآن الكريم
بعد وفاة النبى صلى الله عليه وآله وسلم

قال الله تعالى : « ان علينا جمعه وقرآنه » القيامة : ۱۷)

وقد ضمن الله جل وعلا بجمع القرآن الكريم كما ضمن بحفظه من كل دس وتحريف من زيادة كلمة أونقصها أوتبديلها بكلمة اخرى قال الله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر : ۹)

ومن غير مراء ان العامل فى جمع القرآن الكريم ونظمه على ما هو عليه الآن هو الوحى السماوى لم يتدخل فيه أىّ بشرية ، على أن إسناد الكلام إلى متكلم خاص يستدعى أن يكون هو العامل فى جمع كلماته و تنظيمها و تنسيق اسلوبها التعبيرى الخاص ، أما إذا كان هو منتقياً كلمات مفردة وتركها ، فجاء آخر من غير أمر من متكلمها ، فنظمها فى اسلوب خاص برأيه ، فان هذا الكلام ينسب إلى الثانى دون الاول .

وهكذا القرآن الكريم الذى هو كلام الله العزيز الحميد ، فلابد أن يكون الوحى السماوى هو العامل الوحيد فى جمع كلماته و تنظيمها جملاً و تراكيب كلامية بديعة . مضافاً إلى أن هذا القرآن المجيد يتحدى فصحاء العرب وأرباب البيان فى مدى الاعصار فى اسلوبه ونظمه ، فلو كان جمعه واسلوبه بيد بشر ، وخاصة من لايكون له شأن فى معارف القرآن وحكمه كعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وأضرابهما على مافى الاحاديث الموضوعة . . . لكان هذا مبطلاً لهذا التحدى

الصارخ .

وهكذا الزعم بان الامام أمير المؤمنين عليه‌السلام جمع القرآن على ترتيب النزول وما بأيدى المسلمين الآن غيرما جمعه على عليه‌السلام فليس الموجود من طريق الوحى لاستلزام أن يكون هذا القرآن الموجود غير معجزة فى نظمه و اسلوبه ، من غير تناف بين جمع الامام على عليه‌السلام القرآن على ترتيبه نزولاً و مصحفاً كما ورد : ان ما عند الامام عليه‌السلام من الترتيب غيرما عندنا .

فمن دون ريب ان النظم الموجود والاسلوب القائم فى جمل الايات الكريمة وتراكيبها وترتيب السور هو من صنع الوحى السماوى لايتسرّب إليه خطأقطّ .

بل كان القرآن الكريم بنظمه القائم وترتيبه الحاضر قد حصل فى حياة النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم ولكنه كان منثوراً على جرائد النخل و حجارة بيض رقاق و جلد مدبوق ، وعظام الاكتاف والاضلاع وبعض الحرير والقراطيس . . . مضافاً إلى صدور بعض الرجال . . . فجمعه الامام على إبن أبيطالب عليه‌السلام بعد وفاة رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم نظراً لترقب نزول الوحى على عهده صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم فمادام لم ينقطع الوحى لم يصح تأليف السور مصحفاً الاّ بعد الاكتمال وإنقطاع الوحى لم يكن يتحقق إلاّ بانقضاء عهد النبوة وإكتمال الوحى ، فلاموقع لجمع القرآن إلاّ بعد نزوله تماماً .

فى المجمع : عن علم الهدى السيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه قال : ان القرآن كان على عهد رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم مجموعاً مؤلفاً على ما هو عليه الآن ، واستدل على ذلك بأن القرآن كان يدرس ويحفظ جميعه فى ذلك الزمان حتى عيّن على جماعة من الصحابة فى حفظهم له ، وانه كان يعرض على النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم و يتلى عليه ، وان جماعة من الصحابة مثل عبدالله بن مسعود و ابىّ بن كعب و غيرهما ختموا القرآن على النبى صلى‌الله‌عليه‌وآله‌وسلم عدة ختمات و كل ذلك يدل بأدنى تأمل على أنه كان مجموعاً مرتباً غير مبتور ولا مبثوث ، وذكر ان من خالف فى ذلك لايعتد بخلافهم ، فان الخلاف فى ذلك مضاف إلى قوم من أصحاب الحديث نقلوا

أخباراً ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته. إنتهى كلامه رُفع مقامه.

كيف لا يكون جمع القرآن الكريم بأمر الله تعالى، وهو يقول لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تحرّك به لسانك لتعجل به ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان علينا بيانه» القيامة: ١٦ - ١٩) على أنه ليس على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم شيء من الامر بشأن القرآن الكريم في نزوله عليه نجوماً حسب الحوادث الواقعة والمناسبات والحاجات... ولا في جمعه وتأليفه كما هو الآن.

إذاً فجمع القرآن الكريم كنزوله إنما هو من الله تعالى لا من النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عمن لا معرفة له به.

أيعد الله جل وعلا بجمع كتابه، وينهى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم عنه ثم يخلف وعده ويتركه ثم يجمعه أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان ومن إليهم من الجهلاء... وهناك من عنده علم الكتاب وترجمان الوحي وهو الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام وليس هذا إلا فرية وكذباً على الله جل وعلا.

وليس إختلاف نسبة الجمع إلى غير أمر الله تعالى إلا توهيناً للوحي السماوي ووهناً لكيان القرآن الكريم، وترفيعاً لشأن من نسبوا إليه جمعه من غير أمر الله جل وعلا.

أيمكن أن ينهى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أن يعجل بلفظ القرآن وعنده معناه، وأن يجمعه وهو مهبط تنزيل آياته، وعن بيانه وهو رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيخصّه بنفسه دون رسوله صلى الله عليه وآله وسلم ثم يسمح لمن لا عصمة له في دينه. فيجمعه ويؤلفه! هذا بعيد عن العقل والدين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

فآية الجمع والبيان يغنينا عن القيل والقال في: من جمع القرآن وكيف جمع؟ فانها تلهمنا: ان القرآن الكريم كما عليه الآن كله وحي إلهي: من جمعه ونظمه واسلوبه وترتيب آياته وقرائته وسوره واسماءها وألفاظه ومعانيه.. دون

تدخل لغير الله جل وعلا في أيّ من هذه الامة ولا من الرسول صلى الله عليه وآله نفسه إلّا بالوحي.

و قد ورد صحيحاً: ان رسول الله صلى الله عليه وآله أوصى علياً أمير المؤمنين عليه السلام بجمع الكتاب بعد وفاته، فلما أتمّ الامام علي عليه السلام تجهيز الرسول صلى الله عليه وآله وتكفينه ودفنه، والناس منصرفون إلى شؤون البيعة والخلافة في سقيفة بني ساعدة، إنصرف الامام مولى الموحدين علي عليه السلام إلى تنسيق تلك الرقاع و تنظيمها و ترتيب سورها و آياتها على ما أمره رسول الله صلى الله عليه وآله به وجعلها كتاباً موحداً و هذا هو معنى الجمع الذي مارسه أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام لا الجمع من صدور الرجال كما توهم البعض.

والغرض من الجمع: جعله بين دفتي المصحف لا كتابته ابتداءاً فانه كان مدوّناً لديه



بحث روائي

في جمع القرآن الكريم

وقد وردت روايات صحيحة : ان الامام أمير المؤمنين علي بن أبيطالب عليه السلام هو الذي جمع القرآن الكريم على ماهو الآن بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم بوصية منه صلى الله عليه وآله وسلم أمره الله تعالى به بعد ما كان مجموعاً في حياته صلى الله عليه وآله وسلم على الترتيب النزولي .

في تفسير العياشي : قال علي عليه السلام : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أوصاني إذا واريته في حفرته أن لا اخرج من بيتي حتى أؤلف كتاب الله فانه في جرائد النخل في أكتاف الابل .

وفي تفسير القمي : باسناده عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال : ما أحد من هذه الامة جمع القرآن إلا وصيّ محمد صلى الله عليه وآله وسلم

وفيه : باسناده عن أبي بكر الحضرمي عن أبي عبدالله عليه السلام قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : يا علي القرآن خلف فراشي في المصحف والحرير والقراطيس فخذوه و اجمعوه و لا تضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة ، فانطلق علي عليه السلام فجمعه في ثوب أصفر ثم ختم عليه في بيته ، وقال : لا أرتدي حتى أجمعه و ان الرجل ليأتيه فيخرج إليه بغير رداء حتى جمعه .

قال : وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لو أن الناس قرؤا القرآن كما انزل ما اختلف اثنان.

أقول : و لعل الاختلاف بين المصحف و النزول بأمر الله تعالى هو مما يبتلى به هذه الامة المسلمة .

وفي المناقب لابن شهرآشوب قدس سره عن أبي رافع ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه لعلي: يا علي هذا كتاب الله خذه إليك، فجمعه علي عليه السلام في ثوب فمضى إلى منزله، فلما قبض النبي صلى الله عليه وآله وسلم جلس علي فألفه كما أنزله الله وكان به عالما.

وفيه: عن علي بن رباح: ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمر علياً عليه السلام بتأليف القرآن فألفه و كتبه.

وفيه: عن عبدخير عن علي عليه السلام قال: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقسمت أو حلفت أن لا أضع ردای عن ظهری حتى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردای حتى جمعت القرآن.

وفي روضة الكافي: باسناده عن جابر بن يزيد قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقلت: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أرمضني إختلاف الشيعة في مذاهبها، فقال: يا جابر ألم أقفك على معنى إختلافهم من أين إختلفوا، و من أي جهة تفرقوا؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله قال: فلا تختلف إذا اختلفوا يا جابر ان الجاحد لصاحب الزمان كالجاحد لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في أيامه يا جابر إسمع و ع، قلت: إذا شئت، قال: إسمع و ع وبلغ حيث إنتهت بك راحلتك ان امير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك حين فرغ من جمع القرآن وتأليفه، فقال: الحمد لله الذي منع الاوهام أن تنال إلا وجوده.. الخطبة التي سميت بخطبة الوسيلة.

وفي اصول الكافي: باسناده عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: ما ادعى أحد من الناس انه جمع القرآن كله كما أنزل إلا كذاب، وما جمعه وحفظه كما نزله الله تعالى إلا علي بن أبيطالب والائمة من بعده عليهم السلام.

وفيه: باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام انه قال: مايستطيع أحد أن يدعي ان عنده جميع القرآن كله ظاهره و باطنه غير الاوصياء.

اقول : وليس في الروايتين الاخيرتين شائبة التحريف على مازعمه بعض الضعفاء العقول فان تقييد قوله : « ان عنده القرآن كله » بقوله : «ظاهره وباطنه» دلالة على ان المراد هو العلم بجميع القرآن من حيث معانيه الظاهرة على الفهم العادي ومعانيه المستنبطة التي لاتدركها الافهام العادية . . .

وفي السيرة الحلبية : مالفظه: وهو - يعني علي بن ابيطالب عليه السلام - رضي الله عنه اول من جمع القرآن وسماه مصحفاً .

و في الاوائل لأبي هلال بن مهران العسكري باسناده عن الحسين بن علي عليه السلام قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فشاغل عليّ بدفنه ، فبايع الناس أبابكر فجلس علي عليه السلام في بيته لجمع القرآن وكتبه في الخزاف وأكتاف الابل وفي الرق .

وفي المناقب لاخطب خوارزم باسناده عن علي بن رباح قال: جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبيطالب عليه السلام .

وفي الاتقان للسيوطي قال: كان القرآن كتب كله في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لكن غير مجموع في موضع واحد ولا مرتب السور .

وفي شرح ابن أبي الحديد : قال : وأما قرائته - علي عليه السلام - القرآن واشتغاله به فهو المنظور إليه في هذا الباب، إتفق الكل على أنه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكن غيره يحفظه ، ثم هو أول من جمعه ، نقلوا كلهم انه تأخّر عن بيعة أبي بكر - يقولون : تشاغل بجمع القرآن ، فهذا يدل على أنه أوّل من جمع القرآن ، لانه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم .

اقول : وقد سبق منا آنفاً بعدم التنافي بين كون القرآن مجموعاً في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الترتيب النزولي ، وبين الجمع بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم على ما عليه الآن مصحفاً .

و فی رواية : ان علياً عليه السلام آلى أن لايضع رداءه على عاتقه إلاّ للصلاة حتى يؤلّف القرآن و يجمعه ، فانقطع عنهم مدة إلى أن جمعه ثم خرج إليهم به في إزاره يحمله وهم مجتمعون في المسجد ، فانكروا مصيره بعد إنقطاع مع التيه فقالوا : لأمر ماجاء أبوالحسن ، فلما توسّطهم وضع الكتاب بينهم ثم قال : ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : انى مخلف فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا كتاب الله و عترتى أهل بيتى ، وهذا الكتاب و أنا العترة ، فقام إليه الثانى - عمر بن الخطاب - فقال له : إن يكن عندك قرآن فعندنا مثله ، فلا حاجة لنا فيكما ، فحمل الكتاب و عاد به بعد أن ألزمهم الحجة .

اقول : و ما كان مصحف الامام أمير المؤمنين على عليه السلام الذى جمعه بعد النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم إلاّ نفس هذا القرآن فى متنه ، و انما رفضوه للتفسيرات و التأويلات التى أوردها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى هوامشه ، مما فضحت جموع المنافقين و لذلك رفضوه .

وفى كتاب سليم بن قيس الهلالى : عن سلمان الفارسى رضوان الله تعالى عليه قال : لما رأى أمير المؤمنين عليه السلام غدر الناس به لزم بيته و أقبل على القرآن يؤلفه و يجمعه ، فلم يخرج من بيته حتى جمعه . و كان فى الصحف و الشظاظ و الاشار و الرقاع .

قوله : «الصحف»: جمع صحيفة وهى الورقة من كتاب أو قرطاس و «الشظاظ»: خشبة محددة و «الاشار» : خشبة أو صفحة أو عظمة مرققة مصقولة و «الرقاع» : جمع رقعة وهى القطعة من الورق يكتب عليه .

و **فى البرهان للزركشى** : «كتابة القرآن ليست بمحدثة ، فانه صلى الله عليه وآله وسلم كان يأمر بكتابته و لكنه كان مفرّقاً فى الرقاع و الاكتاف و العسب . . . كان ذلك بمنزلة أوراق وجدت فى بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم» .

وفى اصول الكافى : «ان علياً قال عند ما جمع القرآن : هذا كتاب الله

وقد جمعته من اللواجين».

وفي فضائل القرآن لابن كثير: عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وآله وسلم أقسم عليّ أن لا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع القرآن في مصحف.

وفي مسائل السروية: قال الشيخ المفيد رضوان الله تعالى عليه: وقد جمع أمير المؤمنين عليه السلام القرآن المنزل من أوله إلى آخره، وألفه بحسب ما وجب تأليفه...

وفي نزول القرآن للشيرازي عن إبن عباس قال: ضمن الله محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يجمع القرآن بعده علي بن أبيطالب عليه السلام قال: فجمع الله القرآن في قلب علي عليه السلام وجمعه علي بعد موت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بستة أشهر.



«الاحاديث الموضوعة فى جمع القرآن»

وفى المقام أحاديث موضوعة متناقضة ، متعارضة ، متضاربة بعضها على بعض ، ومخالفة مع الكتاب المجيد والروايات الصحيحة المتقدمة ، والعقل السليم .

متناقضة : فى زمن جمع القرآن : زمن أبى بكر ؟ أم فى زمن عمر ؟ أو فى زمن عثمان ؟ ففى بعضها تحديد زمن الجمع بعهد الاول ، وفى آخر بعهد الثانى ، وفى ثالث بعهد الثالث .

متعارضة : فيمن تصدّى لجمع القرآن : هل هو زيد بن ثابت ؟ أم هو أبو بكر نفسه ؟ أو زيد و عمر بن الخطاب ؟ ففى بعضها : ان أول من جمع القرآن هو زيد بن ثابت ، وفى آخر انه أبو بكر ، وفى ثالث انه عمر بن الخطاب .

متضاربة: فيما بقى من الآيات الكريمة مالم يدوّن إلى زمن عثمان بين نفى وإثبات ، وفى محو عثمان شيئاً مما كان قبله بين نفى وإثبات أيضاً ، وفى مصدر جمع عثمان أكان معتمداً على مصحف أبى بكر ؟ أم كان يجمعه بشهادة شاهدين ؟ أو باخبار كل من سمع عن رسول الله ؟ وفيمن طلب من أبى بكر ؟ أم من عمر ؟ أو زيد ؟ وفيمن جمع المصحف الامام ونشره فى البلاد ؟ هل هو عثمان ؟ أم عمر ؟ وفيمن عيّنه عثمان لكتابة القرآن ؟ هل هو زيد وإبن الزبير وسعيد وعبد الرحمن ؟ أم زيد للكتابة وسعيد للاملاء ؟ أم ثقيف للكتابة وهذيل للاملاء ؟ أو المملى ابى ابن كعب وكان سعيد يعرب ما كتبه زيد ؟

و غير ذلك من المنافات . . : و نحن لانرى وجهاً لجعل تلك الاحاديث إلا كتمان الحق وصد الناس عن محوره « فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون »

وأما دفاع بعض المتأخرين عن تلك المتناقضات الواضحة فلغو جداً لايكون من شأن عاقل فضلاً عن فاضل .

فلابدلنا من الاشارة إلى نبذة من تلك المجعولات :

١- فى صحيح البخارى فى (باب جمع القرآن) عن زيدبن ثابت قال : أرسل إلى أبوبكر مقتل أهل يمامة ، فاذا عمربن الخطاب عنده قال أبوبكر : ان عمرأتانى ، فقال : ان القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن ، و انى اخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن ، فيذهب كثيرمن القرآن ، و انى أرى أن تأمر بجمع القرآن ، قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ؟ قال عمر هذا والله خير ، فلم يزل عمر يراجعنى حتى شرح الله صدرى لذلك ، و رأيت فى ذلك الذى رأى عمر : قال زيد :

قال أبوبكر : انك رجل شاب عاقل لانتهمك ، و قد كنت تكتب الوحى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفونى نقل جبل من الجبال ماكان أثقل على مما أمرنى من جمع القرآن ، قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؟

قال : هو والله خير ، فلم يزل أبوبكر يراجعنى حتى شرح الله صدرى ، للذى شرح له صدرأبى بكر وعمر ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللحاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبى خزيمة الانصارى لم أجدها مع أحد غيره .

« لقد جاء كم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبى الله لاإله إلا هو عليه توكلت و هو رب العرش

العظيم » التوبة : ١٢٨ - ١٢٩)

حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبى بكر حتى توفاه الله ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر .

٢- فى منتخب كنز العمال : عن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : أراد عمر بن الخطاب أن يجمع القرآن فقام فى الناس ، فقال : من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به ، و كانوا كتبوا ذلك فى الصحف والالواح والعسب ، وكان لايقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان ، فقتل و هو يجمع ذلك إليه فقام عثمان ، فقال : من كان عنده من كتاب الله شىء فليأتنا به ، وكان لايقبل من ذلك شيئاً حتى يشهد عليه شهيدان ، فجاء خزيمة بن ثابت، فقال انى قد رأيتكم تركتم آيتين لم تكتبوهما ، قالوا : ماهما ؟ قال : تلقيت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم » إلى آخر السورة فقال عثمان : و أنا أشهد انهما من عندالله ، فأين ترى أن نجعلهما ؟ قال : اختم بهما آخر ما نزل من القرآن ، فختمت بهما براءة .

٣- وفيه : عن هشام بن عروة عن أبيه قال : لما قتل أهل اليمامة أمر أبو بكر عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت ، فقال : إجلسا على باب المسجد ، فلا يأتينكما أحد بشىء من القرآن تنكرانه يشهد عليه رجلان إلاّ اثبتماه و ذلك لانه قتل باليمامة ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد جمعوا القرآن .

٤- وفيه عن عبدالله بن فضالة قال : لما أراد عمر أن يكتب الامام اقعد له نفراً من أصحابه ، وقال : اذا اختلفتم فى اللغة فاكتبوها بلغة مضر، فان القرآن نزل على رجل من مضر .

اقول أهذا هو الذى وعدالله تعالى بجمعه وحفظه ؟ وهذا هو الذى يتحدى الجن والانس فى طوال الاعصار أن يأتوا بمثله ؟ !

٥- وفيه : عن إبن شهاب ان أنس بن مالك حدثه : ان حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، وكان يغازى أهل الشام فى فتح ارمينية وآذر بيجان مع أهل العراق ، فافزع حذيفة إختلافهم فى القراءة فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب إختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها فى المصاحف ، ثم نردها اليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير و سعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام ، فنسخوها فى المصاحف ، و قال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة :

إذا إختلفتم أنتم و زيد بن ثابت فى شىء من القرآن ، فاكتبوه بلسان قريش ، فانما نزل بلسانهم ، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل افق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن فى كل صحيفة أومصحف أن يحرق .

قال إبن شهاب : وأخبرنى خارجة بن زيدبن ثابت سمع زيد بن ثابت قال: فقدت آية من الاحزاب حين نسخنا المصحف ، قد كنت أسمع رسول الله (ص) يقرأبها ، فالتمسنا فوجدناها خزيمة بن ثابت الانصارى : «من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه» الاحزاب : ٢٣) فألحقناها فى سورتها فى المصحف .

٦- وفيه : عن محمد بن سيرين قال : قتل عمر ولم يجمع القرآن .

٧- وفيه عن الحسن : ان عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله،فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة ، فقال : انا لله و أمر بالقرآن ، فجمع فكان أول من جمعه فى المصحف .

٨ - وفيه عن أبى قلابة قال : لما كان فى خلافة عثمان جعل المعلم يعلّم قراءة الرجل والمعلّم يعلّم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون ويختلفون ، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين ، حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان

فقام خطيباً ، فقال : أنتم عندى تختلفون و تلحنون . فمن نأى عنى من الامصار أشد إختلافاً وأشد لحناً ، فاجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماماً .

قال أبو قلابة : فحدثنى مالك بن أنس ـ قال أبو بكر بن أبى داود : هذا مالك بن أنس جد مالك بن أنس ـ قال : كنت فيمن املى عليهم . فربما إختلفوا فى الاية ، فيذكرون الرجل قد تلقاها من رسول الله ﷺ ولعله أن يكون غائباً أو فى بعض البوادى ، فيكتبون ما قبلها ومابعدها ، ويدعون موضعها حتى يجىء أو يرسل إليه ، فلما فرغ من المصحف كتب إلى أهل الامصار أنى قد صنعت كذا و صنعت كذا ومحوت ما عندى ، فامحوا ما عندكم .

٩ـ فى الاتقان للسيوطى عن الليث بن سعد قال : أول من جمع القرآن أبو بكر و كتبه زيد وكان الناس يأتون زيد بن ثابت ، فكان لايكتب آية إلاّ بشهادة عدلين ، وان آخر سورة براءة لم توجد الاّ مع أبى خزيمة بن ثابت ، فقال: اكتبوها فان رسول الله ﷺ جعل شهادته بشهادة رجلين ، فكتب ، و ان عمر أتى بآية الرجم فلم نكتبها لانه كان وحده .

١٠ـ فى منتخب كنز العمال : عن عبد الاعلى القرشى قال : لما فرغ من المصحف أتى به عثمان فنظر فيه ، فقال : قد أحسنتم وأجملتم ، أرى شيئا من لحن ستقيمه العرب بألسنتها .

وغيرها من الموضوعات التى لانرى وجهاً لذكرها إلاّ الملالة لاهل الحق والتحقيق .

ومن غير ريب إن إسناد جمع القرآن إلى غير مهبط الوحى أمر موهوم مخالف للكتاب والسنة والاجماع والعقل مضافاً إلى استلزامه التحريف فى القرآن الكريم ، وحديث التحريف حديث خرافة وخيال لايتقوّل به إلاّ ضعفاء العقول...

ومن تشبّث بتلك الموضوعات فهو إما مريض القلب ومخدوش الذهن وإما ناقص التحقيق وضعيف الادراك .

﴿مصحف عثمان بن عفان﴾

وقد اتفقت كلمات العامة على أن القرآن الكريم قد جمع في زمان عثمان بن عفان لا بمعنى انه جمع الآيات والسور في مصحف واحد كما زعم البعض، بل بمعنى جمع المسلمين على قراءة إمام واحد، وهى القراءة التى كانت متعارفة بين المسلمين والتى تلقوها بالتواتر عن النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم، و أحرق المصاحف الاخرى التى تخالف ذلك المصحف، وكتب إلى البلدان أن يحرقوا ما عندهم منها، ونهى المسلمين عن الاختلاف فى القراءة.

وذلك لان بعض المسلمين قد ظلوا بالرغم من جمع القرآن وتنسيقه فى مصحف واحد يقرؤونه بقراءات شتى لاختلاف ألسنتهم، فكان الاختلاف فى الحركة الاعرابية مثلاً مثاراً للخلاف بينهم وتشتيت كلمتهم، الامر الذى دعا حذيفة بن اليمان سنة ٣٦ هـ بعد عودته من فتح بلاد أرمينية وآذربايجان مع أهل العراق، أن يسرع إلى عثمان بن عفان ويذكره بمنع النبى الكريم صلى الله عليه وآله وسلم من الاختلاف فى القرآن قائلاً له: «أدرك هذه الامة قبل أن يختلفوا فى الكتاب اختلاف اليهود والنصارى».

فقام عثمان بجمع المسلمين على قراءة واحدة.

وفى سعد السعود: للسيد بن طاوس رضوان الله تعالى عليه: «ان عثمان عاد وجمع المصحف برأى على عليه السلام» وبهذا يكون عثمان قد وحد المصاحف وذلك باختيار ما تواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلغاء سائر القراءات لا بمعنى تنسيق

سوره وآياته بين لوحين كما فعل الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين على بن أبيطالب عليه السلام.

وقد صرّح بهذا كثير من أعلام العامة وحملة أسفارهم.

منهم: السيوطى فى الاتقان: قال أبو عبدالله الحارث بن أسد المحاسبى: المشهور عند الناس ان جامع القرآن عثمان وليس كذلك، انما حمل عثمان الناس على القراءة بوجه واحد على إختيار وقع بينه وبين من شهده من المهاجرين والانصار لما خشى الفتنة عند اختلاف أهل العراق والشام فى حروف القرآن فأما قبل ذلك فقد كانت المصاحف بوجوه من القراءات المطلقات على الحروف السبعة التى انزل بها القرآن...»

و فى فضائل القرآن: «فتمّ توحيد الناس على مصحف موحّد، على العرضة الاخيرة التى عارض بها جبرئيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى آخر رمضان من عمره صلى الله عليه وآله وسلم فانه عارضه به يومئذ مرتين.

ولما قام عثمان بحمل الناس وتوحيدهم على قراءة واحدة للقرآن الكريم، استنسخ عدة نسخ منه فرّقها على الأمصار ليتمّ التعويل عليها دون غيرها، والمشهور انها خمسة وقيل: أكثر وقيل: أقل.

وأحرق المصاحف الاخرى التى تخالف ذلك المصحف، وكتب إلى البلدان أن يحرقوا منها، ونهى المسلمين عن الاختلاف فى القراءة، وقد اعترض على عثمان من احراق المصاحف جماعة من المسلمين حتى سمّوه بحراق المصاحف، وقد كان انتقادهم عليه حقاً، إذ يحرم مسّ كتابة القرآن الكريم من غير طهارة، فكيف إحراق كلام الله جل وعلا، وهو يستطيع أن يدفنها فى الارض فعليه ما عليه.

ولقد استمرّ المسلمون منذ أن اختار الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم دار الكرامة على إستظهار القرآن الكريم واستنساخه، فأنت تجد فى كل جيل من الأجيال الوفاً من المصاحف والوفاً من الحفاظ، فتكون الوف المصاحف رقيبة على

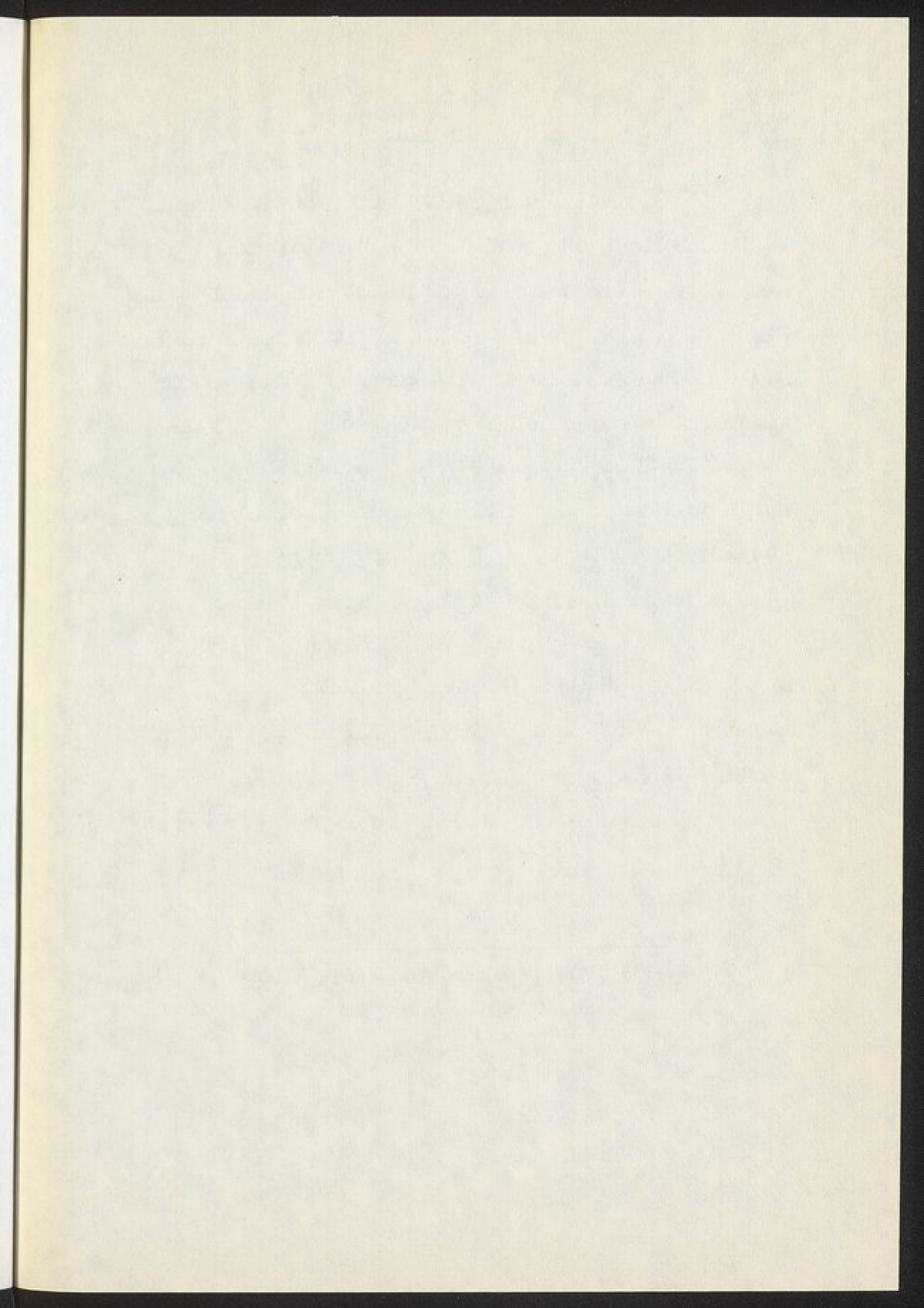
استظهار الحفاظ ، والوف الحفاظ رقباء على نسخ المصاحف . . .

و ليست كهذه حال العهد القديم - التوراة - الذى لم تعترف له بالصحة الدراسة النقدية للشراح المحدثين فيماعدا واحداً من كتبه هو كتاب « أرمياء» ولاالعهد الجديد - الانجيل - بأسعد حالاً ، فقد ألغى مجمع أساقفة « نيقية » كثيراً من أخباره مما زرع الشك حول ما تبقى منه ، و هو « الأناجيل » و هذه الاخيرة بدورها لاتعتبر الآن من الصحاح لان النقد أثبت انها قد وضعت بعدالمسيح بأكثر من قرن ، أى بعد عصر الحواريين الذين تنسب إليهم التعاليم المسيحية . وعلى هذا فان شكوكاً كثيرة تحوم الآن حول القيمة التاريخية للوثائق اليهودية

وأما القرآن الكريم فقد ظل ينتقل من جيل إلى جيل بطريقة متقنة فذة فريدة ، تعارف الناس عليها ، حتى انتشر من أقصى بلاد المسلمين فى شمال غربى افريقيا ، إلى أقصى البلاد الاسلامية فى جنوب شرقى آسيا .

ولم يتفق لكتاب من التواتر ودقة النقل ما اتفق للقرآن الكريم ، و انما كان ذلك لانه لانبى بعد محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا شريعة بعد الاسلام ، و لا كتاب بعد القرآن ، ولوعد الله جل وعز الذى صدق وعده : « ان علينا جمعه وقرآنه» القيامة: ١٧) و « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر: ٩)

تمت سورة القيامة والحمد لله فى الاولى والاخرة
وصلى الله على محمد وآله البررة



فهرس ماجاء في تفسير سورة المزمل

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :

الفصل الثانى : فى مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية المبحوث عنها فى سورة المزمل وفيها ثلاث بصائر:

البصيرة الاولى: وفيهاخمسة امور:

البصيرة الثانية : وفيها أحد وعشرون أمراً :

البصيرة الثالثة : وفيها امور ثلاثة :



فهرس ماجاء فى تفسير سورة المدثر

يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: فى عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثاني: في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية

المبحوث عنها في سورة المدثر وفيها ثلاث بصائر:

الاولى: وفيها أمر واحد:

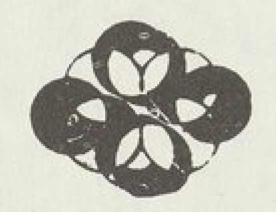
البصيرة الثانية: وفيها أمر واحد:

البصيرة الثالثة: وفيها أمران:

فهرس ماجاء في تفسير سورة القيامة

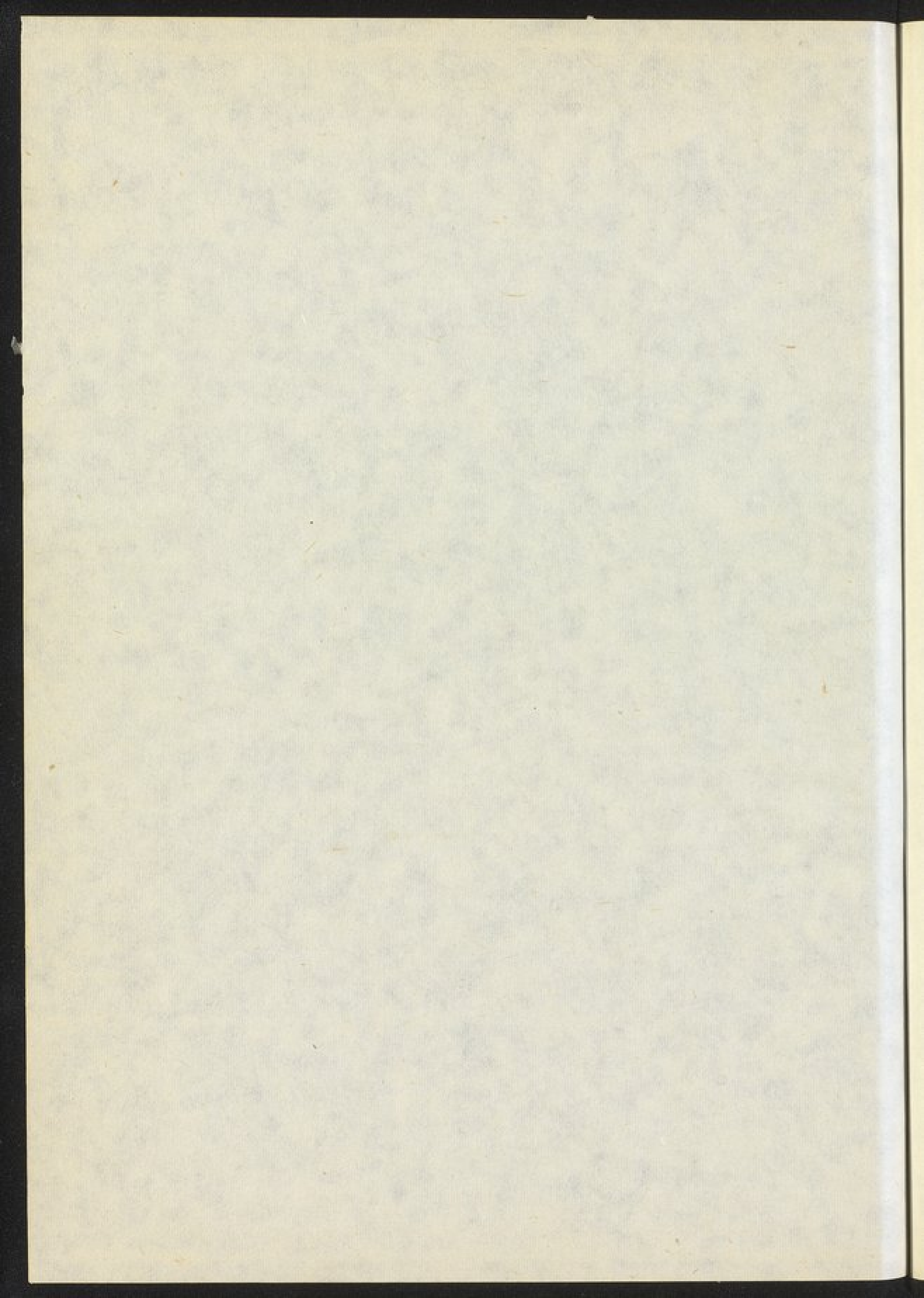
يدور البحث حولها على فصلين :

الاول: في عناوين تفسير السورة وفيها ثمان عشرة بصيرة :



الفصل الثانی : فی مواضیع الحکم القرآنیة والمعارف الاسلامیة المبحوث عنها فی سورة القیامة وفیها

بصیرة واحدة: وفیها ثمانیة امور:



[illegible]


VETUS & NOVUM TESTAMENTUM
DEI SUB NUMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

